

﴿وَالْمَنَانِ بِرِّ الْوَالِدَيْنَا﴾ {سورة الكهف ٦٥}

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ امْسِكِي﴾ {سورة طه ١١٤}

صَلَّى  
الْعِظِيمِ

## إلهام التفسير

### الجزء الثالث

من تفسير سورة الانبياء (٢١) إلى تفسير سورة الشورى (٤٢)

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ {سورة الفرقان ٣٣}

من أحدث النفايس - وهو مكون من ٤ أجزاء

للفقيه بالله تعالى

شكيب عبد الرحمن أحمد العبادلة

" أبو أحمد العبادلة "

طبعه ونقحه وراجعها المهندس محمود شكيب العبادلة



شهادة تسجيل مصنف

رقم ( 94 - 2011م )

تشهد وزارة الإقتصاد بأن المصنف موضوع هذه الشهادة قد تم تسجيله بإدارة حقوق النشر والتأليف بتاريخ 28 / 2 / 2011م، وذلك وفقاً للنسخة المودعة لدى الإدارة ووفقاً للبيانات التالية:

- 1) اسم المصنف : إلهام التفسير
- 2) نوع المصنف : مادة مكتوبة
- 3) وصف المصنف : عبارة عن اسطوانة مدمجة مثبت عليها مادة مكتوبة عن تفسير للقرآن الكريم، وذلك حسب النسخة المودعة لدينا.
- 4) اسم المؤلف : السيد/شكيب عبدالرحمن أحمد العبادلة الجنسية:فلسطين
- 5) أسم صاحب حقوق المصنف : نفس البيانات أعلاه

الجنسية:غينيا

وقد سلمت الشهادة إلى : السيد/SAMEH ELABADLA

بصفته: الوكيل القانوني عن صاحب حقوق المصنف بموجب توكيل موثق لدى سفارة دولة دولة الإمارات العربية المتحدة بتاريخ 2011/2/22م

ملاحظة:

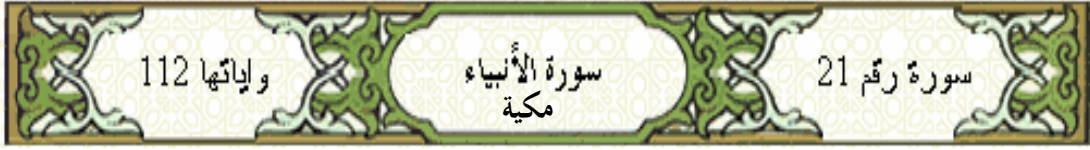
- لا يجوز تداول المصنف بناءً على هذه الشهادة، حيث يتعين الحصول على إجازة تداول مصنف من الجهة المختصة بالدولة.
  - أي كشط أو تعديل في بنود هذه الشهادة أو فصل في مرفقاتها المختومة يلغونها.
- حررت في : 28 / 2 / 2011م

د. فوزي عبدالعزيز الجابري  
مدير إدارة حقوق النشر والتأليف



طلب رقم ( 105 لسنة: 2011 بتاريخ 23 / 2 / 2011م )

www.economy.ae



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ ۗ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۗ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

{أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} أي قرب موعد حساب الناس وعذابهم وعقابهم إما بالهلاك بالصواعق والزلازل وبالموت في الدنيا أو بالموت فيعذبوا في قبورهم أو تقوم القيامة وهي كلمح بالبصر لقربها ودنوها منهم {وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} وهم في لهو ومرح ونسيان وسهو وغفلة عن ذكرها وتفكرها {مُّعْرِضُونَ} وهم معرضون عن عبادة الله تعالى وطاقته ومعرضون وغير مصدقين بالقيامة وعن الموت وعن البعث والحساب {مَا يَأْتِيهِمْ} فلا يأتيهم {مِّنْ ذِكْرٍ} من قرآن {مِّن رَّبِّهِمْ} من عند ربهم وخالقهم الله تعالى {مُحَدَّثٍ} جديد في نزوله {إِلَّا اسْتَمَعُوهُ} لا يستمعون لآيات

الله وما يأمرهم الله تعالى به وما ينهاهم عنه إلا {وَهُمْ يَلْعَبُونَ} إلا وهم يلهون ويلعبون ويستهترون ويسخرون {لَا هَيْئَةَ قُلُوبُهُمْ} مَلَهِيَّةً ومشغولة عن ذكر الله قلوبهم بالدنيا وملذاتها وشهواتها وغرورها {وَأَسْرُؤًا} وأخفوا {النجوى} الحديث والقول في شأن محمد وفي أمره وما يحيكون له من مؤامرات {الَّذِينَ ظَلَمُوا} وهم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك من أهل مكة كما قال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. وكما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. {هَلْ هَذَا} هل هذا محمد {إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} فهو بشر مثلكم من بني آدم وليس ملكاً من الملائكة. يريد الكفار بقولهم هذا أن يصدوا بعضهم بعضاً عن تصديق القرآن ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قالوا {أَفْتَاتُونَ السِّحْرَ} فهل تأتون إلى السحر بأرجلكم حتى يسحركم محمد فنتبعوه لأنهم يقولون أن محمداً ساحر وأن من يأتيه يسحره بسحره فيتبعه بتأثير ذلك السحر عليه وهذا يدل على تخبطهم وعدم استقرارهم على قول ولا على مبدأ لأنهم مرة يقولون عن سيدنا محمد بأنه ساحر ومرة ثانية يقولون مجنون ومرة أخرى يقولون كاهن وهذا يدل على تخبطهم في الرأي وشأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} وأنتم تنظرون وتعلمون أنه كاذب {قَالَ} قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم {رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ} ربي وإلهي وخالقي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يعلم القول مني إن كنت صادقاً أو كاذباً ويعلم قولكم وما تصفوني به مرة بالسحر ومرة بالجنون ومرة بالكهانة ومرة بالتكذيب فهو يعلم قولكم وقول كل من {فِي السَّمَاءِ} من صدق رسالتي من الملائكة {وَالْأَرْضِ} وهي من يصدقني من أهل الأرض ومن يكذبني منهم {وَهُوَ} وهو الله تعالى المطلع على الغيب وعلى

القول وعلى قولكم وفعلكم {السَّمِيعُ} الذي يسمع ما أقول لكم بأنني رسول الله حقاً ويسمع قولكم وتكذيبكم لي {الْعَلِيمُ} العليم بصدقي في رسالتي إليكم والعليم بتكذيبكم لي {بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمُ} بل قال الكفار والمشركون هذه رسالة محمد هي أحلام رآها شيطانية من الشيطان أي أحلام رديئة وكاذبة ومختلطة عليه {بَلِ افْتَرَاهُ} وفي مرة أخرى قالوا بل اختلقه وكذبه من عند نفسه {بَلْ هُوَ شَاعِرٌ} ومرة أخرى قالوا هو شاعر ينتقي الكلمات ويمزجها مع بعضها ويدعي أنها قرآناً {فَلْيَأْتِنَا بَعَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ} فإن كان صادقاً فليأتنا بمعجزة كما فعل الرسل السابقون والأولون الذين سبقوه بالرسالة فموسى عليه السلام جاء بالعصا وفلق بها البحر. وصالح عليه السلام أخرج لهم الناقة من الصخرة وعيسى يحيي الموتى ويشفي الأكمه والأبرص وهكذا {مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا} ولقد رد الله عليهم وعلى سؤالهم بطلبهم المعجزة من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل من سبقوه من الأنبياء والرسل فأجابهم الله تعالى على سؤالهم قائلاً لم تؤمن قبلهم تلك القرى التي أهلكتناها ودمرناها لم تؤمن بمعجزات رسلهم فقوم صالح عقروا الناقة وهي المعجزة التي قدمت لهم وقوم موسى عبدوا العجل بعد أن فلح موسى بعصاه البحر أمامهم معجزة من الله تعالى وعيسى عليه السلام الذي كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى ويشفي الأكمه والأبرص فحاولوا قتله وصلبه {أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ} فإذا كانت الأمم السابقة قد كذبت رسلهم وما جاءوا به من معجزات فهل هم يؤمنون بالمعجزات ويصدقون لو أتاهم بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَا أَرْسَلْنَا} وما بعثنا {قَبْلَكَ} من قبلك من الأمم السابقة من رسل الله يا محمد يا رسول الله {إِلَّا رِجَالًا} ما كانوا إلا رجالاً من الإنس من ذرية آدم

عليه السلام وليسوا ملائكة وكذلك ليسوا من النساء {نُوحِيَ إِلَيْهِمْ} نرسل إليهم كتبهم بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ} فاسألوا أهل العلم وأهل الكتب السابقة أهل التوراة والإنجيل عن الرسل السابقين هل هم من بني آدم كانوا أم ملائكة {إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} إن كنتم لا تعلمون ولا تعرفون أن جميع الرسل السابقين كانوا رجالاً من بني آدم ولم يكونوا لا ملائكة ولا من النساء {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} ولم يجعلهم الله تعالى جسداً لا يأكلون ولا يشربون مثل الملائكة فجميع الرسل يأكلون ويشربون لأنهم من بني آدم ومن ذريته {وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ} ولم يجعلهم الله تعالى مخلدين في الدنيا ولا يموتون والسبب حتى يتوارثوا الرسالة كلُّ إلى قومه وخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أمته آخر الأمم إلى الأحمر والأسود والأبيض وإلى مسلمهم وكافرهم وجنهم وإنسهم لأنه لا نبي ولا رسول بعده فهو كذلك لم يخلد لأنه آخر الأمم وبلغ الرسالة وحفظها الله تعالى له بحفظ القرآن بقوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" ٩ الحجر. {ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ} ثم صدقهم الله وعده بالنصر والنجاة وهلاك المكذبين والمعاندين والكافرين {فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ} فأنجى الله تعالى رسله ومن تبعهم من المؤمنين والمصدقين لهم في الدنيا وفي الآخرة كما قال تعالى: "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" ٥١ غافر. وقال تعالى: "ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ" ١٠٣ يونس. {وَأَهْلَكْنَا} وأهلك ودمر الله تعالى {الْمُسْرِفِينَ} المعاندين والكفار والمذنبين والعاصين والمكذبين {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ} لقد أنزل الله تعالى إليكم يا أمة محمد ويا أيها الناس جميعاً {كِتَابًا} قرآناً {فِيهِ ذِكْرُكُمْ} فيه ذكر كل ما

يختص بشؤونكم في الدنيا والآخرة ومن ذلك أنكم أمة وسط وخير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وأن رسالتكم آخر الرسالات {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أفلا تتعظون به. وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ألا إنها ستكون فتنة) فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال: (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو صراط الله المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتمس (تشك) به الألسن ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا " إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ " من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن حكم به عدل ومن دُعي إليه هُدي إلى صراط مستقيم. [كذا في المصابيح وروح البيان - خزينة الأسرار ص ٥٣].

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِبَأْسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَبْوِيلْتَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ} وكم دمرنا وأهلكنا من قرية من الأمم السابقة قبلك يا محمد يا رسول الله {كَانَتْ ظَالِمَةً} كانت مشركة وكافرة بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. والظلم هو الشرك والكفر كما قال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. وكما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة.

{وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا} وخلقنا بعدها أي القرية التي دمرها الله تعالى وأهلكها بالعذاب والموت {قَوْمًا آخَرِينَ} أي أجيالاً جديدة من الأقسام اللاحقين {فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَآءِ} فلما شعروا بعذاب الله تعالى قادماً عليهم {إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ} إذا هم (منها) من قريتهم التي جاءها العذاب يهربون جرياً طلباً للنجاة من الصواعق والزلازل والرجم والخسف والغرق مثل قوم نوح عندما ركضوا جرياً إلى الجبال طلباً للنجاة من الغرق. وكذلك الزلازل عندما يشعر بها الناس يهربون من منازلهم طلباً للنجاة {لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجُوعُوا إِلَىٰ مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ} أي لا تهربوا وارجعوا إلى ترفكم ونعيمكم وملذاتكم من شرب الخمر والمسكرات والمعاصي {وَمَسَاكِنِكُمْ} وارجعوا إلى مساكنكم التي هربتم منها خوفاً من الزلزال الذي شعرتم به ووقع عليكم {لَعَلَّكُمْ} فلا فائدة من هربكم ولا مفر من هلاككم وعذابكم ولعلكم وعساكم {تُسْأَلُونَ} تحاسبون يوم القيامة على كفركم وشرككم وظلمكم وذنوبكم ومعاصيكم وتكذيبكم لرسلكم. ولعل هنا لتأكيد العذاب ووجوبه عليهم {قَالُوا} قال الكفار عندما علموا علم اليقين أنهم مهلكين ومعذبين لا محالة {يَتَوَيْلَنَّا} يا لهلاكنا ويا لعذابنا ويا مصيبتنا {إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} فاعترفوا بأنهم كانوا كافرين ومشركين وظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك وتكذيب رسل الله {فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ} فما زال ذلك صراخهم وعويلهم بالهلاك والثبور على ظلمهم {حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا} حتى أهلكهم الله ودمرهم وجعلهم يهلكون كالزرع عند حصده أي لم يُبق منهم باقية {خَمِيدِينَ} هالكين ميتين.



﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبِينِ ﴿٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوَاءً  
لَاتَّخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا  
هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ  
عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا  
يَفْتُرُونَ ﴿١٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿١١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ  
لَفَسَدَتَا فَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ  
يُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ  
وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن  
قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾

{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ } ما خلق الله السماء من فوقكم { وَالْأَرْضَ } والأرض من  
تحتكم قراراً وفراشاً لكم { وَمَا بَيْنَهُمَا } وما بين السماء والأرض من شمس وقمر  
ونجوم ورياح { لِعِبِينِ } لعباً ولا لهواً ولا عبثاً ولا تسليةً ولا هزلاً بل خلقها بالحق  
وليس بالباطل وبالجد لا بالهزل حتى يعمرها الله تعالى فيعمر الله تعالى السماء  
بالملائكة ويعمر الأرض بالجن والإنس والحيوانات والطيور وجميع المخلوقات حتى  
تعلموا أنه لا إله إلا الله وحده ولا معبود سواه { لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوَاءً لَاتَّخَذْنَهُ }  
لو أراد الله تعالى أن يتخذ ويخلق لهواً ولعباً بدل السموات والأرض لاتخذهُ { مِن  
لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ } لو أراد الله أن يتخذ لهواً ولعباً وتسليةً لاتخذهُ من نفسه  
ومن عنده وبطريقته وبعلمه وإرادته لو كان فاعلاً ذلك وحاش لله أن يلهو ويلعب  
في خلقه وكونه { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ } بل نضرب ونسلط الحق على

الباطل {فَيَدْمَغُهُ} فيعريه ويزيله ويذهبه ويبطله أي يعلو الحق على الباطل {فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} فإذا هو ذاهب وهالك وفان وباطل {وَلَكُمْ أَلْوَيْلٌ} ولكم أيها الكفار الهلاك والعذاب {مِمَّا تَصِفُونَ} مما تقولون وتخرصون {وَلَهُ} والله تعالى {مَنْ فِي السَّمَوَاتِ} والله تعالى ملك كل من في السموات من الملائكة {وَالْأَرْضِ} ومن في الأرض من جن وإنس وطيور وحيوانات ومخلوقات {وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} ومن عند الله تعالى من الملائكة فهم لا يتكبرون ولا يتعالون عن عبادة الله تعالى {وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} ولا يمتنعون ولا يخالفون ولا يعصون له أمراً {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} تسبح الملائكة وتنزه الله تعالى طول الليل والنهار لأنهم لا يأكلون ولا يشربون بل يسبحون دائماً {لَا يَفْتُرُونَ} لا يتعبون ولا يملون {أَمْ أَخَذُوا إِلَهًا} أو هل اتخذوا لله شركاء {مِنَ الْأَرْضِ} كاليهود قالوا العزيز ابن الله والنصارى قالوا عيسى ابن الله وقريش اتخذوا الأصنام والأوثان وعبدوها غير الله تعالى {هُمْ يُنْشِرُونَ} فهل أولئك الآلهة والشركاء لله التي اتخذها الكفار يحيون الموتى يوم القيامة بدلاً من الله تعالى ولذلك عبدهم {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} فلو كان في السماء وفي الأرض شركاء من الآلهة لله تعالى في كونه وفي السموات وفي الأرض لفسدت السموات والأرض باختلاف آراء الآلهة ولتقاتلوا وتحاربوا وفسد الحكم في السموات والأرض لأن كل إله يريد أن يخلق له تبعاً غير الإله الآخر وهذا هو الإفساد {فَسُبْحَانَ اللَّهِ} فتنزه الله تعالى وجل وتقدس {رَبِّ الْعَرْشِ} إله العرش قيل خلقه الله عز وجل من جوهرة خضراء وخلقه الله تعالى على ثلاثمائة وستين قائمة كل قائمة دور الدنيا وأن العرش خلق قبل الكرسي

بألقي عام والسموات والأرض في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في العرش كحلقة ملقاة في فلاة كما جاء في الحديث. ويحمل العرش أربعة من الملائكة ويوم القيامة يصبحوا ثمانية كما قال تعالى: " وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ " ١٧ الحاقة. {عَمَّا يَصِفُونَ} عما يقولون وعما يشركون وكما قال تعالى: " مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ " ٩١ المؤمنون. {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ} فلا يسأل الله تعالى عما يفعل ويصنع في ملكه لأنه ملك الملوك وإله الآلهة ورب الأرباب وله ملك السموات والأرض وملك الكون كله وإليه يرجع الأمر كله فهو الخالق وهو الرازق وهو المحيي والمميت {وَهُمْ يُسْأَلُونَ} والناس جميعاً يحاسبون يوم القيامة على أعمالهم فهو الذي يحاسبهم فهو ربهم {أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً} أو هل جعلوا لهم واتخذوا آلهة غير الله تعالى {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} اثبتوني بدليلكم وحجتكم بأن الله تعالى شركاء في ملكه {هَذَا} هذا الذي جننتكم به من أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معبود بحق سواه {ذِكْرٌ مَن مَعِيَ} هو ذكر ما معي من القرآن الذي جاءني به ربي وذكر من هم معي من المؤمنين فهم مؤمنون به ومصدقون {وَذِكْرٌ مَن قَبْلِي} وهو ما ذكره من سبقني من الرسل السابقين {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ} بل أكثر الكفار لا يعلمون صدق ذلك وأنه الحق والصحيح بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معبود بحق سواه {فَهُمْ مُّعْرِضُونَ} فهم مخالفون ومبتعدون عن عبادة الله تعالى وحده لجهلهم وكفرهم وعنادهم {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ} ولم يرسل الله تعالى من رسول قبلك يا محمد {إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ} إلا نرسل إليه ونعلمه بواسطة الوحي

جبريل عليه السلام {أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} أنه لا إله ولا معبود بحق إلا أنا الله فاعبدوني وحدي ولا تشركوا بي أحداً.

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَتْهُ مِنْ خَشِيَّتِهِ ۗ مُشْفِقُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ ۗ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۗ كَذٰلِكَ نَجْزِي

الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾

{وَقَالُوا} وقال المشركون {اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ} اتخذ الله تعالى وهو الرحمن وهو الله تعالى الذي يرحم جميع الخلائق ويرزقهم في الدنيا مسلمهم وكافرهم مؤمنهم وجاحدهم {وَلَدًا} خَلَقَ واتخذ له ولداً وابناً فاليهود قالوا العزيز ابن الله وقالت النصرى عيسى ابن الله وقالت قريش الملائكة بنات الله {سُبْحٰنَهُ} تنزهه وتقدس وعلا وجل وتعالى عن اتخاذ ولد منهم {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} بل عباد طيبون وصالحون ومفضلون من الله تعالى بالمنزلة الرفيعة والدرجة العالية لطاعتهم له وإخلاصهم في عبادته وطاعته {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ} لا يقولون ولا يتكلمون ولا يأتون بشيء إلا بأمره وبعد إذنه {وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} وهؤلاء الأنبياء والرسل والملائكة ينفذون أمر الله تعالى ويأتمرون بأمره وهم بناءً على أمره يعملون وينفذون الرسالة ويبلغونها ويعظون أممهم وأقوامهم بما يؤمرون {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} فالله تعالى يعلم ويدري ويعرف كل ما يحيط بهم في حاضرهم في الدنيا {وَمَا خَلْفَهُمْ} ومستقبلهم من ورائهم يوم القيامة فهو يعلم ويحيط علماً بماضيهم وحاضرهم في

الدنيا وفي مستقبلهم ومصيرهم يوم القيامة {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} ولا يتشفعون إلا لمن رضي الله عنه من المؤمنين والمسلمين ممن قلت وصغرت ذنوبهم {وَهُمْ} الملائكة وعزير وعيسى {مِنْ خَشِيَّتِهِ} من الخوف من الله تعالى {مُشْفِقُونَ} خائفون وجلون من عظمة الله تعالى ومن عذابه {وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ} ومن يقل ويتحدث من الرسل {إِنِّي - إِلَهُ مِنْ دُونِهِ} من يقل من الرسل ويدعي لنفسه ويقول إني إله ورب غير الله تعالى {فَذَلِكَ} فهذا الذي يدعي ذلك {لِنَجْزِيهِ} نحاسبه ونعاقبه {جَهَنَّمَ} أي الدخول في نار جهنم وعذابها {كَذَلِكَ} وهكذا {لِنَجْزِي} نعاقب ونعذب {الظَّالِمِينَ} المشركين والكفار كما قال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. وقال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ  
 الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ  
 وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ  
 عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ فِي  
 فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٢٥﴾  
 كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبِّئُكُمْ بِالْأَشْرَارِ وَالْخَيْرِ فَنَتَنَّهُ ۖ وَاللَّيْلَ نُرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا رَأَى  
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا ۖ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ أَنْ يَحْكُمُوا بِآيَاتِنَا ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾  
 بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٨﴾ خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ۖ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي  
 فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾﴾

{أُولَٰئِكَ} أولم يعلم {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار الذين جحدوا وأنكروا رسالة سيدنا  
 محمد صلى الله عليه وسلم {أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا} أن السموات السبع  
 والأرضين السبع كانت {رَتْقًا} كوماً وجسماً واحداً ملتحمًا وملتصقًا {فَفَتَقْنَاهُمَا}  
 ففصلناهما عن بعض ثم السماء فصلت عن بعضها وتكونت السموات السبع وكذلك  
 الأرض جعلت سبع أرضين {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} جعل الله الماء حياة  
 المخلوقات الحية تحيي بشرب الماء فالإنسان والحيوان والطيور والنبات وكل هذه  
 الأشياء تعيش بواسطة الماء فيجعل الله تعالى كل شيء من هذه المخلوقات حياً  
 بوجود الماء وشربه {أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} أفلا يصدق الكفار بهذه الدلائل والمعجزات  
 والحجج والبراهين بأن الله تعالى هو وحده لا شريك له ولا معبود غيره وهو الذي  
 خلق السموات والأرض وخلق الحياة وخلق الماء {وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ} وجعل الله

تعالى الجبال على الأرض {رَوَّاسِي} تُثَبَّتِ الأرض {أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ} حتى لا تميل  
وتتحرك وتنقلب بهم {وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا} وجعل الله في الأرض طرقاً  
ومسالك {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} لعلهم يَـرْشِدُونَ ويهتدون في سيرهم وأسفارهم حتى لا  
يضلوا {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا} وجعل الله السماء فوقهم غطاءً وعرشاً {مَحْفُوظًا}  
محفوظاً من الوقوع عليهم ومحفوظاً من اختراقه إلى السموات العلى من الإنس  
والجن إلا من شاء الله له اختراقها وكما قال تعالى: " يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ  
اسْتَنْطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ "  
٣٣ الرحمن. {وَهُمْ} أي الكفار {عَنْ آيَاتِهَا} عن معجزات السماء والأرض  
والجبال {مُعْرِضُونَ} غافلون جاحدون ومنكرون ومكذبون {وَهُوَ} وهو الله تعالى  
جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} فهو الله تعالى الذي  
خلق وجعل الليل لنسكن فيه ونرتاح من تعب النهار في طلب الرزق والنهار الذي  
نسعى فيه طلباً للرزق والمعيشة وقضاء الحاجات {وَالشَّمْسَ} والشمس التي  
سخرها الله لنا تضيء النهار للناس وللسعي لطلب الرزق وتعمل عملية البناء  
الضوئي في غذاء النبات حيث تخرج لنا في النهار غاز الأكسجين الذي نتنفسه  
وتمتص غاز ثاني أكسيد الكربون السام {وَالْقَمَرَ} وهو زيادة على ضيائه في الليل  
فهو يدل على الحساب للسنين والشهور بهلول قمر ذلك الشهر وغيابه وذلك  
لمعرفة الشهور العربية وخاصة بداية ونهاية شهر رمضان وكذلك معرفة الحج ويوم  
عرفة من ذي الحجة {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} كل في مجال له في الكون يدور  
ويسبح وكل في مداره ومساره {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ} ولم نجعل لأي  
بشر من قبلك يا محمد يا رسول الله الخلد وهو عدم الموت ما عدا من استثناهم الله

تعالى كعيسى عليه السلام من قبله لم يمّت وُرفِعَ إلى السماء حياً وكذلك إدريس عليه السلام رُفِعَ حياً وكذلك الخضر وإلياس عليهما السلام فمنطوق الآية عام وهناك استثناء لهذا العام ومن ادعى بأن الخضر عليه السلام قد مات بحديث النبي صلى الله عليه وسلم (أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف). [ابن كثير ج ٣ ص ١٠٠] فهذا حكم عام ولكل حكم عام استثناء وهكذا هذه الآية وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فهي من العام {أَفَأَيْنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ} فهل إذا مت أنت يا محمد يا رسول الله فهل هم أي الكفار خالدون؟ أي أنهم سيموتون جميعاً {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} فكل نفس سواء أنت يا محمد يا رسول الله أم هم الكفار أم غيرهم كل نفس تتنفس الهواء وحيّة فهي ذائقة الموت وستموت لا محالة ولكن كل إلى أجله وحتى يوم القيامة يوم النفخة الثانية للضعق فيضعق أهل السموات والأرض فيموتوا جميعاً إلا من شاء الله وموتهم بالتوالي حسب أجل كل منهم {وَنَبَلُوكُمْ} ونصيبكم ونبتليكم ونختبركم {بِالشَّرِّ} بالمصائب فهل يصبر {وَالْخَيْرِ} بنعم الله المختلفة فهل يؤدي حقها من زكاة وصدقات وخلافه {فِتْنَةً} ابتلاءً واختباراً وامتحاناً {وَالَّذِينَ تَرْجَعُونَ} ومصيركم الرجوع إلى الله تعالى يوم القيامة في المحشر للحساب {وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا} وإذا شاهدك ونظر إليك الكفار الذين يجحدون برسالتك {إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا} أي يتخذونك سخرية ويسخرون منك ويقولون {أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ} هل هذا محمد الذي يعيب آلهتكم من الأصنام {وَهُمْ} وهم الساخرون منك يا محمد يا رسول الله ومن رسالتك {بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ} بعبادة الله تعالى وبوعظه ونصحه وذكره وقرآنه {هُمَّ كَافِرُونَ} هم جاحدون



ومنكرون وكافرون ومكذبون { خُلِقَ الْإِنْسَانُ } خَلَقَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ آخِرَ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ { مِنْ عَجَلٍ } وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ عَجُولًا وَمُسْتَعْجَلًا وَمَتَهَوْرًا قَالَ تَعَالَى: " إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا " ١٩ المَعَارِج. وَتَسْرَعُهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى عِنْدَمَا دَخَلَتِ الرُّوحَ دِمَاقَ آدَمَ وَوَصَلَتْ إِلَى عَيْنِيهِ وَرَأَى ثَمَارَ الْجَنَّةِ أَرَادَ الْقِيَامَ وَلَكِنهَا لَمْ تَصِلْ إِلَى بَاقِي جَسْمِهِ وَهَذِهِ هِيَ الْعَجَلَةُ الْأُولَى وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ عِنْدَمَا تَسْرَعُ وَأَكَلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَنْظَلَةِ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي نَهَاها اللهُ عَنْ أَكْلِهَا فَطُرِدَ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ وَهَكَذَا الْكُفَّارُ يَسْتَعْجِلُونَ الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ وَمَعْصِيَةَ الرَّسُولِ { سَأُورِيكُمْ آيَاتِي } سَأُرِيكُمْ مَعْجَزَاتِي فِي الْكُفْرِ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالزَّلَازِلِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْحُرُوبِ وَالْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ (آيَاتِي) فَهِيَ آيَاتُ الْعَذَابِ الْكُونِيَّةِ { فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ } فَلَا تَتَّعِجَلُونَ أَيُّهَا الْكُفَّارُ بِالْعَذَابِ الْقَادِمِ لَكُمْ وَالَّذِي سَيَنْزِلُ بِكُمْ { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ } وَيَقُولُ الْكُفَّارُ سَاخِرِينَ مَتَى تَأْتِينَا بِمَا تَعِدُنَا بِنَزُولِ الْعَذَابِ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّكَ { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } إِنْ كُنْتُمْ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ وَرَبِّكَ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ وَقَادِرِينَ عَلَى أَنْزَالِكُمْ عَلَيْنَا الْعَذَابَ فَأَنْزِلُوهُ عَاجِلًا غَيْرَ آجَلٍ أَيْ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ بِعَذَابِ اللهِ تَعَالَى لَهُمْ.

﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ آسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ۗ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٠﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ۗ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٣﴾

{لَوْ يَعْلَمُ} لو يدري ويعرف ما مصير {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار من قريش وهم من أنكر وجحد وكذب بالقرآن وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {حِينَ} وقت {لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ} لا يمنعون ولا يدرؤون ولا يبعدون نار جهنم عن وجوههم {وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ} ولا يمنعون نار جهنم عن ظهورهم وهم يتقلبون فيها وهي تحيط بهم من جميع الجهات {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} ولا هم يمنعون ولا يحتمون ولا يُنقَدُونَ ولا أحد يستطيع نصرهم أو الدفاع عنهم وهم في نار جهنم ولا يُجاروا منها {بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً} بل تأتيهم الساعة وتقوم القيامة فجأة {فَتَبْهَتُهُمْ} فتبغتهم وتفاجئهم وتذهلهم وتخذلهم وتأخذهم فجأة {فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا} فلا يستطيعون إبعادها أو إرجاعها أو منعها عنهم

{وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} ولا هم يمهلون {وَلَقَدْ آسْتَهْزِئُوا} ولقد سُخِرَ {بِرَسُولٍ مِّنْ قِبَلِكَ} بالرسل والأنبياء من قبل قدومك وبعثتك بالرسالة {فَحَاقَ} فأحاط ونزل ووقع {بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ} بالكفار الذين سخروا من الأنبياء والرسل السابقين {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} بنزول العذاب عليهم وسخرية الذين كذبوا به من قبل بأنه لن ينزل بهم ولم يصدقوه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {مَنْ يَكْلُوْكُمْ} من يرعاكم ويحفظكم {بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ} في أثناء الليل أو أثناء النهار من عذاب الله تعالى (الرحمن) الذي يرحمكم ويرزقكم في الدنيا مع كفركم وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بَلْ هُمْ} بل هم الكفار {عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ} عن توحيد الله تعالى وذكره وعبادته وقرآنه {مُعْرِضُونَ} مبتعدون ومولون وجاحدون وناكرون ومكذبون {أَمْ هُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا} فهل للكفار آلهة وأصنام تمنعهم وتحفظهم من عذاب الله تعالى {لَا يَسْتَطِيعُونَ} فلا يستطيع الأصنام {نَصَرَ أَنْفُسِهِمْ} حماية وحفظ وإعانة أنفسهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة {وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ} ولا هؤلاء الكفار يتمتعون بصحبة الله تعالى ورعايته وعنايته وحفظه يوم القيامة {بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ} ولكن الله تعالى في الدنيا متّع وأترف هؤلاء الكفار هم وآباءهم {حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ} حتى استمر بهم طول العمر وهم في ترف ونعيم ومنتعة استدراجاً لهم {أَفَلَا يَرَوْنَ} أفلا يعلمون {أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} أي ننقصها من أهلها وسكانها بالموت والزلازل والأمراض والأوبئة والحروب والمصائب {أَفَهُمْ أَغْلِبُونَ} فهل هم الغالبون لأمرنا والمنتصرون علينا

أي على الله تعالى ومنعه من إنقاص الأرض وتخريبها من جوانبها ومن عذابه لهم  
 {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّمَا أَنذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ} إنما أهدركم  
 بذلك بواسطة الوحي جبريل عليه السلام الذي يبلغني الرسالة من عند الله تعالى  
 {وَلَا يَسْمَعُ} فلا يسمع النصيحة {الصُّمُّ} الذين في آذانهم صمم وطرش  
 {الْدُّعَاءُ} النداء ولا النصيحة ولا الوعظ {إِذَا مَا يُنذَرُونَ} إذا ما يُهدرون من  
 عذاب الله تعالى لهم على عنادهم وكفرهم وإصرارهم على الكفر والشرك {وَلِيِّنِ  
 مَسْتَهْمٍ} وإذا أصابهم وهم الكفار على كفرهم وعنادهم وجحودهم وتكذيبهم برسالة  
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {نَفْحَةٌ} قسط صغير وجزء يسير وشيء قليل  
 {مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ} من عذاب وعقاب ربك يا محمد يا رسول الله يوم القيامة لهم  
 {لَيَقُولُنَّ} ليصرخن ويقولن يوم القيامة {يَتَوَيَّلْنَا} يالمصيبتنا وهلاكنا وعذابنا  
 {إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} كنا عاصين ومذنبين وكافرين ومشركين وظالمين لأنفسنا  
 بالكفر والشرك والعناد والجحود والإنكار والتكذيب وكما قال تعالى: "إِنَّ الشُّرَكَ  
 لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ١٣ لقمان. وقال تعالى: "وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ" ٢٥٤ البقرة.

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ  
 مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ  
 وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ  
 مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ } ويضع الله تعالى موازين الحسنات والسيئات { الْقِسْطَ } العدل  
 { لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } في يوم القيامة للحساب { فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ } فلا يظلم الله تعالى  
 نفساً من الخلائق يوم القيامة { شَيْئًا } أي شيء عملوه من الحسنات أو السيئات  
 كما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا  
 يَرَهُ ﴿٨﴾ " ٨٠٧ الزلزلة. { وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ } حتى وإن كان  
 عمله مثقال حبة من خردل { أَتَيْنَا بِهَا } أي جننا بها ووزناها سواء حسنات أو  
 سيئات { وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ } وكفى بالله حاسباً ومعاقباً ومُجازياً للناس على  
 أعمالهم صغرت أو كبرت. روى أبو ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال: (يا أبا ذر أتدري فيما ينتطحان؟) فقلت لا قال:  
 (ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة). [مكاشفة القلوب ص ١٢٨]. وقال  
 الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن ليث ابن  
 سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت عبد الله ابن  
 عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل  
 يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة  
 وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتكَ كتبتي  
 الحافظون؟ قال لا يا رب قال أفلك عذر أو حسنة؟ قال فبهت الرجل فيقول لا يا

رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها [أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله] فيقول أحضروه فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول إنك لا تُظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم). [ابن كثير ج ٣ ص ١٨٠]. {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ} ولقد أعطى الله تعالى موسى بن عمران نبي الله ورسوله وأخاه هارون نبي الله ورسوله آتاهما الله تعالى {الْفُرْقَانَ} كتاب التوراة وهو يفرق بين الكفر والإيمان وبين الحق والباطل وبين الهدى والضلال وأنه من هذه الآية تدل على أن كتب الله يطلق عليها صفة الفرقان كما أن القرآن الكريم الذي نزل على سيدنا محمد يسمى أيضاً الفرقان وكلمة الفرقان هي صفة لكتب الله تعالى وليس لكتاب معين {وَضِيَاءً} ونوراً وهدى يهتدي بها أقوامهم {وَذِكْرًا} تذكيراً وعظة وموعظة كما قال تعالى: " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ " ٢١ الزمر. وقوله تعالى: " فَذَكَّرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ " ٤٥ ق. وكلمة الذكر صفة تطلق أيضاً على كتب الله فهي للتوراة صفة وكذلك للقرآن الكريم لقوله تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ٩ الحجر. وقال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " ٧ الأنبياء. وأهل الذكر هم أهل التوراة وأهل الإنجيل والعلماء {لِلْمُتَّقِينَ} لمن اتقى الله تعالى وعبده وحده وأطاعه وخافه واجتنب نواهيه {الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ} الذين يخافون ربهم وعذابه يوم القيامة ويعلمون أن الله معهم يراقبهم دائماً في جميع أعمالهم {وَهُمْ} والمتقون هم {مِّنَ السَّاعَةِ} من قيام القيامة {مُشْفِقُونَ} خائفون

ووجلون من مصيرهم ومن حساب الله تعالى لهم يوم القيامة {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ} وهذا القرآن الذي نزل على سيدنا محمد هو مبارك فهو ذكر ووعظ ومبارك بتلاوته فهو (مبارك) والبركة هي الزيادة من كل خير فتلاوته تزيد الحسنات وتتضاعف وقراءته يحصل بها البركة والخير فهو شفاء من الكفر والنفاق والمرض ومبارك بحضور الملائكة لتلاوته {أَنْزَلْنَاهُ} أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منجماً أي مفرقاً حسب الوقائع والأحداث حتى اكتمل {أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} فهل أنتم أيها الكفار له مكذبون وغير مصدقين مع عظيم شأنه وبركته ورحمته كما قال تعالى: " وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا " ٨٢ الإسراء.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ  
 مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ  
 ﴿٥٨﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ  
 مِنَ اللَّعِينِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى  
 ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦١﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٦٢﴾  
 فَجَعَلَهُمْ جُدًا إِلاَّ كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا  
 بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ رِبِّهِمْ ﴿٦٥﴾  
 قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا  
 بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٧﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا  
 يَنْطِقُونَ ﴿٦٨﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ نَكَسُوا  
 عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٧١﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٢﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٤﴾ قُلْنَا  
 يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٥﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ  
 الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ} ولقد أعطى الله تعالى ووهب إبراهيم عليه السلام نبي الله  
 ورسوله وهو إبراهيم الخليل عليه السلام ابن آزر {رُشْدَهُ} هدايته وصلاحه وعلمه  
 وحكمته وقوة يقينه وعقلاً راجحاً رزيناً {مِنْ قَبْلُ} أي من قبلك يا محمد يا رسول  
 الله وقبل رسالتك وبعثتك {وَكُنَّا بِهِ} وكان الله تعالى من الأزل وقبل خلق



إبراهيم يعلم الله تعالى أن إبراهيم سيكون من الصالحين والمقربين وأنه سيكون نبياً  
ورسولاً لله تعالى {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ} قال إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر {وَقَوْمِهِ} وهم  
أهل العراق الذي ملكهم هو النمرود {مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ} قال مستنكراً لأبيه وقومه  
ما يصنعون وما يعبدون وما هذه الأصنام التي تنحتونها من الحجارة بأيديكم {الَّتِي  
أَنْتُمْ لَهَا عَابِدُونَ} التي أنتم لها عابدون وتنحتونها وتصنعونها بأيديكم {قَالُوا}  
قال قوم إبراهيم له {وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ} قالوا رداً على إبراهيم هكذا  
وجدنا آباءنا يعبدونها ويُجلونها ويقدمونها ويعظمونها فأخذنا عنهم وورثنا هذه  
العبادة {قَالَ} قال إبراهيم عليه السلام لهم {لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ} لقد  
ضللتم أنتم وآباؤكم وكنتم {فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} في تيه عظيم وبعد عن الحق والصواب  
والرشاد {قَالُوا} قال قوم إبراهيم لإبراهيم عليه السلام {أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ} هل أنت  
أتيتنا بالحق والصدق وتقول حقاً وصدقاً {أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ} أو هل أنت من  
اللاهين والهازيين والهازلين والمستهترين {قَالَ} قال إبراهيم عليه السلام {بَلْ  
رَبُّكُمْ} بل ربكم وخالقكم وإلهكم هو {رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} فربكم هو رب وإله  
السموات السبع ومن فيهن والأرض ومن فيهن {الَّذِي فَطَرَهُنَّ} الذي خلقهن  
{وَأَنَا} وأنا إبراهيم خليل الرحمن {عَلَىٰ ذَالِكُمْ} على ذلك الذي أقوله لكم {مِّنْ  
الشَّاهِدِينَ} أنا شاهد على ذلك {وَتَأَلَّه} أقسم إبراهيم عليه السلام بالله  
{لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ} لأخربن أصنامكم بمكيدة {بَعْدَ أَنْ تُولَؤُوا مُدْبِرِينَ} لأدبرن  
مؤامرة لأصنامكم بعد أن تغادروهم وتذهبوا عنهم وتتركوهم {فَجَعَلَهُمْ جُودًا}  
كسرهم فجعلهم قطعاً قطعاً متناثرة ومجدوزين ومقطعين أطرافهم وأجسادهم

وهيكلهم كله {إِلَّا} ما عدا {كَبِيرًا هُمْ} ما عدا كبير الأصنام تركه ولم يكسره  
كيداً ودهاءً من إبراهيم عليه السلام {لَعَلَّهُمْ} عساهم {إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ} أي  
يرجعون هذا التفسير بأنه عمل كبيرهم لأنهم عَصَوْه ولعلمهم يرجعون إليه بالسؤال  
من كاد أصنامهم وما هي مصيبتهم {قَالُوا} قال قوم إبراهيم عليه السلام {مَنْ فَعَلَ  
هَذَا بِآلِهَتِنَا} من هذا الذي نكل وكسر أصنامنا وآلهتنا التي نعبدها {إِنَّهُ لَمِنَ  
الظَّالِمِينَ} إنه لمن المعتدين والكافرين {قَالُوا} قال بعض قوم إبراهيم {سَمِعْنَا  
فَتَى} سمعنا شاباً {يَذْكُرُهُمْ} يهددهم ويتوعدهم {يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} يدعى إبراهيم  
{قَالُوا} قال الحاكمون في قوم إبراهيم {فَأْتُوا بِهِ} فأحضروه {عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ}  
أمام أعين الناس ليشاهدوه ويعاينوه {لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ} لعلمهم يشهدون عليه  
ويعرفونه أنه هو الذي هددهم وتوعدهم بالتكسير {قَالُوا} قال قوم إبراهيم {ءَأَنْتَ  
فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ} سألوه هل أنت الذي كسرت أصنامنا وآلهتنا يا  
إبراهيم {قَالَ} قال إبراهيم عليه السلام {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} فأشار إبراهيم  
عليه السلام بأصبع يده الإبهام وهو الكبير من أصابع يده قائلاً بل فعله كبيرهم  
هذا ويقصد في باطنه بأنه كسرهم بيده ومن ضمنهم أصبع يده الإبهام الكبير وفي  
الظاهر بل فعله كبير الأصنام هو الذي كسرهم انتقاماً منهم وفي ذلك تورية ومكيدة  
من إبراهيم عليه السلام حتى لا يكذب في باطنه ويكون صادقاً بإشارة أصبع يده  
الإبهام فهو الذي كسرهم فهذه إحدى الكذبات الثلاثة التي كذبها إبراهيم عليه  
السلام وهو صادق في كذباته الثلاثة ولكنه يوم القيامة في المحشر يخاف من الله  
تعالى من هذه الكذبات الثلاثة ولذلك لما يطلب منه المسلمون الشفاعة يوم القيامة  
من طول الموقف فيأبى ويقول اذهبوا إلى موسى عليه السلام لأنني كذبت في الإسلام

ثلاث كذبات والكذبة الثانية هي عندما ذهب قومه في يوم عيدهم وخرجوا للعيد طلبوا منه أن يتبعهم فقال لهم: "فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۖ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ" ٨٨، ٨٩ الصافات. أي أنه ادعى بنظره إلى النجوم بأن نجمه في السماء ضعيف فهو سيمرض وذلك كان في اعتقادهم في علم الفلك ولذلك كذب عليهم حسب ظنهم بأنه سقيم مكيدة حتى يتأخر عنهم ويكسر أصنامهم ويكيد لهم والكذبة الثالثة في الإسلام عندما قال لملك مصر الذي كان ينشر جنوده على حدود مصر ويجعلهم عيوناً لهم فإذا شاهدوا امرأة جميلة مع رجل فإن كانت أخته تركوها وإن كانت زوجته اغتصبها فرعون ولذلك لما سأله عن زوجته سارة وكانت في منتهى الجمال وسأله عنها قال هذه أختي وهي الكذبة الثالثة وقال إبراهيم عليه السلام لزوجته سارة لا يوجد في الإسلام إلا أنا وأنت وأنت أختي في الإسلام حتى تنجو من كيد فرعون وهذه الكذبات الثلاثة كلها صحيحة ولكن يخشاها إبراهيم عليه السلام يوم القيامة { فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ } فاسألوهم واستفسروا منهم عن ذلك التفسير إن كانوا ينطقون ويجيبونكم وآلهة حقاً { فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ } فعادوا إلى أنفسهم بأن هذه الأصنام هي جمادات لا تنطق ولا تعقل { فَقَالُوا } فقال بعضهم لبعض { إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ } إنكم أنتم المخطئون وظلمتم إبراهيم بسؤالكم { ثُمَّ نَكُسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ } ثم انقلبوا بعد أن تأكدوا بأن هذه الآلهة هي عبارة عن تماثيل وأحجار تنحت بأيديهم ولا فائدة منها وليست آلهة ولكن لعب الشيطان برؤوسهم وقالوا { لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ } وأنت تعرف يا إبراهيم بأن هؤلاء الأصنام والآلهة لا يتكلمون { قَالَ } قال إبراهيم عليه السلام { أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ } فحاججهم بقوله فهل تعبدون غير الله شيئاً مثل هذه الأصنام

والتماثيل { مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا } لا يستطيع نفعكم بشيء { وَلَا يَضُرُّكُمْ } ولا يستطيع ضرركم لأنهم جمادات لا تتحرك ولا تعقل ولا تنفع ولا تضر { أَفِي } كلمة تقال عند الضجر من شيء من الأشياء وهي كلمة تدل على عدم الرضا { لَكُمْ } لكم يا قومي وهم قوم إبراهيم { وَلَمَّا تَعَبُّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } أنتم وما تعبدون من هذه الآلهة والأصنام غير الله تعالى { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } أفلا تتعقلون وتتعضون للصواب وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له. وهذا يذكر بقصة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه كان يعبد الأصنام في الجاهلية ودائماً كان يحمل معه صنماً له في سفره وحضره وكان معتزاً به وفي مرة خرج مسافراً وأخذ صنمه معه وفي الطريق ترك صنمه عند متاعه وقال له أيها الصنم احفظ متاعي وذهب لقضاء الحاجة وكان في غيابه أن حضر ثعلب وبال على الصنم فلما رجع أبو ذر وجد بللاً فنظر فرأى الثعلب فعلم أنه هو الذي بال على الصنم فأنشد يقول:

أرب يبول الثعلبان برأسه	لقد ذل من بالته عليه الثعالب
فلو كان ربا كان يمنع نفسه	فلا خير في رب نأته المطالب
برئت من الأصنام يا رب كلها	وآمنت بالله الذي هو غالب

وقد تركه وذهب إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فأمن به وأسلم. [نزهة المجالس ص ٢٧]. { قَالُوا } قال قوم إبراهيم عليه السلام عن إبراهيم وعقاباً له على كسر أصنامهم { حَرِّقُوهُ } أوقدوا ناراً وأحرقوه بسبب تكسيره لأصنامهم { وَأَنْصُرُوا } آلهتكم { وَبِحَرْقِهِ } تكونوا نصرتم وانتقمتم وأخذتم بثأر آلهتكم { إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ } إن كنتم منتقمين لآلهتكم من إبراهيم { قُلْنَا } قال الله تعالى وهنا الجمع للتبجيل ولتعظيم الله تعالى لنفسه ولعظمته ولقوته ولجبروته ولقدرته { يِنَارٌ } أي يا

نار النمرود التي أوقدوها لحرق إبراهيم عليه السلام {كُونِي بَرْدًا} أي كوني باردة والبرد مع النار يتعادلان {وَسَلْمًا} أي يخرج من البرد والنار دفء فيه سلام وأمان أي يكون معتدلاً {عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} على جسم إبراهيم عليه السلام وهذه معجزة من الله تعالى لإبراهيم ونجاته من النار التي أرادوا حرقه فيها. وقيل أنهم أي قوم إبراهيم قد جمعوا له حطباً كثيراً وكان كل من تصيبه مصيبة أو مرض ينذر إن رفعت عنه أو شفي ليشتركن في جلب الحطب لإحراق إبراهيم عليه السلام وكانت من شدة النار وحرها لو مرّ الطائر من فوقها يسقط من فوقها ويقع في النار لارتفاعها وشدة حرارتها فلما أرادوا إلقاءه فيها تحيروا فعلمهم إبليس أن يضعوه في المنجنيق ولما رموه بالمنجنيق احتمله جبريل عليه السلام وأنزله دون أن يحصل له أي سوء وقد أمر الله تعالى النار التي أوقدوها أن تكون برداً وسلاماً ولا تؤذي إبراهيم عليه السلام {وَأَرَادُوا} وأرادوا أي قوم إبراهيم وملكهم النمرود {بِهِ كَيْدًا} به انتقاماً وعذاباً وقتلاً {فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ} فجعلناهم أي قوم إبراهيم هم المحبطين الذين لا يستطيعون نصراً لآلهتهم ولا شيئاً لإنقاذهم من الهلاك والتكسير ولآلهتهم وأصنامهم التي جعلت جذاذاً وقطعاً متناثرة.

﴿ وَخَجَيْنَهُ وُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ۗ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَوُلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَخَجَيْنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۗ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

{ وَخَجَيْنَهُ } ونجا الله تعالى إبراهيم عليه السلام من النار وخرج منها سالماً وهاجر وغادر العراق والنمرود { وُلُوطًا } هو ولوط ابن عمه والذي آمن به واتبعه وهو أخو سارة زوجة إبراهيم عليه السلام { إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي } وهاجر إبراهيم ولوط عليهما السلام وغالبًا يكون في الهجرة لمن يهاجر نجا من الأعداء من قومه فإبراهيم عليه السلام هو ولوط عليهما السلام هاجروا من العراق إلى فلسطين والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة إلى المدينة وكانت النجا في هجرته من قومه الذين أرادوا له الهلاك { بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ } وهي فلسطين وفيها بيت المقدس وفيها ولد أو دُفن غالب الأنبياء والرسل وبارك فيها للعالمين جميعاً وذلك لأنها أولى القبلتين لجميع الرسل السابقين ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صلى إليها ستة عشر شهراً قبل أن يأمره الله تعالى بتحويل القبلة إلى الكعبة وثانياً جعلت لإسرائئه ومعراجه صلى الله عليه وسلم وبقيت كذلك مباركة بنزوله ورجوعه من المعراج من السموات إلى الأرض ولم يسمح للنبي محمد صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره ومنزلته عند الله تعالى أن ينزل من السماء إلى مكة مباشرة بل نزل ببيت المقدس كما صعد منها وذلك لبركة المسجد الأقصى ولأنه كذلك يكون المحشر في فلسطين في بيت المقدس والمحشر ليوم القيامة وهذه البركة من الله تعالى جعلها

لبيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وهذه البركة دائمة وإلى يوم  
القيامة وكذلك لم يوجد بها أصنام كما في الكعبة قبل فتح مكة ودخول الإسلام بها  
حيث كان بها ثلاثمائة وستون صنماً كسرهما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم  
فتح مكة بعود في يده وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً  
{وَوَهَبْنَا لَهُمْ} ورزق الله سيدنا إبراهيم الخليل أبناءً {إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} فإسحاق  
عليه السلام وُلد له يعقوب عليه السلام وهما أبناء وذرية إبراهيم عليه السلام وهما  
أنبياء ورسول {نَافِلَةً} فضلاً وكرماً وخيراً وعطاءً ورزقاً من الله تعالى {وَكُلًّا} من  
إسحاق وابنه يعقوب عليهما السلام {جَعَلْنَا صَالِحِينَ} جعلهما الله تعالى  
صالحين في دينهم وعبادتهما لله تعالى وطاعته {وَجَعَلْنَاهُمْ} وجعلهم الله تعالى  
{أَيِّمَةً} قدوة يُقتدى بهم وبعبادتهم وأعمالهم وأفعالهم {يَهْدُونَنَا} يهدون  
بالرسالة الناس بأمر الله تعالى {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ} وأمرهم الله تعالى بواسطة الوحي  
جبريل عليه السلام وألهمهم كذلك {فِعْلَ الْخَيْرَاتِ} فعل الطاعات والعبادات  
والصدقات {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} وأداء الصلاة {وَأَيَّاتِ الزَّكَاةِ} وإخراج الزكاة للفقراء  
طاعة لله تعالى {وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ} وكانوا لله تعالى عابدين وموحدين وطائعين  
{وَلَوْطًا} ولوطاً عليه السلام {ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا} آتاه الله تعالى وأعطاه القضاء بين  
الناس والحكم فيه بالعدل والفصل بين المتخاصمين {وَعَلِمًا} في الشرع وفي أوامر  
الله تعالى وفي كتاب الله {وَنَجَّيْنَاهُ} ونجاه الله تعالى وأنقذه {مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي} من  
قرية سدوم الذي عذبها الله تعالى وجعل عاليها سافلها عذاباً لهم لأن القرية  
{كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ} وهي أن يأتي الذكور للذكور من الرجال في الأدبار

{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ} إنهم كانوا قوم شر وفساد {فَسِيقِينَ} عاصين خارجين عن عادات القرى الأخرى وخارجين عن طاعة الله تعالى ورسوله لوط عليه السلام {وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا} وأدخله الله تعالى في رحمته بعبادته وحده لا شريك له وطاعته وبذلك جعله نبياً ورسولاً وبرحمة الله تعالى وفضله وكرمه جعله {إِنَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ} جعله الله تعالى من الصالحين والمقربين في عبادة الله تعالى وطاعته.

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

{وَنُوحًا} ونوح عليه السلام واسمه شاكر سمي نوحاً لكثرة بكائه ونياحته من خوف الله تعالى لأنه رأى كلباً ميتاً فكرهه فأوحى الله إليه هذا خلقتنا فاخلق أنت مثله فصار يبكي وينوح ولذلك سمي بنوح {إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ} إذ نادى سابقاً قبل رسالتك وكان نداؤه ودعاؤه " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ " ٢٦، ٢٧ نوح. {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ} واستجاب الله دعاءه ونجاه هو وأهله {مِنَ

الْكَرْبِ} من الضيق والشدة التي لاقاها من قومه {الْعَظِيمِ} الشديد والكبير وكذلك في الاستجابة لدعائه بقوله " رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا " ٢٨ نوح. {وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} ونصره الله تعالى وأجاره من قومه الذين كذبوه وكذبوا بمعجزات الله تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ} قوم شر وكفر وتكذيب



{ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } فأغرق الله جميع قومه الذين كفروا وكذبوه ولم يصدقوه بما فيهم ولده كنعان وكذلك أمه راعلة وهي زوجة نوح التي كذبت نوح عليه السلام وكانت تحرض قومها عليه وتقذفه بالجنون فأغرقهم الله تعالى جميعاً عقاباً لهم.

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ تَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يُغْوِصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

{ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ } وقصة داود عليه السلام هو وابنه سليمان { إِذْ تَحْكُمَانِ } وهما يقضيان ويفصلان { فِي الْحَرْثِ } في الزرع بين المتخاصمين { إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ } إذ انفلتت وانطلقت ورعت فيه وسرحت { غَنَمُ الْقَوْمِ } ماشية القوم الآخرين غير صاحب الزرع { وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } وكان الله شاهداً ومشاهداً وناظراً وعالماً بماذا حكما { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ } فأفهم الله سيدنا سليمان وألهمه القضاء والحل والفصل الأمثل في هذه القضية. والقضية هي أنه عندما انفلتت وانطلقت وسرحت ورعت غنم قوم لزرع قوم آخرين ليلاً فلما اختصموا إلى داود عليه السلام ليحكم ويفصل ويقضي بينهم حكم وقضى داود عليه السلام بالغنم إلى صاحب الزرع ولما خرجوا من عنده وقابلهم سليمان عليه السلام وسألهم عما قضى به داود لهم فأخبروه قال لا ارجعوا إليه فلما دخل على والده قال له إنك حكمت لصاحب

الزرع بالغنم قال نعم قال أرى غير ذلك ما هو أفضل وأيسر فقال له ما ترى؟ قال تدفع الغنم إلى صاحب الزرع لينتفع بلبنها وصوفها ويأخذ صاحب الغنم الزرع ليصلحه حتى إذا ما أصبح مثل الحالة التي كان عليها رده إلى صاحبه وردت إليه غنمه فقال داوود بعد أن أعجب بحكمه وفقت يا بني لا قطع الله فهمك وقضى بحكم سليمان عليه السلام وهذا الحكم أفهمه الله لسليمان وعرفه له وعلمه له بالإلهام {وَكَلَّامًا} وكلاً من داوود وابنه سليمان عليهما السلام {ءَاتَيْنَا} أعطينا أي أعطاه الله تعالى {حُكْمًا} أي ما يحكم به في القضاء ويفصل ويقضي به بين الناس {وَعِلْمًا} وعلماً بكتاب الزبور وهو الكتاب الذي أنزل على داوود عليه السلام وعلماً كذلك بشرع الله وأحكامه وأوامره ونواهيته {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ} وسخر الله تعالى مع داوود عليه السلام {الْجِبَالَ يُسَبِّحُ وَالطَّيْرُ} وسخر الله تعالى مع داوود عليه السلام الجبال تسبح الله تعالى وتذكره هي والطيور {وَكُنَّا فَعَالِينَ} وفعل الله ذلك معجزة وتشجيعاً من الله تعالى لداوود عليه السلام وكما قال تعالى: " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ " ٤٤ الإسراء. وقال تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ " ٤١ النور. {وَعَلَّمْنَاهُ} وعلم الله تعالى داوود عليه السلام {صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ} أي صنعة يلبسها المقاتل على جسمه في الحرب وتصنع من الحديد وهي الدروع تلبس على الجسم {لِتُحْصِنَكُمْ} لتقيكم وتحفظكم وتمنع عنكم {مِّنْ بَأْسِكُمْ} من بطشكم بعضكم لبعض ومن الاعتداء عليكم فهي تحفظكم من السهام وأسنة الرماح أن تدخل في أجسادكم من أعدائكم {فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} فهل أنتم أيها الناس تشكرون الله

تعالى على هذه النعم وهذا الفضل وهو حفظكم من أعدائكم بصنعة الدروع الواقية التي تلبسونها وها هي الآن تطورت بدروع الدبابات والمصفحات التي تحمي عدداً من الجند في آن واحد فأصل صناعة الحديد لداوود عليه السلام نبي الله ورسوله {وَلِسُلَيْمَانَ} وسخر الله تعالى لسليمان عليه السلام {الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ} تهب الريح شديدة وتجري وتهب بأمر سليمان عليه السلام حيث أراد وعندما يطلبها فهي تحمل بساطه الذي يحمله إلى حيث يريد والبساط معجزة لسيدنا سليمان كما هو الحال الآن في الطائرات الشراعية وغيرها {إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} والريح تهب في اتجاه أرض بيت المقدس في فلسطين مقر سيدنا سليمان عليه السلام والبركة فيها بوجود المسجد الأقصى أولى القبلتين لجميع الرسل بما فيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد صلى إليها ستة عشر شهراً قبل أن يأمره الله تعالى بتحويل القبلة إلى الكعبة وثانياً أنه ولد بها أو دفن فيها غالب الأنبياء والرسل عليهما الصلاة والسلام والبركة فيها كذلك جعلت لإسرائه ومعراج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبقيت كذلك مباركة بنزوله ورجوعه من المعراج من السماء إلى الأرض ولم يسمح للنبي محمد صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره ومنزلته عند الله تعالى أن ينزل من السماء إلى مكة مباشرة بل نزل ببيت المقدس كما سعد منه لأنه باب القرب من الله تعالى وكذلك لأن المحشر سيكون يوم القيامة في فلسطين وكذلك بارك الله في ثمارها وزروعها وأهلها {وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} والله تعالى أحاط بعلمه كل شيء وبدقائق الأمور وهذا كله بما فيها جعل البركة في أرض فلسطين فهي من علم الله تعالى وبحكمته وبقدرته ومشيئته وإرادته وإحاطته وعلمه {وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُصُونَ لَهُ} وسخر الله تعالى لسليمان عليه السلام من الشياطين والعفاريت وعصاة الجن المتمردين منهم من يغوصون في

البحر ويستخرجون له اللؤلؤ والمرجان ومن يغوصون داخل الأرض يستخرجون له من الجواهر والذهب والحلي ما يطلبه منهم {وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ} ويعملون له أعمال غير ذلك منها بناء المحاريب والمساجد والهياكل والتماثيل ويعلمونه الصناعات كالزجاج والصابون والطاحون والحمام ومعجون إزالة الشعر وخاصة شعر بلقيس بعد أن أسلمت حيث كان شعر بلقيس وخاصة في ساقها وعندما كشفت عن ساقها بدخولها الصرح وحسبته لجة من الماء وكشفت عن ساقها رأى سيدنا سليمان الشعر في ساقها فكره ذلك وطلب من الجن أن يعلموه شيئاً لإزالة الشعر فكان وهذا أول معجون يُعمل {وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} وقد حفظ الله تعالى الشياطين من الاعتداء عليهم وحفظهم كذلك من الاعتداء على غيرهم من الناس في طاعة سليمان عليه السلام.

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِينَ ﴿٨٣﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَيَّرْنَاهُ مِنَ النِّعَمِ وَكَذَلِكَ نُخَيِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٨﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٨٩﴾

{ وَأَيُّوبَ } وأيوب عليه السلام هو ابن بنت لوط عليه السلام وقد أصابه الله بمرض امتحاناً له فمكث مريضاً بضع سنين قيل ثلاثة وقيل سبعة ولم يسلم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل) وفي الحديث الآخر: (يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه) [ابن كثير ج ٣ ص ١٨٨]. { إِذْ نَادَى رَبَّهُ } إذ دعا ربه بقوله { أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ } أني مسني ضر المرض وبلائه { وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } وأنت أكثر رحمة من العالمين فاشفني وارفع عني. روي أن إبليس أتى امرأة أيوب عليه السلام في صورة طبيب فقال لها إن زوجك قد طال سقمه فإن أراد أن يبرأ فليأخذ ذباباً فليذبحه باسم صنم بني فلان فإنه يبرأ ويتوب بعد ذلك فقالت ذلك لأيوب فقال قد أتاك الخبيث لله علي إن برأت أن أجلدك مائة جلدة فخرجت تسعى عليه فحظر عنها الرزق فجعلت لا

تأتي أهل بيت فيريدونها فلما اشتد عليها ذلك وخافت على أيوب الجوع حلقت من شعرها قرنا فباعته من صبية من بنات الأشراف فأعطوها طعاماً طيباً كثيراً فأنتت به أيوب فلما رآه أنكره وقال من أين لك هذا؟ قالت عملت لأناس فأطعموني فأكل منه فلما كان الغد خرجت فطلبت أن تعمل فلم تجد فحلقت أيضاً قرناً فباعته من تلك الجارية فأعطوها أيضاً من ذلك الطعام فأنتت به أيوب فقال والله لا أطعمه حتى أعلم من أين هو فوضعت خمارها فلما رأى رأسها مخلوقاً جزعاً جزعاً شديداً فعند ذلك دعا الله عز وجل فقال: رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالي أن الشيطان الذي عرج في أيوب كان يقال له مبسوط قال وكانت امرأة أيوب تقول: ادع الله فيشفيك فجعل لا يدعو حتى مر به نفر من بني إسرائيل فقال بعضهم لبعض ما أصابه ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه فعند ذلك قال رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين. [ابن كثير ج ٣ ص ١٨٩]. {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ} فاستجاب الله دعاء أيوب عليه السلام {فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ} فشفاه الله من مرضه {وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ} وآتاه الله ذرية من الأبناء وأحیی الله له أبناءه {وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ} ورزقه الله أبناءً على قدر ما كان معه من أولاد {رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا} رحمة به وفضلاً ولطفاً من الله تعالى {وَذِكْرَى لِلْعَبِيدِينَ} وعظة للذين يعبدون الله تعالى ويطيعونه ويصبرون على ما أصابهم من البلاء والأمراض وهذه الآية " وَذِكْرَى لِلْعَبِيدِينَ " تؤكد إحياء الله تعالى لأبناء أيوب عليه السلام وقد تكرر الإحياء للموتى في عدة آيات من القرآن ومنها قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" ٢٤٣ البقرة.

وقال تعالى: " وَإِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ {٥٥} ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٥٦} " ٥٥، ٥٦ البقرة. وكما قال تعالى: " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ٢٥٩ البقرة. ومن هذه الآية " وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ " أي أعطيناها زوجته وأبناءه ولكن زوجته كانت لا تزال حية حيث أنه أقسم ليضربنها مائة جلدة لطلبها منه أن يسجد لإله الأرض وهو إبليس وهذه في رواية أخرى وبما أن زوجته (وقد سماها ابن عساكر في تاريخه رحمه الله تعالى قال: ويقال اسمها ليا بنت منشا بن يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم قال ويقال ليا بنت يعقوب عليه السلام [ابن كثير ج ٣ ص ١٩٠]) كانت لا تزال حية فهذا يدل على أن معنى " وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ " أي أحيينا أبناءه ومعنى " وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ " أي ومثل عدد أبنائه السابقين رزقه الله تعالى أبناء آخرين وهذا يدل على قدرة الله تعالى بإحياء الموتى ورحمة من الله وفضل وكرم وكذلك عظة للعابدين لله تعالى وحده لا شريك له على قدرة الله تعالى بإحياء الموتى وعظة للصابرين على البلاء {وَإِسْمَاعِيلَ} وإسماعيل عليه السلام هو ابن إبراهيم عليه السلام من هاجر وهو أبو العرب كان صابراً على رؤيا والده بذبحه طاعة لله تعالى ومرضاة وبرا بوالده {وَإِدْرِيسَ} وإدريس عليه السلام نبي الله ورسوله كما هو إسماعيل عليه السلام نبي الله ورسوله وكان صابراً على طاعة الله تعالى وعلى تبليغ الرسالة لقومه {وَذَا الْكِفْلِ} حكى القرطبي عن كعب الأحمبار أن رجلاً

صالحاً مرّ على ملك كافر فقال والله لا أخرج من هذه القرية حتى أمر الملك بالإسلام فلما أمره بالإسلام قال: إن أسلمت ما لي عند الله تعالى؟ قال الجنة قال من يتكفل لي بذلك قال أنا فأسلم فلما مات خرجت يده من قبره وفيها ورقة خضراء مكتوب فيها بالنور أن الله قد غفر لي وأدخلني الجنة وفي كفالة فلان فأسرع الناس إليه فأسلموا فتكفل لهم بذلك فسمي ذا الكفل وكان صابراً على طاعة الله {كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ} وهو إسماعيل وإدريس وذا الكفل كل واحد منهم كان من الصابرين على طاعة الله ورضوانه {وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا} وأدخلهم الله تعالى في رحمته في الدنيا بالنبوة والرسالة والسمعة العطرة وفي الآخرة بالدخول في الجنة والدخول في رضاه {إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ} وإنهم من الصالحين والطائعين لله تعالى ومن المقربين {وَذَا النُّونِ} وهو يونس عليه السلام ابن متى لقب بصاحب (النون) الحوت لما التقمه {إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا} عندما أرسل الله تعالى يونس بن متى عليه السلام نبي الله ورسوله أرسله إلى نينوى قرية في الموصل فدعاهم إلى طاعة الله فكذبوه ولم يصدقوه فتركهم وذهب عنهم غضباناً {فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ} فظن واعتقد أن الله تعالى لن يحاسبه على ترك قومه لمخالفتهم له وظن واعتقد أنه هو على حق ولكن الله عاقبه بالحبس والسجن في بطن الحوت لتركه لقومه دون إذن أو أمر من الله تعالى بترك قومه ولأنه لم يصبر على أذاهم كما صبر أولو العزم من الرسل وتعجل في غضبه وتركهم قبل أن يجعل الله له من أمره مخرجاً فهرب من قومه إلى البحر وقد وعدهم بنزول العذاب عليهم خلال ثلاثة أيام فعندها أراد الله هداهم فندموا وتابوا إلى الله ومنعوا أطفالهم من الرضاعة من أمهاتهم ومنعوا أنعامهم من أولادها وفرقوا بينها وتضرعوا إلى الله وجاءوا إليه بالندم والتوبة واعتزلوا نساءهم حتى قبيل الله تعالى توبتهم ورفع عنهم العذاب وهداهم إلى طاعته. وأما



يونس بن متى عليه السلام فلما خرج للبحر ورأى سفينة وركب فيها ولما كانت في البحر أوشكت على الغرق فقالوا نقرع على من نلقيه في البحر حتى ينجو الباقيون فكانت القرعة على يونس عليه السلام فألقى بنفسه في البحر فكان الله قد أرسل له حوتاً فالتقمه فأوحى الله للحوت أن لا تمس عبيدي يونس بسوء ليس لك رزقاً وإنما أنت له سجن وعندها أيقن وعلم يونس عليه السلام أنه أخطأ وأذنب بتركه لقومه دون إذن له أو أمر من ربه ولأنه لم يصبر على تبليغ دعوته فعندها {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ} فنادى ودعا في ظلمات البحر وظلمات بطن الحوت وظلمات الليل وظلمة المعصية بتركه لقومه دون إذن أو أمر من ربه وقال {أَن لَّا إِلَهَ} أي لا معبود بحق {إِلَّا أَنْتَ} إلا أنت وحدك {سُبْحَانَكَ} تَنَزَّهْتَ وَعَزَّ وَجَلَّ شَأْنُكَ {إِنِّي كُنْتُ} إني كنت بعملتي هذا {مِنَ الظَّالِمِينَ} من الظالمين لأنفسهم بمخالفة أوامر الرسالة وعدم الصبر على تنفيذها {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ} فاستجاب الله له دعاءه بالتوبة فقبل منه توبته {وَوَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ} ونجاه الله تعالى من الهم الذي هو فيه وهو معصية الله وغم سجن بطن الحوت {وَوَكَّدَ لِكَ نُجَى الْمُؤْمِنِينَ} وهكذا ينجي الله تعالى من الهم المؤمنين بعد توبتهم مثل ما أنجى الله تعالى يونس من بطن الحوت وهي بشارة عامة لجميع المؤمنين {وَزَكَرِيَّا} وزكريا عليه السلام نبي الله ورسوله {إِذْ نَادَى رَبَّهُ} إذ دعا ربه الله تعالى بالذرية والولد وقال {رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا} ربي لا تتركني فرداً وحيداً إذا ما مت ولم يرثني أحد من ذريتي بالنبوة ويخلفني في الرسالة لبني إسرائيل {وَأَنْتَ خَيْرٌ} وأنت يا الله أفضل {الْوَارِثِينَ} أفضل من يرثني بعد موتي وهو اعتراف من زكريا عليه السلام بأن

الله تعالى يرث الأرض ومن عليها {فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ} فاستجاب الله دعاءه {وَوَهَبْنَا لَهُ} ورزقناه {يَحْيَى} بمولود اسمه يحيى عليه السلام وهو نبي الله ورسوله {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ} وأصلح الله له زوجته بالحمل والولادة وأصلحها بعد أن كانت عقيماً وأصلحها في طاعة الله وعبادته {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} إنهم كانوا يسابقون في عمل الخير والطاعات والبر والصدقات {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا} ويطلبون من الله تعالى ويسألونه رغبة فيما عنده وفي كرمه ونعمته وفضله {وَرَهَبًا} وخوفاً من عذابه وسخطه {وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ} وكانوا لله تعالى عابدين طائعين مخلصين له العبادة وخائفين من عذابه.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} والتي حفظت فرجها من الزنا وهي مريم ابنة عمران عليها السلام {فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا} فنفخ في جيب درعها جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى فحملت بعيسى عليه السلام {وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا} وجعل الله تعالى مريم ابنة عمران وابنها عيسى عليهما السلام {آيَةً لِلْعَالَمِينَ} جعلهما الله تعالى معجزة للناس جميعاً لأنها حملت به بدون أب ولذلك جعلها الله تعالى معجزة لجميع الناس في جميع العصور اللاحقة وعيسى عليه السلام لم يجعل الله له أباً

بل أما فقط كآدم عليه السلام الذي خلقه الله تعالى بدون أب أو أم دلالة على قدرة الله تعالى على خلق ما يشاء {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} أيها الناس إن هذه الأمة هي أمة واحدة أصلها من آدم وحواء {وَأَنَا رَبُّكُمْ} ويقول الله تعالى حيث خلقتكم كلكم من أب واحد وهو آدم عليه السلام ومن أم واحدة في الأصل وهي حواء فأنا ربكم الذي خلقكم {فَاعْبُدُونِي} فاعبدوني وحدي ولا تشركوا بي أحداً واذكروني وأطيعوني ووحيدوني وحدي {وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ} واختلفوا وتنازعوا فيما بينهم وبين رسلهم {كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ} وكلُّ منهم مصيره راجع إلى الله تعالى للحساب يوم القيامة {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} فمن يعمل من الأعمال الصالحات من الخير والبر والصدقات وعبادة الله تعالى وحده وأطاعه وهو مؤمن بأنه يعمل ذلك لوجه الله تعالى وإرضائه وفي طاعته {فَلَا كُفْرَانَ} فلا خسران {لِسَعِيهِ} لعمله الصالح هذا {وَأِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} وإنا له أي لعمله الصالح كاتبون ومسجلون بواسطة الحفظة في صحيفته التي تنشر له يوم القيامة {وَحَرَامٌ} وممنوع {عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا} على كل قرية دمرناها وأمتناها {أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} أنهم لا يعودون للدنيا ثانية ليعملوا صالحاً من جديد.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٤٦﴾  
 وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَوِّلْنَا قَدْ كُنَّا فِي  
 غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ  
 حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٤٨﴾ لَوْ كَانَ هَتُولَاءِ ۗ اللَّهُ مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ  
 فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ  
 لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٥١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا  
 أُسْتَهْتَتِ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٥٢﴾ لَا تَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ  
 هَذَا يَوْمَهُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

{ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ } حتى إذا أذن الله لأمة يأجوج ومأجوج  
 بفتح السد الذي بناه ذو القرنين ويهدم وخرجت منه قوم يأجوج ومأجوج { وَهُمْ  
 مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ } وهم من كل مكان ومن كل جهة من مكانهم ومكان وجودهم  
 { يَنْسِلُونَ } يخرجون ويمرون ويأتون وعندها { وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ } يكون قد  
 اقترب موعد قيام القيامة وهو الحق والصحيح والصدق والجد ليس بالهزل { فَإِذَا  
 هِيَ شَاخِصَةٌ } عندها تشخص وتتجمد بعدم الحركة { أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا } أعين  
 الكفار وهم ينظرون إلى جهنم خوفاً وهلعاً من عذاب الله تعالى { يُنَوِّلْنَا } يا هلاكنا  
 ويا مصيبتنا وبالعذابنا { قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا } يا هلاكنا ويا ثبورنا قد كنا  
 في الدنيا في غفلة وغيبة من أمر هذا اليوم وهو يوم القيامة { بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ }  
 بل كنا ظالمين لأنفسنا وكافرين بالله وبرسوله كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ  
 الظَّالِمُونَ " ١٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. قال

الإمام أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو ابن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل: " وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ " فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابساً حتى أن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع إليه مخضبة دماً للبلاء والفتنة فبينما هم على ذلك بعث الله عز وجل دوداً في أعناقهم كنعف الجراد الذي يخرج في أعناقه فيصبحون موتى لا يُسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال فينحدر رجل منهم محتسباً نفسه قد أوطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعي إلا لحومهم فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط) [ورواه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحاق به - ابن كثير ج ٣ ص ١٦٥]. {إِنَّكُمْ} إنكم أيها الكفار {وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} وما تعبدون غير الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد {حَصْبٌ} حطب ووقود {جَهَنَّمَ} نار جهنم يوم القيامة {أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ} أنتم لجهنم داخلون {لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ آلهَةً} لو كان هؤلاء الأصنام والأوثان والأنداد آلهة كما تدعون {مَا وَرَدُوهَا} أي ما دخلوا نار جهنم

وعذبوا فيها يوم القيامة {وَكُلٌّ} وكلُّ من الكفار والأصنام {فِيهَا} أي في نار جهنم {خَالِدُونَ} أي دائمون {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ} لهم في جهنم تنفس شديد يخرج لشدة حرها وضيقهم فيها وشدة عذابها {وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} والكفار في نار جهنم لا يسمعون خيراً ولا ثناءً ولا قولاً كريماً ولا كلمة طيبة وهذا يدل على سوء معاملتهم من زبانية جهنم وعلى سوء مصيرهم لكفرهم وشركهم وعنادهم وجحودهم وإنكارهم وتكذيبهم لله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ} إن الذين سبقت لهم من الله تعالى المغفرة والرحمة والكرامة والنجاة من النار من الأنبياء والرسل والشهداء والصالحين والأولياء والصديقين والمؤمنين {أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} هؤلاء كلهم عن نار جهنم وعذابها مبعدون عن دخولها وعن عذابها {لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا} لا يسمعون صوتها ولا لهيبها لأن بينهم وبينها سور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب على الكفار {وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ} وهؤلاء المؤمنون لهم في الجنة ما اشتهت وطلبت أنفسهم من نعيم الجنة وثمارها وأنهارها وحورها العين {خَالِدُونَ} دائمون في النعيم {لَا تَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ} لا يؤلمهم ولا يضرهم الخوف والعذاب الأكبر يوم القيامة وهو النفخة الأولى في الصور من قبل إسرافيل عليه السلام بأمر الله تعالى {وَتَتَلَقَّوْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ} وتقابلهم الملائكة بالبشرى بدخول الجنة {هَذَا يَوْمُكُمْ} الذي كنتم توعدون {هذا هو يوم دخولكم الجنة في يوم القيامة الذي وعدكم رسولكم به لكل من آمن منكم بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿٤٤﴾

{يَوْمَ} يوم القيامة {نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} يطوي الله تعالى بقدرته السماوات السبع كما يقفل كاتب السجل كتابه ويغيرها سماوات أخرى جديدة وكما قال تعالى: " وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ " ٦٧ الزمر وقال تعالى: " يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ " ٤٨ إبراهيم. {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} فكما خلق الله تعالى كل خلق من خلقه وبدأ حياته يعيده يوم القيامة ويخلقه ويعيده من جديد كما كان {وَعَدًّا عَلَيْنَا} حقاً وعهداً على الله تعالى أن يعيد المخلوقات ويحييهم الله تعالى من جديد يوم القيامة {إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} سيفعل الله تعالى ذلك لا ريب ولا محالة يوم القيامة. وفي حديث الصور المشهور عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات فيبسطها ويمدها مدّ الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٤٤].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾  
 ﴿١٦﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٧﴾

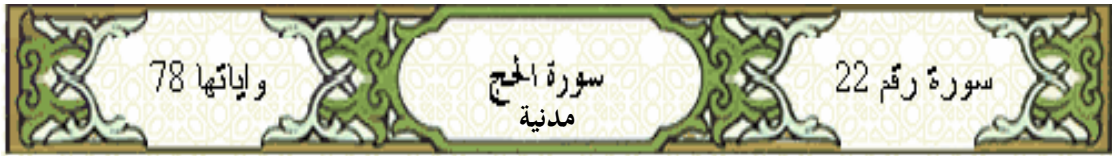
{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ} يقول الله تعالى لقد تعهدنا في كتاب الزبور وهو كتاب داود عليه السلام {مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ} أي بعد الذكر الذي نزل على موسى عليه السلام وهو كتاب التوراة وكما قال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " ٧ الأنبياء. وأهل الذكر هم أهل التوراة والإنجيل والعلماء. وكلمة ذكر وكلمة فرقان هما صفة للكتب السماوية التوراة والإنجيل مثلما هما صفة للقرآن الكريم كما قال تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ " ٤٨ الأنبياء. {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا} أن الأرض يتوارثها ويحكمها {عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} عباد الله الصالحون هم الذين يستورثون الأرض بعد هلاك الكفار كما أهلك قوم نوح وهود وصالح ولوط وبقي أنبياء الله تعالى ورسله والمؤمنون معهم يتوارثون أرضهم وديارهم {إِنَّ فِي هَذَا} وإن وراثة الأرض لعباد الله الصالحين {لَبَلَاغًا} لإعلاناً وإعلاماً {لِقَوْمٍ عَابِدِينَ} لكل قوم يعبدون الله تعالى ويطيعونه فهم الوارثون للأرض في النهاية مهما طال الزمن ولكن عليهم الصبر ودوام العبادة لله تعالى وحده لا شريك له.



﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِن أَدْرِي أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِن أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ } ولم نرسلك يا محمد يا رسول الله ولم نبعثك للناس { إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } إلا نجاة للعالمين ورحمة لهم لتخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان ومن النار إلى الجنة وحتى رحمتك تشمل الحيوانات والطيور زيادة على رحمة الإنسان لأخيه الإنسان { قُلْ } قل للناس يا محمد يا رسول الله { إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ } إنما يُرسل إليّ من الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام لأبلغكم { أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُهُ وَاحِدٌ } إنما ربكم وإلهكم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو إله واحد لا شريك له { فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } فهل أنتم مصدقون ومتبعون دين الإسلام كما قال تعالى: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " ١٩ آل عمران. { فَإِن تَوَلَّوْاْ } فإن أعرضوا وابتعدوا وجحدوا وأنكروا وكذبوا برسالتك يا محمد يا رسول الله { فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ } فقل لهم أنذرتكم أنا محمد رسول الله قد أعلمتكم بالحق والصدق { عَلَىٰ سَوَاءٍ } على عذاب لكم جميعاً يأتي لكل منكم لا محالة { وَإِن أَدْرِي } ولا أدري ولا أعلم { أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ } هل هو قريب هذا العذاب أم بعيد مداه ومدته الذي وعدكم الله به بالهلاك والموت الذي بعده ستعذبون { إِنَّهُ } الله تعالى { يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ } يعلم العلن من قولكم

{وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ} ويعلم ما تسرون {وإن أدري} ولا أعلم {لعله فتنه لكم} لعله ابتلاء واختبار وامتحان لكم {ومتع إلى حين} ومتاع واستدراج وترف إلى وقت معلوم {قل} قال الرسول صلى الله عليه وسلم {رب أحكم بالحق} ربي يا الله تعالى احكم واقض بالعدل بيننا وبين الكفار والمكذبين {وربنا} وربنا وخالفنا نحن المسلمين هو {الرحمن} وهو الله تعالى الرحمن لخلقه ويرزقهم ويعصونه {المستعان على} المطلوب إعانته ومساعدته لنا نحن المسلمين على {ما تصفون} على ما تقولون من الشرك والكفر والتكذيب أيها الكفار والمنكرون والجاحدون والمكذبون. وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٤٠].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ} يقول الله تعالى يا أيها الناس جميعاً من الإنس والجن خافوا ربكم واتقوا الله تعالى في حدوده وحرماته واخشوه وخافوه وأطيعوه فيما أمركم به {إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ} إن هول يوم القيامة ورجفتها {شَيْءٌ عَظِيمٌ} شيء عظيم ومهيل ورهيب ومخيف ومرعب ومذهل وهو يوم القيامة {يَوْمَ تَرَوْنَهَا} يوم القيامة تشاهدونها بأعينكم وذلك لمن حضرها منكم أيها الناس وهي تقوم على شرار الناس وعندها {تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ} تفقد كل امرأة عقلها وتنسى النساء أولادهن الذين يرضعون في أحضانهن من شدة هول ذلك اليوم حتى أنها تنسى رضيعها وولدها من شدة خوفها وزهولها ورعبها ونسيانها ابنها وتكون في شبه غيبوبة عما حولها {وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا} وتسقط كل امرأة جنينها الذي في بطنها وحتى الحيوانات كذلك {وَتَرَى} وتشاهد يا محمد يا رسول الله لو كنت حاضراً في ذلك الوقت {النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ} ويكون الناس كأنهم سكارى وشاربين مسكراً ولكنهم لم يشربوا مسكراً وهي كلمة تشبيه لشدة الفزع والرعب وما يشاهدون من أهوال وفزع وخوف {وَلَٰكِنَّ عَذَابَ

اللَّهُ شَدِيدٌ} فخوفهم ذلك خوفاً من عذاب الله تعالى لهم وما يشاهدونه من هول وفزع عندما تقوم القيامة. وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك في حديث الصور من رواية إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر) قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور؟ قال: (قرن) قال فكيف هو؟ قال: (قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهي التي يقول الله تعالى: " وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " فتسير الجبال فتكون تراباً وترج الأرض بأهلها رجاً وهي التي يقول الله تعالى: " يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ \* تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ \* قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ " فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالغنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب في وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً وهي التي يقول الله تعالى: " يَوْمَ التَّنَادِ \* يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ " فبينما هم على ذلك إذ انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمراً عظيماً فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كشتت

عنهم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك) قال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول " فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " قال: (أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ "). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٤].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٢﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ ﴾

{وَمِنَ النَّاسِ} بعض الناس {مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} من يخاصم ويناقش ويدافع عن رأيه بأن الله ليس واحداً بل له شريك كاللات والعزى وغيرها من الأصنام بالباطل وبدون دليل أو بينة يعتمد عليها في حُجته {وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ} ويتبع في رأيه وسوسة الشيطان ووسوسة ما يصور له الشيطان وما يتخيله في ذهنه من الشياطين العصاة والمتمردين والغواة {كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ} حكم عليه أن كل من اتبع الشيطان وأطاعه في وسوسته وإغوائه {فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ} فإنه يغيوه ويبعده عن الحق والرشاد والهدى وعبادة الله تعالى {وَيَهْدِيهِ} ويرشده {إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ} فيدله بغرور حتى يعذب في السعير وهو عذاب جهنم والسعير هو شدة الغليان والاشتعال والوهج والحرق لمعصيته وارتكابه المحرمات والكفر والعصيان باتباع إغواء الشيطان المرید العاصي له.

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عُلُقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ۗ وَمِنْكُمْ مَّن يَتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنبِتَتْ مِّن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٢﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ ۖ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٥٣﴾ ﴾

{يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} يقول الله تعالى يا أيها الناس جميعاً من الكفار {إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ} إن كنتم في شك {مِّنَ الْبَعْثِ} من البعث ومن النشور وخروجكم أحياءً من قبوركم بعد موتكم يوم القيامة {فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ} فإن الله تعالى خلقكم من العدم من تراب ومن الطين وهو أصل خلقة أبيكم آدم عليه السلام ثم خلق الله تعالى له زوجة حواء من ضلعه الأيسر {ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ} ثم الذرية من بعد آدم وحواء تُخلق من شهوة الرجل ومنيه ومن شهوة المرأة زوجته وبويضتها عند تلقيح البويضة للمرأة من مني الرجل {ثُمَّ مِّن عُلُقَةٍ} أي الطور الثاني بعد الأربعين يوماً تصبح النطفة علقة حمراء وهي دم جامد {ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ} ثم بعد الأربعين تصير مضغة أي قطعة لحم قدر ما يمضغه الفم للأكل {مُخَلَّقَةٍ} أي يظهر شكلها العام شكل جنين {وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ} أي سقط ولم يتكون الجنين فيها لأنه سقط وفسد تلقيحه أي مات. {لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ} لنوضح لكم قدرة الله تعالى في الخلق والأطوار التي يمر بها الجنين وفيها خلقكم وتكوينكم {وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ} ونثبت الحمل في بطن أمه أي

في رحمها { مَا نَشَاءُ } ما يشاء الله تعالى ممن له حياة سواء ذكر أو أنثى أو توأم  
{ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } إلى فترة ووقت محدود وهي في الغالب تسعة أشهر وبعضها  
سبعة أشهر وما ندر ستة أشهر { ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا } ثم تضع الأم جنينها  
ومولودها بالولادة وهي خروج الطفل من رحم أمه { ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا أَشُدَّكُمْ } ثم بعد  
الطفولة تشتد قوتكم وشبابكم { وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى } ومنكم من يتوفى ويموت  
طفلاً أو شاباً { وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ } ومنكم أيها الناس من يستمر بقاؤه بعد  
الشيخوخة إلى { أَرْدَلِ الْعُمْرِ } أسوأه وأقبحه وأحطه وأذله من كبر سنه  
وشيخوخته { لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا } حتى لا يعلم ولا يدرك ولا يفهم  
ولا يتذكر ولا يعقل من بعد أن كان يعلم ويدري ويعرف وهي ما تسمى الخرفنة أي  
فقدان الذاكرة والإدراك والعقل والمعرفة فلا يدرك ولا يعرف ولا يتذكر ولا يعلم من  
أمره أو ما يحيط به شيئاً وهو الخرف والخلط وعدم الوعي والإدراك فلا يعرف ابناً  
ولا أخاً ولا زوجةً ولا قريباً ولا صديقاً وحتى يبول على نفسه كالطفل الصغير فهو  
أردل العمر حفظنا الله منه { وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً } وتنظر وتشاهد يا محمد  
مثلاً على ذلك الأرض وهي يابسة ومضغوطة وجافة { فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ } فإذا  
أنزل الله عليها المطر بعد يبسها وجفافها { أَهْتَزَّتْ } تحركت وتفتحت { وَرَبَّتْ }  
وانتفخت بنمو البذور داخلها { وَأَنْبَتَتْ } وتشققت عن النباتات وانبتت وأخرجت  
من بطنها { مِنْ كُلِّ زَوْجٍ } من كل صنف من ذكر وأنثى وأسمر وأبيض وحلو ومر  
{ بِهِيجٍ } جميل حسن المنظر طيب اللون لذيذ الطعم يفرح الناظر ويُسّر بمشاهدته.  
وثبت في الصحيحين من حديث الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال

حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: (إنَّ خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين يوماً أو خمس وأربعين فيقول أي رب أشقي أم سعيد فيقول الله ويكتبان فيقول الله ويكتبان ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله ثم تطوى الصحف فلا يزداد على ما فيها ولا ينتقص. [ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة ومن طريق آخر عن أبي الطفيل بنحو معناه - ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧]. وروى الحافظ أبو بكر البزار عن عبد الله بن شبيب عن أبي شيبه عن عبد الله بن عبد الملك عن أبي قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن عمه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه أنواعاً من البلاء، الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين سنة لين الله له الحساب فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يحب فإذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله وأحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته وتجاوز عن سيئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في أرضه وشفع في أهل بيته). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٠٨]. وهذه المغفرة لتلك الأعمار للصالحين والمؤمنين والمتقين الله تعالى وليس لغيرهم {ذَلِكَ} ما سبق ذكره عن قدرة الله تعالى من خلقكم وخلق أطواركم وإحياء الأرض بالنبات بنزول المطر



عليها {بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} يدل ويثبت بأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الإله الحق ولا معبود بحق سواه فهو الخالق البارئ المصور {وَأَنَّهُ رَئِيٌّ} ودليل على أنه الذي يخلق ويحيي الموتى ويبعثهم أحياءً من قبورهم يوم القيامة للحساب {وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ودليل على أن الله تعالى قادر على كل شيء يفعلُه وأمره بين الكاف والنون في قوله تعالى: " كُنْ فَيَكُونُ " {وَأَنَّ السَّاعَةَ} ودليل على أن القيامة {ءَاتِيَةٌ} قادمة وحاصلة {لَا رَيْبَ فِيهَا} لا شك فيها وفي حدوثها {وَأَنَّ اللَّهَ} ودليل على أن الله تعالى {يَبْعَثُ} يحيي وينشر {مَنْ فِي الْقُبُورِ} يحيي الأموات ويخرجهم أحياءً من قبورهم يوم القيامة للحساب والجزاء. وفي حديث الصور المطول: (ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها فيجعلها في الصور ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد في الخياشيم فتنشق الأرض عنهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من تنشق عنه الأرض)). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴾ ٨ ثَانِي عِطْفِهِ ٤  
 لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ٥ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ٦  
 ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ٧ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ  
 عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ٨ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ اَنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ٩  
 خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ١٠ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١١ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا  
 يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ١٢ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ١٣ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن  
 نَفْعِهِ ١٤ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ١٥ ﴿

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ } وبعض الناس يناقش ويخاصم ويدافع عن رأيه بالباطل وبدون بينة ولا دليل يعتمد عليها في حجته { فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ } كأبي جهل يجادل ويخاصم ويعاند ويناقش ويدافع بالباطل بغير علم عنده في عبادة الأصنام بدلاً من عبادة الله تعالى { وَلَا هُدًى } ولا هدى ولا دليل معه { وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ } ولا نزل عليه كتاب من عند الله تعالى يرشده أو يأخذ عنه بل يتبع هواه ورأيه { ثَانِي عِطْفِهِ } أي ناء بجانبه ولاوياً رأسه وعنقه وهو متلفح بعباءته حتى لا يسمع الحق إعراضاً وتكبراً وجحوداً وإنكاراً وتكذيباً بالله ورسوله وكما قال تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ " ه المنافقون. (ثاني عطفه) أي متنكراً ومتلفحاً بعباءته ويسعى في الفساد { لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } يفسد الناس ويبعدهم عن طريق عبادة الله تعالى وحده ويبعدهم عن طريق الله المستقيم وهو دين الإسلام { لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ } له في الدنيا ذل وفضيحة وعار ومهانة واحتقار وتكذيب من الله تعالى له ومن الناس

بالهزيمة أو الأسر أو القتل وقد قُتل أبو جهل في معركة بدر {وَنُذِيقُهُ} ونعذبه {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} في المحشر عند الحساب يوم القيامة {عَذَابَ الْحَرِيقِ} عذاباً يحرق جسده. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أهون أهل النار عذاباً لرجل في رجليه نعلان من نار يغلي منها دماغه كأنه في مرجل مسامعه جمر وأضراسه جمر وأشفاره لهب النيران وتخرج أحشاء بطنه من قدميه وإنه ليرى أنه أشد أهل النار عذاباً وإنه أهون أهل النار عذاباً). قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو إسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجلٌ توضع في أخص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه). [رواه البخاري - ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٠]. {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ} وهذا العذاب لك بما عملت في الدنيا من الآثام والذنوب والكفر والمعاصي {وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ} وأن الله تعالى لا يظلم أحداً من عبده بالعذاب ولكن العذاب على قدر المعصية والكفر والعمل الذي يأتيه في الدنيا ويعمله {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ} ومن الناس من يكون في دينه ضعف في عبادة الله تعالى وهو على الحافة من الإسلام لضعف دينه ويقينه {فَإِنِ أَصَابَهُ خَيْرٌ} فإن وهبه الله تعالى خيراً في الإسلام من الصدقات أو الزكاة أو المغنم {أَطْمَأَنَّ بِهِ} اطمأن وسر وفرح بذلك الخير أو الجاه أو الوظيفة أو التجارة {وَإِنِ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ} وإن أصابته مصيبة أو شر في دينه أو ولده أو ماله أو وظيفته أو تجارته أو عمله {أَنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ} ارتد كافراً ونكس ثانياً إلى عبادة الأصنام أو الكفر أو المعاصي أو شرب الخمر والمسكرات بناءً على تلك المصيبة التي حلت به {خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ} فخر الدنيا ونعيمها وخيرها والآخرة بالكفر والمعصية ولم

يصبر على قدر الله تعالى وقضائه {ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} ذلك هو الهلاك العظيم والكبير يوم القيامة {يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ} يعبد ويطلب من غير الله تعالى من الأصنام والأوثان {مَا لَا يَضُرُّهُ} ما لا يستطيع ضره {وَمَا لَا يَنْفَعُهُ} ولا يستطيع نفعه بشيء لأنه حجر أو جماد أو هيكل أو تمثال وكأنهم خشب مسندة لا تنفع ولا تضر {ذَلِكَ} عبادة الأصنام تلك {هُوَ الضَّلَالُ} هو الغي والتهيه {الْبَعِيدُ} البعيد عن عبادة الله تعالى وطاعته والبعيد في المعصية الذي لا رجعة بعده {يَدْعُوا لِمَنْ ضُرُّهُ} يسأل ويطلب لمن ضره وشره {أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ} فضره أكثر من نفعه وهو الشيطان ونفعه في الشهوات والملذات وهي منفعة زائلة ومؤقتة وضره هو العذاب الذي سيصيبه يوم القيامة نتيجة معصيته ومثل هذا قوله تعالى في الخمر والميسر: " وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا " ٢١٩ البقرة. {لَيْسَ الْمَوْلَى} قبح السيد المتولي أمره وهو الشيطان {وَلَيْسَ الْعَشِيرُ} وساء وقبح الرفيق والصاحب.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصْرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

{ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ } إن الله تعالى يدخل يوم القيامة الجنة { الَّذِينَ ءَامَنُوا } الذين صدقوا وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره حلوه ومره { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } وعملوا الأعمال الصالحات والطيبة وأعمال الخير والبر في مرضات الله تعالى أولئك يدخلهم الله تعالى يوم القيامة جناته { جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } الجنات تجري من تحت قصورها وأشجارها يوم القيامة الأنهار نهر من ماء ونهر لبن ونهر عسل مصفى ونهر خمر لذة للشاربين { إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } إن الله تعالى يعمل ويفعل ما شاء في كونه وفي خلقه { مَنْ كَانَ يَظُنُّ } من كان يعتقد من الناس { أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ } أن الله تعالى لن ينصره ولن يؤيده ولن يأخذ بيده { فِي الدُّنْيَا } بنصره على الأعداء وأخذه حقه منهم أي من الناس الذين ظلموه في الدنيا { وَالْآخِرَةِ } وكذلك لن ينصره الله تعالى ولن يؤيده ولن يأخذ له حقه ممن ظلمه أو عانده أو خاصمه في يوم القيامة. والمقصود من يستعجل نصر الله تعالى ليأسه وعدم صبره فيسخط على حكم الله وقضائه { فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ } فليمد حبلًا إلى السماء أو بحبل إلى سماء سقف بيته { ثُمَّ لِيَقْطَعْ } ثم

ليشئ نفسه ويخنقها بقطع حبل مشنقته أو يقطع نفسه في الدنيا ويكتمه أي ينتحر ويموت {فَلْيَنْظُرْ} فليشاهد ويتحقق {هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ} فهل ذلك العمل وهو الانتحار والشئ لنفسه يذهب عنه كيد أعدائه له وما يغيظه ويغضبه ويقهره ويزعله والجواب لا طبعاً لأن الانتحار لا يحل معضلة ولا يُذهب مصيبة ولا شراً والمقصود أن على كل فرد أن يصبر ويرضى بقضاء الله تعالى ولا يستعجل نصره {وَكَذَلِكَ} وهكذا {أَنْزَلْنَاهُ} وهو القرآن الكريم {ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ} آيات واضحة الحجة والدليل والبيان {وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ} وأن الله تعالى يهدي ويرشد للحق والصواب والرشاد ودين الإسلام من يشاء الله تعالى له الهداية ومن يريد من نفسه طوعاً ويطلب الهداية من الله تعالى فيعينه ويسدد خطاه ويرشده للحق والصواب والهدى ويوفقه لذلك {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن المؤمنين والذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَالَّذِينَ هَادُوا} واليهود {وَالصَّابِغِينَ} وهم طائفة يقال أن مركزهم اليوم في العراق {وَالنَّصْرَى} وهم قوم عيسى أهل الإنجيل {وَالْمَجُوسَ} عبدة النار {وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} الذين عبدوا غير الله تعالى وجعلوا له شركاء من الأصنام والأنداد والأوثان {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ} يحكم بينهم {يَوْمَ} الْقِيَامَةِ} يوم تقوم القيامة {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} إن الله تعالى على كل عمل يعملُه ابن آدم فهو شاهد عليه ومحيط به ويعلمه ويراه وينظره فلا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات أو الأرض فهو شاهد ومحيط به علمه.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ <sup>ط</sup> وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ <sup>ط</sup>  
وَمَنْ يَنْهَى اللَّهَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ ﴿٢٢﴾ ﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تعلم يا محمد يا رسول الله {أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ} أنه يسجد لله تعالى {مَنْ فِي السَّمَوَاتِ} فإنه يسجد ويخر لله تعالى الملائكة سكان السموات السبع {وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} ومن في الأرض من إنس وجن وحيوان وطير {وَالشَّمْسُ} وكذلك تسجد الشمس لله تعالى {وَالْقَمَرُ} وكذلك القمر يسجد لله تعالى {وَالنُّجُومُ} وكذلك النجوم تسجد لله تعالى كلها {وَالْجِبَالُ} والجبال كذلك تسجد لله تعالى {وَالشَّجَرُ} والشجر يسجد لله تعالى {وَالدَّوَابُّ} وكذلك الدواب تسجد لله تعالى وكلها سجودها هو بالإيماء وبدون أن يراها الناس بأعينهم كما أنها تسبح جميعها الله تعالى ولا نسمع ولا نفقه تسبيحها كما قال تعالى: " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " ٤٤ الإسراء. وقال تعالى: " وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ " ٧٩ الأنبياء. وقال تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ " ٤١ الأنبياء. وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتدري أين تذهب هذه الشمس؟) قلت لله ورسوله أعلم قال: (فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت). [ابن كثير ج ٣ ص ٢١١]. وفي المسند وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه في حديث الكسوف: (إن الشمس

والقمر خلقان من خلق الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عز وجل إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له). [ابن كثير ج ٣ ص ٢١١]. {وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ} وعدد كثير من الناس يسجد لله تعالى وهم المسلمون في صلاتهم {وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} وكذلك كثير وجب عليه العذاب واستحق العذاب لعدم سجوده لله تعالى وهم المشركون والكفار {وَمَن يُنِ اللّٰهُ} ومن يذله الله تعالى {فَمَا لَهُ مِن مَّكْرَمٍ} فلا يجد من يكرمه يوم القيامة ولا يدافع عنه ولا يشفع له ولا يرفع ولا يمنع عنه عذاب الله يوم القيامة {إِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} إن الله تعالى يفعل ويعمل ما يريد في كونه فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما يمنع.

﴿ هٰذَا نِ حَصْمَانِ اَحْتَصَمُوا فِي رِبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١١﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٢﴾ وَهُمْ مَّقَمِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿١٣﴾ كُلَّمَا اَرَادُوا اَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ اَعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٤﴾ ﴾

{هٰذَا نِ حَصْمَانِ} وهما الكفار والمؤمنون {اَحْتَصَمُوا فِي رِبِّهِمْ} تقاتلوا المسلمون مع الكفار في سبيل الله تعالى وقد طلب كفار قريش يوم معركة بدر طلبوا المبارزة للمسلمين وكان من كفار قريش في هذه المبارزة في معركة بدر شيبه بن ربيعة وعتبة ابن ربيعة والربيع بن عتبة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروج عمه حمزة وعلي بن أبي طالب وعبيدة لمبارزتهم فقتل الكفار الثلاثة {فَالَّذِينَ كَفَرُوا} وهم كفار قريش الذين قتلوا في بدر (وهي آية بعد ذلك عامة على جميع الكفار {قُطِعَتْ لَهُمْ} فصلت لهم وجُهِزَتْ وحُضِرَتْ لهم يوم القيامة {ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ}



ثياب يلبسونها من نار جهنم {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ} يصب ويفرغ على رؤوسهم أي الكفار في نار جهنم {الْحَمِيمِ} الماء المغلي {يُصْهَرُ بِهِ} يذوب بذلك الماء المغلي {مَا فِي بُطُونِهِمْ} ما داخل بطونهم من الأمعاء والأحشاء لشدة غليانه {وَأَجْلُودُ} وكذلك تذوب جلودهم. قال ابن جرير: حدثني محمد بن المثني حدثني إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن ابن حجرية عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلب ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان). [ورواه الترمذي من حديث ابن المبارك وقال حسن صحيح - ابن كثير ج ٣ ص ٢١٢]. {وَهُمْ مَقْمَعٌ} ولهم مطارق ومرزبات يضربون بها ويعذبون بها {مِنْ حَدِيدٍ} مصنوعة من الحديد {كَلَمًا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا} كلما أراد الكفار أن يخرجوا من نار جهنم وعذابها {مِنْ غَمٍّ} من الهم والعذاب في نار جهنم وكثرة أنواعه {أُعِيدُوا فِيهَا} أرجعتهم الملائكة وأعادتهم إلى جهنم ثانياً {وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} وتقول لهم الملائكة ذوقوا وتعذبوا في نار جهنم وعذابها الذي يحرق أجسامهم. قال أبو الليث السمرقندي: حدثنا محمد بن جعفر قال أنبأنا إبراهيم بن يوسف قال أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد رضي الله تعالى عنهم قال إن لجهنم جباً (وهي جمع جب وهو البئر) فيها حيات كأمثال أعناق البخت وعقارب كأمثال البغال الدهم فيهرب أهل النار إلى تلك الحيات فيأخذن بشفاهن فيكشطن ما بين الشعر إلى الظفر فما ينجيهم منها إلا الهرب إلى النار). [تنبيه الغافلين ص ٢١].

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ تَجْرِي فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا<sup>ط</sup> وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوءًا  
إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوءًا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا } إن الله تعالى يدخل الذين آمنوا وصدقوا بالله  
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر من النساء والرجال { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }  
وعملوا الأعمال الصالحة والطيبة من أعمال الخير والبر في عبادة الله تعالى وطاعته  
وفي مرضاته { جَنَّاتٍ } وهي ثمانية جنات كل على حسب منزلته ودرجته وعمله  
إما يدخل أو تدخل دار الجلال أو دار السلام أو جنة المأوى أو جنة الخلد أو جنة  
النعيم أو جنة الفردوس أو جنة عدن أو دار القرار { تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ }  
تجري الأنهار تحت قصورها وأشجارها نهر من ماء غير آسن ونهر عسل مصفى  
ونهر لبن ونهر خمر لذة للشاربين لا يسكر { تُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ }  
يُحَلَى الرجال والنساء في الجنة أساور من ذهب { وَلُؤْلُؤًا } وأيضا من حلي أهل  
الجنة اللؤلؤ { وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } ولباس المؤمنين في الجنة من حرير. قال صلى  
الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ  
الوضوء). [ابن كثير ج ٣ ص ٢١٣]. وفي الصحيح: (لا تلبسوا الحرير ولا الديباج  
فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢١٣]. وعن أبي  
موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أحل الذهب والحرير لإناث أمتي  
وحُرْم على ذكورها). [رواه أحمد والنسائي وصححه - سبل السلام ج ٢ ص ٨٦].  
وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب  
في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها). [سبل السلام ج ٢ ص ٨٤]. { وَهُدُوءًا إِلَى

الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ} وهداهم الله تعالى وهم أهل الجنة في الدنيا إلى الطيب والحسن من القول كما قال تعالى: " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا " ٨٣ البقرة. وقال صلى الله عليه وسلم: (الكلمة الطيبة صدقة). {وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} وهداهم الله تعالى إلى طريق الله المستقيم وهو الإسلام وقول الحق والعدل بين الناس وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وذكر الله وتسبيحه وأداء فرائض الله تعالى واجتناب نواهيه.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} إن الكفار وهم من أنكر وجحد وكذب بالقرآن وبالرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَيَصُدُّونَ} أي يمنعون ويتردون {عَن سَبِيلِ اللَّهِ} عن دخول الإسلام وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} ويمنعونه من العبادة في المسجد الحرام والذهاب إليه {الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ} الذي جعله الله تعالى له بيتاً ومسجداً للناس جميعاً {سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ} يستوي فيه المقيم والمعتكف فيه {وَالْبَادِ} والبدوي القادم من البادية ومن الصحراء فهم سواء بسواء {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ} ومن يرد في المسجد الحرام أن ينحرف عن الحق ويميل عنه {بِظُلْمٍ} سواء باعتداء أو منع لأحد من الطائفين أو العاكفين والمقيمين فيه والزائرين {نُذِقْهُ} نعذبه {مِن عَذَابِ أَلِيمٍ} من عذاب شديد وموجع في الدنيا كأصحاب الفيل وفي الآخرة في نار جهنم.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ  
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى  
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا  
اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعمُوا الْبَائِسَ  
الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

{وَإِذْ بَوَّأْنَا} وإذ جعلنا وعرفنا وبيننا وحددنا {لِإِبْرَاهِيمَ} لإبراهيم الخليل عليه  
الصلاة والسلام وهو نبي الله ورسوله {مَكَانَ الْبَيْتِ} حدود الكعبة المشرفة حتى  
يبنيها من جديد وقد بينها وحددها له جبريل عليه السلام وأرشده إلى حدوده  
وأذن له في بنائه حيث أنها هُدمت أيام طوفان نوح عليه السلام. وإن أول من بنى  
الكعبة هم الملائكة ثم بناء آدم ثم بناء إبراهيم عليه السلام ثم بناء قريش ثم بناء  
عبد الله بن الزبير ثم هدمها الحجاج بن يوسف الثقفي عندما حارب عبد الله ابن  
الزبير والتجأ إليها فهدمها الحجاج على رأسه وبنها الحجاج من جديد وهو  
الموجود الآن حتى عصرنا الحاضر. وقد ثبت في الصحيح عن أبي ذر قلت يا رسول  
الله أي مسجد وضع أول؟ قال: (المسجد الحرام) قلت ثم أي؟ قال: (بيت المقدس)  
قلت كم بينهما؟ قال: (أربعون سنة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢١٥]. {أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي  
شَيْئًا} وقال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بواسطة الوحي جبريل عليه السلام لا  
تشرك بعبادتي شيئاً من الأصنام والأوثان والأنداد علماً بأن إبراهيم عليه السلام هو  
الذي كسر أصنام النمرود ملك العراق وأبيه آزر ولكن هنا حتى تعلم ذريته أنه لا  
تعبدوا أنتم الأصنام والأوثان والأنداد كما أمرنا أباكم إبراهيم عليه السلام وهي  
حجة على ذريته وظاهرها الأمر لأبينا إبراهيم عليه السلام {وَطَهَّرَ بَيْتِي} وأمره الله

تعالى أن ينظف بيته وهو المسجد الحرام من القاذورات والأوساخ بما فيها تطهيره من دنس الشرك والأصنام {لِلطَّائِفِينَ} لمن يطوف حول الكعبة من الحجاج والمعتمرين {وَالْقَائِمِينَ} وهم المقيمين والمعتكفين في عبادة الله تعالى {وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} وهم المصلون كما قال تعالى: " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " ١٢٥ البقرة. وبناء الكعبة كان قبل إبراهيم عليه السلام وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أن رجلاً سأل والده أي والد جعفر الصادق عن ابتداء البيت فقال إن الله تعالى قال للملائكة: " إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ " فغضب الله عليهم فطافوا بالبيت سبعة (وهم الملائكة المقربون) سبعة أيام يسترضون ربهم فرضي عنهم وقال ابنوا لي بيتاً في الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بني آدم فأرضى عنه فبنوا هذا البيت. [نزهة المجالس ص ١٤٨]. قال مجاهد: إن الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيئاً في الأرض بألف عام وأن قواعده في الأرض السابعة. [نزهة المجالس ص ١٤٨]. وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: (ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم) يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم ، كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور لأنه باني الكعبة الأرضية والجزء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٩]. وقال قتادة والربيع بن أنس والسدي

ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: (هَلْ تَدْرُونَ مَا  
 الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ؟). قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: (فَإِنَّ مَسْجِدَ فِي السَّمَاءِ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ  
 لَوْ خَرَّ لَخَرَّ عَلَيْهَا يَصْلِي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا  
 آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٩]. {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ} وَنَادِ يَا إِبْرَاهِيمَ وَنَادِ  
 كَالْأَذَانِ الْخَاصِّ بِالصَّلَاةِ أَيِ ارْفَعْ صَوْتَكَ فِي النَّاسِ {بِالْحَجِّ} أَيِ يَحْجُوا إِلَى الْبَيْتِ  
 الْحَرَامِ {يَأْتُوكَ} أَيِ يَأْتُونَ إِلَيْكَ إِلَى الْحَجِّ إِلَى مَكَّةَ {رِجَالًا} أَيِ مَشَاةً عَلَى  
 الْأَرْجْلِ يَسِيرُونَ وَيَقْدُمُونَ {وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ} أَيِ وَيَأْتُوكَ رُكْبَانًا عَلَى الْإِبِلِ وَهِيَ  
 ضَامِرَةٌ مِنْ كَثْرَةِ الْمَسِيرِ وَمِنْ شِدَّةِ السَّفَرِ وَمِنْ بُعْدِ الْمَسَافَةِ {يَأْتِينَ} يَحْضُرُونَ لَكَ  
 لِلْحَجِّ {مِنْ كُلِّ فَجٍّ} مِنْ كُلِّ بَلَدٍ وَجِهَةٍ وَقَطْرٍ {عَمِيقٍ} أَيِ بَعِيدٍ عَنِ مَكَّةَ. وَقِيلَ أَنَّ  
 إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَعَدَ عَلَى الصِّفَا وَقِيلَ عَلَى جَبَلِ أَبِي قَبَيْسٍ وَنَادَى يَا عِبَادَ  
 اللَّهِ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَحَجُّوا بَيْتَهُ فَأَجَابُوا مِنْ أَصْلَابِ الْآبَاءِ وَبَطُونِ الْأُمَمَاتِ لِبَيْتِكَ  
 اللَّهُمَّ لِبَيْتِكَ فَمَنْ لَبَى مَرَّةً حَجَّ مَرَّةً وَمَنْ لَبَى مَرَّتَيْنِ حَجَّ مَرَّتَيْنِ وَمَنْ حَجَّ مَرَّةً أَدَّى  
 فَرِيضَةً وَمَنْ حَجَّ مَرَّتَيْنِ دِيَانَ رَبِّهِ وَمَنْ حَجَّ ثَلَاثَ حَجَجٍ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ. [نزهة  
 المجالس ص ١٥٠]. وَذُكِرَ أَنَّهُ قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَبْلَغُ النَّاسَ وَصَوْتِي لَا يَنْفَعُهُمْ فَقَالَ  
 نَادِ وَعَلَيْنَا الْبَلَاغُ فَقَامَ عَلَى مَقَامِهِ وَقِيلَ عَلَى الْحَجَرِ وَقِيلَ عَلَى الصِّفَا وَقِيلَ عَلَى  
 أَبِي قَبَيْسٍ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ رَبَّكُمْ قَدْ اتَّخَذَ بَيْتًا فَحَجُّوهُ فَيُقَالُ إِنْ الْجِبَالَ  
 تَوَاضَعَتْ حَتَّى بَلَغَ الصَّوْتُ أَرْجَاءَ الْأَرْضِ وَأَسْمَعَ مَنْ فِي الْأَرْحَامِ وَالْأَصْلَابِ وَأَجَابَهُ  
 كُلُّ شَيْءٍ سَمِعَهُ مِنْ حَجَرٍ وَمَدْرٍ وَشَجَرٍ وَمَنْ كَتَبَ اللَّهُ أَنَّهُ يَحْجُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِبَيْتِكَ  
 اللَّهُمَّ لِبَيْتِكَ. [هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير  
 وغير واحد من السلف والله أعلم وأوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطوّلة - ابن

كثير ج ٣ ص ٢١٦]. **{لَيْشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ}** وبأداء فريضة الحج يجدون منافع لهم في أداء الحج ومن بعده منافع من التجارة والهدايا والنزهة الروحية والجسدية ومغفرة الذنوب لهم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة). [سبل السلام ج ٢ ص ١٧٨]. **{وَيَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ}** ويذكروا الله ويسبحوه ويحمدوه ويكبروه في (الأيام المعلومات) وهي العشر من ذي الحجة و(المعدودات) في قوله تعالى: "وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ" ٢٠٣ البقرة. هي أيام التشريق وهي من فجر يوم عرفة حتى عصر رابع يوم من عرفة. قال الإمام أحمد: حدثنا عثمان أنبأنا أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد). [ابن كثير ج ٣ ص ٢١٧]. **{عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةٍ آلَّا نَعْمَ}** على ما وهبهم الله ورزقهم في أيام التشريق وهي الأيام الثلاثة التي تلي العيد إلى عصر اليوم الرابع من يوم العيد وهو أن يقول مرة واحدة بعد صلاة الجماعة (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر والله الحمد) وله أن يزيد (الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أكثرُوا من التكبير ليلة عيد النحر إلى آخر أيام التشريق خلف كل صلاة ثلاثاً فإنه يهدم الذنوب هدماً). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٤٠] وهذا التكبير هو شكر الله الذي رزقهم من بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم والماعز فداءً لإسماعيل عليه السلام الذي أراد

إبراهيم عليه السلام ذبحه بأمر الله بالرؤيا التي رآها في المنام فقد فداه الله بكبش عظيم وهو الذي قربه هابيل وقال جبريل عليه السلام يا إبراهيم إن الله قد أعطاك بصبرك دعوة مستجابة ادع الله بها ما سألت فقال: (اللهم لا تعذب أحداً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم) فقال جبريل: (الله أكبر الله أكبر الله أكبر) فقال إسماعيل: (لا إله إلا الله والله أكبر) وقال إبراهيم عليه السلام: (ولله الحمد). [نزهة المجالس ص ١٤٠]. {فَكُلُوا مِنْهَا} فكلوا من أضحيتكم أيها المضحون {وَأَطْعِمُوا} وأطعموا منها {الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} الفقير المعدم والمسكين. فالأضحية تقسم إلى ثلاثة أقسام قسم له ولأهل بيته وهو مقدار الثلث والثلث الثاني يتصدق به على الفقراء والمساكين والقسم الثالث يُهدى إلى الأرحام والأصدقاء والمعارف ولو كانوا أغنياء {ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ} ثم بعد الهدى والذبح والنحر في منى يضعوا إحرامهم بعد حلق الرأس أو تقصيره بمقدار أنملة للرجال وللنساء التقصير فقط ويحرم الحلق ولبس الثياب وقص الأظفار {وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ} وليؤدوا ما عليهم من نذر نذروه في الحج {وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} أي يطوفوا بالبيت بدون إحرام سبع أشواط يبدأ من الحجر الأسود كل شوط وينتهي به بدون إحرام وبدون ترميل وهذا يسمى طواف الإفاضة أو طواف الزيارة وبعدها يحل للحاج كل شيء حتى النساء وذلك بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة بسبع حصيات بعد طلوع الشمس وذبح الهدى ونحر البدن وقص الشعر. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن أبي حمزة قال قال لي ابن عباس: أنقرأ سورة الحج؟ يقول الله تعالى: "وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ" فإن آخر المناسك الطواف بالبيت العتيق. قلت [والكلام لابن كثير]: وهكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ برمي الجمرة فرماها بسبع حصيات



ثم نحر هديه وحلق رأسه ثم أفاض فطاف بالبيت. [ابن كثير ج ٣ ص ٢١٨]. وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه قال: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف إلا أنه خُفّف عن المرأة الحائض. [ابن كثير ج ٣ ص ٢١٨]. ملاحظة: وإذا طافت بالبيت المرأة الحائض أو النفساء عليها بدنة وإلا عليها دم فقط إذا لم تتمكن من الطواف طواف الإفاضة لسفر رفقتها. وسُمي بالبيت العتيق لأنه يعتق الرقاب من النار بالحج والعمرة والطواف والعبادة فيه وهو أعتق وأقدم مسجد بُني على الأرض.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنِعَامُ إِلَّا مَا يُتَلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٢١﴾ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ ۗ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٣﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٤﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْآنِعَامِ ۗ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٥﴾

{ذَٰلِكَ} وكذلك {وَمَنْ يُعَظِّمْ} ومن يحترم ويكبر ويبجل ويحفظ {حُرْمَتِ اللَّهِ} حدوده ومحارمه {فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} فهو أفضل له عند ربه الله تعالى ليجزيه عليها الجنة بما صبر عن محارمه وانتهاك حدوده {وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنِعَامُ} وأحل الله لكم الأنعام من الإبل والبقر والغنم والماعز {إِلَّا مَا يُتَلَىٰ عَلَيْكُمْ} إلا ما يقرأ عليكم حكم تحريمه كالميتة والنطيحة وما أكل السبع والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله والمنخنقة {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ} فابتعدوا أيها

الناس عن الشرك والأوثان فاجتنبوا الذنوب والمعاصي {مِنَ الْأَوْثَانِ} فابتعدوا عن الذنوب والمعاصي بارتكاب عبادة الأصنام {وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} وابتعدوا عن قول الزور وشهادة الباطل والكذب وهي أكبر الكبائر وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عدّ شهادة الزور في أكبر الكبائر. [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١٢٩]. {حُنَفَاءَ لِلَّهِ} أي مستقيمين في عبادة الله وحده {غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ} لا تشركوا به أحداً من الأصنام والأوثان والأنداد والمخلوقات كلها {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ} ومن يشرك بالله غيره ويجعل له شريكاً في ملكه {فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ} فكأنما وقع وسقط من السماء {فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ} فتأكله الطير الجارحة وهو في جو السماء {أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ} أو ترمي به الريح وتسقطه من أعلى {فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} إلى مكان عميق فمصيره الهلاك والموت وكذلك مصير المشرك الهلاك والسقوط في جهنم وعذابها {ذَلِكَ} وكذلك {وَمَنْ يُعَظِّمْ} ومن يقدس ويحترم ويكبر ويبجل {شَعَائِرَ اللَّهِ} فرائض وأوامر الله تعالى وسننه {فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} فإنها من قوة إيمان ويقين وتقوى القلوب عند المسلمين ومن صلاحها وتقواها وخضوعها وطاعتها لله تعالى {لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ} ولكم أيها الناس في الأنعام من البقر والإبل والغنم والماعز منافع واستفادة من ركوبها ومن أصوافها وأوبارها ولبنها {إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} إلى أجل محدود {ثُمَّ مَحْلُوهَا} ثم مكان ذبحها والاستفادة من لحمها {إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ} إلى الحج والنحر في منى {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ} ولكل قوم من الأمم والأقوام السابقة {جَعَلْنَا مَنَسَكًا} جعلنا لهم شرعاً خاصاً بهم يتبعوه {لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ} حتى يذكروا اسم الله تعالى عند الذبح عليها

{عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} على ما وهبهم الله تعالى وأعطاهم من الأنعام من الإبل والبقر والغنم والماعز {فَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ} فربكم ومعبودكم وإلهكم هو إله ومعبود واحد وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَلَهُ رَأْسُ السَّمَاوَاتِ} فله أطيعوا وأخلصوا العبادة {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} وبشر العابدين والطائعين والراجعين إلى الله بشرهم بدخول الجنة وهي بشارة فرح وسرور ودخول الجنة يوم القيامة.

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾

{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ} والمخبتون أي العابدون لله تعالى والطائعون له هم الذين إذا ذكر الله عندهم بتلاوة القرآن أو ذكر الله تعالى {وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ} خافت وخشعت قلوبهم لله تعالى {وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ} والمجالدين والمتحملين ما أصابهم في سبيل الله وما أصابهم من قضاء الله تعالى وقدره بنقص الأموال والأنفس والثمرات {وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ} والمؤدين للصلاة في أوقاتها الخمسة {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} ومما وهبناهم وأعطيناهم من المال والثمار والطيبات ينفقون ويتصدقون ويزكون.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً  
 ٥٤  
 فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ  
 لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ  
 كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾

{وَالْبُدْنَ} وهي الإبل والبقر {جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ} جعلها الله لكم من معالم شرع الله ومن أعمال الحج سواء بالنحر أو الذبح وقد نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة بيده الشريفة في منى نحر ثلاثاً وستين بدنة وكان معه مائة بدنة فأمر علياً عليه السلام بنحر باقيها ثم ركب إلى مكة فطاف طواف الإفاضة. [سبل السلام ج ٢ ص ٢٠٣]. وجمهور العلماء على أنه تُجزئ البدنة عن سبعة كما ثبت به الحديث عند مسلم من رواية جابر ابن عبد الله قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في الأضاحي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٢١]. وعن سليمان بن يزيد الكعبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما عمِلَ ابن آدم يوم النحر عملاً أحبَّ إلى الله من إهراق دم وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفساً). [رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه - ابن كثير ج ٣ ص ٢٢١].

{لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ} أي لكم في ذبحها أو نحرها ثواب وفضل وأجر {فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا} فاذكروا أيها المسلمون على البدن عند نحرها اسم الله تعالى بقول: (بسم الله الله أكبر) {صَوَافً} وهي مصفوفة وقائمة للذبح على ثلاث قوائم معقولة يدها اليسرى. وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أناخ بدنة وهو ينحرها

فقال ابعثها قياماً مقيدة سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها. رواه أبو داود ، وقال ابن لهيعة: حدثني عطاء بن دينار أن سالم بن عبد الله قال لسليمان بن عبد الملك قف من شقها الأيمن وانحر من شقها الأيسر ، وفي صحيح مسلم عن جابر في صفة حجة الوداع قال فيه فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثاً وستين بدنة جعل يطعنها بحربة في يده. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢]. {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} فإذا نُحرت وذُبِحت وانقلبت على جنبها {فَكُلُوا مِنْهَا} فقسموها ثلاثة أقسام فأول قسم أو الثلث الأول لكم كلوا منه من لحمها {وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ} واهدوا وأطعموا من الثلث الثاني الغني الذي لا يحتاج إليها {وَالْمُعْتَرَّ} والثلث الثالث للمعتر وهو الفقير المحتاج الذي يخشى العار من السؤال مع فقره وهو المتعفف المحتاج الذي لا يسأل الناس إلحافاً {كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ} ولهذا سخرها الله تعالى لكم لتأكلوا من لحومها وتتصدقوا وتهدوا إلى الأصدقاء والمعارف والأرحام وهو واقع الحال في الأضحية {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لعلكم تحمدون الله وتشكرونه وتثنون عليه لتسخيره لكم هذه الأنعام فضلاً وكرماً منه {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا} لن يصل إلى الله تعالى لا لحومها ولا دماؤها فهو منها لا يأكل ولا يشرب {وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} ولكنه امتحان لكم لمعرفة من يتقيه ويطيعه منكم أيها الناس جميعاً {كَذَلِكَ} ولهذا {سَخَّرَهَا لَكُمْ} خلقها ويسرها لكم وذللها لكم {لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ} لتكبروا وتعظموا وتبجلوا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ} على ما هداكم وأرشدكم إليه من أداء مناسك الحج وذبح ونحر الهدى وذكركم اسم الله عليها وهداكم للأكل

وللهدايا والتصدق بها {وَبَشِّرِ} وبشر بشارة فرح وسرور ودخول الجنة يا محمد يا رسول الله {الْمُحْسِنِينَ} المتصدقين والمحسنين للناس والمحسنين أعمالهم وعبادتهم وطاعتهم لله تعالى وحده.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ ﴿٢٨﴾ أذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمْتَ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَنِقَةُ الْأُمُورِ ﴿٣١﴾

{إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ} إن الله ينصر ويرد كيد وشر كل من أراد سوءاً {عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا} عن المؤمنين الذين صدقوا وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله يحفظهم في غيابهم وفي حضورهم ويدافع عنهم ويرعاهم ويحجبهم من الأعداء وكما قال تعالى: " وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا " ٢٥ الأحزاب. {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ} إن الله يبغض ولا يرضى عن {كُلِّ خَوَّانٍ} كل خائن للمسلمين {كَفُورٍ} كافر بالله وبرسوله وبنعمة الله عليه {أذِنَ} سُمِحَ وَصُرِحَ {لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ} للذين يحاربون من الأعداء أو اللصوص وقطاع الطرق أذن لهم بالدفاع عن النفس وعن الأعراض وعن الأموال وعن الوطن {بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا} لأنهم ظلموا من أهل وكفار مكة وطردها من بلادهم واعتدي عليهم وعلى

أموالهم وممتلكاتهم {وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} وإن الله تعالى قادر على نصر المؤمنين وسينصرهم على الكفار وعلى الذين يقاتلونهم {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} الذين طردوا من أوطانهم ومن بلدهم مكة وهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه {بِغَيْرِ حَقٍّ} بغير ذنب {إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} إلا أنهم قالوا ربنا الله تعالى ولا معبود بحق سواه ولا معبود بحق غيره أي لم يرتكبوا ذنباً من منظور أولئك الكفار سوى التوحيد والإقرار لله تعالى بالوحدانية. وهذه الآية هي أول آية نزلت في القتال {وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ} لولا أن يدفع الله الناس بمحاربة {بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} أي محاربة بعضهم بعضاً للذود عن أوطانهم وديارهم وأموالهم ومعتقداتهم {هَلَّتْ صَوَامِعُ} ولولا ذلك لهدمت صوامع الرهبان {وَبِيْعُ} وهي أماكن العبادة للنصارى {وَصَلَوَاتُ} وصلوات المسلمين {وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} وهي المكان الذي يجتمع فيه المسلمون للصلاة وذكر اسم الله فيه كثيراً أي توحيد الله وقراءة القرآن {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ} وسينصرن الله من ينصره بإعلاء دينه وأوامره بقول الحق والجهاد في سبيله {إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ} إن الله ذو قوة وقادر على النصر {عَزِيزٌ} ذو عزة ومنعة وعزيز في ملكه وأمره ومنيع وقوي في ملكه وسلطانه {الَّذِينَ} وينصر الله من ينصره وهم الذين {إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ} أي ثبتناهم بالحكم والإمارة والوظيفة والنصر {أَقَامُوا الصَّلَاةَ} أدوا الصلاة في أوقاتها وهي صلاة الفريضة في أوقاتها الخمسة {وَأَتَوْا الزَّكَاةَ} وأعطوا الزكاة للفقراء والمساكين والمحتاجين {وَأَمَرُوا} وأمروا الناس {بِالْمَعْرُوفِ} العمل المعروف الطيب الصالح وعمل الخير {وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} ونهوا الناس عن

المعاصي والبغي والفساد والذنوب والظلم وعن المحرمات {وَلِلَّهِ عَنَقَبَةُ الْأُمُورِ} ولله تعالى مصير الأمور جميعها فينتهي الأمر إليه يوم القيامة في المحشر للحساب فيجزى المحسن خيراً فيدخله الجنة ويعاقب المسيء والعاصي والكافر فيدخله النار.

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۚ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَدَسْتَعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ تُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۗ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۗ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ ﴾

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ} وإن يكذبوك يا محمد يا رسول الله كفار قريش ولم يصدقوا رسالتك {فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ} فقد كذبت وأنكرت ووجدت قبل تكذيب قومك قريش لك قوم نوح كذبوا نوحاً عليه السلام ومكث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فكذبوه وكذلك قوم عاد كذبوا هوداً عليه السلام وقوم ثمود وهم أصحاب الحجر كذبوا صالحاً عليه السلام {وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ} وكذلك أهل العراق وهم قوم النمرود كذبوا إبراهيم عليه السلام وأرادوا حرقه كما قال تعالى: " وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ " ٧٠ الأنبياء. {وَقَوْمُ لُوطٍ} وهم



أهل قرية سدوم {وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ} وهم قوم شعيب عليه السلام {وَكُذِّبَ  
مُوسَى} وكُذِّبَ موسى عليه السلام من فرعون {فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ} فأمهلت  
واستدرجت من حيث لا يشعرون الكفار من أقوام الرسل {ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ} ثم بعد  
ذلك عاقبتهم وعذبتهم وأهلكتهم بالغرق والصواعق والزلازل والخسف وبالريح  
العقيم {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} فكيف كان مصير وعذاب من أنكر عذاب الله تعالى  
وَبَعَثَهُ يوم القيامة للخلق وتكذيبهم للرسل أي انظروا إلى مصير وعاقبة ونهاية من  
كذب وأنكر رسل الله تعالى ووحدانية الله تعالى واليوم الآخر فمصيره الهلاك  
والعذاب {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ} فكم من قرية من القرى {أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ}   
أهلكها الله تعالى وهي ظالمة لنفسها بالكفر والشرك وتكذيب رسولها {فَهِيَ خَاوِيَةٌ  
عَلَى عُرُوشِهَا} إلا وهي فارغة مدمرة هلكى وساقطة بسقفها وخالية من سكانها  
{وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ} وبئر لهم معطلة وخربة {وَقَصْرِ مَشِيدٍ} وقصر منيع ورفيع وعظيم  
وقد تم بناؤه وتشبيده وقد تركوه وخلفوه وراءهم {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} أفلم  
يمش هؤلاء الكفار ويسيحوا في الأرض وينظروا بأعينهم {فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ  
بِهَا} فيتعظوا بقلوبهم ويعقلون ويؤمنون بقلوبهم بما حصل وحدث لمن كفر ممن  
قبلهم {أَوْ أَذَانَ يُسْمَعُونَ بِهَا} أو يسمعون بأذانهم أخبار الأمم السابقة وما أصابهم  
فيعتبرون ويتعظون {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ} ولكنها لا تعمي الأبصار عن الرؤيا  
فأعينهم سليمة وتبصر وترى {وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} ولكن المغزى  
بالعمى ليس العمى الحقيقي ولكن عمى البصيرة فلم يعوا ما يشاهدونه أو يسمعونه  
من الآيات لأن قلوبهم التي في صدورهم عميت بالران الذي على قلوبهم من أكل

الحرام ومن التكذيب بآيات الله تعالى وبرسوله وباليوم الآخر {وَدَسْتَعَجِلُونَكَ  
بِالْعَذَابِ} ويطلب الكفار منك يا محمد يا رسول الله الاستعجال والسرعة بإنزال  
العذاب عليهم في الدنيا {وَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدُهُ} ولن يغير الله تعالى وعده بعذاب  
الكفار إما في الدنيا بالهلاك والأسر والقتل كما فعل بأبي جهل في بدر لعنه الله أو  
يؤخرهم لعذاب يوم القيامة في نار جهنم وهو أشد وأنكى وكما قال تعالى: " لَوْ  
يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا "   
٥٨ الكهف. {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ} وإن يوماً من العذاب عند ربك يا محمد يا  
رسول الله في عذاب يوم القيامة {كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} مقدار اليوم يوم  
القيامة في العذاب في جهنم مقداره ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا {وَكَأَيِّن  
مِّنْ قَرْيَةٍ} وكم من قرية {أَمَلَيْتُهَا} أمهلتها واستدرجتها {وَهِيَ ظَالِمَةٌ} وهي  
ظالمة لنفسها بالكفر والشرك والمعاصي وتكذيب رسولها {ثُمَّ أَخَذْتُهَا} ثم عاقبتها  
وعذبتها وأهلكتها على ظلمها بعد ذلك الإمهال حتى تتوب ومن لم تتب أهلكتها  
وعذبتها {وَإِلَى الْمَصِيرِ} وإلى الله تعالى يوم القيامة مرجعها ومصيرها ونهايتها  
للحساب والعقاب والعذاب.

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٦﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤٧﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٤٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ۗ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٠﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ۗ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} أيها الناس كافة وقريش خاصة {إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ} إنما أنا رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم أرسلت وبُعثت لكم {نَذِيرٌ} محذر من عذاب الله تعالى لكم يوم القيامة فاعبدوا الله تعالى وحده وأطيعوه وآمنوا بيوم القيامة وبالبعث والحساب {مُبِينٌ} بين وواضح ومعني قرآن يتلى عليكم واضح وضوح الشمس في أحكامه ودلائله وبياناته وحججه ولا يزيغ عنه إلا هالك {فَالَّذِينَ ءَامَنُوا} فالذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقرآن وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الصالحات من الأعمال الطيبة والحسنة من البر والخير وفي عبادة الله تعالى وطاعته وفي مرضاته {هُم مَغْفِرَةٌ} يقبل الله تعالى توبتهم ويغفر لهم ذنوبهم السابقة قبل الإسلام {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ولهم في الدنيا رزق طيب ورغد العيش والطمأنينة في جلب رزقهم ومعيشتهم وسهولة في الحصول عليه ويوم القيامة ينعمون في الجنة برزق طيب كريم وهنيء {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا}

والذين استمروا في تكذيب آيات الله تعالى من القرآن وبيناته وحججه {مُعْجِزِينَ} مفسدين ومضللين وصادين ومانعين للناس من الإيمان والإسلام {أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} فهؤلاء هم أصحاب النار وأهلها وسكانها يوم القيامة {وَمَا أَرْسَلْنَا} وما بعثنا {مِن قَبْلِكَ} من قبل رسالتك يا محمد يا رسول الله {مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} من رسول مرسل من قبل الله تعالى ولا نبي من الأنبياء {إِلَّا إِذَا تَمَنَّى} إلا إذا رغب في الإيمان والهدى لقومه وللناس ورغب أن يؤمنوا جميعاً ويدخلون دين الإسلام ودين الحق لأنه هذا هو الصراط المستقيم {أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} أوقع الشيطان وهو إبليس في أمنيته ورسالته ما يبطلها ويفسدها فيكذبها الناس بسبب إغواء إبليس فيعرضون ويكذبون بسبب إغواء الشيطان لهم حتى يلغي أمنية الرسول والنبي الذي يتمنى الهداية لقومه ولكن الشيطان له بالمرصاد يغويهم ويجعلهم يكذبون رسلهم وأنبيائهم {فَيَنسَخُ اللَّهُ} فيبطل الله ويدحض ويزهق {مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ} ما يوقع الشيطان وما يفسد من تغرير الناس بالصدود والتكذيب والكفر والإشراك وذلك بأن يهدي الله تعالى المؤمنين والمسلمين بالإيمان بالله تعالى وبرسله وأنبيائه فيصدقون رسولهم ويهتدون ويدخلون في دين الله أفواجاً {ثُمَّ تُحْكِمُ اللَّهُ} آيَاتِهِ} ثم يؤيد الله تعالى رسالة نبيه ويعلي دينه بدخول الناس الإسلام وبهذا يُحْكِمُ اللَّهُ تعالى آياته ويقويها ويحبب الناس في الله تعالى وفي آياته ويصدقونها كما قال تعالى: " وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ " ٧ الحجرات. {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} والله تعالى علیم بآياته وصدقها وحكمتها ومنفعتاتها للناس وما يلقي الشيطان من إغواءات وفتن {حَكِيمٌ} والله ذو حكمة في أوامره ونواهيه {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ} ويجعل الله تعالى ما يوقع

الشیطان من الفساد والإغواء والتكذیب للرسول وإنكارهم {فِتْنَةً} بلاءً واختباراً ومصيبةً وعذاباً {لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} للمنافقين والمرض هو الشك في الرسول وفي القرآن {وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ} وهم الكفار قلوبهم متحجرة لا يتعظون بالقرآن ولا خلافه {وَإِنَّ الظَّالِمِينَ} وإن الكفار والمشركين والظلم هنا ظلم الكفر والشرك كما قال تعالى: "وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ" ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: "إِنَّ الشُّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ١٣ لقمان. {لِئِنِّي شِقَاقٌ بَعِيدٌ} لفي خلاف وتكذیب وعناد عظيم {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} وحتى يعلم العلماء والأولياء والصالحون والمتقون {أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} أن القرآن الكريم هو حق وصدق ونزل من عند ربك وبإذنه وهو كلامه وقوله الحق {فِيؤْمِنُوا بِهِ} فيصدقوا به {فَتُخْبِتَ لَهُ رُءُوسُهُمْ} فتطيعه وترق وتنقاد وتلين له {قُلُوبُهُمْ} قلوب العلماء والمتقين والصالحين {وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا} وإن الله تعالى ليهدي المؤمنين وهم الذين صدقوا وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} إلى طريق الحق والصواب الذي لا اعوجاج فيه ولا ضلال ويهدي إلى الإيمان والإسلام فهو طريق الله المستقيم.

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ  
 عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لَّهِ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَأَلْذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ  
 لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا  
 لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا  
 يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾

{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا} ولا يزال وسيستمر وسيبقى الكفار {فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ} في شك وتكذيب من القرآن ومن نزوله من الله تعالى إلى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً} حتى تقوم القيامة وتأتيهم فجأة وعلى غفلة {أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ} أو يرسل الله تعالى عليهم عقاب {يَوْمٍ عَقِيمٍ} يوم لا شفاء له ولا رحمة فيه ولا يُبقي أحداً منهم ولا يذر إلا أهلكه {الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} الحكم والأمر في يوم القيامة بيد الله وحده فهو الذي يملكه ويحاسب الناس على أعمالهم {تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} يحكم بين الناس ورسولهم وبين الناس بعضهم بعضاً {فَالَّذِينَ ءَامَنُوا} فالمؤمنون الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحات والطيبات وأعمال البر والخير وعبادة الله تعالى وطاعته وفي مرضاته {فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} يدخلهم الله تعالى جنات النعيم المقيم والدائم {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} والكفار والذين أنكروا ووجدوا بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} وكذبوا بآيات القرآن وبينات الله تعالى وحججه ودلائله {فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} فأولئك لهم عذاب

مذل يذلهم في جهنم يوم القيامة {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا} والمهاجرون الذين تركوا ديارهم وأوطانهم ومساكنهم وأهلهم في مكة وهاجروا إلى المدينة {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في طاعة الله ومرضاته وإعلاءً لدينه {ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا} ثم قتلوا في الجهاد واستشهدوا أو ماتوا موتاً طبيعياً على فراشهم {لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا} ليهب الله تعالى لهم في الجنة يوم القيامة رزقاً طيباً هنيئاً رغداً وهو من جميع ثمار الجنة ولحم طير مما يشتهون {وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرٌ} وإن الله تعالى هو أفضل {الرَّازِقِينَ} بهذا الرزق الحسن الطيب في الجنة الذي لا يستطيعه غيره {لَيُدْخِلَنَّهُمُ مَدْخَلًا} وسيدخل الله تعالى من هاجر في سبيله مدخلاً ومكاناً {يَرْضَوْنَهُ} يقبلونه ويرضون به ويُسرون به وهو دخول الجنة ونعيمها المقيم والدائم يوم القيامة {وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ} وإن الله تعالى يعلم بخلقه وبكونه وما يدور فيه وما يحيط به {حَلِيمٌ} يحلم على المؤمنين فلا يعذبهم ويتوب عليهم ويدخلهم الجنة.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ ﴿٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٩﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١٢﴾ ﴾

{ذَٰلِكَ} وكذلك {وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ} ومن انتقم واقتص وعاقب من اعتدى عليه وردَّ العقاب بمثله أي استدَّ عقابه ممن عاقبه {ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ} ثم اعتدى عليه ثانياً لأنه أخذ بحقه {لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ} سينصره الله ويعليه على خصمه كالمسلمين لما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدي لقافلة أبي سفيان وقريش انتقاماً من قريش لأنهم استولوا على أموال المسلمين في مكة ولما اعتدى كفار قريش في بدر على المسلمين فهزمهم الله تعالى مع كثرتهم ونصر عليهم المسلمين وهذه الآية عامة فمن اعتدى عليه فرد الاعتداء وأخذ حقه ثم اعتدى عليه ثانياً فسينصره الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ} إن الله يعفو لمن تاب وندم ورجع عن ذنبه ومعصيته واعتدائه {غَفُورٌ} يغفر لمن رد العقاب بالمثل وأخذ حقه في مظلمته وغفور كذلك لمن ندم ورجع عن ظلم الناس {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ}



وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الظَّيْلِ { ذلك الأمر وهو تعاقب النصر من الله تعالى لذلك المظلوم بعدما وقع عليه الظلم محقق وقوعه من قبل الله تعالى كتعاقب الليل مع النهار وهذا كقول الشاعر ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر { وَأَنَّ اللَّهَ } وأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { سَمِيعٌ } سميع للناس ولخلقه { بَصِيرٌ } بصير ومطلع على أعمال الخلق ومطلع على أعمالهم وعلى أفعالهم { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ } وكذلك بأن الله تعالى هو الإله الحق والصدق والجد ليس بالهزل ولا رب ولا معبود سواه { وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ } وأن ما يعبدون { مِنْ دُونِهِ } غير الله من الأصنام والأوثان والأنداد { هُوَ الْبَاطِلُ } هو الكذب والضلال { وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ } وأن الله تعالى عالٍ فوق خلقه والعالي عن الشرك والشركاء { الْكَبِيرُ } العظيم في ملكه { أَلَمْ تَرَ } ألم تعلم وتشاهد يا محمد يا رسول الله { أَنَّ اللَّهَ } أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } أنزل المطر من السماء { فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً } فبعد نزول المطر على الأرض تنبت النباتات من الأرض وتخضر الأرض بالنبات { إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ } إن الله تعالى لطيف بخلقه يلفظ بهم ويرحمهم بنزول المطر وما يحتاجون من طعام وشراب { خَيْرٌ } فهو خير بما يحتاج إليه خلقه من المطر والنبات والثمار { لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ } لله تعالى كل ما في السموات السبع من شمس وقمر ونجوم وكواكب وملائكة { وَمَا فِي الْأَرْضِ } وله كل ما في الأرض من الجن والإنس والحيوانات والوحوش والطيور والنباتات والأشجار والبحار والأنهار والجبال والوديان وكل ما في الأرض { وَإِنَّ اللَّهَ } وإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { لَهُوَ الْغَنِيُّ } فهو الغني

بملكه ينفق منه على عباده ولا ينقص من ملكه شيئاً {الْحَمِيدُ} وهو الحميد  
الصفات والأفعال {الْمَرْتَرُ} ألم تعلم يا محمد وتنظر وتشاهد {أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ}  
أن الله تعالى قد سخر لكم وخلق لكم وجعل لكم ويسر لكم {مَا فِي الْأَرْضِ} كل ما  
في الأرض جميعاً من بحار وأنهار وجبال ووديان وسهول وحيوانات وطيور ونباتات  
{وَالْفُلْكَ} والسفن والبواخر والغواصات {تَجْرِي فِي الْبَحْرِ} تجري وتمخر عُباب  
البحار {بِأَمْرِهِ} بأمر الله تعالى وتسير فوق ماء البحر كما تسير السيارات  
والمواصلات على اليابسة وكله بإذنه {وَيُمَسِكُ السَّمَاءَ} ويحفظ السماء {أَنْ تَقَعَ}  
أن تسقط {عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} فلا تقع السماء على الأرض إلا إذا أراد الله  
تعالى {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ} إن الله تعالى بالناس شفوق بهم فلا يدع السماء  
تسقط على الأرض عليهم ولو فعل ذلك لأهلكهم جميعاً {رَحِيمٌ} فهو رحيم بخلقه  
يرحمهم برزقه ويحفظهم ويرعاهم {وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ} وهو الذي خلقكم  
أحياءً بعد أن كنتم أمواتاً وعدماً ولا شيء {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} ثم بعد هذه الحياة ونهاية  
الأجل يميتكم {ثُمَّ تُحْيِيكُمْ} ثم يوم القيامة يبعثكم أحياءً في المحشر للحساب {إِنَّ  
الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ} إن الإنسان لجحود ومنكر ومكذب بالبعث والنشور والحياة بعد  
الموت والحساب يوم القيامة.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٣١﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴿٣٣﴾ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّن ذَٰلِكُمْ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٣٤﴾﴾

{لِكُلِّ أُمَّةٍ} لكل أمة من الأمم السابقة ولكل قوم منهم {جَعَلْنَا مَنْسَكًا} منهاجاً وسلوكاً وجعلنا ديناً وشرعاً وأوامر {هُم نَاسِكُوهُ} هم ناجزوه ومنفذوه وفاعلوه كأولاد آدم عليه السلام كان الابن يتزوج أخته من بطن أمه الثاني وفي شريعة نوح عليه السلام حرم الله ذلك على الإخوة من الزواج بأخواتهم لكثرة النسل والذرية بعكس زمن آدم حيث لم تكن هناك كثرة في الذرية. وكذلك حرم الله على بني إسرائيل بعض الشحوم كما قال تعالى: " وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ " ١٤٦ الأنعام. {فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ} فلا يحيرونك في أمر الرسل السابقين لأن هذا هو أمر الله وحكمه وشرعه وفيه حكمته فيثبت ما شاء من الشرع وينسخ ما يشاء وذلك منفعةً وحكمةً وامتحاناً لكل قوم كما حولت القبلة للمسلمين بعد ستة عشر شهراً صلاحاً رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ثم حولت القبلة إلى الكعبة {وَأَدْعُ إِلَىٰ

رَبِّكَ} وادع الناس يا محمد يا رسول الله واطلب منهم عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {إِنَّكَ} وإنك يا محمد يا رسول الله برسالتك ودعوتك للناس لعبادة الله تعالى وحده فإنك {لَعَلَىٰ هُدًى} إنك على رشد وصواب وحق {مُسْتَقِيمٍ} على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام الحنيف {وَأِنْ جَدَلُوكَ} وإن خاصموك وناقشوك وعاندوك وكذبوك في رسالتك {فَقُلْ} فقل لهم يا محمد يا رسول الله {اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} الله يعلم ما تعملون من العناد والمجادلة والخصام والجحود والتكذيب ومن عبادتكم للأصنام والأوثان ومن كفركم {اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} الله يقضي ويفصل فيما بينكم وبين رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يوم الحساب في يوم القيامة {فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} فيما كنتم فيه تخاصمون وتجادلون وتجادون وتكذبون {أَلَمْ تَعْلَمَ} ألم تعرف وتدرى يا محمد يا رسول الله {أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ} أن الله يدري ويعرف ويحيط علمه {مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} بكل ما في السماء والأرض من عمل أو فعل أو خير أو شيء {إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} إن كل ذلك موجود في كتاب اللوح المحفوظ بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} إن ذلك العلم على الله فهو سهل وبسيط وهين. قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الله ابن موسى عن أبي حمزة الشمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: (إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويزل ويفعل ما يشاء). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٣]. وفي السنن من

حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب؟ قال اكتب ما هو كائن فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٤]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن بكير حدثني عطاء بن دينار حدثني سعيد بن جبير قال قال ابن عباس: (خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام ، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب فقال القلم وما أكتب؟ قال: علمي في خلقي إلى يوم الساعة فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة فذلك قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: " أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ". وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها وقدرها. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٤]. {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} ويعبدون غير الله تعالى من الأصنام والأوثان {مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَنًا} ما لم ينزل به علماً ولا كتاباً ولا أمراً ولا بياناً {وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ} وليس عندهم علماً حقيقياً ويقيناً وصحيحاً ومؤكداً بل عادة ورثوها عن ضلال آبائهم وبما زين لهم الشيطان من عبادتها {وَمَا لِلظَّالِمِينَ} وليس للظالمين أنفسهم بالكفر والشرك {مِنْ نَّصِيرٍ} من مساعد ينصرهم وينقذهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا} وإذا تقرأ وتتلَى على الكفار آيات القرآن الكريم {بَيَّنَّتْ} ووضحت الحجة والبيان والدليل {تَعْرِفُ} تعلم وترى {فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا} في وجوه الكفار {الْمُنْكَرِ} الغيظ والغضب واسوداد الوجه وعبسه لكرههم قراءة القرآن عليهم {يَكَادُونَ يَسْطُونَ} ومن غيظهم هم على وشك ضرب وقتل والفتك بمن يقرأ عليهم القرآن {بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} بمن يعظوهم بآيات القرآن ويتلونها عليهم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا

رسول الله { أَفَأَنْتُمْ كُمْ } أفأخبركم { بِشَرِّ مِّنْ ذَٰلِكُمْ } بأسوأ من ذلك { النَّارُ وَعَدَهَا }  
 اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا { عَذَابِ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا وَحَضَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْكَفَّارِ عَلَى  
 إنكارهم وعصيانهم وكفرهم وتكذيبهم للقرآن وللرسول سيدنا محمد صلى الله عليه  
 وسلم { وَبِئْسَ } وساء { الْمَصِيرُ } المنقلب والعاقبة والنهاية ومصيرهم في نار جهنم  
 يوم القيامة.

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ  
 ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٢﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ  
 عَزِيزٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

{ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ } يا أيها الناس جميعاً { ضَرْبٌ مِّثْلُ } ضرب الله تعالى مثلاً وجعلها  
 عظة واعتباراً " وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " أي يتعظون  
 { فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ۚ } فأنصتوا واسمعوه جيداً وتفكروا فيه { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ }  
 إن الذين تعبدون { مِنْ دُونِ اللَّهِ } غير الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد { لَنْ }  
 للتأكيد والجزم { يَخْلُقُوا ذُبَابًا } لن تستطيع الأصنام التي تعبدونها من دون الله  
 تعالى وهي جمادات لا تتحرك فإنهم لن يستطيعوا لا هم ولا غيرهم أن يخلق ذباباً  
 حياً يطير ويتحرك كما خلق الله تعالى { وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ } ولو تكاتفوا وتعاونوا  
 لخلقه { وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا } وإن يأخذ منهم أو ينقص منهم أي شيء من  
 طعامهم أو مأكولاتهم أو حتى من مص دمهم لأن بعض الذباب له خرطوم مثل  
 البعوض يمص الدماء ومثل ذبابة تسي تسي التي تسبب مرض النوم عند الإنسان

وتسبب موت البقر وتنتشر في جنوب أفريقيا {لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ} لا يستطيعون رده أو أخذه أو إعادته من الذباب {ضَعْفَ الطَّالِبِ} ضعف المنقذ وهو الأصنام والناس {وَالْمَطْلُوبِ} وهو الذباب وضرب الله هذا المثل عن الذباب لأن الذباب أضعف خلق الله تعالى {مَا قَدَرُوا اللَّهَ} لم يثمن الكفار ولم يقدرُوا ولم يعرفوا عظمة الله تعالى وقدره وجلاله {حَقَّ قَدْرِهِمْ} ولم يعرفوا قدره وما يستحق من العبادة ولم يحترموا عظمته وجلاله وقدرته وعزته وجبروته وما علموا عظيم قدرته وعظيم شأنه وعظيم جلاله ولا حق قدره ولا حقه بالعبادة وحده دون غيره فهو المستحق للعبادة وحده لأنه خلق السموات والأرض وما فيهن وسخرها للإنسان زيادة على ما خلق له من سمع وبصر وحياة وزوجات وذرية وطعام وشراب وملبس {إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ} إن الله تعالى قوي في ملكه وفي صنعه وفي كونه وفي جبروته وفي قدرته ويقدر على فعل وعمل كل شيء في ملكه وكونه {عَزِيزٌ} منيع وقوي ولا يغلبه شيء والعزيز في ملكه والقوي في حكمه وإرادته وفعله وعمله.

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾<sup>(٧٥)</sup>  
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ<sup>ط</sup> وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ<sup>(٧٦)</sup> يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾  
﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ<sup>ج</sup> هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ  
حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ<sup>ح</sup> هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ  
شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾<sup>(٧٨)</sup>

{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} الله تعالى عز وجل وجل جلاله وعظم قدره  
وعلا شأنه يختار من الملائكة رسلاً ويرسلهم للناس لتبليغهم أوامر الله تعالى وشرعه  
وحكمه كجبريل عليه السلام {وَمِنَ النَّاسِ} ويختار الله تعالى من الناس آدم  
عليه السلام ومن ذريته كيث ونوح وإدريس وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى  
وباقى الرسل المعروفين والمذكورين فى القرآن {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} إن الله تعالى يسمع  
أقوال الرسل وأقوامهم وما يردون عليهم سواء بالجحود والتكذيب لهم أو الطاعة  
والانقياد لأوامر رسل الله تعالى {بَصِيرٌ} مطلع ويرى ويشاهد عمل الناس  
والمخلوقات جميعاً وبصير بعواقب الأمور وبكل شيء {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا  
خَلْفَهُمْ} يعلم كل شيء عن الرسل وعن الناس وكل شيء يحدث فى الدنيا بين  
أيديهم بحضورهم فى الدنيا وما خلفهم من الموت والبعث والنشور والحساب يوم  
القيامة ودخول الجنة أو النار {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} وإلى الله تعالى ينتهى فصل  
الأمور ونهايتها والنشور والبعث يوم القيامة والحساب للناس وللخلق ودخول

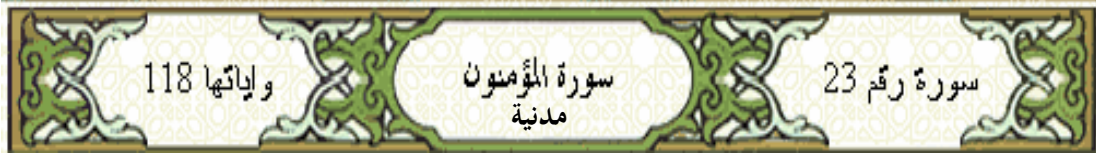


الجنة أو النار وكل شيء راجع لله تعالى وحكمه وقدره ومشيتته وإرادته {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من صدقتم وآمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره وحلوه ومره {أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا} صلوا صلاة الفرض في الصلوات الخمس والأوقات الخمس والنافلة {وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ} واعبدوا ربكم وحده لا شريك له ووحدوه واذكروه {وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ} واعملوا أعمال الخير من الطاعات والعبادات ومن البر والصدقات {لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ} لعلكم تفوزون بمرضاة الله تعالى وبالجنة. وهذه الآية بها سجدة كما جاء في حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم : (فضلت سورة الحج بسجدين فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٦]. وورد في الصحيحين أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فيقرأ السورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته). [فقه المذاهب الأربعة ص ٢٤٤]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار). [رواه مسلم - فقه المذاهب الأربعة ص ٢٤٤].

{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ} أي حاربوا في رفع كلمة الله تعالى وفي دينه وفي سبيله واعملوا ما يوجب عليكم في نصره دين الله وفي طاعة الله وعبادته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر {حَقَّ جِهَادِهِ} حق ما فرض عليكم وما يستحق من تضحية وجهاد وحق عبادته وطاعته {هُوَ أَجْتَبَكُمْ} هو الله تعالى جلّ جلاله وعظم قدره وعلا شأنه اختاركم للإسلام ومن أمة محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ} ولم يجعل عليكم {فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} في دين الله تعالى من صعوبة ولا مشقة ولا

تضييق عليكم بل يسر لكم الدين والعبادة والطاعة فمثلاً من لم يجد الماء للوضوء والطهور فعليه أن يتيمم وكذلك للمريض والمسافر وجعل للمسافر في الصلاة الرباعية القصر إلى ركعتين إذا كانت المسافة في السفر ما يقرب من اثنين وثمانين كيلومتراً وكذلك جعل للصائم الإفطار في السفر وكذلك للمريض ثم القضاء بعد ذلك وكذلك من لم يستطع في مرضه الصلاة قائماً فليجلس أو يصلي على جنبه وذلك تسهيلاً من الله تعالى وتيسيراً في دينه {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} وهذه شريعة ودين أبيكم إبراهيم الخليل عليه السلام التيسير وهي دين الإسلام {هُوَ} هو إبراهيم عليه السلام {سَمَّنَكُمْ الْمُسْلِمِينَ} وأن إبراهيم عليه السلام هو الذي سماكم المسلمين وكلمة الإسلام من التسليم والانقياد وطاعة الله تعالى والتسمية جاءت على لسان إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: " رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ " ١٢٨ البقرة. أي طائفة ومنقادة لدينك {مِنْ قَبْلُ} أي أيام إبراهيم عليه السلام وقبل رسالتك {وَفِي هَذَا} وفي هذا الدين وفي هذا القرآن وفي هذا الأمر {لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ} ليكون الرسول محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله شاهداً عليكم بأنه بلغكم رسالة الله تعالى وما جاء في القرآن بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وحتى يشهد عليكم يوم القيامة على من جحد به وأنكر وكذبه ومن أطاعه واتبعه {وَتَكُونُوا} وتكونوا أنتم أيها المسلمون {شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} تكونوا يوم القيامة شهداء على من اتبع دين الإسلام من الناس ومن كفر وجحد وأنكر كأبي جهل الذي قُتل كافراً في معركة بدر وغيره من كفار قريش وعلى من جحد وأنكر من أهل الكتاب وغيرهم وكذلك تكونوا شهداء على الأمم السابقة الذين كذبوا رسلهم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَجَّهَ الْبَيْتَ حَنِيفًا} فأقيموا الصلوات

الخمسة في أوقاتها هي ونافلتها {وَأَتُوا الزُّكُوتَ} وأدوا زكاة أموالكم للفقراء  
 والمساكين ومن يستحقونها {وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ} وتوكلوا واحتموا واحترزوا وتمسكوا  
 بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وطاعته واتباع رسوله سيدنا محمد صلى الله  
 عليه وسلم والتجؤوا إلى الله في جميع أموركم يحفظكم ويرعاكم {هُوَ} هو الله تعالى  
 جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مَوْلَاكُمْ} متولي أموركم في الدنيا بالرزق  
 والحفظ والعناية والرعاية ويوم القيامة يدخل المؤمنين الجنة {فَنِعْمَ} فخير وأحسن  
 {الْمَوْلَى} الذي يتولى جميع أموركم وشؤونكم من حياة ورزق وحفظ وسعادة {وَنِعْمَ  
 النَّصِيرُ} والله تعالى هو نعم وأحسن وأفضل وخير من ينصر من يعتمد ويتوكل عليه  
 ومن توكل على الله فهو حسبه وناصره وحافظه ومنقذه ومساعدته وهو ينصركم على  
 أعدائكم في الدنيا وفي الآخرة ينصركم بدخول الجنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَادِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾

{قَدْ أَفْلَحَ} قد فاز {الْمُؤْمِنُونَ} الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهم {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ} الذين هم في أداء صلاتهم والقيام بها وهي صلاة الفريضة والنافلة التابعة لها خاصة صلواتهم الخمس المفروضة في اليوم واللييلة في كل يوم {خَادِعُونَ} مستحضرون عظمة الله تعالى ويتدبرون ما يقولون وما يتلون في خوف وخشية لله تعالى مع تمام ركوعها وسجودها. عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله). رواه مسلم. {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ} وهو الكلام الساقط والغيبة والنميمة. قال صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت). [سبل السلام ج ٤ ص ١٨١]. وقال

معاذ رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم: أنؤاخذ بما نقول؟ قال: (ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم). [سبل السلام ج ٤ ص ١٨١].

{مُعْرَضُونَ} مبتعدون أو ممتنعون {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} وهم الذين يؤدون زكاة أموالهم. عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم وليس عليك شيء (أي في الذهب) حتى يكون لك عشرون ديناراً وحال عليها الحول ففيها نصف دينار فما زاد فبحساب ذلك وليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول). [رواه أبو داود وهو حسن - سبل السلام ج ٢ ص ١٢٨]. {وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ} أي الرجل يحفظ ذكره عن الزنا والمرأة تمنع فرجها من الزنا. قال صلى الله عليه وسلم: (من تكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة). [سبل السلام ج ٤ ص ١٨٠]. {إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ} الرجال إلا على زوجاتهم الحرائر والنساء على أزواجهن {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} من الإماء والجواري اللاتي يملكونهن ولا يدخل في ذلك اللواتي في العبيد الذكور وهذه للرجال فقط وليس للنساء في ملك اليمين شيء سواء إذا كانت متزوجة أو لا فليس للنساء حق الاستمتاع من ملك اليمين كالرجال لأن الرجل له مثنى وثلاث ورباع من الحرائر وما شاء من الإماء وليس للحررة غير زوجها فقط وذلك ما دلت عليه قصة عمر رضي الله عنه لما علم أن امرأة من المسلمين قد نكحت عبداً فدعاها فأقرت بذلك وقالت هو ملك يمين فعاقبها وفرق بينها وبين عبداً وحرم عليها الأزواج عقاباً لها على تفسير الآية على غير موضعها وفعل عمر حجة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ). {فَأَنبَهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} فإنهم غير ملامين ولا ممنوعين ولا معذبين ولا معاقبين

على معاشرة أزواجهم وما ملكت أيمانهم {فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ} فمن أتى غير ذلك من الزنا مع غير أزواجهم {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} فأولئك هم المعتدون على حرمان الله تعالى وحدوده {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ} والذين يحافظون على الأمانات ويردوننها إلى أصحابها عند طلبها كاملة غير منقوصة ولعهدهم وميثاقهم {رَاعُونَ} حافظون ولا يضيعونه {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} والذين يحافظون على دوام أداء صلاة الفريضة في أوقاتها {أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} فالذين يتصفون بهذه الصفات هم الوارثون يوم القيامة {الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ} الذين يملكون الفردوس في الجنة {هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ} هم فيها دائمون أي في الجنة وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٩].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢٤﴾  
 ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا  
 الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ  
 ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ} ولقد خلق الله تعالى بني آدم {مِن سُلَالَةٍ} من ذرية  
 متسلسلة بعضها خلف بعض {مِّن طِينٍ} وهو خلق آدم في الأصل عليه السلام من  
 طين الأرض ومن جميع تراب الأرض. قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد  
 حدثنا أسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله  
 خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء  
 منهم الأحمر والأبيض والأسود بين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك). [وقد رواه  
 أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي به نحوه وقال الترمذي حسن  
 صحيح - ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٠]. {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ} ثم جعل الله تعالى من ذرية آدم  
 {نُطْفَةً} وهي مني الرجل {فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ} في تدفق وينزل مني الرجل في فرج المرأة  
 حتى يصل رحمها فيلتقي ماء الرجل ومنيه مع ماء المرأة فيلقح البويضة عند الأنثى  
 إذا كان هناك حمل {ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً} فتمكث النطفة أربعين يوماً ثم  
 يخلق الله تعالى من النطفة علقة وهي الطور الثاني للنطفة وهي علقة حمراء من الدم  
 الجامد وهو شكلها في ذلك الطور وتمكث العلقة أربعين يوماً {فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ  
 مُضْغَةً} ثم يخلق الله تعالى من العلقة مضغة وهي قطعة من اللحم على قدر ما  
 يمضغه الفم فتمكث أربعين يوماً ثم تتطور وتتحول {فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا}  
 فتتحول المضغة بعد أن ينفخ الله تعالى فيها الروح ويتكون فيها العظم والعصب

والعروق ثم يطورها الله {فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا} فيكسوها الله تعالى ويجعل اللحم يغطي العظم {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} ثم بعد ذلك تتطور وتتحول وتصبح هذه النطفة مولوداً جديداً وخلقاً آخر يأخذ صفة الجنين سواء ذكر أم أنثى ثم يولد ثم طفلاً ثم احتلم فصار شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً هرمًا {فَتَبَارَكَ اللَّهُ} تقديس وجلّ وعظم وعلا وارتفع الله تعالى وحسنت وازدادت واتسعت بركته حتى شملت جميع ملكه جلّ جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} فهو أحسن وأفضل وخير الخالقين والصانعين والمبدعين في الخلق من عدم ثم من طين ثم من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم طفلاً ثم خلقه في أحسن تقويم. قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم ليُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: رزقه وأجله وعمله وهل هو شقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها). [أخرجاه من حديث سليمان بن مهران الأعمش - ابن كثير ج ٣ ص ٢٤١]. {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ} ثم إنكم أيها الناس جميعاً بعد انقضاء آجالكم {لَمَيِّتُونَ} ستموتون {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} ويوم القيامة تبعثون من قبوركم من جديد أحياءً للمحشر



لحساب وللعقاب والعذاب والجزاء فمن آمن بالله وصدق برسله دخل الجنة ومن عصى وكفر وأشرك وجحد وأنكر وكذب بالبعث دخل النار.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ خَيْلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّاكِلِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۗ نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا} ولقد خلق الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يا بني آدم {فَوْقَكُمْ} أعلى منكم وفوق رؤوسكم {سَبْعَ طَرَائِقَ} أي سبع سموات طباقاً فوق بعضها البعض وهي سبع طرق لكل سماء طريق للملائكة لأن مسكنهم في السموات السبع وإلى أهل كل سماء طريق يعبرونها ويسيرون فيها {وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} وما كان الله تعالى عن خلقه بغافل ولا ساهٍ فهو المدبر لأمرهم وهو الخالق والبارئ والمصور والمحيي والمميت والرازق والمتصرف في حياة الخلق وفي شؤونهم وفي مماتهم وفي الكون كله فهو لا تأخذه سنة ولا نوم {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} وأنزل الله تعالى مطراً من السماء {بِقَدَرٍ} بكمية مقدرة ومعلومة فلا تزيد حتى لا تغرق الناس ولا تقل وإلا يصبح القحط والجذب في الأرض ولكن الله تعالى يقدر كمية المطر بعلمه وحكمته وقدرته وإرادته وإذنه {فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ} فجعل الله تعالى مسكن ومقر الماء على الأرض مثل البحار والأنهار والعيون والآبار التي تحفظ الماء داخل الأرض وفي أعماقها وفي تربتها فيشرب النبات والناس والحيوانات

والطيور ودواب الأرض لأن حياتهم موقوفة على الماء كما قال تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " ٣٠ الأنبياء. { وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهٖ لَقَدِيرُونَ } إن الله تعالى قادر على أن يذهب الماء من الأرض ويصرفه ويبخره ويجففه بجفاف ماء الآبار والأنهار وعدم نزول القطر من السماء وعلى ذهاب ماء الأمطار بواسطة الوديان والأنهار إلى ماء البحر ويجعل الناس لا يستفيدون منه وكذلك لو أراد فإنه يجفف البحيرات والأنهار كذلك فهو قادر على ذلك { فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ } ولكن رحمة الله عليكم أيها الناس بأن جعل لكم جنات تخرج وتنبت من ماء المطر وجعل لكم منه بساتين وحقول ومزارع وحدائق { مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ } من أشجار النخيل التي تحمل البلح والتمر والرطب وأشجار الكرم التي تحمل عنباً لكم لتأكلوا منه { لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ } وخلق لكم وجعل لكم في جناتكم وبساتينكم وحقولكم وحدائقكم فواكه شتى كثيرة من أصناف كثيرة تأكلون منها مثل التين والتفاح والخوخ والمانجا والبرتقال واللوز والجوز والموز وفواكه كثيرة أخرى لا حصر لها ولا عد كما قال تعالى: " وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا " ٣٤ إبراهيم. مع ملاحظة أن الله تعالى خص النخيل والأعناب بالذكر وذلك لأنهما أعلى صنفين من الفواكه والثمار ولكثرة فوائدها وما دونهما يندرج تحتها وكما قال تعالى: " جَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا " ٣٢ الكهف. { وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } ومن هذه الجنان والبساتين ومن هذه الفواكه تأكلون وتتغذون { وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ } وخلق الله تعالى وجعل لكم أيضاً شجرة تزرع وتنبت في منطقة سيناء في الطور بمصر وهي شجرة الزيتون في منطقة طور سيناء الذي ناجى موسى عليه السلام ربه فيه { تَتَّبْتُ بِالْذِّهْنِ } يستخرج منها زيت الزيتون وهو من أجود الزيوت



لحومها ومن الجبن والزبد {وَعَلَيْهَا} وعلى الأنعام كالإبل والخيل والبغال والحمير  
 {وَعَلَى الْفُلْكِ} وعلى السفن والبواخر في البحار {تُحْمَلُونَ} تُنقلون من بلد إلى  
 آخر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترتبصوا به حتى حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَّوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَئِثٍ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أَنْتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ} ولقد بعث الله تعالى وأرسل نوحاً عليه السلام إلى  
 قومه بالرسالة {فَقَالَ يَنْقُورِ} فقال نوح عليه السلام لقومه يا قومي ويا عشيرتي  
 {اعْبُدُوا اللَّهَ} اعبدوا الله وحده {مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ} وليس لكم إله غير الله  
 تعالى ولا معبود بحق سواه فلا تشركوا به أحداً {أَفَلَا تَتَّقُونَ} أفلا تخشون الله  
 تعالى وتطيعوني في رسالتي {فَقَالَ الْمَلَأُوا} فقال الحاضرون من القوم والجماعة من  
 قومه {الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ} وهم كفار قومه ممن جحدوا وأنكروا وكذبوا رسالته

{ مَا هَذَا } ما هذا نوح { إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ } إلا إنسان مثلكم وواحد منكم من ذرية آدم { يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ } يريد أن يرتفع ويعلو ويترأس عليكم بادعائه النبوة والرسالة وحتى يصبح وجيهاً فيكم بهذا الادعاء { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ } ولو أراد الله أن يرسل رسولاً { لَأَنْزَلَ مَلَكًا } لأنزل عليكم من السماء وأرسل ملائكة رسلاً { مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ } لم يحدث هذا من قبلنا في آبائنا وأجدادنا الذين سبقونا ولم نسمع ولم نعلم بعث رسول من نفس قومه { إِنَّ هُوَ إِلَّا } ما هو أي نوح عليه السلام إلا { رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ } أنه مجنون وقد مسه الجن { فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ } فانتظروا حتى حين ينكشف أمره أو يريحنا الله منه بالموت أو يظهر للناس جنونه وخبله فلا يصدقه أحد عند ذلك { قَالَ } قال نوح عليه السلام { رَبِّ } ربي وخالقي وإلهي { أَنْصِرْنِي } انصرنى وأيدني وأظهرني عليهم وانتقم لي منهم { بِمَا كَذَّبُونِ } بما جحدوا وأنكروا وكذبوا بي وبرسالتى وقد آذونى { فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ } فأوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام بواسطة الوحي جبريل عليه السلام { أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ } أي اصنع يا نوح وابدأ في صناعة السفينة { بِأَعْيُنِنَا } تحت أعيننا ونظرنا واطلعنا { وَوَحَّيْنَا } أي بأمرنا وإشارتنا وتعليماتنا بواسطة جبريل عليه السلام { فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا } فإذا حان وقت عذابهم وعقابهم أي قومك يا نوح وجاء إليك أمرنا { وَفَارَ التَّنُورُ } وهو بداية أمرنا أن ترى إشارةً ودليلاً على ذلك وهو فوران التنور وهو موقد النار يخرج منه ويتدفق الماء إلى أعلى كالنافورة أو كعين الماء عندما تنفجر بالماء { فَاسْأَلْ فِيهَا } فاحمل فيها وادخل في السفينة واحمل معك { مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ } من كل ذكر وأنثى وهم الزوجين { اثْنَيْنِ } اثنين منهم وهم

الذكر والأنثى فقط أي من الغنم الذكر والأنثى ومن الإبل كذلك ومن جميع الحيوانات والطيور خذ من كل نوع وصنف اثنين فقط وهم الذكر والأنثى وذلك لحفظ النوع {وَأَهْلَكَ} أي أهل بيتك من الأبناء {إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ} إلا من سبق عليه القول بالكفر والمعصية فلا تأخذه كزوجته (راعدة) وولدها الذي أغرق معها واسمه (كنعان). وخذ كذلك كل من آمن وصدق برسالتك وهم قليل {وَلَا تُخَاطِبْنِي} ولا تسألني في أمر {فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا} في المشركين والكفار كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ} فكل من كفر من قومك حُكِمَ عليهم بالغرق والموت والهلاك {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ} فإذا ركبت واستقرت {أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ} وأصبحتم داخل السفينة وعلى ظهرها {فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} فاشكر الله تعالى وقل يا نوح الحمد لله {الَّذِي نَجَّانَا} الذي أنقذنا {مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} من شر هؤلاء الكفار فلم يعتدوا علينا ولم يستطيعوا الانتقام منا ونجانا الله من الكفر ومن بطشهم وغدرهم والفتك بنوح عليه السلام ومن معه. وقيل أن ارتفاع السفينة كان ثلاثين ذراعاً وهي ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع فالسفلى للدواب وللوحوش والوسطى لنوح عليه السلام ومن آمن معه من قومه من الإنس والعليا للطيور ولها باب في عرضها ولها غطاء مطبق عليها وكان معه في السفينة أربعون رجلاً وأربعون امرأة فلما خرجوا من السفينة ماتوا كلهم إلا أولاد نوح عليه السلام وهم سام أبو العرب والفرس والروم وحام أبو الحبش والسند والهند ويافت أبو ياجوج ومأجوج والصقالبة والترک كما قال تعالى: " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ " ٧٧ الصافات.

{وَقُلْ} وقل يا نوح {رَبِّ} ربي وإلهي وخالقي {أَنْزَلْنِي مُنْزَلاً} أنزلني في الدنيا

مكاناً {مُبَارَكًا} في مكان طيب مبارك ترضاه لي وفي الآخرة بالجنة وبرضوانك الأعلى والنظر إلى وجهك الكريم {وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} وأنت أفضل من ينزلنا هذه المنازل والدرجات الرفيعة {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ركوب السفينة لنوح ومن آمن معه والنجاة من الغرق {لآيَاتٍ} لمعجزات وبيانات وحجج ودلائل للناس حتى يتعظوا ويعتبروا {وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ} وإن كان الله تعالى يختبر الناس من يؤمن بالله وبرسوله ومن يجحد ويكذب فيبتلي بمصيبة الغرق والعذاب والهلاك والموت.

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٦﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٢٨﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٢٩﴾ اْيَعِدُّكُمْ اَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا اَنْكُمْ تُحْرَجُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ هِيَآت هِيَآت لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣١﴾ اِنْ هِيَ اِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٢﴾ اِنْ هُوَ اِلَّا رَجُلٌ اَفْتَرَى عَلَيَّ اللّٰهَ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ

﴿ قَالَ رَبِّ اَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٣﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٣٤﴾ فَاَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَاَجْعَلْنَاهُمْ غُثَاۗءً ۗ فَبَعَدَ اللّٰقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ اَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخِرِينَ ﴿٣٦﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ اُمَّةٍ اَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا ۗ كُلٌّ مَّا جَاءَ اُمَّةً رَّسُوْلَهَا كَذَّبُوْهُ ۗ فَاَتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ اَحَادِيثَ ۗ فَبَعَدَ اللّٰقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾

{ثُمَّ اَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ} ثم اُنشأ وخلق الله تعالى من بعد قوم نوح عليه السلام {قَرْنًا ءَاخِرِينَ} في خلال قرن (والقرن مائة عام) اُنشأ قومًا قِيل هم قوم هود وهم قوم عاد {فَاَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَّسُوْلًا مِنْهُمْ} فأرسل الله تعالى رسولاً منهم ومن قومهم وهو هود عليه السلام في قوم عاد {اَنْ اَعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ} فأمرهم هود عليه السلام بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ولا معبود بحق سواه {اَفَلَا تَتَّقُونَ} أفلا تخشون الله وعقابه وعذابه يوم القيامة إن كفرتم وعصيتم وكذبتم برسالة هود عليه السلام {وَقَالَ الْمَلَأُ} وقال الحضور {مِنْ قَوْمِهِ} والجماعة التي



حضرت من قوم هود {الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ} الذين كفروا وجحدوا وأنكروا رسالة هود عليه السلام وكذبوا بالبعث والنشور والحساب يوم القيامة {وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وأغناهم الله تعالى وأترفهم وأسعدهم وأرغدهم معيشتهم في الحياة الدنيا ومع ذلك كفروا وقالوا {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} ما هذا الرسول الذي أرسل إليكم إلا إنسان مثلكم من بني آدم {يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ} فهو يأكل مثلكم من طعامكم ويشرب من مائكم وليس ملكاً من الملائكة أرسل لكم حتى تصدقوه {وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ} وإن صدقتم وأطعتم ووافقتم بقول إنسان مثلكم {إِنَّكُمْ إِذَا لَحَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ تَأْتُونَ رَسُولًا لِمَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَحْتَسِبُونَ} إنكم تكونوا خاسرين بطاعته وتركتم عبادة الأصنام التي تغضب عليكم فتحسرون رضاها {أَيَعِدُكُمْ} فهل يعدكم {أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا} عندما تكونوا تراباً وعظاماً نخرة بعد موتكم وتصبحون رميماً وأشلاءً متفرقة {أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ} أنكم تخرجون أحياءً من قبوركم وتبعثون بحياة جديدة {هَيَّاتَ هَيَّاتَ} يعني هذا مستحيل {لَمَّا تُوعَدُونَ} ما توعدون به من رسولكم هود عليه السلام بالحياة بعد الموت والنشور للمحشر وللحساب يوم القيامة أي إنهم كذبوا وجحدوا وأنكروا بيوم القيامة وبالبعث والنشور والحساب {إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا} إن هي إلا طبيعة الدنيا وهي الموت والحياة قبلها وقدموا الموت على الحياة كأنهم يقولون أنهم لا يكثرثون للموت لأنهم لا يصدقون بالبعث والحساب بعد الموت {وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} ولن نحيا يوم القيامة ولن نبعث {إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} إن هو إلا رسول اختلق وكذب على الله فهو رجل كذاب {وَمَا نَحْنُ لَهُ

بِمُؤْمِنِينَ} وما نحن قومه له بمصدقين بكلامه ولا برسالته {قَالَ} قال رسولهم هود عليه السلام {رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ} ربي أيديني وأظهرني وانتقم لي منهم بما كذبوني ورسالتي {قَالَ} قال الله تعالى مجيباً على سؤاله {عَمَّا قَلِيلٍ} بعد وقت قليل وقريب {لِيُصِيبُحُنَّ نَادِمِينَ} سيصبحون نادمين على تكذيبك يا هود وعلى عدم الإيمان والتصديق لك {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ} فأهلكهم الله تعالى بعذاب الصيحة التي دمرتهم {بِالْحَقِّ} أي بالصدق والجد وليس بالهزل وهي حق وليس ظلم وذلك لعصيانهم وكفرهم وتكذيبهم برسولهم {فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً} فجعلهم الله تعالى غثاءً كغثاء السيل أي كزبد الوادي أي حطاماً وركاماً ورفاتاً وأشلاءً وجثثاً هلكي {فَبُعْدًا} فهلاكاً وعذاباً {لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} للقوم الذين يكفرون ويشركون بالله تعالى كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {ثُمَّ أَنْشَأْنَا} ثم خلقنا وجعلنا {مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ} بعد أن أهلك الله تعالى قوم هود خلق الله بعدهم قروناً وأممًا وأقواماً آخرين غيرهم {مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا} لا تتقدم ولا تستعجل أمة من الأمم أجلها وعمرها الذي كتبه الله لها {وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ} ولا يتأخرون عن وقت أجلهم ساعة من الزمن {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا} ثم بعث الله تعالى رسله {تَتْرًا} تتعاقب وتتالي وتتابع {كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولَهَا كَذَّبُوهُ} كلما أرسل الله تعالى رسولاً إلى أمته كذبوه ووجدوا به ولم يصدقوه {فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا} فألحقنا بعضهم بعضاً أي عذبناهم كما عذبنا أسلافهم {وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ} وجعلناهم قصصاً يتناقلها الناس كيف دمرهم الله وأهلكهم لكفرهم وعصيانهم وتكذيبهم لرسولهم {فَبُعْدًا} فهلاكاً

وعذاباً {لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} لكل قوم لا يصدقون رسلم ولا يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِيهِ ۖ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ} ثم بعد الأمم والأقوام السابقة أرسل الله تعالى موسى بن عمران رسولاً هو وأخاه هارون {بِآيَاتِنَا} بآيات الله تعالى ومعجزاته وبياناته ودلائله وحججه الواضحة والبيينة {وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ} وقوة المعجزة وهي الثعبان {مُّبِينٍ} عظيم وواضح وبين الدلالة وقوي الحجة والمعجزة {إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِيهِ} إلى فرعون مصر وقومه أهل مصر وفرعون هو الوليد بن مصعب {فَاسْتَكْبَرُوا} فجحدا وأنكروا وتكبروا عن عبادة الله تعالى وتصديق موسى وأخيه هارون وتجبروا وعتوا وأعرضوا {وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ} وكانوا قوماً مستعلين عن تصديق رسالة موسى عليه السلام ومستعلين عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {فَقَالُوا} فقال فرعون وقومه {أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا} فقال بعضهم لبعض هل نصدق برجلين اثنين وهم من بني آدم مثلنا وليسوا من الملائكة {وَقَوْمُهُمَا} كيف وقومهما بنو إسرائيل {لَنَا عٰبِدُونَ} لنا طائعون وخدامون ومستعبدون ويعبدون ما نعبد وهو عبادة فرعون الإله {فَكَذَّبُوهُمَا} فكذب فرعون وقومه موسى وهارون عليهما السلام {فَكَانُوا مِنْ الْمُهْلَكِينَ} فكان عقابهم وعذابهم أنهم (فرعون وقومه)

أهلكوا بالغرق في البحر عقاباً وعذاباً لهما {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى} ولقد أعطى الله تعالى وأنزل على موسى عليه السلام {الْكِتَابَ} وهو التوراة إلى بني إسرائيل {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} لعلهم يهتدون بالتوراة ويعبدون الله تعالى وحده لا شريك له وتصديق موسى عليه السلام ورسالته هو وأخوه هارون.

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾

{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ} لقد جعل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بقدرته وبحكمته وإبرادته مريم ابنة عمران هي وميلاد عيسى عليه السلام منها بدون أب {آيَةً} معجزة للناس بأن الله تعالى خلق عيسى عليه السلام من مريم دون أب وهذه معجزة كما خلق في الأصل آدم عليه السلام من طين من دون أب ولا أم {وَأَوَيْنَهُمَا} وجعل الله تعالى مريم عليها السلام تعتكف هي وابنها عيسى عليه السلام ويذهبا {إِلَى رَبْوَةٍ} إلى أرض مرتفعة قليلاً ذات خصب {ذَاتِ قَرَارٍ} أي أرض مستقرة ومستوية وتمسك الأرض ماءها وتحتفظ به {وَمَعِينٍ} أي ماء عذب طيب يخرج من العيون لتشرب منه وهي أرض بيت المقدس بفلسطين.

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ} يخاطب الله تعالى عز وجل رسله واعظاً لهم وحتى يقتدي بهم الناس قائلاً يا أيها الرسل جميعاً من آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما بينهما من أنبياء ورسول لله تعالى {كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ} كلوا من الرزق الحلال الطيب الطاهر الذي لا حرمة ولا شبهة فيه وجميعهم يأكلون من كسب أيديهم {وَأَعْمَلُوا صَالِحًا} واعملوا الأعمال الصالحات الطيبات والطاعات في مرضاة الله تعالى {إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ} وأن الله تعالى بما تعملون أيها الرسل من الطاعات والعبادات وأعمال الخير والسعي على معيشتكم بالحلال {عَلِيمٌ} أي أعلم ذلك ومحيط ومطلع عليكم وعلى أعمالكم. قال أبو إسحاق السبيعي عن أبي ميسرة عمرو ابن شريحيل كان عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٦]. وفي الصحيح: (وما من نبي إلا رعى الغنم - قالوا وأنت يا رسول الله؟ - قال نعم وأنا كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٦]. وفي الصحيح: (إن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده). وفي الصحيحين: (إن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب القيام إلى الله قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٧]. وقد ثبت في صحيح مسلم وجامع الترمذي ومسنَد الإمام أحمد واللفظ له من حديث فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: " يَا أَيُّهَا

الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ " وقال: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ " ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب فأنى يستجاب لذلك). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٧]. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد ابن عبيد حدثنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني حدثنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفس محمد بيده لا يُسلم عبد حتى يُسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جأره بوائقه - قالوا وما بوائقه يا رسول الله؟ قال - غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٧]. {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} وإن هذه أمتكم جميعها أمة واحدة من ذرية آدم عليه السلام ومن أمهم حواء عليها السلام {وَأَنَا رَبُّكُمْ} وأن الله تعالى هو ربكم وحده لا شريك له وهو إلهكم وخالقكم {فَاتَّقُوا} فاتقوا الله تعالى وأطيعوه واخشوا عذابه.

﴿ فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٦﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ  
 حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٧﴾ أَتَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِءَ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِينَ ﴿٥٨﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ  
 بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَايَةِ  
 رَبِّهِمْ يَوْمِنُونَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ  
 وَجِلَةٌ أَهْمَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٣﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦٤﴾  
 وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ  
 قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

{ فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ } فنفروا وتخاصموا وتخالفوا في أمرهم وفيما بينهم وفي  
 دينهم { زُبُرًا } شيعاً وأحزاباً وفرقاً وجماعات { كُلُّ حِزْبٍ } كل حزب من الأحزاب  
 { بِمَا لَدَيْهِمْ } من عقيدتهم ومذهبهم وتعليماتهم وقوانينهم { فَرِحُونَ } مرتاحون  
 ومسرورون وراضون بأنهم هم الوحيدون على حق وعلى صواب وغيرهم على باطل  
 وذلك ظنهم { فَذَرَهُمْ } فدعهم يا محمد يا رسول الله { فِي عَمَرَتِهِمْ } في ضلالهم وفي  
 غفلتهم وغيرهم وعماهم وشهوتهم { حَتَّىٰ حِينٍ } حتى حين وقت ظهور الحق إما في  
 الدنيا وإما في الآخرة بعد الموت يوم المحشر عند الحساب والعذاب { أَتَحْسَبُونَ }  
 هل يظنون ويعتقدون { أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِءَ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِينَ } أن إغداق المال والأولاد  
 عليهم { نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ } هو مسارعة للخير لهم بل هو استدراج لهم حتى  
 يزدادوا في الكفر والمعاصي والذنوب والمحرمات { بَلْ لَا يَشْعُرُونَ } ولكن لا يشعرون  
 أنه استدراج وعذاب لهم في الدنيا ويوم القيامة يكونون حسرة عليهم يوم لا ينفع  
 الندم { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ } إن الذين يخافون ربهم ويخافون عذابه يوم

القيامة {مُشْفِقُونَ} وجلون وخائفون من عذابه يوم القيامة ويتحاشون عقابه {وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} والمؤمنون بالقرآن {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ} والذين لا يشركون بالله غيره ولا أحداً سواه من الأصنام والأوثان والأنداد كما فعلت اليهود وقالوا العزيز ابن الله والمسيحيون يقولون عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة أو كفار قريش الذين قالوا الملائكة بنات الله {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} والذين يقدمون الأعمال الصالحات من البر والخير والطاعات والصدقات في مرضاة الله تعالى {وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} وقلوبهم ترتجف خوفاً من عدم تقبل الله تعالى لأعمالهم الصالحات {أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} وهم يعلمون أنهم إلى ربهم راجعون للحساب يوم القيامة وسيحشرون للحساب والجزاء. قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله " وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ " هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: (لا يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٨]. {أُولَئِكَ} هؤلاء الذين يقدمون الخيرات والطاعات في مرضاة الله تعالى وهم يخافون الله تعالى {يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} فأولئك يستعجلون في أعمال الخير ويتسابقون فيها {وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} وهم أهلها وهذه هي أعمالهم في استباق الخير وفي الآخرة سابقون إلى الجنة بأعمالهم هذه {وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا} ولا نحمل نفساً {إِلَّا وُسْعَهَا} إلا على قدر طاقتها واستطاعتها {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ} وعند الله تعالى (كتاب) وهو كتاب الحفظة الذين يحصون أعمال المرء (ينطق بالحق) أي كل ما فيه حق وصدق لأن كل ما ينطق به المرء من قول أو من فعل فالحفظة



تسجله عليه بالصوت والصورة ولا تزيد ولا تنقص منه شيئاً فما فيه حق وصدق وحقيقة وكما قال تعالى: " وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف. وكما قال تعالى: " كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ \* كِتَابٌ مَرْقُومٌ \* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ " ١٨-٢٠ المطففين. {وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ} وهم لا يظلمون سيئة اقترفوها ولا حسنة عملوها {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ} لكن قلوب الكفار في غفلة وعمى {مِنْ هَذَا} من هذا اليوم وهو يوم القيامة الذين يحاسبون فيه على جميع أعمالهم في الدنيا إن كانت خيراً فلهم الجنة وإن كانت شراً أو كفراً ومعصيةً فلهم النار {وَهُمْ أَعْمَلُ} مَنْ دُونَ ذَلِكَ} وهؤلاء الكفار والمشركون لهم أعمال غير ذلك الإيمان الذي يتصف به أولئك الذين هم من خشية ربهم مشفقون فأعمالهم هي على خلاف ذلك بالمعاصي والكفر والطغيان ومعصية الرسول وعبادة الأصنام والأوثان {هُمْ لَهَا عَمَلُونَ} هم عليها مستمرون وعابدون ودائمون.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ تَجْرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴿٧١﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

{ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا } حتى إذا أخذ الله تعالى { مُتْرَفِيهِمْ } أغنياءهم وكبراءهم وساداتهم { بِالْعَذَابِ } بالعقاب { إِذَا هُمْ تَجْرُونَ } إذا هم يصرخون ويستغيثون بسبب نزول العذاب عليهم بالصواعق والزلازل والخسف والحروب هذا في الدنيا ويوم القيامة يصرخون ويستغيثون من عذاب النار { لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ } لا تصرخوا ولا تستغيثوا اليوم بعد نزول العذاب عليكم في الدنيا بالزلازل والحروب والأسر ويوم القيامة من عذاب النار { إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ } إنكم من عذابنا لا تنقذون ولا أحد يستطيع نصركم ولا إنقاذكم من عذاب الله تعالى { قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ } لقد كانت آيات القرآن تقرأ عليكم وعلى أسماعكم { فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ } فقد كنتم على أذباركم { تَنْكِصُونَ } ترجعون وتولون وتبعدون وتعرضون عن طاعة الله ورسوله { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ } مستكبرين بغيروركم وجحودكم وإنكاركم وتكذيبكم بالقرآن { سَمِرًا } مناجاةً وحديثاً ولهواً ولعباً { تَهْجُرُونَ } تذهبون وتبعدون عن

سماع القرآن واتباع الرسول وطاعة الله تعالى أي تتركون القرآن وتذهبون إلى لهوكم ولعبكم وسمركم استكباراً وغروراً وعلواً وكما قال تعالى: " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ " ١٤ النمل. {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} أفلم يتدبر ويتعظ الكفار بقول القرآن والرسول عليه السلام {أَمْ جَاءَهُمْ} أم جاءهم من الرسالة وهو الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} ما لم يأتي أجدادهم من الرسل والكتب السماوية {أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ} أولم يعرفوا رسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وأمانته في كتابهم التوراة والإنجيل {فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} فهم له جاحدون ومنكرون ومكذبون. وقال ابن جرير: حدثنا المثني حدثنا عثمان بن عمرو حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي اسمك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويفتح به قلوباً غلفاً وآذاناً صماً وأعيناً عمياً " قال عطاء: ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً إلا أن كعباً قال بلغته قال: " قلوباً غلوفياً وآذاناً صمومياً وأعيناً عمومياً ". [وقد رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي فذكر بإسناده نحوه وزاد بعد قوله: " ليس بفظ ولا غليظ ": " ولا صحاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح " - ابن كثير ج ٢ ص ٢٥٣]. {أَمْ يَقُولُونَ} أم يقولون ويدعون أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم {بِهِ جِنَّةٌ} أي به جنون

وهذا يدل على أن أهل الجاهلية يعلمون بأن الجن تمس بني آدم فيصبح مجنوناً من مس الجن وقد أكد الله تعالى مس الشيطان للإنسان وهو الذي يتولد عنه الجنون كما قال تعالى: " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ " ٢٧٥ البقرة. فهم يدعون أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أصبح مجنوناً لأنه أخبرهم بأنه رسول الله تعالى إليهم {بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ} قال تعالى لم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مجنوناً بل أتاهم بالرسالة بالحق والصدق وبالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه {وَأَكْثَرُهُمْ} وأغلبهم {لِلْحَقِّ} للقرآن ولرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق والصدق {كَبِرْهُونَ} فالكفار كارهون وغاضبون أن يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو من أرسل إليهم {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ} ولو اتبع القرآن الكريم في نزوله عليهم {أَهْوَاءَهُمْ} شهواتهم ورغباتهم {لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ} أما إفساد السموات فهو مثلاً بأن يطلبوا أن تطلع الشمس في الليل بدلاً من النهار ولطلبوا أن يكونوا هم أهل السموات ولذلك لفسدت السموات بكفرهم وإشراكهم وظلمهم وإفسادهم {وَالْأَرْضُ} كذلك لطلبوا رسلاً ملائكة أو تأتي الرسل بما تهوى قلوبهم ورغباتهم وملذاتهم ونزواتهم وأن لا يحرم عليهم الزنا والفاحشة وشرب الخمر والمسكرات وإلى ما غير ذلك من الاغتصاب والسلب والنهب {وَمَنْ فِيهِنَّ} ومن يسكن فيهن من المخلوقات لأنه يسود رغباتهم الظلم والجور {بَلْ أَتَيْنَهُمْ} ولكن جنناهم {بِذِكْرِهِمْ} بقرآنهم وما فيه من الهدى وإصلاحهم وتقواهم {فَهَمَّ عَنْ ذِكْرِهِمْ} فهم عن قرآنهم {مُعْرِضُونَ} مكذبون وجاحدون وناكرون ومبتعدون وهاجرون له وعنه مؤلون {أَمْ تَسْأَلُهُمْ} أم هل تسألهم يا محمد يا رسول الله

{خَرْجًا} أجراً فهم لذلك خائفون من دفع الأجرة والضريبة لك ولذلك لا يؤمنون  
{فَخَرَّاجٌ رَبِّكَ خَيْرٌ} فأجر ربك وثوابه يا محمد يا رسول الله هو خير وأفضل لك  
يوم القيامة {وَهُوَ خَيْرٌ} وهو أفضل وأحسن {الرَّزِقِينَ} الذي يرزق ويهب ولا  
ينتظر عطاءً ولا يخشى الفقر ولا الإنفاق وهو يرزق العاصي والطائع والمتقي  
والمحارب لله ولرسوله وهذا هو عدله في الدنيا لا يحرم عاصياً ولا طائعاً من رزقه  
ولذلك هو خير وأفضل الرازقين.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٧٢) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ  
الصِّرَاطِ لَنَكِبُونَ ﴿٧٤﴾

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٧٥) وَلَقَدْ  
أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم  
بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ  
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ  
تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ  
﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا  
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا لَئِن وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ  
الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ  
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾  
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾

{وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ} وإنك يا محمد يا رسول الله لتدلهم {إِلَى صِرَاطٍ} إلى طريق  
{مُسْتَقِيمٍ} لا اعوجاج فيه وهو الإسلام {وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} وإن الذين لا  
يصدقون ولا يوقنون {بِالْآخِرَةِ} بيوم القيامة من بعث ونشور وحساب وجنة ونار  
{عَنِ الصِّرَاطِ} عن الطريق المستقيم {لَنَكِبُونَ} لمنحرفون وتائهون وجاحدون  
ومنكرون ومكذبون {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ} ولو عفونا عنهم وهم كفار قريش ولم نعذبهم  
{وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ} ورفعنا ما بهم من أذى ومصائب وعذاب {لَلْجُودِ}  
لعادوا واستمروا {فِي طُغْيَانِهِمْ} في كفرهم وظلمهم ومعاصيهم {يَعْمَهُونَ} يتخبطون

ويستمرون {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ} ولقد سلط الله تعالى عليهم العذاب {فَمَا  
 أَسْتَكَاثُوا لِلرَّيْبِ} فما رجعوا إلى ربهم وما تركوا غيهم وضلالهم وكفرهم وعنادهم فما  
 ضعفوا وما وهنوا {وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} ولا يسألون الله تعالى برفع العذاب عنهم ولم  
 يسألوه الرحمة بهم بل استمروا في كفرهم وعنادهم {حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا  
 عَذَابٍ} حتى إذا سلط الله تعالى عليهم نوعاً من أنواع العذاب {شَدِيدٍ} قوي  
 وأليم وصعب {إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} إذا هم فيه متحيرون يتخبطون آيسون من  
 النجاة ولا نجاة لهم {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه  
 {الَّذِي أُنشَأَ لَكُمْ} الذي خلق وجعل لكم {السَّمْعَ} الآذان التي تسمع مختلف  
 الأصوات والحركات {وَالْأَبْصَارَ} والأبصار التي تنظر وتشاهد ما في الكون وهي  
 العينان التي يرى بهما {وَالْأَفْعَادَةَ} والقلوب خلقها الله تعالى ليعقل بها الناس  
 {قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} وقليلاً ما تشكرون الله تعالى على أنعمه وعلى فضله وعلى  
 كرمه وليس الشكر باللسان فقط بل يجب أن يتبعه الأعمال الصالحة من الطاعات  
 والعبادات وأداء الفرائض وترك المحرمات {وَهُوَ} وهو الله تعالى عز وجل {الَّذِي  
 ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ} وهو الذي خلقكم وجعلكم في الأرض تتوارثونها ذرية بعد ذرية  
 وجيلاً بعد جيل من أولاد آدم وبنات حواء {وَالِيَهُ تُحْشَرُونَ} وإليه ترجعون أحياءً  
 بعد موتكم يوم القيامة للحساب {وَهُوَ} وهو الله تعالى {الَّذِي يُحْيِي} الذي يحيي  
 الأحياء من العدم ويخرجهم من بطون أمهاتهم أحياءً ويحييهم ثانية يوم القيامة  
 {وَيُمِيتُ} ويميت جميع أهل الكون في الدنيا وفي يوم القيامة بما فيهم جميع  
 الملائكة وبما فيهم ملك الموت {وَلَهُ أَخْتَلَفُ} تبادل {الَّيْلِ وَالنَّهَارِ} أي تعاقب

الليل والنهار فالليل بغروب الشمس والنهار بطلوها {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أفلا تفهمون وتدركون وتتعضون {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ} ولكنهم قالوا مثل من سبقهم من السابقين الذين كذبوا ووجدوا وأنكروا البعث وأنكروا يوم القيامة {قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا} قال الكفار هل إذا متنا في الدنيا {وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا} وأصبحنا رميماً ومثل التراب وعظاماً نخرة ومكسرة ومفتتة {أَءِذَا لَمَبَعُوثُونَ} فهل نحيا من جديد ونبعث يوم القيامة أي يستنكرون ذلك {لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ} لقد وعدنا محمد بهذا البعث وقد سبقه الرسل السابقون ووعدوا آباءنا وأجدادنا بذلك البعث من قبل محمد {إِنَّ هَذَا} ما هذا الادعاء والقول من محمد {إِلَّا أَسْطِيرٌ} إلا خرافات وقصص {الْأَوَّلِينَ} السابقين من الأمم السابقة {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا} إذا لمن يعود ملك هذه الأرض وخلقها وما فيها من جبال وسهول وبحار وأنهار وإنس وجان وحيوان وماء وتراب وأشجار {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} إن كان عندكم علم عن خلق الأرض أو كان عندكم علم عن كذب البعث والنشور يوم القيامة {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} سيجيبون وهم صاغرون ويقولون إنما يرجع خلق الأرض وما فيها لله وحده لا شريك له {قُلْ} أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} قل لهم يا محمد يا رسول الله أفلا تتعضون بذلك وتعبدون الله وحده {قُلْ} وقل لهم يا محمد يا رسول الله {مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} وقل لهم يا محمد يا رسول الله من رب وخالق وإله ومالك السموات السبع الطباق ومن رب العرش العظيم الذي لا يعلمه ولا يقدره إلا الله تعالى {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} سيجيبون بلا تردد أن الذي خلقها ويملكها هو الله تعالى



جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَفَلَا تَتَّقُونَ} أفلا تعبدون الله وتطيعونه وتخشونه وتخافون عذابه يوم القيامة.

﴿قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ تَحْضُرُونَ ﴿٩٨﴾﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {مَنْ بِيَدِهِ} من يملك {مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} ملك كل شيء في الكون {وَهُوَ يُجِيرُ} وهو يستطيع أن يحمي ويحفظ وينصر غيره {وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ} ولا يُعتدى عليه ولا يطلب إجارة أو مساعدة أو نصرة أحد له فلا عين تراه ولا يد تصل إليه وكذلك لا يستطيع أحد إجارة وحماية من يرد الله تعالى أن يهلكه {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} إن كنتم تحيطون علماً بأن أحداً غيره من الأصنام والأوثان يملك ذلك أو يستطيعه {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} سيجيبونك بأن الله تعالى بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله ما دام اعترفتكم بأن الله تعالى هو خالق الكون وهو مالكة وهو القادر على كل شيء {فَأَنِّي تُسْحَرُونَ} فمتى يصيبكم سحر محمد رسول الله حتى يجبركم على

اعترافكم هذا وتقولون عنه أنه ساحر ويجبر الناس على اتباعه بالسحر وتصديقه أي هذا اعترافكم أيها الكفار لا يوجد به سحر لكم بل هو حقيقة أن الله تعالى هو خالق كل شيء وهو يحيي ويميت وستحشرون إليه يوم القيامة للحساب على أعمالكم فمن أطاع له الجنة ومن عصى وأنكر له نار جهنم {بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ} بل جنناهم وأرسلنا إليهم وبعثنا إليهم محمداً رسول الله بالقرآن وبالهدى وبالحق وبالصدق {وَأَنَّهُمْ} وإن الكفار {لَكَذِبُونَ} وإنهم لكاذبون في جحودهم وإنكارهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكاذبون في تكذيب القرآن وفي البعث يوم القيامة وكما قال تعالى: " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ " ١٤ النمل. {مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ} لم يتخذ الله له من ولد ولم يلد ولم يولد {وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} وما كان معه في الكون شريك في ملكه وفي كونه من الآلهة كما قال تعالى: " وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا " ١١١ الإسراء. {إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ} فلو كان أحد شريكاً لله في ملكه لذهب وانصرف كل إله من الآلهة بما خلق من الأشياء وأخذها لنفسه {وَلَعَلَّا} ولانتصر {بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} لغلب الأقوى من الآلهة الأضعف واستحوذ على الألوهية لنفسه {سُبْحَانَ اللَّهِ} تنزه الله تعالى وتقدس وارتفع {عَمَّا يَصِفُونَ} عما يقولون ويتخرصون {عَلِمِ الْغَيْبِ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يعلم الغيب وهو كل ما غاب عنك علمه فهو عالم الأزل وما يكون وما هو كائن يوم القيامة {وَالشَّهَادَةِ} وهو عالم الدنيا وما فيها من العالم المنظور والمعلوم والمشهود {فَتَعَالَى} فارتفع وجل وعظم {عَمَّا يُشْرِكُونَ} عما يجعلون له من شركاء في

ملكه من الأصنام والأوثان {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {رَبِّ} إلهي وخالقي  
{إِذَا تَرَيْتَنِي مَا يُوعَدُونَ} إذا جعلتني أرى وأشهد ما يوعدون من العذاب في  
الدنيا {رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} ربي فلا تجعلني أهلك مع القوم  
الظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي والإلحاد والإنكار والجحود والتكذيب  
بك وبرسولك وباليوم الآخر {وَأِنَّا} الجمع هنا للتبجيل لله تعالى على قدرته  
وحكمته {عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِرُونَ} على أن نجعلك يا محمد يا رسول  
الله ترى بعينيك وتشاهد ما نعدهم من العذاب لقادرون على ذلك ونستطيع ذلك  
{أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ} أي ادفع الإساءة بالحسنة كما قال تعالى: " وَلَا  
تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ  
كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " ٣٤ فصلت. {لَنَحْنُ أَعْلَمُ} الجمع هنا لتبجيل وتعظيم الله تعالى  
فهو أعلم وأدرى {بِمَا يَصِفُونَ} بما يقولون وبما يُحَدِّثُونَ من الشرك والكفر  
والولد لله تعالى {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ} وقل يا محمد يا رسول الله ربي أستجير بك  
{مِنَ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ} وهي وخزه والجنون. وعن أبي سعيد مرفوعاً عند الخمسة  
وفيه: وكان يقول [أي النبي صلى الله عليه وسلم] بعد التكبير: (أعوذ بالله  
السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه [الجنون] ونفخه [الكبر] ونفثه  
[الشعر]). [سبل السلام ج ١ ص ١٦٦]. والاستعاذة من الشيطان بالله تعالى لأنه لا  
يقدر عليه الإنسان إلا بإعانة ومساعدة الله تعالى والاستجارة به {وَأَعُوذُ بِكَ}  
وأستجير بك {رَبِّ} ربي وإلهي وخالقي ومعبودي {أَنْ تَحْضُرُونِ} أن يحضر  
الشياطين عندي وفي مجلسي وفي أكلي وشربي وملبسي ونومي وحضوري وسفري  
وجماعي لزوجتي وفي كل أحوالي. وروى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من الهدم ومن الغرق وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت). وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع: (بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون). قال فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٥، ٢٥٤].

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٣﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٨﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٩﴾ قَالَ أَخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴿٢٠﴾ ﴾

{ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ } حتى إذا حضر الموت إلى أحدهم وانتهى أجله { قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ } قال الكافر - لما رأى العذاب ورأى جهنم - ربي وإلهي وخالقي أرجعوني إلى الدنيا ثانية { لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا } عسى أن أعمل من الأعمال الصالحة أي أنه لم يؤكد صلاح عمله لو أعيد إلى الدنيا ثانية بقوله لعلي

أعمل صالحاً {فِيمَا تَرَكْتُ} فيما أهملت وقصرت حتى خربت دنياي بالمعاصي والشرك والكفر {كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا} لا بل إنها كلمة عابرة يريد أن يتخلص من سوء عمله في الدنيا ويظهر التوبة والندم ولكنه يكذب ويؤكد كذبه بقوله " لَعَلِّي أَعْمَلُ " ولو رجع لعاد إلى الفسق والفجور والكفر {وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ} ومن ورائهم بعد الموت يوجد حاجز وهو ما بين الدنيا وقيام القيامة ففي فترة الموت حتى قيام الساعة يسمى هذا الوقت برزخاً وهو وسط ما بين الدنيا وبين الآخرة أي يوم القيامة وهي فترة الموت والتي يعذب فيها العصاة والكفار حتى تقوم القيامة {إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ} أي في هذا البرزخ بعد الموت يمكث ميتاً إلى يوم القيامة {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ} وهي النفخة الثالثة والأخيرة للبعث والنشور وهي التي ينفخ فيها إسرافيل عليه السلام في البوق وهو الصور الذي يأمره الله تعالى بالنفخ فيه وقبلها نفختان في الصور من قبل إسرافيل عليه السلام الأولى للفرع والثانية للصعق والموت وهذه الثالثة الأخيرة للنشور والبعث والقيام في المحشر للحساب {فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ} فلا مصاهرة تنفع فيما بينهم {يَوْمَئِذٍ} يعني في يوم القيامة {وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} لأن السؤال لا ينفعهم إذا أجابوا بالنفي أو الإثبات فيما عملوا بل في هذا اليوم يحاسبوا على أعمالهم {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} فمن ثقلت في الميزان الذي ينصبه الله تعالى لخلقه حسناته {فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} فأولئك هم الفائزون فهم أولياء الله تعالى فيدخلون الجنة فائزين برضوان الله تعالى وبالجنة {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} ومن خفت وطاشت في الميزان أعمال الخير والصالحات عنده وهو الكافر ورجحت عنده كفة الذنوب والمعاصي وأعمال الشر والكفر والشرك {فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ} فأولئك هم شرار الناس قد خسروا أنفسهم

بتعذيبها وهلاكها { فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ } ومصيرهم التخليد في نار جهنم { تَلْفَحُ  
وُجُوهُهُمْ النَّارُ } تحرق وتشوي وجوههم نار جهنم { وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ } وهؤلاء  
الكفار في نار جهنم متغيرو الوجوه والأجساد من شدة حرق نار جهنم لهم وتَسْوَد  
وجوههم وأجسادهم { أَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ } فيؤبَّخون ويُقال لهم أفلم تكن  
آياتي من القرآن تُقرأ عليكم وعلى أسماعكم من قبل رسولي محمد صلى الله عليه  
وسلم { فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ } ولكنكم جحدتم بالقرآن وكذبتم وأنكرتم { قَالُوا رَبَّنَا  
غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا } قال الكفار نادمين ربنا وإلهنا وخالقنا لقد غلبت علينا  
شقاوتنا وأعمالنا السيئة في الدنيا { وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ } وكنا قوماً تائهين عن  
اتباع الحق وتصديق الرسول والقرآن وندمنا على ما فعلنا { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا } ربنا  
أخرجنا من نار جهنم ومن عذابها { فَإِنَّ عَذَابَنَا } فإن عدنا للكفر والشرك والمعاصي  
والذنوب في الدنيا { فَإِنَّا ظَالِمُونَ } فإننا عندها نكون قد ظلمنا أنفسنا ونستحق  
العذاب { قَالَ } قال الله تعالى رداً عليهم { آخَسَعُوا فِيهَا } ابقوا ذليلين مُحَقَّرِينَ فأنتم  
في جهنم باقون { وَلَا تُكَلِّمُونَ } واخرسوا ولا تتكلمون.

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ فَأَخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٧﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَعَلَ الْعَادِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴿

{ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي } يقول الله تعالى للكفار عند دخولهم جهنم موبخاً لهم قائلاً إنه كان في الدنيا مجموعة من عبادي المؤمنين { يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا } يقولون في الدنيا ربنا وإلهنا وخالقنا صدقنا وآمنا بك وبملائكتك وكتبك ورسلك واليوم الآخر { فَأَغْفِرْ لَنَا } فاغفر لنا ذنوبنا الماضية والسابقة فقد تبنا { وَارْحَمْنَا } أي لا تعذبنا وارحمنا يوم القيامة وأدخلنا الجنة { وَأَنْتَ خَيْرُ } وأنت أفضل { الرَّاحِمِينَ } من يرحم عباده ولا يعذبهم لأنك لا تطلب مقابل ذلك أجراً ولا ينقص من ملكك شيء برحمتنا وعدم عذابنا { فَأَخَذْتُمُوهُمْ } فاتخذتم أيها الكفار عبادي المؤمنين هؤلاء { سِخْرِيًّا } مجالاً للسخرية استهزاءً بهم وضحكاً منهم { حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي } حتى نسيتم ذكر مقامي وجلالي وعذابي { وَكُنْتُمْ } أيها الكفار { مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ } من المؤمنين تضحكون وتستهزئون { إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ } انظروا إني كافأتهم اليوم بالجنة { بِمَا صَبَرُوا } بما صبروا وجالدوا وتحملوا وابتعدوا عن المعاصي وعن الكفر وعن إيذائكم لهم { أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ } جزاء هؤلاء المؤمنين أنهم هم الذين فازوا اليوم بالجنة ونعيمها الدائم وأنتم خسرتم أنفسكم بمعاصيكم وكفركم واستهزائكم منهم { قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ

سِنِينَ} قال الله تعالى للكفار كم مكثتم في الأرض وفي الدنيا من السنين {قَالُوا} قال الكفار {لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} مكثنا يوماً أو جزءاً من اليوم دليلاً على حقارتها وخستها وقلة أيامها لأنها تمر مر السحاب {فَسَعَلَ الْعَادِينَ} أسأل الذين يحسبون الأيام ويعدون الأيام والأشهر والسنين من أهل الحساب {قَالَ} قال الله تعالى {إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} إن لبئتم فعلاً إلا قليلاً في الدنيا الفانية والزائلة لو أنكم كنتم تعلمون وتدررون حقارتها وزوالها وقلة نعيمها بالنسبة للآخرة.

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١٣٥﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٣٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

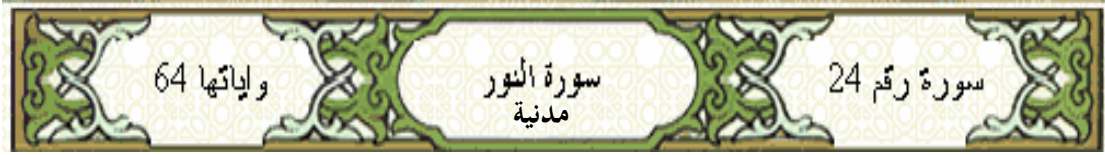
{أَفَحَسِبْتُمْ} هل ظننتم واعتقدتم أيها الناس جميعاً {أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} أنما خلقكم الله تعالى لهواً ولعباً {وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ} وأنكم لا تعودون أحياء يوم البعث والنشور للحساب يوم القيامة {فَتَعَلَى اللَّهِ} تعالى وتقدس وجل وتنزه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْمَلِكُ} فهو مالك الملوك والملك ليوم القيامة {الْحَقُّ} الصدق والجد ليس بالهزل {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله ولا معبود سوى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {رَبُّ الْعَرْشِ} هو الله تعالى رب العرش {الْكَرِيمِ} العظيم والجليل والبهيم والجميل والله تعالى هو الكريم على خلقه بالرزق وعلى المؤمنين كريم في إدخالهم الجنة يوم القيامة {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} ومن يشرك بالله ويعبد غيره من الأصنام والأوثان والأنداد



{لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ} لا حجة ولا دليل على صحة دعواه بعبادة غير الله {فَإِنَّمَا حِسَابُهُ رُءُوسًا} وإنما عقابه وعذابه {عِنْدَ رَبِّهِ} عند لقاء ربه يوم القيامة في المحشر {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} إنه لا يفوز الكفار يوم القيامة بل يعذبون في نار جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين {وَقُلْ} وقل يا محمد يا رسول الله {رَبِّ} إلهي وخالقي ومعبودي ورببي ورب الكون كله {أَغْفِرْ} اغفر لمن تاب {وَأَرْحَمْ} وارحم ولا تعذب من أطاع وندم عن فعل المعاصي {وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} وأنت أفضل من يرحم عباده المؤمنين التائبين لأنك لا تريد ولا تحتاج منفعة منهم ولا تخشى لوماً ولا ينقص من ملكك شيء برحمتك لهم. قال ابن أبي حاتم: ثنا يحيى ابن نصير الخولاني ثنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي هبيرة عن حسن ابن عبد الله أن رجلاً مصاباً مرَّ به عبد الله بن مسعود فقراً في أذنه هذه الآية: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ \* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ" حتى ختم السورة فبرأ فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بماذا قرأت في أذنه؟) فأخبره فقال له إنها إذا قرئت في أذنه أحرقت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٩]. وروى أبو نعيم من طريق خالد بن نزار عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" قال: فقرأناها فغنمنا وسلمنا. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٩].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس ابن سليم قال أملى عليّ يونس بن يزيد الأيلي عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن ابن عبد

القاري قال سمعت عمر بن الخطاب يقول كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يُسمع عند وجهه كَدَوِيّ النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: (اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا - ثم قال - لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة) ثم قرأ: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " حتى ختم العشر. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٧]. وقال النسائي في تفسيره: أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر عن أبي عمران عن يزيد بن بابنوس قال قلنا لعائشة أم المؤمنين كيف كان خُلِقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: كان خُلِقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فقرأت: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - حتى انتهت إلى - وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ " قالت: هكذا كان خُلِقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٧].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ  
وَالزَّانِي فَاجْتَدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ  
كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا  
يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ  
ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا  
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

{سُورَةٌ} أي مجموعة من الآيات تتكون منها سورة القرآن تبدأ بالبسملة وتنتهي بالبسملة للسورة التالية وهذه السورة هي سورة النور {أَنْزَلْنَاهَا} أنزلها الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد نزولها مع القرآن الكريم كاملاً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ومن ثم نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك نزل القرآن الكريم منجماً حسب الأحداث على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى يسهل علمه في العقول والقلوب. وبيت العزة هو مسجد في السماء الدنيا فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: (ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم) يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك ذاك البيت المعمور

هو كعبة أهل السماء السابعة ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور لأنه باني الكعبة الأرضية والجزء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٩]. وقال قتادة والربيع ابن أنس والسدي: ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه: (هل تدرون ما البيت المعمور؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٩]. {وَفَرَضْنَاهَا} أي فرضنا وجعلنا حكمها أنه يجب أن تنفذ الحدود فيها والأخذ والعمل بها فمن عمل بها فاز ونجا وحصل له الثواب ومن تركها وأعرض عنها هلك وغوى وحق عليه العقاب {وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} وأنزل الله تعالى في سورة النور هذه آيات بينات وواضحات ومفصلات ومفسرات {لَعَلَّكُمْ} لعلكم أيها الناس {تَذَكَّرُونَ} تتعظون بها وتنفذون أحكامها {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي} وهو الذي يأتي المرأة من حرام أو المرأة تأتي الرجل من حرام وهو الجماع بين الطرفين بغير عقد صحيح ومن حرام وقدّم الله تعالى الزانية على الزاني لأنه لا يتم إلا برضاها {فَأَجْلِدُوا} فاضربوا {كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا} كل واحد من الرجل والمرأة {مِائَةَ جَلْدَةٍ} على أن يكون عدد ضرب الزاني والزانية البكر لكل منهما مائة جلدة {وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} أي لا تمتنعوا عن جلدهما رافة بهم بادعاء جماعة الرفق بالإنسان أو الادعاء بالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان وتعطيل حدود وحكم الله تعالى " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " وكما قال تعالى: " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي

الألباب " ١٧٩ البقرة. {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} إن كنتم تصدقون بالله وحكمه وأوامره وبيوم القيامة والحساب فيه {وَلَيْشَهَدَ عَذَابُهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} وليشاهد عذابهما ويحضره جماعة من المؤمنين حتى يعتبروا ويتعظ بهما الناس وزيادة في العذاب والفضيحة لهما حتى يعتبر غيرهما. وعن أبي هريرة رضي الله عنه وزيد بن خالد الجهني أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله تعالى فقال الآخر وهو أفتقه منه نعم ، فاقض بيننا بكتاب الله واذن لي فقال: (قل) قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أن ما على ابني جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: الوليدة والغنم ردُّ عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها). [متفق عليه وهذا اللفظ لمسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٣]. والحديث أورده ابن كثير في تفسيره بقوله: (ما ثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال أحدهما: يا رسول الله إن ابني هذا كان عسيفاً - يعني أجيراً - على هذا فزنا بامرأته فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وإن على امرأة هذا: الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى الوليدة والغنم ردُّ عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام. واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا فإن اعترفت

فارجمها) فغدا عليها فاعترفت فرجمها). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٠]. وقال الإمام مالك: حدثني محمد بن شهاب أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل: لا نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال ومن النساء إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف. [أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك مطولاً - ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٠]. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا أبو عون عن محمد هو ابن سيرين قال ابن عمر نُبِّئْتُ عن كثير بن الصلت قال كنا عند مروان وفينا زيد فقال زيد بن ثابت كنا نقرأ: " والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة " قال مروان ألا كتبتها في المصحف؟ قال ذكرنا ذلك وفينا عمر بن الخطاب فقال أنا أشفيكم من ذلك قال قلنا فكيف؟ قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكر كذا وكذا وذكر الرجم فأتاه فذكر ذلك الرجل الرجم فقال يا رسول الله اكتب لي آية الرجم قال: (لا أستطيع الآن). هذا أو نحو ذلك. وقد رواه النسائي من حديث محمد بن المثني عن غندر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن كثير بن الصلت عن زيد بن ثابت به، وهذه طرق كلها متعددة ومتعاضدة ودالة على أن آية الرجم كانت مكتوبة فنسخ تلاوتها وبقي حكمها معمولاً به والله أعلم. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٦١]. وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن الأربعة ومسلم من حديث قتادة عن الحسن بن عطاء ابن

عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٦١]. {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً} الزاني الذي يأتي المرأة في حرام وبدون عقد صحيح لا توافقه على ذلك المرأة إلا إذا كانت زانية ومومساً وهذه طبيعتها أو إن لم تكن زانية وهذا سبيلها تكون مشركة وكافرة بالله تعالى {وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} وكذلك الزانية لا يأتيها الرجل في حرام بالجماع إلا ويكون هو زان ودائماً ما يزني في نساء كثير بالحرام وهذا دأبه أو يكون مشركاً وكافراً {وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} وحرمة الزنا على المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسوله وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ} والذين يقذفون ويتهمون {الْمُحْصَنَاتِ} العفيفات والشريقات والمحافظات على فروجهن من النساء من الزنا والحرام {ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} ولم يتمكنوا من إحضار أربعة شهداء على واقعة الزنا {فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} فاضربوهم واجلدوهم عند عدم إحضار أربعة شهداء على واقعة الزنا التي ادعوها عدد ثمانين جلدة عقاباً لهم على كذبهم وافتراءهم على أعراض المؤمنات زوراً وبهتاناً وكذلك الذين شهدوا بالحق لكنهم لم يتمكنوا من إحضار الدليل والشهود الأربع وذلك حتى يرتدع غيرهم ويتعظ بهم ولا يلوك بلسانه أعراض الناس وذلك سترًا وحفاظاً على أعراض المسلمين من التجريح وحتى لا تشيع الفاحشة بينهم. أورد الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه السلام من تاريخه عن طريق الحسن بن سفيان عن صفوان بن صالح عن الوليد ابن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس قصة مطولة

ملخصها: أن امرأة حسناء في زمان بني إسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم فامتنعت على كل منهم فانفقوا فيما بينهم عليها فشهدوا عليها عند داود عليه السلام أنها مكنت من نفسها كلباً لها قد عودته ذلك منها فأمر بوجدها فلما كان عشية ذلك اليوم جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فانصب حاكماً وتزيا أربعة منهم بزي أولئك وآخر بزي المرأة وشهدوا عليها بأنها مكنت من نفسها كلباً فقال سليمان فرقوا بينهم فسأل أولهم ما كان لون الكلب فقال أسود فعزله واستدعى الآخر فسأله عن لونه فقال أحمر وقال الآخر أغبش وقال الآخر أبيض فأمر عند ذلك بقتلهم فحكى ذلك لداود عليه السلام فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب فاختلّفوا عليه فأمر بقتلهم. [ابن كثير ج ٣ ص ١٨٧]. {وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا} ولا تقبل شهادتهم لا في قضاء ولا في محاكم ولا في أي مكان عند المسلمين عقاباً لهم على كذبهم وادعائهم {وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} هؤلاء هم المعلنون بالمعصية وأولئك هم الخارجون عن حدود الله وشرعه بادعائهم وكذبهم لأن تلك الشهادة بها رجم للمحصنة أو المحصن لو ثبتت التهمة عليهما وهذا يوجد به إزهاق للنفس بهتاناً وكذباً وإشاعة الفاحشة بين المسلمين وتشتيت الأسر وتفريق القبائل والعائلات ولذلك هذه الأعراض لا بد من تقنين لها فجعل الله تعالى إثباتها بأربعة شهداء حتى يستحيل إثباتها {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا} إلا من تاب من هؤلاء الأعداء والذين لم يتمكنوا من أن يأتوا بأربعة شهداء لإثبات واقعة الزنا فإن تابوا عن القذف ورمي المحصنات الغافلات واتهامهم بالزنا بدون بينة وأصلحوا دينهم وشهاداتهم بقول الحق والصدق في كلامهم {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} فإن الله تعالى يغفر لهم ما سلف من القذف والكذب



والإتهام {رَحِيمٌ} رحيم بهم فلا يعذبهم ويأمر بتقبل شهادتهم وقولهم بعد توبتهم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له). [تنبيه الغافلين ص ٤١]. وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون). [أخرجه الترمذي وابن ماجه وسنده قوي - سبل السلام ج ٤ ص ١٨٠]. وهذا عمر ابن الخطاب قد وأد ابنته حية وهي صغيرة زيادة على شركه ولكنه بعد توبته قبلت توبته وكذلك قبلت شهادته وكما قال تعالى: "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ" ١١٤ هود. وقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً" ٥٣ الزمر. وقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" ٤٨ النساء. وهذا هو رأيي في دليل قبول الشهادة بعد التوبة والله أعلم.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ} والذين يقذفون ويتهمون بالزنا {أَزْوَاجَهُمْ} زوجاتهم {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ} ولم يكن معهم شهداء أربع إلا أنفسهم فقط {فَشَهَدَتْ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} فتكفي شهادة الزوج على الزوجة أن يقسم بالله ويشهد أربع شهادات كل شهادة منها بدلاً من شاهد أنه لمن الصادقين في ادعائه على زوجته بأنها زنت {وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ

مِنَ الْكٰذِبِيْنَ} والشهادة الخامسة هي أن يقول لعنة الله عليه إن كان كاذباً ومن الكاذبين في اتهامه لزوجته وقذفها بالزنا {وَيَدْرُؤُا} ويدفع ويمنع ويرفع {عَنْهَا الْعَذَابُ} أي ويدفع عنها عذاب الرجم لأنها زوجة {أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكٰذِبِيْنَ} أن تشهد في مقابل تلك التهمة أربع شهادات بالله أنه كاذب وأنه لمن الكاذبين وأنها لم ترتكب واقعة الزنا {وَالْخَمِيْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ} والشهادة الخامسة حتى تدفع عن نفسها تهمة الزنا أن تدعو أن يقع عليها غضب الله تعالى وعذابه إن كان صادقاً في دعواه وهي كاذبة. قال البخاري: حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن هشام ابن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (البينة أو حدٌ في ظهرك) فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (البينة وإلا حدٌ في ظهرك) فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه: " وَالَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ أَزْوَاجَهُمْ - فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ - إِنْ كَانَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ " فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟) ثم قامت فشهدت فلما كان في الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الإليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء) فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن). [انفرد به

البخاري من هذا الوجه - ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٦]. {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
 وَرَحْمَتُهُ} ولولا فضل الله تعالى عليكم أيها الناس وكرمه ومنه ورحمته بعدم عذابكم  
 وعدم رجم الزوجين بأن يدرأ أحدهما العذاب عن نفسه خوفاً من كذب وبهتان  
 الآخر عليه وحتى يتوب العاصي منهما ويرجع عن معصيته وتكون فرصته في الندم  
 والتوبة والرجوع عن الخطأ {وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ} وأن الله تعالى تواب ويتوب على من  
 تاب وندم ورجع عن معصيته {حَكِيمٌ} حكيم في حكمه بشهادة الزوج على  
 زوجته أربع شهادات على صدقه والخامسة أن عليه اللعنة إن كان كاذباً وحكيم  
 في حكمه أن تدرأ زوجته عن نفسها العذاب بأربع شهادات تنفي ما قُذفت  
 وأُثِّمَت به والخامسة بالدعاء بالغضب واللعنة عليها إن كانت كاذبة. وإذا تلاعن  
 الزوجان فيُفْرَق بينهما كما فرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين هلال بن أمية  
 وزوجته وقضى أن لا يُدعى ولدها لأب ولا يُرمى ولدها ومن رماها أو رمى ولدها  
 فعليه الحد وقضى كذلك أن لا بيت لها عليه ولا قوت لها من أجل أنهما يفترقان  
 من غير طلاق ولا متوفى عنها. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٩].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ  
 أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾  
 لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ  
 ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ  
 الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا  
 أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالْأَسْنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ  
 بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ  
 لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ  
 أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

{ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ } إن الذين اختلقوا الإفك والكذب والبهتان وأذاعوه  
 { عُصْبَةٌ مِّنكُمْ } هم جماعة منكم أيها المسلمون. وهم مسطح بن أثاثة وحسان ابن  
 ثابت وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش زوج الرسول عليه الصلاة  
 والسلام والمنافق عبد الله بن أبي بن سلول وهو الذي كان يستوشييه ويجمعه ويذيعه  
 وهو الذي تولى كبره منهم. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٧١]. { لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ } لا  
 تظنوا أن قصة الإفك هي شر وسوء لكم أيها المسلمون { بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } لأنه نزل  
 قرآن يبين ذلك ويشرحه حتى تتعظوا به ولا تقعوا في مثله أبداً { لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ  
 مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ } ولكل شخص تكلم في الإفك واتهم عرض الرسول صلى الله  
 عليه وسلم في زوجته عائشة رضي الله عنها وخاض فيه حملاً وزراً وإثماً وذنباً  
 على قدر وحسب ما خاض فيه وعلى قدر اتهامه لعائشة رضي الله عنها

{وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ} وهو المنافق ورئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وهو الذي كان يُشيع الأخبار {لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} له يوم القيامة في جهنم عذاب وعقاب كبير وأليم وموجع {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ} أفلا أنكم عندما سمعتموه وهو قول الإفك والكذب والشك في عرض عائشة {ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ} ظن واعتقد وأيقن المؤمنون والمؤمنات في أنفسهم ونسائهم في أخلاقهم وفي دينهم {خَيْرًا} عفافاً وطهراً {وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ} وقالوا هذا كذب وافتراء واختلاق وبهتان {مُبِينٌ} عظيم {لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ} أفلا جاءوا على ادعائهم وكذبهم واختلاقهم {بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ} بأربعة شهود باتهام عائشة رضي الله عنها {فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ} فما دام لم يأتوا ولم يستطيعوا إحضار أربعة شهداء لإثبات واقعة الزنا على عائشة رضي الله عنها {فَأَوْلَتْكِ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ} فهؤلاء عند الله هم كذابون وغير صادقين {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} ولولا كرم الله عليكم وتفضله عليكم {وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} ورحمته بكم وعفوه عنكم في الدنيا والآخرة بإنزال آية براءة السيدة عائشة من فرية وتهمة الإفك ونجاة من خاضوا في ذلك بالتوبة {لَمَسَّكُمْ} في الدنيا بالفرقة والشتات وفي الآخرة بعذاب الله تعالى لكم ولأصابتكم {فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ} فيما تحدثتم فيه كثيراً وهو الإفك {عَذَابٌ عَظِيمٌ} لأصابتكم عذاب كبير وشديد يوم القيامة {إِذْ تَلْقَوْنَهُ بِالسِّنِّتِ} إذ تستقبلونه وتنقلونه من بعضكم {وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ} أي أصبحتم وسيلة نقل للشائعات والإفك والكذب والبهتان وتقولون بكمم وألسنتكم {مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} ما لا يوجد صحة ولا يقين عندكم بوقوعه {وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا} وتظنون أنه بسيط وسهل وليس فيه ذنب

{وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} وهو ذنب عند الله كبير {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ} أفلا عندما سمعتموه من الناس {قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا} لا يحق لنا {أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا} أن نتكلم بهذا الاتهام ولا أن نؤكد {سُبْحَانَكَ} تنزيهاً لك يا رب وجلّ جلالك وغفرانك يا الله {هَذَا} هذا الإفك والشائعات على عائشة رضي الله عنها وعلى عرضها {بِهْتِنٍ} كذب وافتراء واختلاق {عَظِيمٌ} كبير {يَعْظُمُ اللَّهُ} يندركم وينصحكم الله تعالى {أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ} أن ترجعوا لمثله من الكذب والبهتان والافتراء والاختلاق من نقل مثل هذه الشائعات والكذبات {أَبَدًا} قطعياً ونهائياً {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إن كنتم مصدقين ومؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ} ويوضح الله تعالى ويفصل لكم آيات القرآن الكريم في كتابه العظيم {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} والله تعالى يعلم بكم وبنفوسكم وبما أفضتم فيه من أمر عائشة رضي الله عنها وعليم بكم وبأحوالكم وبما أمركم به {حَكِيمٌ} ذو حكمة في أوامره ونواهيه وشرعه وبما نعظكم به وبما ينفعكم في دنياكم وآخرتكم. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله تعالى وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضاً: ذكروا أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله

عليه وسلم معه قالت عائشة رضي الله عنها فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعدما أنزل الحجاب فأنا أُحْمَلُ في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقامت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه قالت وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأني وكان قد رأني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فحَمَرْتُ وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبته فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كِبْرَه عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمناها شهراً والناس يُفْيِضُونَ في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبنني في وجعي أنني لا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي أرى منه حين أشتكي

إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول: (كيف تيكم؟) فذلك الذي يرييني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه في البرية وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها في بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب ابن عبد المطلب ابن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب فأقبلت أنا وابنة أبي رهم أم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئسما قلت تسبين رجلاً شهد بديراً؟ فقالت أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت وماذا قال؟ قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال: (كيف تيكم؟) فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي (أم رومان) يا أمته ماذا يتحدث الناس به؟ فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله أوقد تحدثت الناس بهذا؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال أسامة يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله



عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: (أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة) فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي) فقام سعد ابن معاذ الأنصاري رضي الله عنه فقال أنا أعذرک منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا بأمرک. قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد ابن معاذ فقال لسعد ابن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتشاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالتق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهراً لا يُوحى إليه في شأني شيء قالت فتشهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال: (أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه) قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأمي أجيبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن والله لقد علمت لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أنني بريئة لا تصدقونني ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أنني منه بريئة لتصدقني فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: " فَصَبْرٌ جَوِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ " قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وأنا والله أعلم حينئذ أنني بريئة وأن الله تعالى مُبرِّئِي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يُتلى ولشأني أحقر في نفسي من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: (أبشري يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك) قالت فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي وأنزل الله

عز وجل: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ" العشر آيات كلها فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله تعالى: "وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ - إِلَى قَوْلِهِ - أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمري فقال: (يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟) فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة وهي التي كانت تُساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك. قال ابن شهاب فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط. [أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الزهري - ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٨-٢٧٠].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ۗ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّيٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْحَنِيثُ لِلْحَنِيثِ وَالْحَنِيثُونَ لِلْحَنِيثِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۗ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ﴾ إن الذين يرغبون أن تنتشر وتعلن وتذاع فاحشة الزنا والإشاعة عنها كذباً وبهتاناً كعبد الله بن أبي بن سلول ﴿ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ في المؤمنين كعائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك وصفوان بن المعطل السلمي حيث اتهموها بفاحشة الزنا كذباً وبهتاناً ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ للذين أشاعوا تهمة الزنا كذباً لهم عذاب وعقاب شديد ﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ في الدنيا كل من لم يأت بأربعة شهود في تهمة الزنا يجلد ثمانين جلدة ولا تقبل شهادته ويتهم بالكذب

{وَالْآخِرَةَ} ويوم القيامة يعذب في جهنم لبهتانه وكذبه {وَاللَّهُ يَعْلَمُ} والله يعلم  
 الحق والباطل والبريء والمتهم {وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} وأنتم أيها الناس تجهلون الحق  
 من الباطل والكذب من الصحيح ولا تعلمون حقيقة الأمور ولا عاقبة الكذب وإذاعة  
 الشائعات {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} ولولا فضل الله وكرمه عليكم أيها الناس  
 {وَرَحْمَتُهُ} وعفوه وتجاوزه عنكم لأصابكم العذاب {وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ} وأن الله تعالى  
 يترأف ويشفق عليكم أيها المسلمون {رَحِيمٌ} ورحيم بكم فلا يعذبكم يوم القيامة ما  
 دام قد تبتتم {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من صدقتم وآمنتم بالله  
 وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} لا تأخذوا ولا  
 تقتفوا ولا تتبعوا طرق الشيطان ولا خطواته وبدابيتها الأمنية أو الرغبة أو الهم بفعل  
 أو التجربة أو الاتجاه أو المجادلة {وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} ومن يقتفي  
 ويستمر خلف أوامر الشيطان وطرقه {فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} فإنه يأمر ويوسوس  
 بارتكاب فاحشة الزنا {وَالْمُنْكَرِ} وهو كل ما أنكره ومنعه الشرع من المعاصي  
 والذنوب والمحرمات {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} ولولا فضل الله وكرمه وخيره عليكم  
 {وَرَحْمَتُهُ} ولطفه وعفوه وتجاوزه عنكم {مَا زَكَّيْنَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ} ما برأ وما سلم  
 وما طهر منكم أيها الناس أحد من المعصية {أَبَدًا} إطلاقاً {وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ  
 يَشَاءُ} ولكن الله يبرئ ويطهر من يريد من عباده {وَاللَّهُ سَمِيعٌ} والله سميع لأقوالكم  
 وأفعالكم ولن أفاض منكم في الإفك والإشاعات {عَلِيمٌ} يعلم بمن حفظ لسانه  
 ونفسه من الخوض في الأعراض والشائعات وعليم بكم وبأحوالكم وأعمالكم وأفعالكم  
 {وَلَا يَأْتَلِ} ولا يمتنع ولا يحلف {أُولُوا الْفَضْلِ} أصحاب الفضل والمعروف

والعطاء والصدقة والإحسان { مِنْكُمْ } أيها الناس وهذه كما أسلفنا موجهة إلى أبي بكر الذي أراد وامتنع عن الاستمرار في إعطاء الصدقات إلى مسطح بن أثانة { وَالسَّعَةِ } والغنى وأهل التوسعة في الرزق { أَنْ يُؤْتُوا } أن يعطوا ويمنحوا ويهبوا { أَوْلَى الْقُرْبَى } الأقرباء { وَالْمَسْكِينِ } والضعفاء من الناس الذين لا يجدون من يعولهم { وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } وهم من هاجر من موطنه من مكة إلى المدينة في مرضاة الله تعالى وفي سبيله { وَلِيَعْفُوا } وليعفوا عمن ظلمهم { وَلِيَصْفَحُوا } وليغفروا وليسامحوا { أَلَا تَحِبُّونَ } أفلا تحبون وترغبون { أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ } أن يتجاوز عن سيئاتكم ويعفو عنكم { وَاللَّهُ غَفُورٌ } والله تعالى يغفر ويسامح ويتجاوز عمن تاب { رَحِيمٌ } رحيم به فلا يعذبه يوم القيامة { إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ } إن الذين يتهمون ويقذفون بالزنا { الْمُحْصَنَاتِ } النساء العفيفات والشريفات والطاهرات والمحافظات على فروجهن وأعراضهن { الْغَافِلَاتِ } اللاتي لا يدور بخلدن تلك الفواحش لا من قريب ولا من بعيد ولا مجرد التفكير فيها { الْمُؤْمِنَاتِ } المصدقات والمؤمنات بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { لَعْنُوا } في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لعنوا من الله تعالى ومن الناس وحلّ عليهم غضب الله وعذابه في الدنيا بالخزي والتكذيب وفي يوم القيامة عذاب جهنم { وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ولهم عقاب كبير وشديد { يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ } يوم القيامة تنطق ألسنتهم وتشهد عليهم { وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ } وكذلك تنطق وتشهد أيديهم وأرجلهم { بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } بما عملوا من إشاعات في حادثة الإفك من الكذب والاختلاق والبهتان وكما قال تعالى: " الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ

أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ٦٥ يس. {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ  
 الْحَقُّ} يجزيهم الله تعالى ويحاسبهم على قدر ما أتموا أو فرطوا في دينهم وهو دين  
 الإسلام وهو الحق وكما قال تعالى: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " ١٩ آل عمران.  
 وقال تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ  
 الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران. {وَيَعْلَمُونَ} ويعلمون ويتأكدون ويتحققون {أَنَّ اللَّهَ}  
 أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ الْحَقُّ} هو الإله الحق والصدق  
 وهو حق ليس بباطل والجد ليس بالهزل {الْمُؤْمِنِينَ} العظيم الواضح البينة والدلالة  
 والبرهان {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ} الفاسدات لا يتزوجهن في العادة إلا الفاسدون  
 مثلهن كما يقال إن الطيور على أشكالها تقع {وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ} وكذلك  
 الفاسدون والشريرون من الرجال لا يرتبطوا في العادة إلا بالنساء الخبيثات  
 والفاسدات والشريرات ممن هن على شاكلتهم {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ} والنساء  
 الطيبات والصالحات والقانتات والحافظات لفروجهن والعفيفات والشريفات  
 للطيبين والصالحين من الرجال كعائشة رضي الله عنها فهي زوجة للنبي صلى الله  
 عليه وسلم {وَالطَّيِّبُونَ} والرجال الصالحون كالرسول سيدنا محمد صلى الله عليه  
 وسلم {لِلطَّيِّبَاتِ} للصالحات والقانتات والحافظات لفروجهن والعفيفات  
 والشريفات كعائشة رضي الله عنها {أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ} هؤلاء جميعا  
 الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وزوجته عائشة وجميع أزواجه أمهات المؤمنين  
 بريئون من التهم والإفك والكذب والبهتان والاختلاق والشائعات ومن جميع التهم  
 التي يتقولها الكذابون {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} ولعائشة رضي الله عنها ولزوجها سيدنا  
 محمد صلى الله عليه وسلم وأزواجه آل البيت لهم مغفرة من الله تعالى لاتهام

الناس لأعراضهم {وَرَزَقُ كَرِيمٌ} ورزق طيب هنيء حسن ورغد في الدنيا بطيب العيش ورغده وفي الآخرة في جنة الفردوس الأعلى. روى ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن أخي بن وهب حدثني عمي حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات - قيل وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات). [أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال به - ابن كثير ج ٣ ص ٢٧٧].

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَيَّ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزكىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

{يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من صدقتم وآمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ} لا تدخلوا بيوتاً للناس غير بيوتكم وغير دوركم والتي هي ملك غيركم {حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا} حتى تستأذنوا ويسمحوا لكم بالدخول {وَتُسَلِّمُوا عَلَيَّ أَهْلِهَا} أي تقرئوهم السلام وتقولون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته {ذَٰلِكُمْ} ذلك وهو الاستئذان بالسماح لكم وبردكم السلام {خَيْرٌ لَّكُمْ} هو أفضل لكم من أن تقتحموا البيوت من غير استئذان {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} لعلكم تتعظون وتنتصحون بهذا الاستئذان وتستأذنوا قبل دخول



البيوت والدور {فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا} فإن لم تجدوا أصحاب البيوت والدور فيها فلا تدخلوا داخلها خوفاً من اتهامكم بالسرقة أو الشر أو غير ذلك {حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ} حتى يسمح لكم بدخولها {وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا} وإن قيل لكم ارجعوا ولا تدخلوها سواء في حضورهم أو غيابهم وبلغوكم بعدم الدخول فارجعوا وامثلوا لذلك {هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ} هو أفضل وأطهر لكم حتى لا يظنوا فيكم شراً ولا يؤذوكم بكلام يجرح شعوركم {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} والله عليم بما تفعلون من الاستئذان أو الدخول من غير إذن والله تعالى عليم ومطلع ومحيط بتصرفاتكم وما في نفوسكم أيها الناس {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} ليس عليكم حرج {أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ} أن تدخلوا بيوتاً غير أهلة بالسكان ولا يوجد بها سكان وفيها متاع لكم وشيء من الأشياء التي تخصكم وتريدون أخذها أو الاطلاع عليها {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ} والله تعالى يعلم ما تجهرون به وما تُظهرون {وَمَا تَكْتُمُونَ} ويعلم قصدكم وما تخفون في أنفسكم وما تخفيه صدوركم من خير أو شر.

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ خُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {لِلْمُؤْمِنِينَ} للمصدقين والذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} أن يغضوا الطرف ويمنعوا النظر للنساء الأجنبية وعن الحرام وأن يصرفوا أبصارهم عنهم. قال الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري قال: قرأنا على محمد بن حفص ابن عمر الضرير المقرئ حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا هريم بن سفيان عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم من تركها مخافتني أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٢]. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو سعيد المدني حدثنا عمر بن سهل المازني حدثني عمر بن محمد بن صهبان عن صفوان بن سليم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل عين باكية يوم القيامة إلا عيناً غَضَّتْ عن محارم الله وعيناً سَهَرَتْ في سبيل الله وعيناً يخرج منها مثل رأس

الذباب من خشية الله عز وجل). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٢]. وقال أبو داود: حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري حدثنا شريك عن أبي ربيعة الايدي عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: (يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٢]. وفي الصحيح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والجلوس على الطرقات - قالوا يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه - قالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟ - قال: غَضُّ البصر وكَفُّ الأذى وردّ السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٢]. وروى مسلم في صحيحه من حديث يونس ابن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جده جرير ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري. [وكذا رواه الإمام أحمد عن هشيم عن يونس ابن عبيد به ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديثه أيضاً وقال الترمذي: حسن صحيح - ابن كثير ج ٣ ص ٢٨١]. {وَحَفَظُوا فُرُوجَهُمْ} أي يحافظوا على فروجهم من الزنا في الأقبال والأدبار {ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ} ذلك هو أطيب وأفضل وأطهر لهم حتى ينجوا من عذاب الله تعالى يوم القيامة وفي الدنيا من الأمراض المختلفة كالأيدز وهو مرض فقد المناعة المكتسبة في الجسم في الوقت الحاضر {إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} إن الله عليهم ومحيط ويدري ماذا يصنعون من الزنا في الأقبال والأدبار وعليهم بما يعملون من الفواحش {وَقُلْ} وقل يا محمد يا رسول الله {لِّلْمُؤْمِنَاتِ} للنساء المؤمنات والمصدقات بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر

{يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ} يخفضن ويصرفن أبصارهن عن الرجال والنظرة إليهن بشهوة وعن المحرمات {وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} ويمنعن فروجهن من الزنا {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ} ولا يظهرن جمالهن {إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} إلا الوجه والكفين كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه: حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني قالا حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد ابن دريك عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا) وأشار إلى وجهه وكفيه. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٣]. ويسمح بما كان ظاهراً من الملابس الفاخرة والجلابيب المزركشة ولا يسمح بمساحيق التجميل على الوجه وكذلك العطور لحديث: (كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا). يعني زانية. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٦]. {وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ} أي وليغطين بغطاء الرأس {عَلَى جُيُوبِهِنَّ} على فتحات الصدر وما يظهر منه ومن النهدين {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ} ولا يظهرن زينتهن سواء من المساحيق التي توضع على الوجه وكل ما تتزين به المرأة من الإغراء والفتنة {إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ} إلا لأزواجهن {أَوْ آبَائِهِنَّ} أو الوالد {أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ} أو آباء أزواجهن {أَوْ أَبْنَائِهِنَّ} أو أولادهن سواء من الرضاعة أو من الصلب {أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ} أو أبناء أزواجهن من أم ثانية {أَوْ إِخْوَانِهِنَّ} أو إخوتهن {أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ} أو أولاد إخوانهن {أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ} أو أولاد أخواتهن {أَوْ نِسَائِهِنَّ} أو نساء أقربائهن وقيل المسلمات وليس المشاركات ولا أهل الكتاب من النساء {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} أو ما يملكون من الرقيق. وفي الآية

مذهبان الأول أنها خاصة بالإماء من الرقيق دون العبيد الذكور والمذهب الآخر أنها تشمل العبيد الذكور أيضاً {أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ} أو التابعين لهم بالقرابة أو بالخدمة من الرجال الشيوخ والمعاتيه والمساكين الذين لا يشتهون النساء ولا النساء تشتهيهن {أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ} أو الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم والذين لم يظهروا على عورات النساء فلا يعلمون شيئاً لصغرهم ولجهلهم بأمور الشهوة حول النساء {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ} ولا يضربن الأرض بأرجلهن {لِيُعْلَمَ مَا سَخِفْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} حتى يسمع صوت الخلخال ليُنظر إليهن وكذلك لا يخرجن من بيوتهن لغير حاجة وضرورة حتى لا يعلم ما يخفين من زينتهن وجمالهن ورشاقتهن ومن طيبهن وكذلك أمر الله تعالى تساء النبي صلى الله عليه وسلم كما أمر المؤمنات بقوله تعالى: " وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى " ٣٣ الأحزاب. {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهَ الْمُؤْمِنُونَ} وامتنعوا وارجعوا واندموا عن ذنوبكم ومعاصيكم أيها المؤمنون جميعاً يا من صدقتم وآمنتم بالله وحده لا شريك له وآمنتم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ} لعلكم تفوزون بدخول الجنة ورضوان الله تعالى وكما قال تعالى: " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ " ٣٦ الأحزاب.

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۗ وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيْتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٣﴾ ۝﴾

{ وَأَنْكِحُوا } وزوجوا أيها الرجال المؤمنون { الْأَيْمَىٰ } وهي جمع أيم وتطلق على المرأة التي كانت متزوجة وفارقت زوجها بموت أو طلاق وكذلك التي لم تتزوج. وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وأغلب نساءه وكن قد سبق لهن الزواج ما عدا عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً { مِنْكُمْ } أي مسلمات منكم { وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ } وكذلك زوجوا الصالحين من عبيدكم الأرقاء { وَإِمَائِكُمْ } وجواريتكم من الرقيق من النساء المؤمنات عندكم { إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ } إن كان هؤلاء فقراء فلعل الله تعالى يغنيهم ويرزقهم من فضله وكرمه بميراث أو غير ذلك { وَاللَّهُ وَاسِعٌ } والله واسع وكثير خير { عَلِيمٌ } عليم بخلقه فهو يعلم فقرهم وغناهم وأحوالهم ومعيشتهم ويعلم ما ينفعهم من فقرهم أو غناهم { وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا } وليترفع عن الزنا والفاحشة من لا يستطيعون نكاحاً ولا زواجاً وليحفظوا فروجهم عن الحرام { حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ } حتى يزوجهم الله بفضله وكرمه { وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ } والذين يطلبون

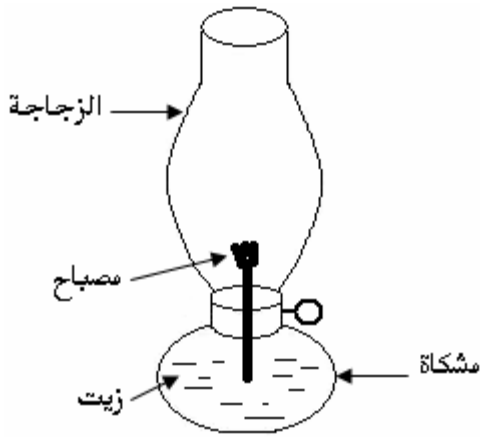
المكاتبة لإعتاق رقابهم من الرق من الإماء والعبيد والرقيق {مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} مما تملكون من الرقيق {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} فاتفقوا معهم على فك رقابهم إن كانوا قادرين على وفاء ما طلب منهم من مال حتى يعتقوا رقابهم فكاتبوهم على ذلك واشترطوا عليهم وكاتبوهم على المدة المعينة والمبلغ المعين إن كانوا قادرين على ذلك {وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} وأعطوهم جزءاً من المال الذي يدفعونه لتنفيذ شرط المكاتبة إذا أوفوا ذلك فأعطوهم جزءاً منه وهو مال الله الذي أعطاكم إياه من هذه المكاتبة حتى يستطيع أن ينفق على نفسه ويسوي معيشته بعد أن يصبح حراً من العتق {وَلَا تَكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ} ولا تغصبوا فتياتكم من إمائكم من الجواري والعبيد والخدم والرقيق {عَلَى الْبِغَاءِ} على الزنا {إِنْ أُرِدْنَ تَحْصِنًا} إن أردن عفافاً وحفاظاً على فروجهن من الزنا {لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} لتطلبوا ثمناً زهيداً من متاع الدنيا وشهواتها وملذاتها وأهوائها وهذا أمر بالنهي والعدول عن الأعمال القبيحة التي كانت في الجاهلية {وَمَنْ يُكْرِهِنَّ} ومن يغصبهن على الزنا {فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ} فإن الله تعالى من بعد إرغامهن على الزنا فإن الله تعالى يغفر لهن لأن ذلك كان عن غصب وإكراه لهن. وقيل أنها كانت جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يكرهها على الزنا فلما جاء الإسلام نهى عن تلك الأعمال القبيحة وأن الله تعالى غفور لمن تاب وانتهى عن الإكراه لهن بالزنا وغفور لمن اغتصبت رغماً عنها {رَّحِيمٌ} فلا يعذبها يوم القيامة ويرحمها ويدخلها الجنة ورحيم بمن انتهى وندم على غصبهن. وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة [مؤونة الزواج] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج

ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء). [متفق عليه - سبل السلام ج ٣ ص ١٠٧]. وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة). [رواه الإمام أحمد وصححه ابن حبان - سبل السلام ج ٣ ص ١١١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن) قالوا: يا رسول الله وكيف إذن؟ قال: (أن تسكت). [متفق عليه - سبل السلام ج ٣ ص ١١٨]. {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ} ولقد أنزلنا إليكم يا محمد يا رسول الله أنت والمؤمنين {ءَايَاتٍ} آيات من القرآن الكريم {مُبَيِّنَاتٍ} مفصلات وموضحات لأمر الله تعالى ونهيه {وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ} وضربنا لكم مثلاً للأمم التي سبقتمكم ومرت قبلكم {وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} وعظة يتعظ بها العابدون لله تعالى والطائعون له والخائفون من عذابه والحافظون لحدوده.



﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

{الله} جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو إله الخلق ورب العالمين {نور} السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أي هادي أهل السموات والأرض وهو جل وعلا نور لهم يضيء لهم الطريق بالهدى وعبادته وطاعته وحده لا شريك له وهو يهديهم إلى الطريق المستقيم وينقذهم من الظلمات إلى النور {مِثْلُ نُورِهِ} يضرب الله تعالى مثلاً على قدر عقولنا وهو أن نوره جل جلاله



وعظم قدره وعلا شأنه {كَمِشْكَاةٍ} وهي

الزجاجة الفارغة وهي كلمة هندية

التي تحمل الزيت أو الإناء أو الوعاء

الذي يوضع فيه الزيت أو هي السراج

الذي يوضع فيه الزيت {فِيهَا مِصْبَاحٌ}

فيها فتيل يضيء إذا أشعل {الْمِصْبَاحُ}

الفتيل الذي يشتعل بالإضاءة {فِي زُجَاجَةٍ}

في زجاجة خارجية تحميه من الهواء حتى لا يطفأ {الزُّجَاجَةُ} وهي الغلاف الذي

يحمي الشمعة أو الفتيل المشتعل {كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} كأن هذه الزجاجة عندما يُضاء

الفتيل وهو المصباح وينعكس ضوء المصباح أو الفتيل على تلك الزجاجة [وهي

الغلاف الخارجي] التي تحمي الفتيل عند اشتعاله حتى لا يُطفأ من الهواء يكون

ضوءها عند اشتعال الفتيل كأنها نجم في السماء أو كوكب من الكواكب الكبيرة {دُرِّيُّ} شديد الإضاءة واللمعان كضياء الشمس {يُوقَدُ} أي يشتعل مصباح المشكاة {مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ} من زيت شجرة طيبة وهي شجرة الزيتون المباركة والطيبة في زيتها باركها الله تعالى بصفاء زيتها وشدة ضيائه عند الاشتعال وكثرة فوائد زيتها وزيتها أطيب الزيوت على وجه الأرض فهي باركها الله تعالى وأكثر فائدها {لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ} أي أن هذا المصباح يوقد من زيت شجرة زيتون خاصة تقع في وسط الدنيا {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} من شدة صفاء زيت الزيتون من تلك الشجرة يكاد يضيء من تلقاء نفسه ولو لم تمسه النار وبدون أن يشعل بالنار لبركته ولصفائه ولا توجد به شوائب ولا مضرات ولا آثار جانبية {نُورٌ عَلَى نُورٍ} أي النور مضاعف نور الزيت وصفائه ونور اشتعال المصباح. والمشكاة التي يوضع بها الزيت للإضاءة ضربها الله تعالى مثلاً للقلب الذي يوضع فيه الإيمان. هذه المشكاة فيها مصباح وهو شريط الفتيل الذي يضيء ضربه الله تعالى مثلاً للإيمان والإسلام. وهذا المصباح في زجاجة وهي حافظة للنور من الهواء والانطفاء وقد ضربها الله تعالى مثلاً للرسول فهي تمنع الإيمان من أن يطفأ من القلوب فتحافظ عليه من الضلال ومن الأهواء وهذه الزجاجة الحافظة للضوء وهي الرسل كأنها كوكب دري تشتعل وتضيء الظلام للناس حتى يهتدوا فالرسل هم كالشمس للناس تضيء لهم الطريق وترشداهم للحق والهدى والصراط المستقيم. والمصباح يوقد من شجرة ضربها الله تعالى مثلاً للقرآن وزيتها هو علومه وأحكامه وأوامره ونواهيته ونصحه ووعظه. وشجرة القرآن هي شجرة لا شرقية ولا غربية إشارة إلى أن القرآن في الوسط على الصراط المستقيم فهي لا شرقية أي لا تنحاز إلى الفرس أو أهل الشرك ولا غربية أي ولا مع الروم والكفار بل هي عربية إسلامية

فالقرآن هو نور الله تعالى لكونه وخلقه لا انحراف فيه (لا شرقية) لا شيوعية ولا شرك (ولا غربية) ولا علمانية ولا إباحية ولا كفر ولا أهواء ولا شهوة ولا ضلال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يميل ولا ينحرف عن الحق لا ذات اليمين ولا ذات الشمال ولا شرقاً ولا غرباً وهو يهدي الناس للحق والصواب والرشد والطريق المستقيم وعبادة الله وحده لا شريك له نور على نور فنور القرآن ونور الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسنته وهداه ونور الإيمان والإسلام ونور الطاعة والهدى ونور العلم والعمل فهو لمعان على لمعان وقوة على قوة ونور على نور يجعل الدنيا كأنها نهار بعد ظلام وإيمان وإسلام بعد كفر {يَهْدِي اللَّهُ} يهدي الله تعالى ويرشد {لِنُورِهِ} لدينه {مَنْ يَشَاءُ} من يشاء الله له الهدى واتباع دينه لعلمه بأنه يستحق الهدى ويهدي من يشاء ويريد الهدى واتباع الحق في دينه {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ} ويضرب الله تعالى ويقول الأمثال والعبر والعظات للناس ولن يتعظ منهم {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} والله تعالى يعلم بكل شيء يهدي الناس ويعلم من يهتدي منهم وعليم بجميع أحوالهم وأعمالهم وأفعالهم.

﴿ فِي بُيُوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٦٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٦٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٨﴾ ﴾

{ في بيوت } وهي بيوت ودور العبادة وهي المساجد والجوامع. والفرق بين هذه البيوت التي هي بيوت الله وهي المساجد وبين بيوتنا العادية الخاصة بالمسكن أنها فقط للعبادة ودروس العلم والذكر وباقي بيوتنا الخاصة بالمسكن يكون فيها العبادة وما يكون من أمور الدنيا الأخرى من أكل وشرب ومعاشرة للأزواج وخلافه { أذن الله } أذن الله تعالى وأمر وسمح للناس { أن تُرْفَعَ } أن تبنى هذه المساجد للعبادة والشعائر الدينية { وَيُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } ويذكر ويردد ذكر الله تعالى باسمه كما قال تعالى: " وَالذَّاكِرِينَ اللهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " { يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا } يسبح الله تعالى ويقدمه وينزهه ويبجله بأسمائه وصفاته في تلك الدور دور العبادة وفي بيوت الله من المساجد والجوامع { بِالْغُدُوِّ } صباحاً { وَالْآصَالِ } ومساءً { رِجَالٌ } صفتهم رجال لأن أغلب عمار المساجد هم من الرجال { لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ } فهم رجال الله تعالى وهم أولياء الله لا تشغلهم ولا تلهيهم لا تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى وتوحيده وتسبيحه وتلاوة كتابه { وَإِقَامِ الصَّلَاةِ } وعبادته بقيام الصلوات الخمس في أوقاتها { وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ } وأداء زكاة أموالهم للفقراء والمساكين وأصحاب الحقوق فيها { يَخَافُونَ } يخافون ويخشون { يَوْمًا } وهو يوم القيامة أي يخافون عذاب وأهوال يوم القيامة

{تَتَقَلَّبُ فِيهِ} تضطرب فيه وتفزع {الْقُلُوبُ} بما أيقنت وصدقت بيوم القيامة  
{وَالْأَبْصَارُ} والأبصار بما تشاهد عذاب الله وجهنم {لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ} ليثيبهم الله  
ويكافئهم يوم القيامة {أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا} أفضل ما عملوا كما قال تعالى: " وَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا  
يَعْمَلُونَ " ٧ العنكبوت. وكما قال تعالى: " لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا  
وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ " ٣٥ الزمر. وجزاؤهم هو دخول الجنة  
ونعيمها المقيم والدائم {وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ} ويزيدهم الله تعالى يوم القيامة على  
ذكرهم وتوحيدهم لله تعالى وعبادته وحده وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة برضوانه والنظر  
إلى وجهه الكريم {وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ} والله يرزق ويعطي ويهب لمن يشاء من  
عباده في الجنة {بِغَيْرِ حِسَابٍ} بغير عد ولا حصر نعيماً دائماً لا ينقطع ولا يمتنع  
عنهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ  
يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ رُفُوفَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي  
بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ  
إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرِنُهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٦٧﴾﴾

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا} والكفار وهم الذين لم يصدقوا بالقرآن ولا رسالة سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم {أَعْمَلُهُمْ} أعمالهم من الخير لأنها ليست لوجه الله تعالى  
{كَسَرَابٍ} أي كخيال يلمع من بعيد كأنه ماء يُرى في الأفق البعيد من شدة الحر  
{بِقِيعَةٍ} ببقعة في الصحراء نائية الأطراف {تَحْسَبُهُ} يظنه {الظَّمْآنُ} العطشان  
من الناس وهو في صحراء قاحلة ورحلة بعيدة {مَاءً} أنه ماء رآه وتخيله {حَتَّىٰ إِذَا  
جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا} فلما وصل إليه وأتاه في تلك البقعة وفي المكان الذي رآه فيه  
لم يجد شيئاً من الماء بل وجده سراباً وخيالاً {وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ} وهكذا الكافر  
يوم القيامة يرى الله تعالى أمامه عندما يقف للحساب في المحشر ولم توجد لديه  
حسنة وطاعات لله تعالى بل جميع عمله السابق كالسراب لأن عمله ليس لوجه  
الله تعالى بل شهرة {فَوْقَهُ حِسَابَهُ} فحاسبه الله تعالى على ذنوبه ومعاصيه  
{وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} والله تعالى سريع الانتقام والعقاب والعذاب. وعندما سئل  
علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف يحاسب الله تعالى جميع الخلق في وقت  
واحد؟ قال: يحاسبهم كما يرزقهم. {أَوْ كَظُلُمَاتٍ} وضرب الله مثلاً لعمل الكفار في  
الدنيا بمثل آخر وهو أنه كظلمات وهي جمع ظلمة وعتمة {فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ} في بحر  
عميق متلاطم الأمواج وهو الكفر والشرك في قلب الكافر {يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ}

مَوْجٍ} أي موج يركب بعضه بعضاً {مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ} ومن فوق ظلمة الأمواج بعضها فوق بعض يوجد سحب في السماء يحجب نور الشمس. وهذا التراكم هو مثل ظلمات الهوى والشهوات والمعاصي والذنوب من فوقه موج آخر يطفو ويتراكم عليه وهو موج الوسوسة والشيطان ومن فوقه سحب وغيم معتم ومظلم وهو الحرص وطول الأمل {ظُلُمْتُ بِعَظْمِهَا فَوْقَ بَعْضٍ} وهذه الظلمات والعتمة تتراكم وتظلم بعضها فوق بعض {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا} ولو رفع يده لا يكاد يراها من شدة الظلمات التي تتراكم فوق بعض كظلمات البحر والموج والسحاب الذي فوقه فتحجب نور الشمس حتى تزداد ظلمة قاع البحر وهذا يعني أن أعمال الكفار من شرك وكفر ومعاص وذنوب تتراكم بعضها فوق بعض على قلوبهم فلا يفرق بين الحق والباطل ولا الحلال والحرام فيزدادون ظلمة على ظلمة وكفراً على كفر وكما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صُقل قلبه وإن زاد زادت فذلك قول الله تعالى: " كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ "). [قال الترمذي: حسن صحيح ولفظ النسائي: إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكْتُتْ في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي قال الله تعالى: " كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " - ابن كثير ج ٤ ص ٤٨٥]. {وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا} ومن لم يكن له قرآن يقتدي به وإسلام يتبعه بأمر الله تعالى ونور الهدى يهتدي به {فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} ليس له نور يضيء له الطريق ولا علم يهديه للحق والرشاد لأنه يتبع الشيطان ووسوسته وهوى نفسه وغروره وشهواته وملذاته وحرصه على الدنيا وليس له علم من الله تعالى ولا هدى يمنعه من الكفر والشرك والعصيان.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ وَبِاللَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تعلم يا محمد يا رسول الله {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعلا شأنه وعظم قدره وهو إله الآلهة ورب الأرباب ورب العالمين {يُسَبِّحُ لَهُ} ينزهه ويقدسه ويبجله ويسبحه بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا {مَنْ فِي السَّمَوَاتِ} وهم سكان السموات السبع من الملائكة {وَالْأَرْضِ} وأهل الأرض من إنس وجن وحيوانات وطيور وما فيها {وَالطَّيْرِ صَفَّتِ} والطيور باسطات وناشرات أجنحتها ما بين السماء والأرض تسبح الله تعالى أي أنه كل ما بين السماء والأرض يسبح الله تعالى ومنها الطير وهي تطير بين السماء والأرض {كُلُّ} أي كل من في السماوات ومن في الأرض وما بينهما من الطيور {قَدْ عَلِمَ} قد علم وعرف {صَلَاتَهُ} كيف هي صلاته ولمن وأنها لله تعالى وحده لا شريك له فهو خالق الكون والخلق أجمعين {وَتَسْبِيحَهُ} وكذلك كل ما في الكون من السموات والأرض وما بينهما من شيء إلا يسبح الله تعالى ويحمده ويشكره على نعمه وفضله وكما قال تعالى: " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ " ٤٤ الإسراء. وكما قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ " ١٨ الحج. {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} والله تعالى يعلم من الأزل وفي نفس اللحظة والوقت والأوان {بِمَا يَفْعَلُونَ} بما يعملون من صلاة وتسبيح لله تعالى وبجميع أفعالهم وأعمالهم فهو



يدري بها ويعلمها ويعرفها {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} ولله تعالى وحده ملك السموات والأرض فهو يملكها ولا يؤوده حفظهما وهو مالك الملك {وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} وإلى الله تعالى مصيرهم ونهايتهم وموتهم وبعثهم إلى الحشر يوم القيامة للحساب.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَرِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ تَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تشاهد وتنظر يا محمد كيف {أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي} أن الله تعالى يسوق وينشئ {سَحَابًا} غيمًا {ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ} أي يجمعه بعضه على بعض ويجعله متلاصقًا ومتربطًا {ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا} أي يجعله يجتمع ويتراكم بعضه فوق بعض {فَتَرَى} فتري وتشاهد يا محمد يا رسول الله {الْوَدْقَ} وهو المطر كما قال تعالى: "اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ " ٤٨ الروم. {سَخَّرُجُ مِنْ خَلَلِهِ} أي يخرج من داخله ويلمع {وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ} وينزل الله تعالى من هذا السحاب والغيم {مِنْ جِبَالٍ فِيهَا} أي

جبال الغيم التي تُرى في السماء كأنها جبال فينزل من هذه الغيوم المطر { مِنْ بَرْدٍ  
فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ } والبرد هي قطع من الماء المتجمد أصغرها كأنها حبة الباقلاء  
وأحياناً تكون كبيرة نوعاً فيصيب بهذا البرد أو المطر من يشاء من عباده فيهلكهم  
أو يؤذيهم أو يصيبهم ضرر إذا أراد الله تعالى لهم ذلك بل قد يصيب ممتلكات  
الإنسان من زروع وغيرها فيتلفها { وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ } ويذهبه ويبعده عن من  
يشاء له السلامة والحفظ منه { يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ } يكاد لمعان برقه الذي يخرج من  
خلاله { يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ } أي يكاد يعميها لشدة لمعانه { يُقَلِّبُ } يُعاقب ويُغير  
ويُدور { اللَّهُ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ } الله تعالى يعاقب الليل والنهار خلف بعضهما البعض  
يطيل أحدهما ويقصر الآخر { إِنَّ فِي ذَلِكَ } إن في ذلك التغيير والتعاقب في الليل  
والنهار { لَعِبْرَةً } لعظة { لِأُولِي الْأَبْصَارِ } لأصحاب البصيرة والنظر والتفكير والاتعاظ  
بما يشاهدونه بأبصارهم وبصيرتهم { وَاللَّهُ } والله تعالى عز وجل { خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ  
مَّاءٍ } خلق الله تعالى كل من يدب على الأرض من مخلوق وحيوانات تمشي على  
الأرض من إنسان وحيوان وطيور وهوام وأصل خلقتها من الماء وكما قال تعالى: " أَلَمْ  
نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ " ٢٠ المرسلات. وقال تعالى: " فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ {٥}  
خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ {٦} " ٦،٥ الطارق. فهذا هو الخلق من الماء وكذلك جسم  
الإنسان أو الحيوان أو الشجر نسبة الماء فيه تزيد على الثلثين تقريباً { فَمِنْهُمْ } أي  
من خلق الله تعالى { مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ } أي يمشي ويسير دون أرجل مثل  
الثعابين والأفاعي { وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ } مثل بني آدم والطيور { وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ } مثل البهائم والحيوانات والوحوش والأنعام { يَخْلُقُ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يخلق ما يشاء ويختار إما بأرجل أو بدون أرجل كالسمك والحيتان في البحار والحيات {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الله تعالى قادر على عمل كل شيء {لَقَدْ أَنْزَلْنَا} لقد أنزلنا عليك يا محمد يا رسول الله {ءَايَاتٍ} آيات من القرآن الكريم {مُتَّبِعَاتٍ} موضحات ومفصلات لكل شيء {وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} إن الله تعالى يهدي ويرشد للحق والصواب من يشاء الله له الهدى واتباع دينه لعلمه بأنه يستحق الهدى ويهدي من يشاء ويريد الله ورسوله والإسلام واتباع الحق والهدى والرشاد وكما قال تعالى: " فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ " ١٢٥ الأنعام. {إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} إلى دين الحق والعدل والصواب والهدى والرشاد.

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمْ أَرْتَابُونَ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِم وَرَسُولَهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

{وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا} ويقول المنافقون للرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين آمنا وصدقنا بالله تعالى رباً وبالرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وأطعنا وأوامر الله وأوامر الرسول {ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ} ثم يُعرض جماعة منهم إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم في أمر من الأمور ليس لهم فيه حق ولا منفعة يعرضوا ويجحدوا بعد قولهم آمنا وأطعنا {وَمَا أَوْلَيْتِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} وليس أولئك بالمؤمنين بالله ولا برسوله ولا مصدقين بأوامرهما وحكمهما {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ} وإذا طلب منهم أن يذهبوا إلى حكم الله ورسوله {لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} ليقضي بينهم بالحق والعدل وبحكم القرآن الكريم {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ} إذا طائفة ومجموعة منهم {مُعْرَضُونَ} لا يمثثلون ولا يقبلون بحكم الله ورسوله لأن الحق ليس لهم {وَإِنْ يَكُنْ هُمُ الْبَاطِلُ} وإن كان الحق لهم ويعلمون ذلك {يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ} يحضروا إلى طلبه مسرعين خاضعين مطيعين {أَفِي قُلُوبِهِمْ} فهل في قلوب أولئك القوم {مَرَضٌ} وهو مرض النفاق بعد ادعائهم بالإيمان {أَمْ أَرْتَابُونَ} أم شكوا في رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْجِفَ} أم يخافون أن يظلم ويحجور {أَلَلَّهُ عَلَيْهِمْ} أن يحكم الله عليهم ورسوله بالجور والظلم {بَلْ أَوْلَيْتِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} بل هؤلاء هم الكافرون والمشركون وهم يظلمون أنفسهم بتلك المعصية فهم المعتدون على حق الغير كما قال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ} إنما كان قول المؤمنين وردهم على حكم الله تعالى إذا طلب منهم أن يأتوا إلى القضاء أو إلى أمر من أوامر الله تعالى ورسوله {لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} ليحكم ويقضي في شأن من شؤونهم أو أمر من أمورهم {أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} أن يكون جوابهم السمع والطاعة وتنفيذ حكم الله تعالى وأمره {وَأَوْلَيْتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} وأولئك هم الفائزون بالجنة يوم القيامة ورضوان الله

تعالى عليهم وكما قال تعالى: " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ " ٣٦ الأحزاب { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } ومن يطع الله ورسوله ويستجب لحكماهما { وَخَشِيَ اللَّهَ } ويخاف الله تعالى { وَيَتَّقَهُ } ويحذره ويجتنب نواهيه ويطيعه { فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } فأولئك هم الفائزون بالجنة يوم القيامة وبرضوان الله تعالى عليهم وهم المفلحون والناجحون في امتحان الله تعالى لهم.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً ٥٢ ﴾ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ ٥٣ ﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿ ٥٤ ﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ ٥٥ ﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿ ٥٦ ﴾

{ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ } وأقسم المنافقون بالله تعالى { جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ } أيماناً مؤكدة { لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ } لئن أمرتهم يا محمد يا رسول الله بالخروج للجهاد معك ليخرجن للجهاد { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً } لا تحلفوا طاعتكم معروفة فهي باللسان فقط وهي كذب ونفاق { إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } إن الله تعالى عليم وعنده خبرة بكم على كذبكم وخبير بما

تعملون من الإعراض عن الجهاد وخبير وعليم بكذبكم ونفاقكم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَطِيعُوا اللَّهَ} أطيعوا الله في أوامره وفروضه {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} وأطيعوا الرسول في أوامره وفيما يأمركم به من الجهاد {فَإِن تَوَلَّوْا} فإن أعرضوا عن الطاعة وجحدوا وأنكروا وخالفوا {فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ} فإنما على الرسول ما حُمِّل من تبليغ الرسالة وشؤونها وتبليغها {وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ} وعليكم أيها المنافقون ما بُلِّغتم به من طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله {وَإِن تُطِيعُوهُ} وإن تطيعوا أيها المنافقون رسول الله وتطيعوه {تَهْتَدُوا} تهتدوا إلى الحق والعدل والصواب والنجاة من النار وتهتدوا إلى طريق الجنة {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ} وليس على الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {إِلَّا الْبَلَّغُ} إلا تبليغ الرسالة والدعوة لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {الْمُيَسَّرُ} الواضح الرسالة والحجة والدليل والبرهان العظيم الواضح {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} وعد الله تعالى المؤمنين {مِنْكُمْ} أيها المسلمون {وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحات ووعد الله تعالى هو عهد عليه ووعد للمؤمنين والله لا يخلف الميعاد {لَيْسَتْ خَلْفَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ} ليجعلنهم في الأرض خلفاء وحكاماً وورثةً {كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} كما ورث الذين من قبلهم من الأمم السابقة وجعلهم يتوارثون خلافة وحكم الأرض {وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ} وليثبتن وليقوين وليظهرن لهم دينهم وهو دين الإسلام {الَّذِي أَرْتَضَىٰ لَهُمْ} الذي قبله ورضيه لهم كما قال تعالى: " وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا " ٣ المائدة. {وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} ولسوف يحولهم من خوفهم من عدوهم إلى أمن واطمئنان كما قال سبحانه وتعالى: " الَّذِي أَطْعَمَهُمْ

مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ " ٤ قريش. {يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} يعبدون الله تعالى وحده ولا يشركون به ولا معه غيره أو شيئاً من الأشياء كعبادة الأصنام والأوثان والأنداد {وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ} ومن كفر بعد إيمانه وجحد وأنكر وخالف وكذب بالله وبرسوله {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} فأولئك هم العاصون والخارجون عن طاعة الله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} وأدوا الصلوات الخمس في كل يوم وليلة في أوقاتها {وَأَتُوا الزَّكَاةَ} وأدوا الزكاة لأموالكم للفقراء والمساكين وإلى أصحاب الحقوق فيها إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} وأطيعوا رسولكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} لعلكم تنجون برحمة الله تعالى من عذاب جهنم يوم القيامة ومن غضب الله وسخطه عليكم.

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ

الْمَصِيرُ ﴿٢٧﴾

{لَا تَحْسَبَنَّ} لا تظنن يا محمد يا رسول الله {الَّذِينَ كَفَرُوا} وهم الكفار وهم من أنكروا وجحدوا وكذبوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} غالبين في الأرض ولا يستطيع الله سبحانه وتعالى الانتقام منهم فلا تظنن ذلك يا محمد يا رسول الله فإن الله تعالى سيغلبهم ويعذبهم ويهلكهم في الأرض {وَمَا أَوْلَاهُمُ النَّارُ} ومصيرهم إلى نار جهنم يوم القيامة {وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ} وساء وقبح مصيرهم ومنقلبهم وعاقبتهم.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذِنُوا كَمَا اسْتَعَانَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرَجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَفَاتِحُهُنَّ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّن عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } يا أيها المؤمنون والمصدقون بالله وملائكته وكتبه ورسوله وباليوم الآخر وهنا يُلاحَظ أن الله تعالى لا يخاطب إلا المؤمنين أهل طاعته ويدع المعارضين { لِيَسْتَعِذِنَكُمْ } ليطلب الإذن والسماح لهم بالدخول عليكم { الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } من الإماء والرقيق والخدم { وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ } والذين لم يبلغوا الرشد أو الاستحلام أي سن الرجولة { مِنْكُمْ } من أبنائكم وأقاربكم الصغار منهم { ثَلَاثَ مَرَّاتٍ } أي في ثلاثة أوقات في اليوم واللييلة وذلك على غرف النوم خاصة



{مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ} أي قبل أذان الفجر في عتمة الليل لأن الرجل يكون في حالة نوم مع زوجته ويكون على حالة لا يحب أن يراه أحد على تلك الصفة أو الحالة التي هو عليها {وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ} والمرة الثانية في الاستئذان هي حين الظهر والقبيلولة عند الظهر حين يخلع الرجل وزوجته ثيابهما للنوم والقبيلولة ويخلعون ثيابهما من شدة الحر ويكونان على حالة لا يحببان أن يراهما أحد فيها {وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ} وبعد أن تُصَلَّى العشاء من الليل يخلد الزوجان للنوم والراحة ويكونان على حالة لا يحببان أن يراهما أحد على تلك الحالة {ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ} هذه ثلاث مرات في ثلاثة أوقات تكون عورات الرجل والمرأة شبه عارية ويجب الاستئذان للإماء والرقيق والخدم والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم عليكم أما الكبار والناس الأجانب فالاستئذان للدخول يكون أشد من هؤلاء {لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ} ليس عليكم يا أهل البيت ولا عليهم أي على الإماء والرقيق والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم {جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ} منع ولا حرج بعد تلك العورات والأوقات الثلاث المذكورة آنفاً {طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ} تطوفون على بعض وتدخلون على بعض دون إذن {كَذَلِكَ} وهكذا {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ} يوضح الله تعالى لكم {الآيَاتِ} الأحكام والإرشادات والبيِّنَات بآيات قرآنية توضح لكم ذلك {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه عليم بأحوالكم وشؤونكم وما يدور حولكم والله عليم بخلقه {حَكِيمٌ} ذو حكمة في أوامره بما ينفعهم ويستترهم {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ} وإذا بلغ الأطفال منكم الرشد والرجولة من أطفالكم وأقاربكم {فَلْيَسْتَأْذِنُوا} فهؤلاء يستأذنون في جميع الأوقات ففي استئذانهم أشد من الأطفال

{ كَمَا اسْتَعَدَّنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } كما استأذن من قبلهم من الرجال البالغين  
الرشد في الدخول عليكم { كَذَلِكَ } وهكذا { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ } يوضح الله  
تعالى لكم آياته القرآنية وأحكامه الشرعية { وَاللَّهُ عَلِيمٌ } والله عليم بخلقه وما في  
نفوسهم وما ترى أعينهم { حَكِيمٌ } ذو حكمة في أوامره ونواهيه بما ينفعهم  
ويصلح شأنهم ويستر عيوبهم { وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ } أي العجائز والكبيرات في  
السن من الشيخوخة { الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا } ممن لا يأملون زواجاً لكبر سنهن  
وعجزهن وشيخوختهن { فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ } فليس عليهن حرج ولا ذنب { أَنْ  
يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ } ألا يلبسن العباءة والقناع والخمار { غَيْرَ مُتَّبِرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ } غير  
متجملات ولا متزينات بمساحيق أو ما يجلب الفتنة والإغراء { وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ }  
وأن يتعففن عن إظهار الزينة ووضع الثياب { خَيْرٌ لَّهُنَّ } فهو أفضل لهن { وَاللَّهُ  
سَمِيعٌ } والله يسمع لأقوالهن وأفعالهن ورغباتهن { عَلِيمٌ } عليم بهن وبأحوالهن  
ورغباتهن وتعففهن وبما يصلحهن وينفعهن { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ } لا منع  
على الأعمى { وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ } ولا على المبتور ساقه أو به عرج فلا منع  
عليه { وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ } وكذلك لا منع على المريض { وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ }  
ولا على أنفسكم أيها المؤمنون أنتم الأصحاء { أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ } أن تأكلوا  
من طعام بيوتكم { أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ } أو من طعام آبائكم في بيوتهم { أَوْ بُيُوتِ  
أُمَّهَاتِكُمْ } أو تأكلوا من الطعام في بيوت أمهاتكم { أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ } أو الطعام  
في بيوت إخوانكم { أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ } وكذلك أن تأكلوا الطعام من بيوت  
أخواتكم { أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ } أو أن تأكلوا في بيوت أعمامكم

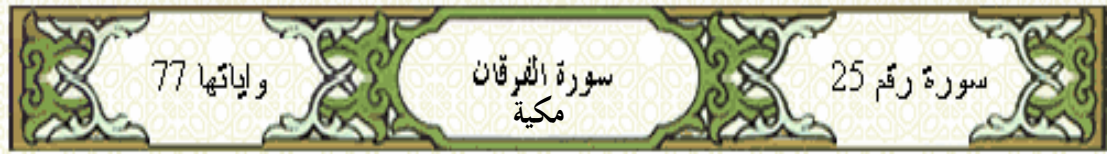
وعماتكم {أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَلَّتِكُمْ} ولا مانع أن تأكلوا الطعام من بيوت أخوالكم أو خالاتكم {أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ} أو ما تملكون خزائنه أو لكم حكمٌ عليه أو مسؤولية أو تديرونه {أَوْ صَدِيقِكُمْ} أو من بيت صديقكم طعامه حلال لكم ولا مانع من الأكل في بيوت كل من ذكر أي تأكلون طعام كل من دعاكم ضيوفاً إلى بيته وبخاطره {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} لا حرج ولا ذنب عليكم {أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا} أن تأكلوا كضيوف في جماعة {أَوْ أَشْتَاتًا} أو أفراداً منفردين {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا} فإذا دخلتم بيوتاً لا سكان فيها {فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ} أي تحية من عند الله تعالى {مُبْرَكَةً طَيِّبَةً} فهذه التحية من الله مباركة وفيها خير وهي طيبة وحسنة بأن تقولوا السلام علينا من الله وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم السلام لأن البيت الخالي من الناس به ملائكة وصالحي الجن. قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المثني حدثنا عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن أنس قال: أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم بخمس خصال قال: (يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيك من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت - يعني بيتك - فسلم على أهلِكَ يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين قبلك. يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٠٦]. {كَذَلِكَ} وهكذا {يُبَيِّنُ} يوضح {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَكُمْ} لكم أيها المؤمنون {الْآيَاتِ} آيات القرآن الكريم {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} لعلكم تتعظون وتفهمون آيات الله تعالى.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٦﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ط قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ } إنما المؤمنون حقاً هم { الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } الذين آمنوا وصدقوا بالله رباً ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً { وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ } وإذا كانوا مع الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ } على أمر هام وجامع لجميع المسلمين مثل الجهاد { لَّمْ يَذْهَبُوا } لم يذهبوا عنه ويتركوه { حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ } إلا بعد أن يستأذِنوه ويطلبون منه الانصراف { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ } إن الذين يطلبون منك الإذن يا محمد يا رسول الله أن تسمح لهم بالانصراف أو التخلف عن الجهاد معك بعذر { أُولَٰئِكَ } هؤلاء { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } هم الذين يؤمنون ويصدقون بالله رباً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً { فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ } فإذا طلبوا منك الإذن لتسمح لهم لقضاء بعض أمورهم وشأنهم { فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ } فأذن ممن تشاء ممن يستأذن منك { وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ } واطلب من الله تعالى

المغفرة لهم {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يغفر لمن استأذنتك {رَحِيمٌ} رحيم به لا يعذبه {لَا تَجْعَلُوا} لا تجعلوا أيها المؤمنون {دُعَاءَ الرَّسُولِ} نداء الرسول ومخاطبته وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بَيْنَكُمْ} فيما بينكم {كِدُوعًا} كنداء ومخاطبة {بَعْضِكُمْ بَعْضًا} كما يخاطب بعضكم بعضاً بدون احترام وبدون رقة وبدون اكتراث {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ} فالله تعالى يعلم تمام العلم والمعرفة عن الذين {يَتَسَلَّلُونَ} أي يهربون خفية أن يراهم أحد وهم منصرفون {مِنْكُمْ} منكم أيها المسلمون {لِوَاذًا} فراراً من الجهاد أو الحرب {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} فليخش على أنفسهم من عذاب الله تعالى الذين يهربون ويخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم {أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} أن تصيبهم مصيبة {أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أو يسلب الله عليهم عذاب شديد وأليم وموجع لمخالفتهم أمر الله تعالى ورسوله {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ} ألا للتنبيه لما بعدها إن لله تعالى {مَا فِي السَّمَوَاتِ} ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وكواكب وملائكة {وَالْأَرْضِ} والأرض وما فيها من جن وإنس وحيوانات ووحوش وطيور وجبال وبحار وأنهار وكل ما فيها لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {قَدْ يَعْلَمُ} والله تعالى يعلم ويعرف ويدري {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ} ما أنتم عليه أيها الناس جميعاً من إيمان أو نفاق أو مخالفة أو إنكار أو جحود أو تكذيب لله ولرسوله {وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ} ويوم القيامة عندما يرجعون إليه في الآخرة في المحشر للحساب ويبعثهم من قبورهم أحياءً {فَيُنَبِّئُهُمْ} فيخبرهم {بِمَا عَمِلُوا} بما فعلوا من أعمال في الدنيا من خير أو شر {وَاللَّهُ} والله تعالى {بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} والله

تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه عليم يعلم بكل شيء في كونه وبكل شيء  
من أعمالكم فهو عليم به ومحيط به علمه ويدري به ويعرفه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ  
 مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ  
 كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ  
 يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا  
 نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ  
 فَقَدْ جَاءَ وَظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ  
 بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ  
 غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾

{ تَبَارَكَ } تعالی و تقدس و عز و جل الله و حسنت و ازدادات و اتسعت برکته حتی  
 شملت جميع ملكه جل جلاله و عظم قدره و علا شأنه { الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ } الذي  
 نزل من اللوح المحفوظ القرآن الكريم إلى بيت العزة - وهو مسجد في السماء الدنيا  
 وهو البيت المعمور لأهل السماء الدنيا وفي كل سماء يوجد بيت معمور وفي السماء  
 السابعة يوجد كذلك البيت المعمور الذي جاء ذكره في حديث الإسراء والمعراج بأن  
 النبي صلى الله عليه وسلم رأى إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره للبيت المعمور في  
 السماء السابعة وهو بحيال الكعبة لو خرّ لخرّ عليها - ثم ينزل القرآن الكريم من  
 بيت العزة في السماء الدنيا بواسطة جبريل عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله

عليه وسلم منجماً أي مفرقاً حسب الأحداث والوقائع حتى اكتمل {عَلَىٰ عَبْدِهِ} أي على نبيه ورسوله وعبدته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} للعالمين وهم عالم الجن والإنس وجميع أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم ومشركهم ومجوسهم واليهود والنصارى والصابئين ليكون القرآن محذراً من عذاب الله تعالى ومن عصيانه ومن الإشراف به وعبادة غيره من الأصنام والأوثان والأنداد. وسُمي القرآن بالفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام والهدى والضلال والإيمان والكفر وهو يطلق دائماً على الكتب السماوية مثل التوراة كما قال تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ " ٤٨ الأنبياء. {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي نزل الفرقان على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي له ملكية وحكم وخلق السموات السبع والأرض وهو يملكها وحده لا شريك له {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} ولم يكن له ولد أي لم يلد ولم يولد {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} ولم يكن له شريك في ملكه {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} وخلق الله تعالى كل شيء في السموات والأرض وما فيهن والعرش والكرسي وخلق الملائكة والإنس والجن والحيوانات والطيور والأشجار والبحار والأنهار {فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} أي خلقه على الصورة والهيئة والصفة التي أرادها وبقدر معلوم وذكر أو أنثى أي فكونه تكويناً وقدره بالكيفية والعدد والكمية التي أرادها {وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً} وعبد المشركون غير الله تعالى آلهة من الأصنام والأوثان والأنداد والمخلوقات {لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا} وهم لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً حتى الذباب والبعوض لا يستطيعون خلقه {وَهُمْ يُخْلَقُونَ} وهم خلقهم الله تعالى من العدم



{وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} ولا يستطيعون دفع ضرر عنهم ولا جلب منفعة لهم {وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا} ولا يستطيعون موتاً لأحد وإلا لهزموا جيوش أعداء من يعبدونهم وأماتوهم بدون تعب ولا مشقة وبدون حروب {وَلَا حَيَوةٌ} فلا يستطيعون إحياء الموتى أو من مات من أهل من يعبدونهم وأقاربهم أو لخلقوا لهم أولاداً ألوفاً لو استطاعوا أن يضعوا فيهم الحياة {وَلَا نُشُورًا} ولا يستطيعون إحياء الموتى يوم القيامة للحساب {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} وقال الكفار {إِنَّ هَذَا} إن هذا القرآن {إِلَّا إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ} إلا اختلاق وكذب وافتراء افتراه واختلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ} وعلمه هذا القرآن وساعده في حفظه {قَوْمٌ} قوم آخرون غيره ويقصدون بعض الفرس {فَقَدَّ جَاءُوا ظُلْمًا} فقد جاء هؤلاء الكفار والمشركون بهذا الظلم والادعاء والكذب والجحود والإنكار والادعاء بأن قوماً آخرين علموه هذا القرآن فهم ظلموا الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَوُزُورًا} وبهتاناً وشهادة زور لأنهم لم يروا أحداً يعلمه {وَقَالُوا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ} وقالوا هذه من خرافات وكذب السابقين من الأمم السابقة {أَكْتَتَبَهَا} اقتبسها ونسخها وكتبها بيده {فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ} فهي تُقرأ عليه لينقلها ويكتبها وينسخها {بُكْرَةً} صباحاً {وَأَصِيلاً} مساءً علماً بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة وهذا كذب وزور عليه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَنْزَلَهُ} أنزل القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبِ وَالخَفَاءِ} الذي يعلم الخفاء والغيب وما يُسر به في السموات والأرض {إِنَّهُ} قدره وعلا شأنه الذي يعلم الخفاء والغيب وما يُسر به في السموات والأرض {إِنَّهُ}

كَانَ غُفُورًا} إن الله تعالى يغفر لمن تاب وأناب وندم ورجع إلى عبادة الله تعالى وطاقته {رَحِيمًا} فهو يرحمه ولا يعذبه يوم القيامة بعد توبته.

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴿٨﴾ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١١﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴿١٢﴾ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٤﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٥﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾

{وَقَالُوا} وقال الكفار وهم كفار مكة {مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} لماذا هذا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام مثلنا وليس ملكاً من الملائكة يسير في الأسواق مثلنا لشراء حاجاته ونريده كالملائكة لا يأكل ولا يشرب ولا يتجول في الأسواق {لَوْلَا} أفلا {أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا} أنزل إليه ملك من السماء يرافقه ينذرنا ويحذرنا بأمر الله تعالى ويحذره إذا أخطأ كتجوله في الأسواق {أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ} أو ينزل عليه كنز من ذهب من عند الله أمامنا ونراه ينفق منه {أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا} أو يجعل الله تعالى للرسول محمد صلى الله عليه وسلم جنة من جنات السماء يأكل منها ونراها بأعيننا حتى نصدقه بأنه رسول الله {وَقَالَ الظَّالِمُونَ} وقال

الظالمون لأنفسهم بالكفر وكما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة.  
وقال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا} إن  
تتبعون وتصدقون إلا رجلاً وهو محمد صلى الله عليه وسلم فهم يعتبرونه رجلاً  
وليس رسول الله {مَسْحُورًا} أي أصابه السحر وأثر على عقله فهو مجنون {أَنْظُرْ  
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ} انظر وتأمل وشاهد يا محمد يا رسول الله كيف  
ضربوا لك الأمثال لمن يجب أن يكون نبياً بزعمهم من أنه ينبغي أن يكون معه ملك  
أو لا يأكل ولا يشرب ولا يمشي في الأسواق {فَضَلُّوا} فتاهوا وغووا وبعثوا عن  
الحقيقة والصواب والهدى وقالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مسحور {فَلَا  
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} فلا يستطيعون أن يهتدوا إلى سبيل وطريق الهدى والحق  
والصواب والرشاد واتباع دين الإسلام {تَبَارَكَ} تعالى وتقدس وعز وجل وحسنت  
وازدادت واتسعت بركته حتى شملت جميع ملكه السماوات والأرض {الَّذِي} إن  
شَاءَ جَعَلَ لَكَ} وهو الله تعالى الذي إن أراد جعل لك يا محمد يا رسول الله  
{خَيْرًا} أفضل وأحسن {مِنْ ذَلِكَ} مما ذكره من الكنز والجنة {جَنَّتِ} أن  
يعطيك الله تعالى يوم القيامة جنات الفردوس {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} التي  
تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار نهر من اللبن ونهر من الماء ونهر من  
العسل ونهر من خمر لذة للشاربين لا يسكر ولا يغييب العقل {وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا}  
وسيجعل لك قصوراً في الجنة ثواباً لك على رسالتك وتحملك الأذى ممن كفر  
وأنكر وكذب برسالتك {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ} فلم ولا يكذبوك وحدك يا محمد  
يا رسول الله بل كذبوا بيوم القيامة {وَأَعْتَدْنَا} وجهزنا وحضرنا وأعدنا

{لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ} لمن جحد وأنكر وكذب بيوم القيامة {سَعِيرًا} نار جهنم تسعرهم وتحرقهم بنارها ولهيبها {إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} إذا شاهدتهم جهنم وأن لها عينين ترى بهما يوم القيامة بدت تتغيظ عليهم {سَمِعُوا هَآ} عندها سمع الكفار لصوتها {تَغِيظًا} غضباً عليهم وغلياناً واشتعالاً {وَزَفِيرًا} وصوتاً مسموعاً كالزفير من شدة اشتعالها وتوهجها {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا} إذا أُلْقُوا فِيهَا {مَكَانًا ضَيِّقًا} مكاناً ضيقاً على عمد ممددة {مُقَرَّنِينَ} مسلسلين الكفار مع بعضهم أو كافر مع شيطان في نار جهنم موثوقين بالسلاسل والأصفاد والأغلال {دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا} في ذلك الوقت بكوا وصرخوا عويلاً مولولين داعين على أنفسهم بالويل لهم والهلاك {لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ} لا تصرخوا اليوم ولا تبكوا عويلاً وتولولوا وتدعوا على أنفسكم {ثُبُورًا وَاحِدًا} أي هلاكاً مرة واحدة {وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا} وادعوا على أنفسكم هلاكاً مرات كثيرة دائماً ومستمراً في نار جهنم.

﴿ قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾  
 لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ  
 وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ۖ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ ۖ أَمْ هُمْ ضَلُّوا  
 السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلٰكِن  
 مَّتَّعْتَهُمْ وَعَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا  
 تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا  
 كَبِيرًا ﴿١٩﴾

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَذَلِكْ} هل ذلك العذاب في جهنم {خَيْرٌ} أفضل وأحسن {أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين أن يدخلوها ثواباً لهم على تقواهم وخشيتهم من عذاب الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له وطاعته {كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً} وكانت لهم ثواباً ومكافأة لهم على عبادة الله تعالى وطاعته {وَمَصِيرًا} وعاقبة ونهاية ومقراً لهم {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ} للمتقين في الجنة ما يريدون {خَالِدِينَ} دائمين {كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا} كان عهداً على الله حقاً ومؤكداً ووعداً أخذه على نفسه يسأله المؤمنون يوم القيامة أن يوفي لهم هذا الوعد الذي وعدهم به ويقولون كما قال تعالى: " رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ " ١٩٤ آل عمران. {وَيَوْمَ} ويوم القيامة {يَحْشُرُهُمْ} يجمعهم الله تعالى في المحشر وهم الكفار {وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ} وما يعبدون غير الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد وغيرهم من الملائكة والعزير وعيسى ابن مريم {فَيَقُولُ} فيسألهم

الله تعالى وهو أعلم ويقول لهم {ءَأَنْتُمْ أَضَلُّلْتُمْ} ءأنتم أغويتم وفتنتم {عِبَادِي هَتُولَاءِ} عبادي هؤلاء الكفار {أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ} أم هم من أنفسهم عبدوا الأوثان والأصنام وغووا وبعدوا عن الهدى والرشاد وطريق الحق {قَالُوا} قالت الملائكة والعزير وعيسى ابن مريم {سُبْحٰنَكَ} تقدست وتنزهت وتعاليت {مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا} لا يحق لنا ولا يمكن {أَنْ نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءِ} أن نعبد غيرك ونجعل غيرك يتولى أمرنا من دونك فلا نعبد إلا إياك وكما قال تعالى: " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " فكيف نأمر غيرنا أن يعبدونا من دونك {وَلٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وءَابَاءَهُمْ} ولكن أترفتمهم هم وآبآءهم {حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ} حتى تركوه وحتى نسوا القرآن وحكمك وأوامرك ونواهيك فيه {وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا} وكانوا قوماً خاسرين فلا خيراً عملوا ولا ثواباً وجدوا {فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ} فقد كذبكم الكفار أيها المؤمنون {بِمَا تَقُولُونَ} بما تقولون لهم فلم يصدقوكم {فَمَا تَسْتَطِيعُونَ} فلا تستطيعون {صَرَفًا} منعاً للعذاب عنهم {وَلَا نَصْرًا} ولا تستطيعون نصرهم ولا حفظهم من العذاب ولا منع العذاب عنهم {وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ} ومن يظلم منكم نفسه بالكفر {نُدِقُّهُ} نعذبه ونعاقبه {عَذَابًا كَبِيرًا} عذاباً شديداً وعظيماً وأليماً يوم القيامة في جهنم.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٥﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٦﴾ ۞ ﴾

{ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } ولم نرسل أحداً من المرسلين والأنبياء ممن هم قبلك يا محمد يا رسول الله { إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ } إلا إنهم جميعاً بشر يأكلون الطعام كما قال تعالى: " وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ " ٨ الأنبياء. { وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ } ويسيروا ويتجولون في الأسواق لأنهم رجال كباقي أهل السوق ليتسوقوا ولشراء ما يحتاجونه من الطعام والشراب { وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً } وجعل الله تعالى الكفار يعادون المسلمين { فِتْنَةً } ابتلاءً واختباراً وامتحاناً { أَتَصْبِرُونَ } فهل تصبرون على الطاعة وعلى أذى الكفار وثوابكم الجنة { وَكَانَ رَبُّكَ } وربك يا محمد يا رسول الله { بَصِيرًا } يرى ويشاهد ويراقب ما يفعل الكفار معكم من الإيذاء والتكذيب { وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا } وقال الكفار وهم الذين لا يرغبون ولا يأملون ولا يصدقون بالبعث والنشور والمحشر ولقاء الله تعالى يوم القيامة للحساب { لَوْلَا } أفلا { أُنزِلَ } عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ } لو أنزل الله تعالى علينا الملائكة مع محمد حتى نراهم بأعيننا { أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا } أو نرى بأعيننا وننظر ونشاهد ربنا الله تعالى جهرة { لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ} لقد تعالوا في أنفسهم وفي قرارة أنفسهم وداخلها استكباراً وتعالياً على  
تصديق رسالتك يا محمد يا رسول الله {وَعَتَوْا عُتُوًّا} وتكبروا وتجبروا وتمردوا  
تمرداً وجحوداً وإنكاراً وتكذيباً {كَبِيرًا} عظيماً لا يوصف {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ}  
عندما يرون الملائكة ويشاهدونها بأعينهم {لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ} لا فرحة ولا سرور  
يوم رؤية نزول الملائكة {لِلْمُجْرِمِينَ} للمذنبين والعاصين والكفار {وَيَقُولُونَ}  
وتقول الملائكة لهم {حِجْرًا مَّحْجُورًا} أي حبساً دائماً لا خروج منه ولا نجاة في نار  
جهنم كما قال تعالى: " خُذُوهُ فَغُلُّوهُ {٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ {٣١} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ  
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ {٣٢} " ٣٠-٣٢ الحاقة. {وَقَدِمْنَا} وجئنا وأتينا  
{إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ} إلى أعمالهم في الدنيا حتى لو كان خيراً {فَجَعَلْنَاهُ  
هَبَاءً} فجعلناه غباراً {مَّنْثُورًا} متناثراً ومتلاشياً وزائلاً أي كأن لم يكن شيئاً كما  
قال تعالى: " وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا  
جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا " ٣٩ النور.



﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ  
بِالْغَمِّمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى  
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ  
سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّاتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ  
جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي  
اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ  
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً  
كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۗ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ  
بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ  
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} أهل الجنة ومن يدخلها من المؤمنين {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة  
{خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا} أفضل وأحسن مقاماً ومنزلاً {وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} وأحسن راحة وسكناً  
ومأوى من شدة الحر تشبيهاً بما يعرف في الدنيا بالقيلولة وهي وقت الظهيرة وفي  
منتصف النهار حيث يلجأ الناس لأن يخلدوا للراحة من شدة الحر في الصيف  
وينام بعضهم ليأخذ قسطاً من الراحة من عناء تعب أول النهار {وَيَوْمَ} وفي يوم  
القيامة {تَشَقُّقُ السَّمَاءُ} تنشق وتتصدع وتفتح أبوابها وتنزل الملائكة إلى أرض  
المحشر في القدس بفلسطين وتحيط بالخلائق {بِالْغَمِّمِ} وتمتلئ السماء بالغمام  
وكما قال تعالى: " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ  
وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ " ٢١٠ البقرة. {وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ} وتنزل ملائكة

الرحمن {تَنْزِيلًا} أي تؤمر أمراً بالنزول من قبل الله تعالى وليس عن طيب خاطر بل أمراً من الله تعالى {الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ} مُلْكُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ {الْحَقُّ} الصدق الذي لا كذب فيه وهو الجد ليس بالهزل {لِلرَّحْمَنِ} وهو لله تعالى الذي كان يرحم الناس مؤمنهم وكافرهم ولا يمنع رزقه عنهم في الدنيا {وَكَانَ يَوْمًا} أي أنه سيكون وأنه بالنسبة إلى الله تعالى وكأنه نُفِذَ في الماضي أي أنه حتماً مقضياً سيكون هذا اليوم وهو يوم القيامة {عَلَى الْكٰفِرِينَ} على الكفار الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن سيكون عليهم هذا اليوم {عَسِيرًا} صعباً وشاقاً وقاسياً وشديداً. قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا مؤمل حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية: " وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا " قال ابن عباس رضي الله عنهما: (يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والإنس والبهائم والسباع والطيور وجميع الخلق فتنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالجن والإنس وجميع الخلق ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق ثم تنشق السماء الثالثة فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تنشق السماء السابعة فينزل أهلها وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات وبالجن والإنس وجميع الخلق كلهم وينزل ربنا عز وجل في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم

أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والإنس وجميع الخلق ، لهم قرون كأكعب القنا وهم تحت العرش لهم زجل بالتسييح والتهليل والتقديس لله عز وجل ما بين أخصم قدم أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته إلى حجزته مسيرة خمسمائة عام وما بين حجزته إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام وما بين ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام وجهنم محسه). [هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق - ابن كثير ج ٣ ص ٣١٦]. { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ } ويوم يعض الكافر على يديه ندماً على ما فرط في جنب الله تعالى وعصيان رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبه. والظالم هنا هو الكافر والمشرك لأنه ظالم لنفسه بالكفر والشرك كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. { يَقُولُ } يقول المشرك والكافر { يَلِيَّتَنِي } يتمنى لو أنه { اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا } اتخذ مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طريقاً إلى الهدى والإسلام وهي مجرد أمنية حيث أنه لا ينفع الندم بعد فوات الأوان { يَنوَيْلَتِي } يا خيبتني وبالعذابي { لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا } يتمنى أنه لم يتخذ أحد أصدقاء السوء صاحباً وخليلاً حيث أغراه بعبادة الأصنام والأوثان والأنداد وشرب الخمر وارتكاب المعاصي والذنوب والآثام { لَقَدْ أَضَلَّنِي } لقد أبعدني وأغواني وضللني { عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي } عن اتباع القرآن بعد أن أتاني وشاهدته ونظرته وقرأته فلم أتبع هداه ولا وعظه ولا أوامره ولا زجره ولا نواهيته { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } وكان الشيطان يقعد للإنسان مرصداً لا يدعه يتبع هدى ولا يؤدي عبادة ولا يتبع الحق ولا العدل ولا الصواب

ولا الهدى بل يضلّه ويخذله ويغويه ويثبّط من همه ويجعله يتكاسل عن طاعة الله  
ويبتعد عن الحق وعمل الخير { وَقَالَ الرَّسُولُ } وقال الرسول والنبي سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم { يَتَرَبَّ } يا ربي ويا خالقي ويا إلهي ويا معبودي ويا الله { إِنَّ  
قَوْمِي } إن أمّتي { اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ } الذي أنزلته { مَهْجُورًا } متروكاً من تلاوته  
والعمل به وتركوا أحكامه وحكموا بالقوانين الأرضية والوضعية والعلمانية حسب  
أهوائهم وطبقاً لرغباتهم وشهواتهم وملذاتهم وغرورهم { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ  
عَدُوًّا } وهكذا جعل الله من طبيعة البشر العداوة لمن ينصحهم ويهديهم وخاصة  
للأنبياء والرسل جعل لهم أعداءً { مِّنَ الْمُجْرِمِينَ } من المذنبين والعاصين  
والجاحدين والمنكرين والمكذبين { وَكَفَىٰ بَرَبِكْ هَادِيًّا } ويكفيك ربك يا محمد فهو  
لك هادٍ ولن اتبعك من المؤمنين { وَنَصِيرًا } وينصرك الله تعالى على أعدائك من  
الكفار في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة ينصرك ويدخلك الجنة والكفار يدخلهم  
النار { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } وقال الكفار الذين جحدوا وأنكروا القرآن ورسالة سيدنا  
محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا { لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً } أفلا أنزل  
عليه القرآن كله مرة واحدة مجموعاً في كتاب وليس مفزقاً { كَذَلِكَ } وهكذا  
أنزلناه عليك يا محمد يا رسول الله مفزقاً ومنجماً في عشرين سنة حسب الأحداث  
والوقائع بعد أن أنزله الله تعالى جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة وهو  
مسجد في السماء الدنيا في ليلة القدر { لِنُنَبِّئَكَ بِهِمُ فُؤَادَكَ } لننبيئك في قلبك بالنسبة  
لكل حدث ينزل فيه القرآن حتى لا تنسى الحدث والواقعة التي نزل فيها القرآن  
ليكون أكثر ترسيخاً وتثبيتاً لك وحتى تحفظه عن ظهر قلب ويكتبه كتبة الوحي  
عندك ليحفظ في العقول والسطور وسبب نزوله بالأحداث التي ينزل فيها

{وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} وقرأناه بواسطة جبريل عليك يا محمد يا رسول الله مرتلاً عليك لتحفظه وتفهمه وتعلم معانيه {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ} ولا يأتونك بمثل أو سؤال أو اعتراض {إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ} إلا جنناك بالرد والجواب الحق والعدل والصحيح {وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} وأحسن شرحاً وتفصيلاً وتوضيحاً وبياناً ولذلك نزل القرآن مُنْجِماً حسب الأحداث والوقائع {الَّذِينَ تُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ} الذين يساقون في المحشر يوم القيامة سحباً وجرأً على وجوههم إلى دخول جهنم وكما قال تعالى: "يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ" ٤١ الرحمن. {أُولَئِكَ} هؤلاء {شَرُّ مَكَانًا} هم أسوأ مكاناً في جهنم لكفرهم {وَأَضَلُّ سَبِيلًا} لأنهم أكثر ضلالاً وأبعد عن طريق الهدى والطريق المستقيم. وفي الصحيح عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال: (إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة). وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين. [ابن كثير ج ٣ ص ٣١٦].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴿٢٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٢٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٢٨﴾ وَكُلًّا صَبَرْنَا لَهُ الْأَمْثَلَ ۖ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْفَرِّيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا ۖ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۖ ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى} ولقد أعطى الله تعالى موسى ابن عمران عليه السلام وهو نبي الله ورسوله وأنزل عليه {الْكِتَابَ} وهو التوراة {وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ} وأرسل الله تعالى مع موسى عليه السلام أخاه هارون وهو أكبر من موسى سنًا {وَزِيْرًا} أي جعل هارون مؤازرًا ومستشارًا ومساعدًا ومعينًا ومؤيدًا لموسى عليه السلام {فَقُلْنَا أَذْهَبَا} فقال الله تعالى لهما أي لموسى وأخيه هارون اذهبا {إِلَى الْقَوْمِ} إلى فرعون مصر وهو ملك مصر وهو الوليد بن مصعب وقومه {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} الذين كفروا بآياتنا الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى من خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والأمطار والموت والحياة وغيرها وكذلك كذبوا لاحقًا وجحدوا وأنكروا المعجزات التي أرسلها الله تعالى إليهم مع موسى

عليه السلام كالعصا تنقلب ثعباناً وتفلق البحر ويده تخرج بيضاء تتلألاً والضفادع والقمل والدم وهي تسع آيات أخرى معجزة لفرعون وقومه في مصر {فَدَمَّرْنَهُمْ تَدْمِيرًا} فلما كذبوا بمعجزات الله تعالى على يد موسى عليه السلام دمرهم الله وأهلكهم بالغرق في البحر {وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ} وكذلك قوم نوح عليه السلام لما كذبوا نوحاً عليه السلام وجحدوا وأنكروا رسالته أغرقهم بالطوفان {وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً} وجعل الله قوم نوح معجزة وعظة لمن يكذب الرسل وعبرة فأهلكهم وعذبهم بالغرق {وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ} وأعد الله وحضر وجهز للمشركين والكفار لظلمهم أنفسهم بالشرك والكفر كما قال تعالى: "وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ" ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: "إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ١٣ لقمان. {عَذَابًا أَلِيمًا} عذاباً شديداً موجعاً في جهنم يوم القيامة {وَعَادًا} وقوم عاد وهم قوم هود عليه السلام {وَتَمُودًا} وقوم ثمود هم قوم صالح عليه السلام {وَأَصْحَابَ الرِّسِّ} وهم قوم شعيب والله أعلم {وَقُرُونًا} أزماناً وفترات فيها أهلكت أمم وأقوام {بَيْنَ ذَلِكَ} بين هلاك قوم نوح عليه السلام وقوم فرعون موسى في مصر {كَثِيرًا} وأهلك الله أمماً وأقواماً كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى {وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ} وكلاً من أولئك الأقوام وعظناهم وضربنا لهم الأمثال والعبر من الأمم التي سبقتهم ولكنهم لم يعتبروا {وَكُلًّا} وكلاً من تلك الأمم السابقة الذين كذبوا الرسل {تَبَرَّنَا} تَبَرَّأنا أهلكناهم ودمرناهم تدميراً بذنوبهم وتكذيبهم {وَلَقَدْ أَتَوْا} ولقد أتى قومك يا محمد يا رسول الله وهم كفار قريش ومروا {عَلَى الْقَرْيَةِ} وهم في تجارتهم إلى الشام في رحلة الشتاء والصيف على قرية لوط عليه السلام {الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا

السَّوَاءِ { التي أمطرناها بالحجارة وهو مطر العذاب والدمار والهلاك حيث أنها كان أهلها يأتون الذكور في الأدبار من دون النساء { أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا } أفلم يرون هذه القرية قرية لوط عليه السلام وهي مدمرة وقد جعل عاليها سافلها أفلم يشاهدوا ذلك وينظروه بأعينهم { بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا } ولكنهم لا يأملون نشوراً ولا بعثاً ولا حياةً يوم القيامة ولم يصدقوا بالبعث ولا النشور { وَإِذَا رَأَوْكَ } وإذا شاهدك الكفار والمشركون { إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا } إن يتخذونك إلا سخرية { أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا } فهل هذا هو الذي بعثه الله لنا رسولاً ونبياً أي يهزؤون ويسخرون منه صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوه { إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا } كان على وشك أن يضلنا ويبعدنا عن آلهتنا ومعبوداتنا من الأصنام والأوثان والأنداد { لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا } لولا أننا صمدنا ومكثنا على عبادتها ولم نصدقه لأضلنا وأغوانا على ترك عبادتها { وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } ويوم القيامة سيعلمون حقيقة أمرهم وعبادتهم لأصنام لا تنفع ولا تضر { حِينَ يَرَوْنَ } حين يشاهدون وينظرون بأعينهم { الْعَذَابِ } العذاب والعقاب في نار جهنم يوم القيامة { مَنْ أَضَلُّ } من أبعد { سَبِيلًا } طريقاً عن الحق والهدى ودين الإسلام { أَرَأَيْتَ } أعلمت وشاهدت يا محمد يا رسول الله { مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ } من اتخذ عبادة إلهه حسب وتبعاً لهواه وشهواته ورغباته من المحرمات والمعاصي { أَفَأَنْتَ } فهل أنت يا محمد يا رسول الله { تَكُونُ عَلَيْهِ } فهل تستطيع يا محمد يا رسول الله أن تكون على هذا الذي اتبع هواه { وَكَيْلًا } مانعاً وحافظاً وحامياً ودافعاً عنه الكفر والشرك والضلال { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ } أو هل تظن وتعتقد أن



غالبيتهم يسمعون النصح والوعظ والإرشاد {أَوْ يَعْقِلُونَ} أو يتعظون أو يفهمون {إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْبَهَائِمِ} إن هم إلا كالبهائم والدواب لا يعقلون ولا يفهمون {بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} بل هم أضل وأبعد ضلالاً وغياً وأبعد طريقاً عن الهدى من البهائم والدواب.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٥٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٥٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًا كَثِيرًا ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٦٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٦١﴾ فَلَا تَطِعِ الكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٦٢﴾ ﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تنظر وتشاهد يا محمد يا رسول الله {إِلَىٰ رَبِّكَ} إلى حكمة ومعجزة ربك الله سبحانه وتعالى {كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ} كيف حرك الظل بتحريك الشمس فيطول ويقصر وينحرف يميناً وشمالاً على حسب دوران الشمس {وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا} ولو أراد الله لجعله ثابتاً لا يتحرك كالليل {ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا} فجعلنا دليل وجوده هو وجود الشمس فبوجودها يوجد ظل الأشياء وبغيابها لا يظهر ظل الأشياء فبالليل مثلاً لا يرى ظل للأشياء {ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا} ثم أخفيناها تدريجياً وهو القبض اليسير أي بالتدرج حتى يختفي بغياب الشمس وحلول الظلام وهذه هي مشيئة الله تعالى الذي لو أراد لجعله ساكناً

كما هو في الليل لا يرى ويسكن {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِبَاسًا} والله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لباساً ومكثاً لتلبسوا وتمكثوا فيه في منازلكم وهو يلبسكم بظلامه كما يلبس الثوب على الجسد أي يغطيكم بظلامه كالثوب يغطي أجسادكم من الحر والبرد {وَالنَّوْمَ سُباتًا} والنوم جعله الله لكم عميقاً لا حركة فيه ويسمى النوم بالموتة الصغرى لأنه لا حركة فيه {وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} وجعل الله تعالى بقدرته وحكمته وفضله النهار للانتشار فيه للعمل وطلب الرزق ولتطلبات المعيشة {وَهُوَ} وهو الله تعالى {الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا} والله تعالى أرسل لكم أيها الناس الرياح تهب بشرى لتبشر {بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} أي تبشر بقدوم رحمته من السماء من المطر {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} وأنزل الله تعالى المطر من السماء {طَهُورًا} أي طاهراً في نفسه ومطهراً لغيره من القاذورات والأوساخ والنجاسات أي ماءً نقياً عذباً صافياً مطهراً ونظيفاً لأنه لا يوجد به شوائب ولا أوساخ ولا غبار بعد نزول القطرات الأولى منه حيث تزيل الغبار والحشرات من الجو وتنظفه ثم بعد ذلك يكون طهوراً {لِنُنحِيَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا} يُخرج به النباتات والزرورع من الأرض وهذا هو إحيائها بعد قحطها وجفافها {وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا} ونسقيه للحيوانات الأليفة والدواب والبهائم وغيرها مما خلق الله تعالى {وَأَناسِي} ونسقيه كذلك أناساً وخلقاً من خلق الله تعالى {كَثِيرًا} أي لا عد لها ولا حصر من الطيور وخلق الله تعالى ومن إنس وحن أعداداً كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى كما قال تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا " ٣٠ الأنبياء. {وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ} ولقد وزعناه بينهم في الأنهار

والعيون والآبار والوديان {لِيَذْكُرُوا} ليعتبروا ويتعظوا {فَأَنبَأَ} فرفض {أَكْثَرُ} النَّاسِ {أَغْلَبَ} الناس {إِلَّا كُفُورًا} إلا كفراً بالله تعالى وجحوداً وإنكاراً وتكذيباً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَلَوْ شِئْنَا} ولو أراد الله تعالى {لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا} لبعثنا وأرسلنا في كل قرية ومدينة رسولا لهم ينذرهم ويحذرهم من عذاب الله تعالى إذا عصوه وعبدوا غيره وأنكروا وجحدوا رسلهم ولكنه أرسل سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم للناس كافة مسلماً وكافراً ويهودياً ونصرانياً وإلى كل الناس ولأن أمته آخر الأمم فلا رسول ولا نبي بعده ولذلك أرسل كافة للناس وللعالين {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ} فلا تطع يا محمد الكفار وتتخلى عن دينك دين الإسلام {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ} وغالبهم به وعظهم به وأنذرهم به {جِهَادًا كَبِيرًا} والجهد هو الحرب وكبيراً أي بالقول والعظة والعمل الذي لا هوادة فيه.

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا

بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا

وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴿٥٨﴾ وَكَانَ

الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٦٠﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٦١﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي

لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴿٦٢﴾ وَكَفَىٰ بِهِ بَذُنُوبٍ عِبَادَهُ خَبِيرًا ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾

{وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ}

الذي جعلهما متجاورين دون أن يمتزجا مع بعضهما {هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ} أحدهما

حلو عذب الماء ولذيذه صاف {وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} والثاني مالح شديد الملوحة

{وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا} وجعل بين ماء البحر والماء العذب الحلو {بِرَزْخًا} حاجزاً كما قال تعالى: " وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا " ٦١ النمل. {وَحِجْرًا مَّحْجُورًا} ومانعاً يمنع عن الآخر لا يتعداه إلى البحر الآخر وهذا دليل على قدرة الله تعالى ومعجزته على فصل الماء العذب عن ماء البحر المالح {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا} الذي خلق من ماء الرجل ومنيه بشراً أي رجلاً أو امرأة وكما قال تعالى: " أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ " ٢٠ المرسلات. وكما قال تعالى: " فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ {ه} خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ {٦} " ٦٥ الطارق. وكما قال تعالى: " ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ " ٨ السجدة. {فَجَعَلَهُ ر} فجعله الله تعالى {نَسَبًا} يُنسب إلى والده {وَصِهْرًا} إلى أهل زوجته عندما يتزوج ابنتهم {وَوَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} وكان ربك ولا يزال يا محمد يا رسول الله قادراً على كل شيء وعلى أن يخلق من الماء بشراً وإنساناً وكما قال تعالى: " وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ٤٥ النور. {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} ويعبد الكفار غير الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد {مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ} مما لا ينفعهم بجلب المنفعة لهم ولا يستطيع ضرهم بشيء لأنهم أحجار وجمادات ينحتونها بأيديهم فهي لا حركة لها ولا شيء {وَوَكَانَ الْكَافِرُ} وكان الكافر بعبادة الأصنام والأوثان {عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا} مستعلياً ومتكبراً وجاحداً وناكراً ومكذباً ومخالفاً لربه سبحانه وتعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ} وما بعثناك وما أرسلناك وجعلناك للناس كافة رسولاً يا محمد يا رسول الله {إِلَّا مُبَشِّرًا} إلا مبشراً بالجنة وبرضوان الله تعالى لمن عبد الله وحده لا شريك

له وأطاعه {وَوَٰذِرًا} ومحذراً لمن عصى الله تعالى وخالفه وجحد برسوله وباليوم الآخر بأن له عذاب جهنم يوم القيامة {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} لا أسألكم على نصحي ووعظي لكم لآخذ منكم أجراً مقابل ذلك {إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} فلا أطلب الأجر إلا من الله تعالى على من أطاع وأراد أن يتخذ إلى ربه طريقاً للطاعة والعبادة ومرضاة الله تعالى كما قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: " وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ " ٢٩ هود. {وَتَوَكَّلْ} واعتمد يا محمد يا رسول الله في جميع أمورك وشؤونك {عَلَىٰ الْحَيِّ} على الله تعالى الحي دائم الحياة {الَّذِي لَا يَمُوتُ} الذي لا يموت أبداً ولا يفنى {وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} وسبح وقدس وبجل الله تعالى بحمده وبشكره على فضله عليك {وَكَفَىٰ بِهِ} ويكفي به فهو المتكفل بعباده {بِذُنُوبِ عِبَادِهِ} فهو يعلم ذنوب عباده {خَيْرًا} فهو خير بهم ويعلم متقلبهم ومثوهم ويعلم جميع أفعالهم وأعمالهم وهو الذي يحاسبهم وحده إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم.

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ  
الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ  
أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٢٦﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ  
فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ  
يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾

{الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} فهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه  
خلق السموات السبع والأرض {وَمَا بَيْنَهُمَا} وما بينهما من شمس وقمر ونجوم  
وكواكب وهواء وكل ما بينهما من شيء {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} في ستة أيام واليوم منها  
عند الله تعالى بألف سنة مما تعدون وكما قال تعالى: " يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى  
الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " ه السجدة. {ثُمَّ  
اسْتَوَىٰ} والاستواء ليس الجلوس بل هو معناه بدأ بتدبير وتصريف شؤون خلقه  
وكونه بالحكم والأمر والخلق والرزق والموت والحياة والقدرة كما قال تعالى: " كُلَّ  
يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ " ٢٩ الرحمن. وكما قال تعالى: " إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ " ٣ يونس.  
فالاستواء هو بمعنى بدأ في تصريف شؤون خلقه وكونه كما قال تعالى: " هُوَ الَّذِي  
خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " ٢٩ البقرة. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من زعم أن الله  
تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك به إذ لو كان على شيء لكان  
محمولاً ولو كان من شيء لكان محدثاً ولو كان في شيء لكان محصوراً تعالى الله عن  
ذلك علواً كبيراً. [نزهة المجالس ص ٨]. وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لما

سئل عن قوله تعالى: " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " قال من حصر الله تعالى في الجهة الفوقية أو التحتية فقد كفر. [نزهة المجالس ص ٧]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع ابن عابس عن عمه أبي رزين واسمه لقيط بن المنفق العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك). [وقد رواه الترمذي في التفسير وابن ماجه في السنن من حديث يزيد بن هارون به وقال الترمذي: هذا حديث حسن - ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. {عَلَى الْعَرْشِ} والعرش هو أعظم مخلوقات الله تعالى وفي الحديث: (ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهما وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣]. {الرَّحْمَنُ} وهو الله تعالى رحمن الدنيا والآخرة {فَسَأَلَ بِهِ خَيْرًا} فاسأل عنه خبيراً وعالماً بأفعاله وصفاته وهو جبريل عليه الصلاة والسلام {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ} وإذا قيل للكفار اسجدوا واعبدوا الرحمن وهو الله تعالى رحمن الدنيا والآخرة فهو يرزق في الدنيا المؤمن والكافر {قَالُوا} الكفار لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَا الرَّحْمَنُ} ما هو الرحمن أي لم نعلم بهذا الاسم قبل ذلك وأنكروه وكذلك في يوم صلح الحديبية عندما أمر صلى الله عليه وسلم أن تكتب المعاهدة بينه وبين قريش أمر الكاتب أن يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) قالوا وما الرحمن لا نعرفه ولا الرحيم وطلبوا أن يكتب (باسمك اللهم) {أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} قال الكفار لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هل نسجد ونعبد ما تأمرنا به من عبادة الله تعالى وحده ونترك آلهتنا وأصنامنا ونطيعك

أي رفضوا السجود لله تعالى {وَزَادَهُمْ نُفُورًا} وزادهم ذلك إعراضاً وبعداً عن الإيمان وعبادة الله تعالى {تَبَارَكَ} تقدس وتعالى وجل الله تعالى وكثير خيره وحَسُنَتْ وازدادت واتسعت بركته حتى شملت جميع ملكه {الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ} الذي جعل في السماء الدنيا {بُرُوجًا} وهي كواكب ونجوم كثيرة يتألف منها اثنا عشر برجاً وهم الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة (العذراء) والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث. والبرج لا يطلع مرة واحدة بل يطلع شيئاً فشيئاً أي درجة درجة فإذا طلع برج في الشرق غاب سابعه في الغرب وكما قال تعالى: " وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ " ١ البروج. {وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا} وجعل في السماء شمساً تسرح وتضيء الدنيا في النهار {وَقَمَرًا مُنِيرًا} وقمرًا ينير بالليل للناس {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي خلق الليل والنهار {خَلْفَةً} أي يخلف بعضه بعضاً أي جعلهما متعاقبين ومستمرين دائماً {لِّمَنَ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ} لمن أراد أن يتفكر ويتعظ بكون الله تعالى وتعاقب الليل والنهار {أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} أو أراد أن يشكر الله تعالى على فضله وكرمه وإنعامه فيصوم النهار ويقوم الليل عبادة لله تعالى ويذكره ويسبحه ليلاً ونهاراً.



﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ  
 قَالُوا سَلَامًا ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا  
 أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٢٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا  
 ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٢٧﴾  
 وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ  
 وَلَا يَزْنُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٢٩﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَذُّ  
 فِيهِ مَهَانًا ﴿٣٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ  
 سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣١﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ  
 يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا  
 كِرَامًا ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِغَايَةِ رَبِّهِمْ لَمْ يَسْخَرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٣٤﴾  
 وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا  
 لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٣٥﴾ أُولَئِكَ تُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً  
 وَسَلَامًا ﴿٣٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٣٧﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا  
 دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٣٨﴾﴾

{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ} وهم الرجال الصالحون والمتقون والورعون {الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى  
 الْأَرْضِ هَوْنًا} وهم الذين يمشون على الأرض بالوقار والسكينة وعدم إيذاء خلق  
 الله تعالى وعدم الغرور والتكبر والاستهزاء أو السخرية أو الاحتقار لمن دونهم منزلة  
 أو التسلط عليهم أو قهرهم بأي نوع من الأنواع سواء بالسُّلطة أو الجاه أو بالوظيفة  
 وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم

تسعون واثنتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فاتموا). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٤]. على شرط أن لا يمشوا كسالى ضعفاء وخاصة أمام الأعداء فكما جاء في الحديث: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير). {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ} والجاهلون هم السفهاء {قَالُوا سَلَمًا} أي أنهم لا ينزلون إلى سفاهتهم وحقارتهم ولا يخطئون مثلهم ولا يردون عليهم بكلام بذيء. وللترمذي من حديث ابن مسعود رفعه: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء). [حسنه وصححه الحاكم - سبل السلام ج ٤ ص ١٩٨]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت). [أخرجه البخاري - سبل السلام ج ٤ ص ٢٠٦]. وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢٠٨].

{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا} والذين يبیتون الليل يصلون نافلة قيام الليل وكما قال تعالى: " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " ١٦ السجدة. {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ} وهم الذين يقولون ربنا وإلهنا اصرف وأذهب عنا عذاب جهنم يوم القيامة {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} إن عذابها وعقابها هو نكال وهلاك وحسرة يغرّم ويخسر فيها الكافر والعاصي راحة نفسه وحلاوة جسمه لأن النار تحرقه {إِنَّهَا سَاءَتْ} إن جهنم قبحت {مُسْتَقَرًّا} قراراً {وَمُقَامًا} ومنزلاً ومصيراً وإقامة في العذاب في جهنم {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا} وعباد الرحمن هم الذين في الإنفاق على أنفسهم وأسرهم وأهليهم {لَمْ يُسْرِفُوا} لم يبذروا.

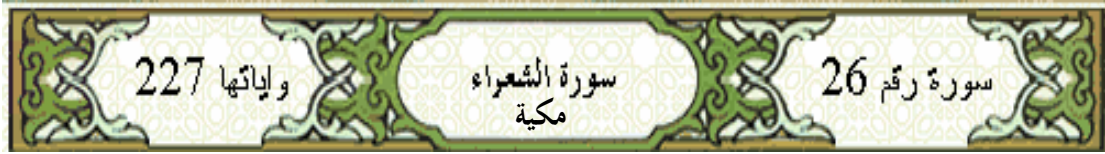
والإسراف هو أن يصنع طعاماً لعدد قليل فيجعله يكفي لوليمة والباقي يُرمى مع القاذورات وبعضه يخسر ويتلف بدون أن يجد من يأكله. ومن الإسراف أن يشتري المرء بعض الحاجات غير الضرورية وهو في احتياج ثمنها أو يصرف ماله في بضعة أيام وبعدها لا يجد ما ينفقه من النقود فيذهب ليتداين وهكذا **{وَلَمْ يَقْتُرُوا}** ولم يبخلوا على أنفسهم وعلى أهلهم ولا على من يعولون وهم أغنياء ويستطيعون النفقة **{وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}** وكان في إنفاقه وسطاً بين الإسراف والتبذير وبين البخل وعدم الإنفاق نهائياً. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل واشرب والبس وتصدق في غير سرف ولا مخيلة). [أخرجه أبو داود وأحمد وعلقه البخاري - سبل السلام ج ٤ ص ١٥٩]. **{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}** وعباد الرحمن هم الذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر غيره من الأصنام والأوثان والأنداد **{وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ}** ولا يقتلون نفس المؤمن **{إِلَّا بِالْحَقِّ}** إلا بالعدل في القصاص القاتل يقتل والزاني الثيب يرحم والمرتد عن دينه يقتل والذين يحاربون الله ورسوله وكما جاء في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة). [متفق عليه - سبل السلام ج ٣ ص ٢٣١]. **{وَلَا يَزْنُونَ}** والزنا هو كل نكاح بدون عقد شرعي وشهود وولي أمر ومهر فهو زنا. قال النسائي: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: (ألا إنما هي أربع) فما أنا بأشح عليهن منذ سمعتهن من رسول

الله صلى الله عليه وسلم (لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزونا ولا تسرقتوا). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٦]. {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} ومن يفعل تلك الأعمال التي نهى الله عنها آنفاً {يَلْقَ أَثَامًا} يلقي عقاباً وعذاباً ونكالاً يوم القيامة {يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ومضاعفة العذاب تكون زيادة على نار جهنم بأن يرسل الله عليه حيات وعقارب في جهنم تلدغه وتأكل اللحم عن العظم فهذا هو التضعيف يوم القيامة والله أعلم {وَيَخْلُدُ فِيهِ} ويدوم في ذلك العذاب {مُهَانًا} أي محقراً ومعذباً وذليلاً {إِلَّا مَنْ تَابَ} إلا من ندم وتاب ورجع عن ذنبه {وَأَمَّنَ} وآمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا} وعمل عملاً من الأعمال الصالحات من الطاعات وفي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأعمال الخير في مرضاة الله تعالى {فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} فهؤلاء يغير الله تعالى سيئاتهم فيمحوها ويبدلها بالحسنات {وَكَانَ اللَّهُ} وكان ولا يزال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {غَفُورًا} يغفر ذنب من تاب وندم ورجع إليه {رَحِيمًا} لتوبته يرحمه يوم القيامة ولا يعذبه. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو جابر أنه سمع مكحولاً يحدث قال: جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه فقال يا رسول الله رجل غدر وفجر ولم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطفها بيمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم فهل له من توبة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أأسلمت؟) فقال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فإن الله غافر لك غدرتك وفجراتك ومبديل

سيئاتك حسنات ما كنت كذلك) فقال يا رسول الله وغدراتي وفجراتي؟ فقال: (وغدراتك وفجراتك) فولى الرجل يكبر ويهمل. [ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٨]. {وَمَنْ تَابَ} ومن ندم عن ذنبه ورجع عنه {وَعَمِلَ صَالِحًا} وعمل عملاً صالحاً من الطاعات وأعمال الخير {فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} فإنه يتوب إلى الله تعالى توبة نصوحاً. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون). [أخرجه الترمذي وابن ماجه وسنده قوي - سبل السلام ص ١٨٠]. {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} وعباد الرحمن هم الذين لا يشهدون بالكذب. وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عدّ شهادة الزور في أكبر الكبائر متفق عليه ولفظه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) ثلاثاً قالوا بلى قال (الإشراك بالله وعقوق الوالدين) وجلس وكان متكئاً ثم قال (ألا وقول الزور) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. [سبل السلام ج ٢ ص ١٣٠]. {وَإِذَا مَرُّوا} وعباد الرحمن إذا مروا بأناس يتكلمون {بِاللَّغْوِ} وهو الكلام الساقط من الغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء {مَرُّوا كِرَامًا} أي لم يدنسوا ألسنتهم به. قال صلى الله عليه وسلم: (من تكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة). وقال معاذ رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم: أنؤاخذ بما نقول؟ قال: (تكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟). [سبل السلام ج ٤ ص ١٨١]. {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا} وهم الذين إذا وُعدوا {بِعَايَةِ رَبِّهِمْ} بآيات من القرآن تزجرهم عن فعل المعاصي {لَمْ يَحْزُوا عَلَيْهَا} لم يَمروا على هذه الآيات {صُغْمًا وَعُمْيَانًا} كأنهم لم يروها ولا يسمعونها بل أخذوا بها واعتبروا واتعضوا {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ

لَنَا { وهم الذين يقولون ربنا أعطنا وارزقنا } { مِنْ أَزْوَاجِنَا } من زوجاتنا أبناءً وأولاداً  
{ وَذُرِّيَّتِنَا } هم الذرية من أبناء الأبناء { قُرَّةَ أَعْيُنٍ } ما تقر به أعيننا وتهدأ  
وتطمئن وتُسر وتبتهج وتفرح لصلاحهم وطاعتهم لله تعالى وبرهم بنا أي بالآباء  
{ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ } واجعلنا لمن يتقي الله ويخشاه { إِمَامًا } يُقْتَدَى بنا في الخير  
وفي طاعة الله تعالى { أَوْلِيَّكَ } فأولئك الذين هذه صفاتهم { يُجْزَوْنَ } يُكَافَوْنَ  
{ الْغُرْفَةَ } وهي الجنة { بِمَا صَبَرُوا } بما جالدوا وتحملوا على طاعة الله تعالى  
وصبروا عن المعاصي { وَيُلْقَوْنَ فِيهَا } وَيُسْتَقْبَلُونَ في الجنة من قبل الملائكة  
{ تَحِيَّةً } ترحيباً { وَسَلَامًا } يقولون لهم وهم الملائكة لمن يدخل الجنة كلاماً سالماً من  
التوبيخ أو الشر أو العتاب ويقولون لهم: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ" ٧٣  
الزمر. { خَالِدِينَ فِيهَا } دائمين في الجنة ونعيمها { حَسُنَتْ } فضلت وخيرت  
{ مُسْتَقَرًّا } قراراً واستقراراً ومصيراً { وَمُقَامًا } وإقامة وسكنى وحياة طيبة دائمة  
{ قُلْ } قل يا محمد يا رسول الله { مَا يَعْجُبُوكُمْ } لا يعجباً ولا يكثرث ولا يلتفت  
إليكم { رَبِّي } إلهي وخالقي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بالرحمة  
بكم ورفع العذاب عنكم ورفع البلاء والشدائد { لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ } لولا أنكم تدعونه  
برفع ذلك عنكم وتوبتكم { فَقَدْ كَذَّبْتُمْ } وبما أنكم كذبتم وجحدتم بدعاء الله تعالى  
وعبادته لرفع عنكم ما نزل بكم من البلاء فما دمتم كذبتم { فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا }  
فسوف يكون البلاء عليكم حكماً مبرماً واجب النفاذ عليكم ولن يرفع عنكم. أخرج  
الترمذي مرفوعاً: (سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يُسأل). [سبل السلام ج ٤

ص ١٧٦]. وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: (من لا يسأل الله يغضب عليه). [سبل  
السلام ج ٤ ص ١٧٦].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَدِخُعُ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبُؤُهُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾

{طَسَمَ} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وباللغة التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبية حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى:



" إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ الْقُرْآنِ من هذه الحروف العربية لَدُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسماً لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢٠١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢٠١ لقمان. وعليه فإن معنى (طسم) هو قوله تعالى: " الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ " ٢٩ الرعد. مع التذكير بأن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ والله أعلم. { تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ } هذه هي آيات القرآن { الْمُبِينِ } الواضح في دلالة { لَعَلَّكَ بَنخِعُ نَفْسَكَ } لعلك يا محمد يا رسول الله مهلك ومرهق ومحزن نفسك { أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } إن لم يكونوا مؤمنين ومصدقين بما أرسلت به إليهم { إِنْ نَشَأْ } إن يرد الله تعالى { نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً } ينزل الله تعالى على الكفار آية من القرآن أو معجزة من المعجزات فيصدقوا بها { فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ } فتبقى رقابهم لتلك الآية أو المعجزة خاضعة لها ذليلة مثل الملائكة لا يستطيعون الكفر ولا العصيان بعدها ولكن الله تعالى خيرهم وهداهم النجدين إما شاكراً وإما كفوراً لينال كل منهم عقابه على الشر وجزاءه على الخير

{ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ } وما يُرسل إليهم ويأتيهم من قرآن { مِّنَ الرَّحْمَنِ } من الله تعالى رحمن الدنيا والآخرة { مُّحَدَّثٍ } جديد { إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُّعْرِضِينَ } إلا كانوا عنه مدبرين ومولين الأدبار ومنكرين ومخالفين له ولم يأخذوا به ولم يصدقوه { فَكَدَّبُوا } فقد كذبوا وأنكروا وجحدوا بالقرآن الكريم { فَسَيَأْتِيهِمْ } فسوف يأتيهم يوم القيامة { أَنْبَتُوا } علم وخبر { مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ } ما كانوا به ينكرون ويسخرون ويجحدون ويكذبون.

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

{ أَوْلَمْ يَرَوْا } أولم ينظروا { إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا } ألم يشاهدوا الأرض وينظروا إليها وما أنبت الله فيها من أنواع الأشجار والنباتات والزرع والأعشاب { مِنْ كُلِّ زَوْجٍ } من الذَّكَرِ في الفواكه والأشجار للتلقيح وأنثى تخرج الثمر كالنخيل بها أشجار ذكورية للتلقيح وأنثوية وهي التي تحمل الثمر وكذلك من كل زوج من اللون الأسمر والأبيض واللون الأحمر والأصفر وهكذا { كَرِيمٍ } حسن وطيب اللون والمنظر والطعم والذوق والرائحة { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً } إن في خلق ذلك لمعجزة للناس على قدرة الله تعالى وعلى حكمته وعلى فضله وكرمه { وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ } وما كان أغلبهم وهم الناس { مُّؤْمِنِينَ } مصدقين بالعبر والعظات وعلى خلقه تعالى من النعم والفواكه والثمار والأشجار والنباتات لهم على اختلاف أنواعها { وَإِنَّ رَبَّكَ } وإن الله تعالى ربك وخالقك وإلهك يا محمد يا رسول الله { لَهُوَ الْعَزِيزُ } فهو العزيز والقوي في

ملكه وكونه {الرَّحِيمُ} ذو الرحمة بخلقه ممن تاب وأناب ورجع إليه فهو يرحمه يوم القيامة ويدخله الجنة.

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۗ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿٧﴾﴾  
 قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ  
 هَرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۗ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۗ إِنَّا  
 مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ  
 مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾﴾

{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ} وإذ نادى الله تعالى ربك وخالقك وإلهك وخاطب وكلم موسى بن عمران عليه السلام على جبل الطور بسيناء {أَنْ أَنْتَ} أن اذهب وائت {الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} القوم والأمة الظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك كما قال الله تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {قَوْمَ فِرْعَوْنَ} وهم قوم وأمة فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب {أَلَا يَتَّقُونَ} ألا يخافون الله تعالى ويخشونه ويطيعونه ويعبدونه وحده لا شريك له {قَالَ} قال موسى بن عمران عليه السلام {رَبِّ} خالقي وإلهي يا الله {إِنِّي أَخَافُ} إني أخشى {أَنْ يُكَذِّبُونِ} أن ينكروا ويجحدوا بما جئتهم به {وَيَضِيقُ صَدْرِي} ويضيق صدري ويحزن ويضيق ذرعاً من الغضب والحزن {وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي} ولا أتمكن بالنطق بلساني بوعظهم ونصحهم للثغ الذي به {فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَرُونَ} فأرسل معي أخي هارون مساعداً لي ليشد أزرى {وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ} ولهم عندي ثأر وذلك عندما قتل الفرعوني عندما استنصره قريبه اليهودي

{ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ } فأخشى أن يقتلوني لذلك { قَالَ } قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وهو يعلم بما اقترف موسى من ذلك الذنب { كَلَّا } يعني لا تخف { فَأَذْهَبَا } اذهب أنت يا موسى وأخوك هارون { بِعَايَتِنَا } بمعجزاتنا وهي معجزة العصا واليد تخرج بيضاء وباقي الآيات التسع من الدم والقمل والضفادع .. إلى آخره { إِنَّا } إنا جمع للتبجيل لله تعالى وهو أهل لذلك فهو ذو الجلال والإكرام { مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ } معكم يا موسى أنت وأخيك هارون مع فرعون وقومه نستمع لما يقولون ونرعاك ونحميك ونحفظك من بطشهم فاطمئن قلباً فلا تخافا { فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ } فاذهبا أنت وأخوك هارون إلى فرعون ملك مصر { فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فقولا له إنا أنا موسى وأخي هارون رسل من قبل الله تعالى رب العالمين وخالقهم وإلههم إليك { أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ } أن دع واترك بني إسرائيل لتذهب معنا من عندك من مصر.

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي  
فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ  
مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ  
تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ  
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ۗ أَلَا  
تَسْتَبْعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ  
إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾  
قَالَ لَنْ أَخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أُولَوْ جِئْتُكَ  
بَشَىءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَآتِ بِهِ ۗ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾

{ قَالَ } قال فرعون مصر رداً على موسى عليه السلام { أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا } ألم  
نربيك وعيشتناك وربيناك في كنفنا ورعايتنا وفي بيتنا وأطعمناك وسقيناك وألبسناك  
الملابس الفاخرة في طفولتك { وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ } ومكثت في كنفنا  
ورعايتنا ووفي بيتنا يا موسى عدة سنين من عمرك { وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ } ولما  
بلغت عندنا وفي بيتنا سنين طويلة من طفولتك حتى بلغت أشدك وفوق هذا فعلت  
فعلتك التي فعلتها والتي قتلت فيها الفرعوني { وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } وبذلك  
القتل أصبحت من الكافرين ومن الجاحدين والظالمين والمعتدين ولست برسول  
{ قَالَ } قال موسى عليه السلام مجيباً فرعون ملك مصر { فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ  
الضَّالِّينَ } قال فعلت ذلك وأنا لا أدرك العواقب وأخطأت بها في تلك الفترة ولم  
يوح بعد إليّ أي كان هذا قبل رسالتي هذه التي أرسلني الله بها إليكم بعد توبتي

وندمي {فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ} فهربت منكم يا فرعون {لَمَّا خَفْتُكُمْ} لأنني خفت  
وخشيت منكم أن تقتلونني بخطأ عملته {فَوَهَبَ لِي رَبِّي} فأعطاني ربي وخالقي  
وإلهي الله تعالى ورزقني {حُكْمًا} حكماً أحكم به بالعدل بين الحق والباطل وبين  
الضلال والهدى والكفر والإيمان {وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ} وجعلني الله تعالى رسولاً  
ونبياً مع المرسلين والأنبياء إليكم {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ} وهل تربيتك لي تتفاخر  
عليّ بها {أَنْ عَبَدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ} أن قهرت واستعبدت وذلت قومي بني  
إسرائيل {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} قال فرعون مصر لموسى بعد ذلك وما  
هو رب وإله العالمين؟ أي مستنكراً الربوبية والألوهية لغيره لأنه يقول لقومه: "أَنَا  
رَبُّكُمْ الْأَعْلَى" {قَالَ} قال موسى عليه السلام مجيباً {رَبُّ} خالق وإله  
{السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} للسموات السبع والأرض وما فيهن وما بينهما  
من شمس وقمر ونجوم وكواكب وكل شيء بينهما {إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} إن كنتم  
متيقنين ومصدقين ذلك {قَالَ} قال فرعون مصر {لِمَنْ حَوَّلَهُ} لمن حوله من  
حاشيته وقومه {أَلَا تَسْتَمِعُونَ} فهل تسمعون هذا الكلام السخيف والغريب  
والكاذب {قَالَ} فقال موسى مكماً حجته {رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ} هو الله  
تعالى ربكم وخالقكم وإلهكم أنتم وآبائكم وأجدادكم الأولين والسابقين {قَالَ} قال  
فرعون مصر {إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ} إن رسولكم المرسل إليكم هذا أي  
موسى عليه السلام {لَمَجْنُونٌ} أي فاقد العقل ومعتوه وبه خبل في عقله {قَالَ}  
قال موسى عليه السلام زيادة في حجته {رَبُّ} قال الله تعالى هو أيضاً رب وخالق  
وإله {الْمَشْرِقِ} جهة شروق الشمس والقمر والكواكب {وَالْمَغْرِبِ} وجهة الغروب

وما تغرب فيه الشمس والقمر { وَمَا بَيْنَهُمَا } وكل شيء بين المشرق والمغرب فالله تعالى هو ربه وخالقه وإلهه { إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } إن كنتم تفهمون ذلك وتعونه { قَالَ } قال فرعون بعد كل ذلك { لَئِنْ آتَيْتَنِي آيَاتًا مِنْ رَبِّي لَأَكْفُرَنَّ بِالَّذِي يَدْعُونَ } الألوهية والربوبية إلى تهديد موسى عليه السلام قائلاً له لئن أخذت وعبدت إلهاً من الآلهة غيري وخلافي { لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ } لأسجننك يا موسى مع المساجين. والذي يلجأ إلى السجن والتهديد به ليس بقادر على عمل غيره لضعفه وبرهان على عدم ربوبيته وألوهيته { قَالَ } قال موسى عليه السلام { أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ } عندها رأى موسى أنه لم يعقل فرعون كل الحجج والبراهين الكونية من سماوات وأرض أراد أن يلتجئ إلى الماديات في البرهان والحجة وقال له هل تفعل ذلك حتى لو جئت إليك بشيء { مُبِينٍ } واضح الحجة والدلالة والبرهان تراه بعينك وتقره بقلبك { قَالَ } قال فرعون { فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } هاته وأرنيه إن كنت ممن يصدق القول من الناس الذين لا يكذبون.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٤﴾  
 قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ  
 بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٧﴾  
 يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٨﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٩﴾ وَقِيلَ  
 لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٤٠﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا  
 جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لِنَأْتِيَنَّهُ لَمَّ سِحْرَ الْغَالِبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ  
 إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

{فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ} فرمى موسى عليه السلام عصاه من يده {فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} فإذا هي تنقلب ثعباناً عظيماً هائلاً أربع فرعون وأخافه {وَنَزَعَ يَدَهُ} وأخرج يده موسى عليه السلام من جيبه {فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ} فإذا يده لونها أبيض شديدة الضياء والنور واللمعان وإن يد موسى كانت سمراء بلون بشرته {لِلنَّاظِرِينَ} شاهداها الناظرون بأعينهم ممن حضر من حاشية فرعون وقومه {قَالَ} قال فرعون عندها {لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ} لمن حضر عنده من قومه {إِنَّ هَذَا} إن هذا موسى {لَسِحْرٌ عَلِيمٌ} لساحر عليم ويعلم فن السحر فهو متعلمه ومتقنه {يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ} يريد أن يطردكم ويرحلكم {مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ} من أرضكم مصر بما جاء به من السحر الذي تعلمه والذي برع فيه {فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} فماذا ترون في شأنه. وهنا نرى كيف يدعي فرعون أنه إله ورب ويشاور من حضر من قومه وهذا يفضحه ويكذبه {قَالُوا} قال من حضر من قوم فرعون وحاشيته في مشورتهم لفرعون الذي يدعي الألوهية ويطلب المساعدة والمشورة من الناس الذين حوله {أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} أي



أخّر موسى وأخاه هارون وأجله إلى موعد آخر {وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ} وأرسل في المدن المصرية وهي جمع مدينة {حَدِيثِينَ} يحشرون الناس ويجمعونهم لموعد اللقاء والمبارزة {يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} ويحضروا لك كل من عنده علم في السحر وعالم وبارع به ومتقن له {فَجُمِعَ السَّحْرَةُ} فأحضر السحرة {لِمِيقَاتِ} لموعد {يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} في وقت ويوم معلوم ومحدد وهو يوم عيدهم يوم الزينة {وَقِيلَ لِلنَّاسِ} وقيل للناس عامة {هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ} هل أنتم ستجتمعون في هذا الموعد {لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ} لعلنا نتبع سحرة فرعون إن غلبوا موسى في المبارزة ونكذب موسى ورسالته {فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ} فلما حضر السحرة عند فرعون {قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُّكَ} قال السحرة لفرعون هل لنا أجرًا ومكافأة {إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ} إن كنا نحن الفائزين {قَالَ نَعَمْ} قال فرعون نعم سأفعل {وَأَيْنَكُمُ إِذَا} وإنكم عندها تكونون عندي {لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} لمن الخاصة ومن ذوي الجاه ومن أهل السطوة والسيطرة والوزارة ومقربين عندي في كل ما تطلبون ومستجاب طلبكم.

﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ ٤٣ ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ  
 فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ ٤٤ ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ٤٥ ﴿  
 فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴾ ٤٦ ﴿ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٤٧ ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ ٤٨ ﴿  
 قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ  
 تَعْمَهُونَ ۚ لِأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ٤٩ ﴿ قَالُوا لَا  
 صَبْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ ٥٠ ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَن كُنَّا أَوْلَ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٥١ ﴿

{ قَالَ لَهُمْ مُوسَى } قال موسى عليه السلام لسحرة فرعون { أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ }  
 ابدؤوا برمي وإلقاء ما معكم من السحر { فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ } فبدؤوا بإلقاء  
 الحبال والعصي على الأرض فألقوها وهي محشوة من الداخل بالزئبق { وَقَالُوا }  
 وقال السحرة { بِعِزَّةِ } بقدرة وقوة { فِرْعَوْنَ } ملك مصر وهو يدعي الربوبية والألوهية  
 ويعبدونه { إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ } وإنا لنحن السحرة سنتكون الغلبة لنا لأنهم ألقوا  
 على الأرض كميات كبيرة وكثيرة من الحبال والعصي المحشوة بالزئبق في ضحى  
 ذلك اليوم وبدأت من شدة الحرارة تتحرك كأنها ثعابين حقيقية لأنهم صنعوها  
 صناعة جيدة على شكل الثعابين وبتمدد الزئبق داخلها من شدة حرارة الشمس  
 وكأنها ثعابين حقيقية تتحرك وهذا سبب ظنهم بأن الغلبة لهم وكذلك لكثرتها  
 أمام عصا موسى الصغيرة { فَأَلْقَى } فرمى { مُوسَى } موسى بن عمران عليه السلام  
 نبي الله ورسوله { عَصَاهُ } عصاه من يده التي أرسله الله بها معجزة لفرعون وقومه  
 { فَإِذَا هِيَ } فإذا هي عصاته التي ألقاها على الأرض { تَلْقَفُ } تبتلع { مَا يَأْفِكُونَ }

ما يصنعون ويعملون بأيديهم من الحبال والعصي المحشوة زئبقاً خداعاً وتضليلاً فابتلعت عصاة موسى كل ما ألقاه السحرة على الأرض من هيئة الثعابين الكثيرة العدد والمهولة الصنعة بأشكال مختلفة ولكن معجزة عصاة موسى تنقلب إلى حية عظيمة جداً ومهولة ومخيفة وتبتلع كل شيء صنعوه على الأرض لأنها معجزة من الله تعالى فالله أكبر وأعز وأجل وأعظم من خداعهم وشركهم وكفرهم {فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ} فلما رأى السحرة أن العصا الصغيرة في يد موسى عليه السلام تنقلب إلى أفعى كبيرة وعظيمة تبتلع الأعداء الهائلة من حبالهم وعصيهم علموا أن هذا ليس بسحر الآدميين بل هو أكبر فهو معجزة من الله تعالى فخرّوا على جباههم ساجدين لله تعالى {قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} اعترفوا برسالة سيدنا موسى عليه السلام وقالوا آمنا وصدقنا بأن الله تعالى هو رب العالمين جميعهم {رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} فهو الله تعالى هو رب موسى وهارون عليهما السلام الذي أرسل موسى عليه السلام وأخاه هارون {قَالَ} قال فرعون ملك مصر عندها غاضباً {ءَامَنْتُمْ لَهُ} هل صدقتم به وبرسالته {قَبَلْ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ} قبل أن أسمح لكم وأعطيك الإذن بتصديقه واتباعه {إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} وصار يوبخهم ويقول لهم هو أي موسى عليه السلام لمعلمكم وشيخكم وكبيركم في علم السحر وهو الذي علمكم ولذلك ظهرت مهارته أكبر منكم لأنه هو الذي علمكم دليلاً على أنه لم يصدق معجزة الله تعالى على يد عصا موسى عليه السلام {فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ} أي هددهم بالعذاب لأنهم آمنوا برسالة موسى عليه السلام {لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ} لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف أي اليد اليمنى وعكسها الرجل اليسرى أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى أي يخالف بين الأيدي والأرجل في

القطع وذلك شدة في العذاب {وَأَصْلِبْنَكُمْ أَجْمَعِينَ} ولأصلبناكم على جذوع النخل كلكم جميعاً بلا استثناء {قَالُوا} قال السحرة بعد إيمانهم بالله تعالى والسجود له وتصديق رسالة موسى عليه السلام وأخيه هارون {لَا ضَيْرٌ} لا يهمننا ولا يضرنا عذابك يا فرعون لنا {إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ} ومصيرنا أنا إلى الله راجعون {إِنَّا نَطْمَعُ} إنا نتمنى {أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا حَطَّائِنَا} وهو طلبنا أن يغفر الله تعالى لنا ويتجاوز عن أعمالنا السابقة ويتوب علينا بسبب {أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} أن كنا أول المصدقين بالله تعالى وبرسوله موسى وهارون عليهما السلام.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٦١﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتِ وَعَيْونِ ﴿٦٢﴾ وَكُنُوزِ وَمَقَامِ كَرِيمٍ ﴿٦٣﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٦٤﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا تَرَاءَىٰ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٨﴾ وَأَزَلْفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٩﴾ وَأَخْبَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٣﴾ ﴾

{وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ} فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بواسطة جبريل عليه السلام {أَنْ أَسْرِ} أن اخرج ليلاً {بِعِبَادِي} ببني إسرائيل والسحرة الذين آمنوا وسجدوا لله تعالى وصدقوا برسالة موسى عليه السلام أن يخرجوا ويهربوا ليلاً

لأن فرعون هدهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم {إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ} إنكم ملاحقون لأن فرعون يريد الانتقام منكم جميعاً {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} فبعث فرعون بعوثة في المدن المصرية ليحضروا الجنود والناس للحاق بموسى عليه السلام ومن معه بعد تأكدهم بأنهم هربوا ليلاً {إِنَّ هَؤُلَاءِ} إن موسى ومن معه من بني إسرائيل {لَشِرْذِمَةٌ} فئة وطائفة وجماعة {قَلِيلُونَ} قليلون في العدد ونستطيع التغلب عليهم {وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ} وإنهم أي موسى وقومه بعملهم هذا يغيضون فرعون ويقهرونه ونسي بكلامه هذا أنه كان يدعي الألوهية والربوبية ومع ذلك يقهره موسى وقومه {وَإِنَّا لَجَمِيعٌ} ويقول فرعون إنا جميعاً يعني فرعون وقومه {حَازِرُونَ} خائفون منهم ويحذرونهم أن يتبعهم الناس ويؤمنوا برسالة موسى عليه السلام {فَأَخْرَجْنَاهُمْ} فطرد الله فرعون وقومه {مِّنْ جَنَّاتٍ} من جنات البساتين والحقول الموجودة في مصر {وَعُيُونٍ} وكذلك طردوا من عيون الماء والأنهار في مصر {وَكُنُوزٍ} وكنوز الذهب والأموال والممتلكات في مصر {وَمَقَامٍ} ومن مكانة ومنزلة ومسكن {كَرِيمٍ} طيب حسن. أخرجهم من ذلك كله إلى الهلاك والموت والغرق في اليم عندما لحقوا بموسى وببني إسرائيل {كَذَلِكَ} وهكذا {وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} أورث الله تعالى بني إسرائيل أرض فرعون وقومه وديارهم باتباعهم موسى عليه السلام {فَاتَّبَعُوهُمْ} فلحق فرعون وقومه موسى وبني إسرائيل {مُشْرِقِينَ} أي بعد طلوع الشمس بعد تأكدهم من هروب موسى وبني إسرائيل {فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانَ} فلما رأى موسى وبنو إسرائيل فرعون وقومه قد لحقوا بهم ورأى بعضهم البعض {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى} قال كل من صحب موسى

وهرب معه من فرعون وقومه {إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} إنهم سيلحقوننا ويمسكون بنا ويقتلوننا {قَالَ} قال موسى عليه السلام {كَلَّا} لا {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} قال موسى لا تخافوا إن معي ربي الله يحرسني ويحفظني ويرعاني منهم وسيهديني إلى طريق النجاة منهم {فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ} والوحي هو بواسطة جبريل عليه السلام أما مناجاة الله تعالى فهي دائماً في مكان معين واحد وهو لا يتغير فهو على طور سيناء فقط وباقي رسالة موسى بواسطة الوحي جبريل عليه السلام. فأوحى الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام إلى موسى عليه السلام لما قرب منه فرعون وقومه وكاد يدركه {أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ} أنه يا موسى لا تخف أنت ومن معك من بني إسرائيل وبعصاك التي بيدك اضرب بها ماء البحر {فَأَنفَلَقَ} فانفتح البحر بين يدي موسى عليه السلام وأصبح أمامه طريق في البحر ليمر فيها موسى ومن معه من بني إسرائيل لأن البحر أصبح به طريق {فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ} فكانت كل جهة منه سواء على يمين الطريق أو على يسارها {كَالطُّودِ الْعَظِيمِ} كالجبل العظيم يقف على جانبي الطريق لموسى عليه السلام ولا يتحرك الماء ولا يدخل على طريقه ولا يمس لا موسى ولا من معه بقدره الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ} وقدمنا فرعون ومن معه حتى يدخلوا في تلك الطريق المعبدة التي دخل فيها موسى ومن معه داخل البحر وذلك حتى يلحقوا بموسى ومن معه {وَأُنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ} وأنجى الله تعالى بقدرته وحكمته ورحمته موسى عليه السلام وكل من معه جميعاً {ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ} وبعدها وفرعون في داخل البحر يسير مسرعاً للحاق بموسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل أطبق الله تعالى البحر على فرعون ومن معه من قومه وأغرقهم

جميعاً نكالاً وعذاباً لهم {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في تلك الحادثة {لآيَةً} لمعجزة وعظة  
{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ} ولم يكن أغلب قوم فرعون {مُؤْمِنِينَ} مصدقين بمعجزة موسى  
عليه السلام ورسالته وانفلاق البحر له وهم الأكثر فبعضهم فقط كان مؤمناً بموسى  
عليه السلام مثل آسية زوجة فرعون ومؤمن آل فرعون {وَإِنَّ رَبَّكَ} وإن ربك  
وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {هُوَ الْعَزِيزُ} لهو القوي والعزيز في  
ملكه وحكمه وفعله وأمره بإغراق فرعون وقومه وعلى من هم أمثالهم ينكرون رسالة  
أنبيائهم ورسولهم {الرَّحِيمُ} فهو يرحم من تاب وأناب وآمن به وصدق وعبد  
وحده وأطاعه في أوامره ونواهيه.

﴿ وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ  
 أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٩﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ  
 يَضُرُّونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ  
 تَعْبُدُونَ ﴿٧٢﴾ أَنْتُمْ وَّآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٣﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعٰلَمِينَ ﴿٧٤﴾  
 الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ  
 يَشْفِينِ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ  
 الدِّينِ ﴿٧٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّٰلِحِينَ ﴿٨٠﴾ وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ  
 صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨١﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٢﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ  
 الضَّٰلِّينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٤﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٥﴾ إِلَّا مَنْ آتَى  
 اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٦﴾ ﴾

{وَأَتَلُّ} واقرأ وحدث {عَلَيْهِمْ} على قومك يا محمد يا رسول الله {نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ} خبر إبراهيم عليه السلام {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ} عندما قال لأبيه آزر {وَقَوْمِهِ} أهل العراق قوم النمرود {مَا تَعْبُدُونَ} ما هي عبادتكم ولمن هي؟ {قَالُوا} قال قوم إبراهيم عليه السلام {نَعْبُدُ أَصْنَامًا} نعبد من الآلهة الأصنام {فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ} فنستمر على عبادتها دائمين {قَالَ} قال إبراهيم عليه السلام {هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ} سألتهم هل يسمعونكم مستنكرًا هل يسمعون سؤالكم وطلبكم عندما تطلبون منهم وتعبدونهم {أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ} فهل ينفعونكم بشيء إذا سألتهم وهل يضرّونكم ويؤذونكم إذا تركتم عبادتهم {قَالُوا} أجابوا {بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ} وجدنا وآبائنا آبائنا وأجدادنا يعبدونهم فعبدناهم مثلهم



{ قَالَ } قال إبراهيم عليه السلام { أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } هل علمتم ما تعبدون من الأصنام { أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ وَالْآقْدَمُونَ } أنتم وآباؤكم وأجدادكم السابقون الذين يعبدون الأصنام من دون الله تعالى { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي } فإنهم أعدائي وأنا أعدايتهم وأحقرهم { إِلَّا رَبِّي } ما عدا رب وخالق وإله { أَلْعَلَّمِينَ } الكون كله وما فيه { الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ } الله تعالى فهو الذي خلقني من العدم فهو يهديني لعمل الخير والحق ولعبادته وحده لا شريك له { وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي } وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو الذي يطعمني من ملكه ورزقه { وَيَسْقِينِي } ويسقيني من ماء المطر والأنهار والعيون والآبار ماءً عذباً فراتاً سائغاً للشاربين { وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي } وهو الذي يشفيني من مرض ولا أحد يستطيع غيره إلا بمشيئته وإرادته { وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي } والذي يميتني بانقضاء أجلي ثم يحييني ويبعثني حياً يوم القيامة { وَالَّذِي أَطْمَعُ } والذي أتمنى وأمل { أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي } أن يسامحني ويعفو عن ذنبي { يَوْمَ الدِّينِ } يوم القيامة { رَبِّ هَبْ لِي } دعا إبراهيم عليه السلام ربه الله تعالى أن يرزقه { حُكْمًا } أي علماً يحكم به بين الناس بين الحق والباطل { وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ } ودعا الله تعالى أن يلحقه بالصالحين من عباده ممن صلحت عبادتهم وطاعتهم وعملهم لله تعالى وحده لا شريك له وأن يكون من المقربين { وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ } واجعل لي لساناً صادقاً ولسان صدق وحق وصواب { فِي الْأَخْرِينِ } في المتأخرين من أمته حتى يقتدوا به ويهتدوا بهديه ويصدقوا قوله ولا يكذبوه { وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ } واجعلني يا الله ممن يرثون الجنة ويدخلونها ويسكنونها وهي جنة النعيم

{وَأَعْفِرُ لَأْيِي} ودعا إبراهيم ربه أن يغفر لأبيه آزر {إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ} إنه كان من الكافرين غير المهتدين للحق والصواب وكان ضالاً في عبادته للأصنام {وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ} ولا تفضحني ولا تذلني يوم يبعث الخلائق للحساب يوم القيامة {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ} يوم لا ينفع المال ليفتدي به {وَلَا بَنُونَ} ولا أولاد يستنصرهم ويستصرخهم لينقذوه من عذاب الله تعالى يوم القيامة {إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ} إلا من جاء إلى الله {بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} بقلب سالم من الكفر والشرك والنفاق والمعاصي والذنوب.

﴿ وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوِرَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا تَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسَوَيْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ط وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

{وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ} وأدنيت وقربت وظهرت الجنة يوم القيامة {لِلْمُتَّقِينَ} للطائعين والعابدين لله تعالى وحده {وَبُرِّزَتِ} وظهرت وُرفِع عنها الحجاب والغطاء {الْجَحِيمُ} وهي نار جهنم ليراها {لِلْغَاوِينَ} للمنحرفين والضالين والعاصين {وَقِيلَ لَهُمْ} وقالت الملائكة للكفار {أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} أين ما كنتم تعبدون في الدنيا من الأوثان والأصنام {مِنْ دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى {هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ} سؤال استنكاري وتوبيخ لهم فهل ينصرونكم ويحمونكم ويحفظونكم تلك الأصنام والأوثان

ويمنعونكم من عذاب الله تعالى {أَوْ يَنْتَصِرُونَ} أو هل ينتصرون ويثأرون لكم ولأنفسهم بأن يمنعوا العقاب والعذاب عنكم وعن أنفسهم وذلك سخرية بهم {فَكَبِّبُوا فِيهَا} فأوقعوا وألقوا ورُموا وقذفوا في نار جهنم {هُم} أي الأصنام والأوثان التي عبدوها من دون الله تعالى {وَالْغَاوُونَ} والمذنبون والمنحرفون والعاصون والكفار والمشركون والضالون {وَجُنُودُ إِبْلِيسَ} والشياطين وهم مجندون من إبليس والدهم لإغواء الناس {أَجْمَعُونَ} كلهم لأنهم جميعاً يضللون الناس ويغوونهم {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا تَخْتَصِمُونَ} قال الكفار والمشركون وهم في نار جهنم يتخاصمون ويتجادلون {تَاللَّهِ} يقسمون بالله تعالى {إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} حيث كنا في الدنيا في ضلال وغي عظيم {إِذْ نُسُوبِكُمْ} عندما ساويناكم أيها الأصنام والأوثان والشياطين في العبادة والطاعة {بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} بإله وخالق الكون كله وما فيه من العوالم {وَمَا أَضَلَّنَا} وما أغوانا وضلنا وأبعدنا عن عبادة الله وطاعته {إِلَّا الْمَجْرُمُونَ} إلا الذين أجرموا في حق الله تعالى وأذنبوا وعصوا وجحدوا وكذبوا بالله تعالى وبرسله من الكفار والمشركين {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ} فليس لنا من أحد يشفع لنا عند الله تعالى {وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} ولا صاحب مخلص وعزيز يخلصنا من عذاب الله تعالى في هذا اليوم وهو يوم القيامة {فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً} فلو أن لنا عودة للدنيا مرة ثانية {فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} فنكون مع المؤمنين ونؤمن بالله وبرسله وهذا أمل وتمن لا يحصل لأن الامتحان انتهى في الدنيا {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في هذا القول وهذه الآيات {لَآيَةً} لعبرة وعظة لمن يعتبر {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ} ولكن ليس أغلبهم بعد سماع هذه الآيات من القرآن الكريم {مُؤْمِنِينَ} مصدقين ولا مؤمنين بالله وملائكته

وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَأَنَّ رَبَّكَ} وإن ربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {هُوَ الْعَزِيزُ} لهو القوي والعزيز في ملكه وسلطانه وحكمه وأمره {الرَّحِيمُ} فهو يرحم من تاب وأناب وندم ورجع إليه وأطاعه وعبده وحده لا شريك له.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴿٢١﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ قَالُوا لَيْن لَمْ تَنْتَه يَسُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿٢٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿٣٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾

{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ} كذبت قوم نوح عليه السلام وجحدت وأنكرت {الْمُرْسَلِينَ} رسل الله تعالى بما فيهم نوح عليه السلام {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ} إذ قال نوح عليه السلام. وكلمة "أخوهم" أي منهم ومن قبيلتهم ومن قومهم {أَلَا تَتَّقُونَ} ألا تخافون الله وتطيعونه فيما أمركم به ونهاكم عنه {إِنِّي} إني أنا نوح {لَكُمْ} لكم يا قومي {رَسُولٌ} مرسل من قبل الله تعالى لكم لتبليغ رسالته {أَمِينٌ} مخلص وصادق في قولي لكم وفي نصحي لكم {فَاتَّقُوا اللَّهَ} فخافوا الله تعالى

{وَأَطِيعُونِ} وأطيعوني فيما آمركم به وأنهاكم عنه {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} ولم أسألكم على رسالتي لكم أجراً منكم {إِنْ أَجْرِيَ} إن أجري وشوابي {إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ} هي على الله تعالى رب العوالم والخلق والكون كله يوم القيامة فأخذ أجري من عند الله تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} فخافوا الله تعالى وعبدوه وأطيعوه وأطيعوني فيما آمركم به وأنهاكم عنه {قَالُوا} قال قوم نوح عليه السلام {أَنْتُمْ لَنَا لَكُمْ} هل نصدقك {وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ} ولم يتبعك إلا الأراذل والسفهاء من الناس والحقيرون والذليلون والفقراء {قَالَ} قال نوح عليه السلام {وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فأنا لا أعلم ما يعملون وما يصنعون بل لي الظاهر والباطن يتولاه الله تعالى {إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي} فإن حسابهم يوم القيامة على الله تعالى وحده لا شريك له {لَوْ تَشْعُرُونَ} لو تعلمون {وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ} وما أنا بطارد ولا مبعد من آمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ} إن أنا نوح عليه السلام إلا محذر {مُبِينٌ} واضح البينة والدلالة والحجة والتحذير من عصيان الله تعالى ومن مخالفة أمره أو عبادة غيره {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ} قالوا إن لم تترك نصحك هذا وهذا الدين الذي تدعوننا إليه {لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} ستكون من المرجومين بالحجارة أي من المقتولين أي سنقتلك {قَالَ} قال نوح عليه السلام {رَبِّ} إلهي وخالقي {إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ} إن قومي وقبيلتي وعشيرتي وأمتي كذبون ولم يصدقوا رسالتي {فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا} احكم بيني وبينهم حكماً واقض وافصل بيني وبينهم {وَوَجِّئْ مِنِّي وَمَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ونجني وأنقذني منهم أنا ومن معي من المؤمنين من آمن بي وصدق

برسالتني {فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ} فَأَنْجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْقَذَهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
{فِي الْفُلِّ} فِي السَّفِينَةِ الَّتِي صَنَعَهَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ {الْمَشْحُونِ} الْمَمْلُوءِ بِالطَّعَامِ  
وَالشَّرَابِ وَمِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ لِحِفْظِ الذَّرِيَّةِ وَالْجِنْسِ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ {ثُمَّ  
أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ} ثُمَّ أَغْرَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَاقِينَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَذَبُوا  
نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامَ وَلَمْ يَرْكَبُوا مَعَهُ فِي الْفُلِّ الَّذِي صَنَعَهُ {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إِنَّ فِي قِصَّةِ  
نُوحٍ وَقَوْمِهِ {لَآيَةً} لِمُعْجَزَةٍ وَعِبْرَةٍ {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ} وَلَمْ يَكُنْ أَغْلِبَهُمْ أَيُّ قَوْمٍ  
نُوحٍ {مُؤْمِنِينَ} مُصَدِّقِينَ بِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَبِرِسَالَتِهِ {وَإِنَّ رَبَّكَ} وَإِنَّ خَالِقَكَ  
وَإِلَهَكَ اللَّهُ تَعَالَى يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ {لَهُوَ الْعَزِيزُ} لَهُوَ الْقَوِيُّ فِي حُكْمِهِ وَمَلِكُهُ  
وَسُلْطَانُهُ وَإِنْتِقَامُهُ وَبَطْشُهُ {الرَّحِيمُ} فَهُوَ رَحِيمٌ بِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ وَنَدِمَ وَرَجَعَ إِلَى  
طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَلَا يَعْذِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَرْحَمُهُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ.

﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوعِظَتْ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿١٤٠﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٢﴾ ﴾

{ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ } كذب قوم عاد جميع الرسل وكذبوا كذلك أخاهم ورسولهم هود عليه السلام { إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ } ناصحاً قال لهم هود عليه السلام { أَلَا تَتَّقُونَ } ألا تخافون الله وتطيعونه وتعبدونه وحده { إِنِّي } إني أنا هود عليه السلام { لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } إني لكم رسول صادق ومخلص ولا أغشكم ولا أخذلكم { فَاتَّقُوا اللَّهَ } فخافوا الله واخلشوه وعبدوه وأطيعوه { وَأَطِيعُوا } وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه في طاعة الله تعالى { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } ولا أسألكم على نصحي ورسالتي لكم من أجر أو مكافأة { إِنْ أَجْرِيَ } إن ثوابي { إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } إلا من الله تعالى رب العالمين والكون والخلق كلهم وجميع عوالمه وذلك يوم القيامة { أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ } أتبنون بكل طريق ومكان ومنطقة تملكونها { ءَايَةً تَعْبَثُونَ } بناءً يكون معلماً للذيلة والعبث واللعب والاستهزاء بمن هو أدنى منكم

{وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ} وتعملون مصانع للخمور ومصانع لنحت التماثيل وغيرها  
 {لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} كأنكم تعيشون أبداً ولا تموتون وتخلدون في الدنيا {وَإِذَا  
 بَطَشْتُمْ} وإذا انتقمتم من أحد من الضعفاء والمساكين {بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ} فجرتم  
 وانتقمتم ظالمين ومتجبرين أي زيادة في الانتقام وفي شدته {فَاتَّقُوا اللَّهَ} فخافوا الله  
 واخلشوه واعبدوه وأطيعوه {وَأَطِيعُوا} وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه في  
 طاعة الله تعالى {وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ} واتقوا الله تعالى الذي زودكم وأعطاكم {بِمَا  
 تَعْلَمُونَ} من القوة والنعم والبنين والأموال والممتلكات {أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ} أمدكم بنعم  
 ومواشي وممتلكات {وَبَنِينَ} وأولاد قوة وعزوة لكم {وَوَجَنَّتِ} وحدائق وبساتين  
 وحقول {وَوَعْيُونَ} وعيون الماء والأنهار والآبار لتسقوا بها زرعكم ومواشيكم {إِنِّي  
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} إني أخشى عليكم أن يقع عليكم عذاب الله  
 تعالى يوم القيامة فتدخلوا النار خالدين {قَالُوا} قال قوم هود وهم قوم عاد لرسولهم  
 هود عليه السلام {سَوَاءٌ عَلَيْنَا} فعندنا كله سواء ولا يضرنا شيء ولا نكثرث  
 {أَوْعَظَّتْ أُمَّرَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ} سواء نصحت أو لم تنصحننا لا نصدقك ولا  
 نتبعك ونكذبك {إِنَّ هَذَا} إن هذا الدين الذي نعبده وهو عبادة الأصنام والأوثان  
 {إِلَّا خُلُقٌ} إلا عمل ودين {الْأَوَّلِينَ} السابقين فهو فعلهم وعقيدتهم {وَمَا نَحْنُ  
 بِمُعَذِّبِينَ} ولا نعذب يوم القيامة حيث لا حياة ولا نشور بعد الموت {فَكَذَّبُوهُ}  
 فكذبوه ولم يصدقوه {فَأَهْلَكْنَاهُمْ} فأهلكهم الله تعالى ودمرهم وأماتهم بالريح العقيم  
 والريح الصرصر العاتية {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك الهلاك والعذاب {لَآيَةً} لمعجزة  
 ودلالة وبرهان وعبرة لمن يعتبر {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} ولم يكن أغلبهم مؤمنين



ومصدقين برسالة هود عليه السلام {وَإِنَّ رَبَّكَ} وإن ربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {هُوَ الْعَزِيزُ} لهو القوي في ملكه وحكمه وفعله وفي سلطانه {الرَّحِيمُ} وهو يرحم من تاب وندم ورجع إليه وذلك يوم القيامة.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتَّزَكُّونَ فِي مَا هَبْنَاهَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَخَلِّ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَآءَا شَرِبَ وَلَكُمْ شَرِبَ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿١٥٨﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ} كذب قوم ثمود وهم قوم صالح عليه السلام {الْمُرْسَلِينَ} جميع الرسل والأنبياء الذين أرسلوا إليهم {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ} حيث قال لهم نبيهم ورسولهم صالح عليه السلام. وأخوهم أي هو من قومهم وقبيلتهم وسميت ثمود على اسم بئر في أرض الحجر وهي بين المدينة وبين تبوك {أَلَا تَتَّقُونَ} أفلا تخافون الله وتخشونه وتعبدونه وتطيعونه {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} إني لكم رسول ونبي من قبل الله تعالى صادق ومخلص ولا أغشكم ولا أخذكم

{فَاتَّقُوا اللَّهَ} فخافوا الله وأطيعوه وعبدوه {وَأَطِيعُوا} وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه في طاعة الله تعالى {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} ولا أسألكم على رسالتي ونصحي لكم من أجر أو مكافأة أو عطاء {إِنْ أَجْرِيَ} إن ثوابي {إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ} إلا من الله تعالى رب الخلق والكون والعالمين كلهم أي جميع العوالم {أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَبْنَاهَا} فهل تظنون أنكم ستتركون وتمكثون في هذه الدنيا {ءَامِنِينَ} آمنين من زوال النعم ومن الموت ومن الهلاك {فِي جَنَّتٍ} في حدائق وبساتين تملكونها {وَعُيُونٍ} وعيون الماء من الأنهار والعيون والآبار لتسقوا منها جناتكم {وَزُرُوعٍ} ومزارع من الثمار والفواكه {وَوَخَلٍ طَلْعُهَا} ونخل قنوها {هَضِيمٌ} رطبه سهل الأكل والهضم ودليل على ذلك أنه في نفاس وولادة مريم عليها السلام بعيسى عليه السلام قال تعالى: " وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا " ٢٥ مريم. {وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا} وتقطعون وتحفرون في الجبال بيوتاً ومساكن لكم {فَرِهِينَ} رافعي البناء ومعليه وموسعيه ومطوليه {فَاتَّقُوا اللَّهَ} فخافوا الله تعالى واخشوه وعبدوه وأطيعوه {وَأَطِيعُوا} وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه في طاعة الله تعالى {وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ} ولا تطيعوا أمر العاصيين والمنحرفين والباغين والمذنبين {الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} الذين يخربون في الأرض وينشرون الشر والفساد والمعاصي والكفر والشرك {وَلَا يُصْلِحُونَ} ولا يعملون عملاً في الخير والصلاح وعبادة الله تعالى وطاعته {قَالُوا} قال الكفار من قوم ثمود {إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ} قالوا لنبيهم ورسولهم صالح عليه السلام إنما أنت ممن سحر وأثر فيه السحر وأصبح مجنوناً معتوهاً وفاقد

العقل { مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا } ما أنت يا صالح إلا مخلوق وبشر مثلنا من بني آدم وليس ملكاً { فَأَتَتْ بِغَايَةِ } فجئ لنا بمعجزة نراها ونصدقها { إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } إن كنت ممن يصدق القول ولم تكن من الكاذبين { قَالَ } قال صالح عليه السلام { هَذِهِ نَاقَةٌ } هذه الناقة هي المعجزة لكم { هَا شَرِبْتُ وَلَكُمْ شَرِبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ } أي هي تشرب من بئركم لها يوم ولكم أنتم يوم آخر تشربون منه وتسقون أنعامكم ومواشيكم لأنها في يومها تشرب ماء البئر كله وتحلب لكم حليباً يكفي جميع القوم { وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ } ولا تصيبوها بأي أذى { فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ } فيأخذكم وبهلككم عذاب عظيم في يوم شديد { فَعَقَرُوهَا } فلم يكثرثوا بنصح صالح عليه السلام لهم بأن لا يمسوها بسوء فعقروها وقتلواها والذي عقرها هو قدار بن سالف وهو أشقى القوم وأقبحهم وهو رجل أحمر أزرق العينين عيناه مثل عيني الخفاش كما قال تعالى: " إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا " ١٢ الشمس. { فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ } فندموا حيث لا ينفع الندم { فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ } فعاقبهم الله تعالى بعد ثلاثة أيام من عقور الناقة وكما قال تعالى: " فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ " ه الحاقة. { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً } إن في ذلك الهلاك والعذاب لمعجزة وعظة لمن يعتبر { وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } ولم يكن أغلبهم مصدقين برسالة صالح عليه السلام { وَإِنَّ رَبَّكَ } وإن ربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله { لَهُوَ الْعَزِيزُ } لهو القوي في ملكه وسلطانه وانتقامه { الرَّحِيمُ } يرحم من تاب وندم ورجع إليه فإنه يرحمه يوم القيامة ولا يعذبه.

﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٦﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٧﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾ فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٩﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧٠﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧١﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءً مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٧٣﴾ وَمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾

{ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ } وهم سكان سدوم وهي بغور الأردن متاخمة لجبال بيت المقدس بينها وبين الكرك والشوبك بالأردن. ولوط عليه السلام هو ابن عم إبراهيم عليه السلام وأخو سارة زوجة إبراهيم عليه السلام { الْمُرْسَلِينَ } فكذب قوم لوط عليه السلام المرسلين جميعهم بما فيهم لوط عليه السلام { إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ } إذ قال لهم لوط عليه السلام ونصحهم وهو أخوهم ومن قومهم وقبيلتهم وعشيرتهم ورسولهم { أَلَا تَتَّقُونَ } ألا تخافون الله وتخشونه وتعبدونه وتطيعونه { إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } إني لكم رسول ونبي مرسل من قبل الله تعالى صادق ومخلص لكم ولا أغشكم ولا أخذلكم { فَاتَّقُوا اللَّهَ } فخافوا الله تعالى واخشوه وعبدوه وأطيعوه { وَأَطِيعُوا اللَّهَ } وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه في طاعة الله تعالى { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } ولا أسألكم على نصحي ورسالتي من أجر ومكافأة { إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ } إنَّ أجري وثوابي على الله تعالى رب العالم كله ورب الخلق

والكون جميعهم وذلك يوم القيامة آخذ ثوابي من الله تعالى {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِن  
 الْعَلَمِينَ} استنكر لوط عليه السلام عمل قومه وهو أنهم يأتون الذكور في الأدبار من  
 دون العالم كله فهم أول من فعلوا ذلك وتركوا نساءهم وكما قال تعالى: " وَلَوْطًا إِذْ  
 قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ " ٨٠ الأعراف.  
 {وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رِبُّكُمْ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ} وتتركون ما خلق الله لكم وأحله لكم  
 من النساء من زوجاتكم وهي الفروج {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّعْتَدُونَ} بل أنتم قوم معتدون  
 على حدود الله تعالى ومنحرفون ومخالفون للطبيعة البشرية بذلك {قَالُوا} قال قوم  
 لوط للوط عليه السلام {لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ} إن لم ترجع وتتوقف عن اعتراضك لنا  
 بإتيان الذكور في الأدبار {لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ} لنطردنك من أرضنا {قَالَ} قال  
 لوط عليه السلام لقومه رداً عليهم {إِنِّي لِعَمَلِكُمْ} إني لفعلكم هذا {مِّنَ الْقَالِينَ} من  
 المنكرين والكارهين {رَبِّ} إلهي وخالقي يا الله {يُنَجِّنِي وَأَهْلِي} أنقذني وأهل بيتي  
 وأسرتي {مِمَّا يَعْمَلُونَ} مما يفعلون {فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ} فاستجاب الله تعالى  
 دعوته ونجاه وأنقذه وسلمه هو وأهل بيته وأسرته وذريته من عمل قوم لوط كلهم  
 أجمعين {إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ} إلا زوجة لوط عليه السلام وهي عجوز وكبيرة في  
 السن أهلكها الله تعالى مع الهالكين. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي  
 صلى الله عليه وسلم قال: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل  
 والمفعول به ومن وجدتموه وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة). [رواه أحمد  
 والأربعة ورجاله موثقون إلا أن فيه اختلافاً - سبل السلام ج ٤ ص ١٣]. {ثُمَّ  
 دَمَّرْنَا} ثم أهلك الله تعالى {الْآخَرِينَ} وهم قوم لوط عليه السلام جميعهم

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ} فأمطر الله عليهم السماء {مَطْرًا} وهو حجارة من سجيل معلمة باسم كل واحد منهم فتهلكه {فَسَاءَ} فقيح {مَطْرُ الْمُنذَرِينَ} مطر الذين أنكروا وعصوا إنذار وتحذير رسولهم لوط عليه السلام {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً} إن في ذلك العذاب والهلاك لِقوم لوط لمعجزة وعظة لمن يعتبر {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ} ولم يكن أغلبهم {مُؤْمِنِينَ} مصدقين برسالة لوط عليه السلام ولا بتحذيره لهم {وَإِنَّ رَبَّكَ} وإن ربك وخالقك ورازقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {هُوَ الْعَزِيزُ} لهو القوي والمنتقم ممن عصاه {الرَّحِيمُ} ويرحم من تاب إليه وندم ورجع إليه فلا يعذبه يوم القيامة ويرحمه بدخول الجنة.

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَ هُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّمَن كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

{ كَذَّبَ أَصْحَابُ } كذب أصحاب وأهل { لَيْكَةِ } وهم أصحاب الأشجار الملتفة والمتراكمة على بعضها وهي كالغابة من كثافة الأشجار لكثرتها وهم أهل مدين { الْمُرْسَلِينَ } كذبوا جميع الرسل بما فيهم رسولهم شعيب عليه السلام { إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ } حيث قال لهم شعيب عليه السلام وهو نبيهم ورسولهم { أَلَا تَتَّقُونَ } ألا تخافون الله تعالى وتخشونه وتعبدونه وحده وتطيعونه { إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ } إني لكم رسول ونبي مرسل من قبل الله تعالى { أَمِينٌ } صادق ومخلص ولا أغشكم ولا أخذلكم { فَاتَّقُوا اللَّهَ } خافوا الله واخلشوه وعبدوه وأطيعوه { وَأَطِيعُوا } وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه في طاعة الله تعالى { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } ولا أسألكم على رسالتي ونصحي لكم من أجر ولا مكافأة { إِنْ أَجْرِيَ } إن ثوابي

{إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ} إلا على الله تعالى رب العالم كله ورب الكون والخلق  
 جميعهم فهو إلههم وخالقهم وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه  
 {أَوْفُوا الْكَيْلَ} أكملوا وأتموا الكيل ولا تنقصوه سواء الصاع أو خلافه {وَلَا تَكُونُوا  
 مِنَ الْمُخْسِرِينَ} ولا تكونوا من المنقصين للكيل فهذه تعتبر سرقة بنقص الكيل  
 {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ} وزنوا في الميزان باستواء كفتيه بالعدل والحق لا  
 زيادة ولا نقصان {وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} ولا تخسروا ولا تضيعوا حقوق  
 الناس وأشياءهم ولا تنقصوها {وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ} ولا تنتشروا في الأرض ولا  
 تخربوا ولا تلعبوا بحقوق الناس {مُفْسِدِينَ} مخربين وعابثين وظالمين {وَاتَّقُوا}  
 وخافوا واخشوا {الَّذِي خَلَقَكُمْ} الذي أوجدكم من العدم {وَالْجِبِلَّةَ} الجماعة  
 والأمم والخلق {الْأَوَّلِينَ} السابقين {قَالُوا} قال الكفار قوم شعيب لشعيب عليه  
 السلام {إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ} إنما أنت يا شعيب ممن سحر وأثر فيه السحر  
 وأنت من المجنونين والمعتوهين والفاقدين للعقل {وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا} وما أنت  
 يا شعيب إلا خلق مثلنا من البشر والإنس مثلنا وليس ملكاً من الملائكة حتى  
 تنصحننا {وَإِنْ نَظُنُّكَ} وإنا نعتقد أنك {لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} أنك يا شعيب من  
 الكاذبين علينا وغير صادق في رسالتك {فَأَسْقِطْ} فأنزل وأوقع {عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ  
 السَّمَاءِ} أنزل علينا صواعق وعذاباً من السماء {إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} إن كنت  
 ممن يصدق القول ولم يكذب {قَالَ} قال شعيب عليه السلام {رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا  
 تَعْمَلُونَ} ربي الله تعالى يعلم ويدري بما تفعلون وبما تكذبون برسالتي لكم  
 {فَكَذَّبُوهُ} فكذبوه ولم يصدقوه {فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ} فأرسل الله عليهم عذاب



{يَوْمِ الظُّلَّةِ} وهو حر شديد لمدة سبعة أيام ثم أرسل الله لهم سحابة ظنوا أنها ستمطرهم وتقيهم حر الشمس فخرجوا للاستظلال بها فأمطرتهم ناراً بدلاً من المطر ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة أهلكتهم جميعاً {إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} إن ذلك اليوم هو عذاب الهول والخوف والرعب والغزع والهلاك وهو يوم عظيم الشدة والعذاب عليهم {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك الهلاك لقوم شعيب {لَايَةً} لمعجزة وعبرة لمن يتعظ {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ} ولم يكن أغلبهم {مُؤْمِنِينَ} مصدقين برسالة شعيب عليه السلام {وَإِنَّ رَبَّكَ} وإن ربك وخالقك وإلهك يا محمد يا رسول الله {هُوَ الْعَزِيزُ} لهو القوي في ملكه وفي هلاكه لقوم شعيب {الرَّحِيمُ} يرحم من تاب وأناب ورجع إليه ويرحمه يوم القيامة فلا يعذبه ويدخله الجنة.

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ  
 الْمُنذِرِينَ ﴿٢٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ  
 أَنْ يَعْلَمَهُرُ عُلَمَاؤُا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٨﴾ فَقَرَأَهُ  
 عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٠﴾  
 لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٢﴾  
 فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٣٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ  
 سِنِينَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتِعُونَ ﴿٣٧﴾  
 وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٣٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَا  
 نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٤٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ  
 لَمَعْرُوْلُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرْ  
 عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٤٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٥﴾ فَإِنْ  
 عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٤٧﴾ الَّذِي  
 يَرِنَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٤٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَإِنَّهُرُ﴾ إنه القرآن الكريم. وهنا يسمى الانتقال من موضوع إلى آخر بالنسبة للقرآن  
 الكريم يسمى في اللغة (الالتفات) ﴿لَتَنْزِيلُ﴾ أي أن القرآن الكريم منزل ﴿رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ﴾ من الله تعالى رب وخالق وإله جميع العوالم والعالم كله أي نزله الله  
 تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ والقرآن الكريم نزل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ  
 إلى بيت العزة في السماء الدنيا وهو مسجد في السماء الدنيا وهو البيت المعمور  
 للسماء الدنيا لأن في كل سماء من السموات السبع يوجد فيها بيت معمور أي

مسجد كما جاء في حديث الإسراء والمعراج ثم نزل القرآن الكريم منجماً أي مفرقاً حسب الحوادث من بيت العزة في السماء الدنيا بواسطة الوحي جبريل عليه السلام الصادق والأمين على الرسالة {عَلَىٰ قَلْبِكَ} على قلبك يا محمد حتى تعقله وتفهمه وتصدقه وتؤمن به ولم يقل سبحانه وتعالى على عقلك لأن العقل هو للحفظ وليس للفهم والإيمان (على قلبك) أي لتفقهه وتعلمه وتعقله وتؤمن به لأن القلب هو محل التصديق أو التكذيب كما ورد: (الإيمان ما قر في القلب وصدق العمل) {لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} لتكن من الرسل ينذرون ويحذرون قومهم من عذاب الله تعالى إذا عصوه وكفروا به وأشركوا وعبدوا غيره {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ} بلغة العرب {مُتَّبِعِينَ} فصيح وواضح البينة والدلالة {وَإِنَّهُ} وإنه القرآن الكريم وصفة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعاني ومجمل القرآن الكريم وهديه {لَفِي زُبُرٍ} لفي كتب {الْأُولَىٰ} الأولين من الرسل ممن سبقوا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَوَّلَ مَا يَكُنْ هُمْ آيَةً} أفلم يكن لهم معجزة وعظة وعبرة {أَنْ يَعْلَمَهُرْ} عَلِمُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ} أن علماء بني إسرائيل يعلمون ذلك من صفة النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن علمائهم عبد الله بن سلام فهو حبر من أحناب وعلماء بني إسرائيل وكعب الأحناب كذلك وكما قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ " ٦ الصف. {وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ} يقول الله تعالى لو نزلنا هذا القرآن بدلاً من الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ} على بعض الأعاجم بدلاً من الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَقَرَأَهُرْ} فقرأ القرآن {عَلَيْهِمْ} على

كفار قريش { مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ } لم يؤمنوا به ولم يصدقوه { كَذَلِكَ }  
وهكذا { سَلَكَنَّهُ } جعلناه { فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ } في قلوب المذنبين من الكفار  
والمشركين فلا يؤمنون ولا يصدقون به { لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ } لا يصدقون بالقرآن  
هؤلاء الكفار { حَتَّى يَرَوْا } حتى ينظروا ويشاهدوا بأعينهم { الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }  
العذاب الشديد { فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً } فيأتيهم ويحل بهم فجأة { وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }  
وهم لا يعلمون إلا وهو نازل بهم فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون  
{ فَيَقُولُوا } فعندها يقول الكفار { هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ } هل نحن ممهلون ومؤخرون  
ومؤجلون إذا حل بهم العذاب فيندمون ويتمنون أن يؤخر ويؤجل عنهم العذاب  
ليعملوا صالحاً { أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ } فهل هم الآن في الدنيا يستعجلون ويطلبون  
أن يحل بهم العذاب إنكاراً وتكذيباً بالقرآن وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه  
وسلم { أَفَرَأَيْتَ } أفعلمت يا محمد يا رسول الله { إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ } إن جعلناهم  
يتمتعون سنين طويلة بتأجيل موتهم وهلاكهم وجعلناهم ينعمون ويسعدون ويتمتعون  
بطول الأجل { ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ } ثم جاءهم العذاب والموت بعد عمر  
مديد وسعيد { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ } فلم يغن عنهم شيئاً كل ما  
تمتعوا به من النعيم في الدنيا { وَمَا أَهْلَكْنَا } وما دمرنا { مِنْ قَرْيَةٍ } من مدينة أو  
قرية { إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ } إلا ولها بعثنا رسلاً وأنبياء ينذرونهم ويحذرونهم عذاب  
الله تعالى يوم القيامة { ذِكْرِي } عظة { وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ } وما كان الله تعالى ليظلم  
أحداً بعد إرسال الرسل محذرين قومهم من عذاب الله تعالى إذا عبدوا غيره  
وأشركوا به وعصوا أوامره ولم يطيعوه { وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ } ولم تنزل القرآن

{الشَّيَاطِينُ} ولم تنزل القرآن الشياطين ولا أحد من جنود إبليس {وَمَا يُنْبِغِي لَهُمْ} ولا يمكن لهم {وَمَا يَسْتَطِيعُونَ} ولا يستطيعون ذلك حيث أن السماء الدنيا حرسست منهم {إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ} إن الشياطين عن الاستماع للملائكة {لَمَعَزُؤْلُونَ} لمحجوبون وممنوعون كما قال تعالى: " وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا " ٩ الجن. وقال تعالى: " لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدُّونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ " ٨ الصافات. {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءآخَرَ} فلا تعبد شريكاً مع الله تعالى من الآلهة والأصنام والأوثان يا محمد يا رسول الله {فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ} فتكون يوم القيامة مع المعذبين من الكفار في نار جهنم يوم القيامة وهذه الآية دلالة على تحريم عبادة الأصنام والأوثان مطلقاً {وَأَنْذِرْ} وحذر {عَشِيرَتِكَ} قومك وقبيلتك {الْأَقْرَبِينَ} الأقارب الأقرب فالأقرب. قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز وجل: " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى: (يا صباحاه) فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟) قالوا: نعم. قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله: " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ " . [ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأعمش به - ابن كثير ج ٣ ص ٣٤٩]. وفي صحيح مسلم: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من

هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار. [ابن كثير ج ٣ ص ٣٤٩]. {وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ} أي كن رحيماً ودوداً وتلطف {لِمَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} لمن صدقك وتابعك ممن آمن وصدق بك من المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكما قال تعالى: " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ " ١٥٩ آل عمران. {فَإِن عَصَوْكَ} فإن خالفوك ولم يطيعوك {فَقُلْ} فقل يا محمد يا رسول الله {إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} إني أبرأ من عملكم من الكفر والمعاصي {وَتَوَكَّلْ} واعتمد في تبليغ رسالتك {عَلَى الْعَزِيزِ} على الله تعالى القوي في ملكه وحكمه وأمره وتدبيره {الرَّحِيمِ} يرحم من تاب وأناب وندم ورجع وبالمؤمنين يوم القيامة فلا يعذبهم ويدخلهم الجنة {الَّذِي يَرِنُكَ} وهو الله تعالى الذي ينظرك ويشاهدك دائماً يا محمد يا رسول الله {حِينَ} وقت {تَقُومُ} وقت ما تقوم للصلاة وفي جميع الأوقات {وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدِينَ} وتنقلك وتحركك مع المصلين وهم الذين يسجدون ويصلون طاعة لله تعالى {إِنَّهُ هُوَ} إنه هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {السَّمِيعُ} فهو الذي يسمع كل شيء {الْعَلِيمُ} والذي يرى ويعلم بكل شيء وعليم بأقوالكم وأفعالكم.

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوِرُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾

{ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ } يقول الله تعالى هل أخبركم أيها الكفار ويا أهل قريش وهل أعلمكم { عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ } على من تنزل وترافق الشياطين وذلك أن الكفار قالوا إن القرآن تنزلت به الشياطين على محمد فرد الله تعالى عليهم ويقول لهم على من تنزل الشياطين { تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ } تنزل على كل كذاب مفتر { أَثِيمٍ } عاصي مذنب منغمس في الكذب والإثم { يُلْقُونَ السَّمْعَ } فالشياطين يصعدون إلى السماء يسترقون السمع وعندما يسمعون كلمة أو خبراً يُبلغونها لأصحابهم الكهنة وهذه الكلمة هي صحيحة فيخبر بها الكاهن الناس وعند حصولها يتأكد الناس بصدق خبر الكاهن ولكنه يكذب معها مائة كذبة { وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ } وأغلب الشياطين والكهنة كذابون حيث يكذبون بعد تلك الواقعة مائة كذبة. روى البخاري من حديث الزهري: أخبرني يحيى بن عروة بن الزبير أنه سمع عروة ابن الزبير يقول: قالت عائشة رضي الله عنها: سألت ناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال: (إنهم ليسوا بشيء) قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقها في أذن وليه كقرقرة الدجاج فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٣]. وروى البخاري أيضاً قال: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان

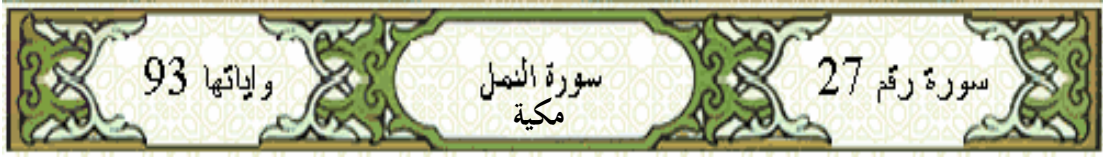
حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة سمعت أبا هريرة يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض - وصفه سفيان بيده فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء). [تفرد به البخاري - ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٣].

{وَالشُّعْرَاءُ} وهم من يتكلمون بالشعر ويقولونه ويؤلفونه {يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} يتبعهم المخطئون والضالون من الناس بأن يرددوا شعرهم سواء من الغزل في مفاتن وأعراض النساء والفتيات الجميلات أو وصف الخمر من الماجنين أو التفاخر بالأنساب والأحساب أو مدح من لا يستحق {أَلْمَرَّتْ} ألم تنظر وتشاهد يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن {أَنَّهُمْ} أي الشعراء {فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ} في كل واد من أودية الأرض يسافرون ويتنقلون ويتجولون - وفي كل واد سواء من المدح أو الفخر أو الذم - فما من مكان إلا ويسلكونه ليقولوا شعرهم وليتسولوا به من الملوك والرؤساء ويمدحون من يسدل لهم العطاء ويذمون من يمنعهم عطاءه ويتغزلون في مفاتن النساء وينتهكون بشعرهم أعراض المحصنات من النساء والفتيات ويهجون من خصمهم وأنهم يهيمون ويستمررون في أودية المدح والهجاء والغزل ووصف الخمر وغير ذلك {وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ} وأن شعرهم هو مجرد قول وليس فعل وأنهم يبالغون في شعرهم إلى حد الكذب مستغرقين في أحلامهم وأوهامهم وخيالاتهم



وادعاءاتهم الكاذبة {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا} إلا من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أي إلا المؤمنين الذين لا يهجون ولا يمدحون إلا حقاً وفي إعلاء كلمة الله تعالى والإسلام ودين الإسلام وفي الحق وفي أعمال الخير وأعمال البر وفي الجهاد وفي الدفاع عن المسلمين كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان: (اهجهم - أو قال - هاجهم وجبريل معك). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٥]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل).

[ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٥]. {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عملوا أعمال الخير والبر وفي عبادة الله وطاعته {وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} وذكروا الله تعالى وسبحوه بأسمائه الحسنی كثيراً {وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا} وانتصروا بشعرهم دفاعاً عن أنفسهم بالحق ودفاعاً عن دين الإسلام وعن نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي العدل وفي الحق وفي الصواب وفي رضاء الله تعالى وابتغاء مرضاة الله تعالى {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا} وسيعلم الظالمون ويعرفون يوم القيامة {أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} أي ماذا سيكون مصيرهم ففي الدنيا بالأسر والقتل وفي الآخرة عذاب عظيم في نار جهنم وبئس منقلبهم ومصيرهم ومآلهم يوم القيامة فهو إلى جهنم وبئس المصير.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طس ٤ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾

{طس} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تكوّن القرآن من هذه الحروف العربية لذكرت في أوائل جميع سور القرآن.

وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (طس) هو قوله تعالى: " فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى {٣٤} يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى {٣٥} " ٣٥، ٣٤ النازعات. والله تعالى أعلم. {تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ} أي هذه الحروف في أوائل سور القرآن الكريم هي آيات من القرآن وهذه الآيات تبين كذلك أنه سيكون بعث وقيامة وحساب وعقاب وجزاء وثواب في يوم القيامة {وَكِتَابٍ مُبِينٍ} وهذه الآيات هي التي يتكون منها القرآن العظيم الواضح فهي {هُدًى} فهي تهدي الناس لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الإسلام والإيمان وتهديهم إلى طريق الخير والبر والتقوى والصالح {وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ} وتبشر بدخول الجنة يوم القيامة {لِلْمُؤْمِنِينَ} لمن يؤمن ويصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وهم {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} وهم الذين يؤدون الصلوات الخمس في اليوم واللييلة في أوقاتها وبفرائضها {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} ويخرجون زكاة أموالهم للفقراء والمساكين والمحتاجين ومن لهم حق فيها {وَهُمْ} وهم أي المؤمنون {بِالْآخِرَةِ} بيوم القيامة

{ هُمْ يُوقِنُونَ } هم معتقدون ومصدقون بها وبما فيها من البعث والنشور والمحشر والحساب والجنة والنعيم والنار والعذاب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٦٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦٦﴾ ﴾

{ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ } إن الذين لا يصدقون بيوم القيامة ولا بالبعث ولا بالنشور ولا بالحساب ولا بالجزاء والثواب { زَيْنًا } زخرفنا وحسنا { هُمْ أَعْمَلُهُمْ } لهم أعمالهم القبيحة والسيئة والمعاصي وشرب الخمر والزنا وعبادة الأصنام وكفرهم وعنادهم وجملناها في أعينهم حتى يزدادوا إثماً في غيهم وضلالهم وإشباع رغباتهم وشهواتهم وملذاتهم في الحرام استدراجاً لهم في زيادة ارتكابهم للمعاصي والذنوب { فَهُمْ يَعْمَهُونَ } فهم الكفار والعصاة لا يبصرون الهدى ولا الحق ولا أعمال الخير والبر كما قال تعالى: " بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ١٤ المطففين. { أُولَئِكَ } هؤلاء الذين هذه صفاتهم { الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ } هم الذين لهم أشد العذاب لكفرهم وعنادهم وتماديهم في الغي والضلال { وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ } وهؤلاء الكفار في يوم القيامة { هُمُ الْآخَسِرُونَ } هم الخاسرون أنفسهم وأهليهم ومن تبعهم لدخولهم وعذابهم في نار جهنم وتخليدهم فيها يوم القيامة { وَإِنَّكَ } يا محمد يا رسول الله { لَتَلْقَى } لتأخذ وتتعلم { الْقُرْآنَ } كتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم بواسطة الوحي جبريل عليه السلام { مِنْ لَدُنِّ } من عند { حَكِيمٍ } من عند الله تعالى فهو حكيم وذو حكمة في شرعه وأوامره ولا يخطئ أبداً

{عَلِيمٍ} عليم بملكه وخلقه وما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم وهو يعلم كل شيء ويدري به ويعرفه ولا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ۖ إِنِّي ۖ آذَنْتُ نَارًا سَعَاتِكُمْ مِّنْهَا ۖ خَبِيرٌ ۖ أَوْ ۖ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ۖ

لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۗ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا

وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَىٰ إِنَّهُ ۖ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ

فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا ۖ وَلَمْ يَعْقِبْ ۖ يَمْوَسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا تَخَافُ

لَدَىٰ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾

وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ ۗ فِي تِسْعِ ۖ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

وَقَوْمِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ۖ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ

مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴿١٤﴾

{إِذْ قَالَ مُوسَىٰ} إذ قال موسى عليه السلام {لِأَهْلِهِ} لزوجته وهو قادم من عند

صهره شعيب عليه السلام ومتجهاً إلى مصر وفي سينا أثناء عودته {إِنِّي ۖ آذَنْتُ

نَارًا} إني رأيت ناراً على جانب الطريق بعد أن أكمل مدة العشرة سنوات الخدمة

لشعيب عليه السلام في مقابل زواجه من ابنة شعيب عليه السلام فلما أخذها

ورجع إلى مصر وفي الطريق قال لزوجته إني شاهدت ناراً من بعيد {سَعَاتِكُمْ مِّنْهَا

خَبِيرٌ} ساتيكم بخبر الطريق ومعرفتها حتى لا نضل الطريق {أَوْ ۖ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ} أو

أتيكم بشعلة من النار {قَبَسٍ} أي قطعة وجذوة وجمرة {لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} حتى

تستدفئون بها من البرد {فَلَمَّا جَاءَهَا} فلما ذهب إليها ووصل إليها موسى

عليه السلام {نُودِي} فلما أتاها موسى عليه السلام وجد النار تزداد التهاباً في شجرة العوسج أو غيرها والشجرة تزداد خضرة فتعجب موسى عليه السلام من النار التي تزيد الشجرة خضرة وليس حرقاً فعندها نودي موسى عليه السلام من قبل الله تعالى {أَنْ بُورِكَ} أنه تبارك وتقدس وتنزه {مَنْ فِي النَّارِ} أي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بورك بالتقديس والتنزيه وجل وعظم وتقدس وعلا وارتفع فالبركة بيده وبأمره وحكمه وكما قال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً" ٦١ الفرقان. وكما قال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّنْ ذَلِكَ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً" ١٠ الفرقان. وكما قال سبحانه وتعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً" ١ الفرقان. كما قال تعالى: "ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" ١٤ المؤمنون. وكما قال تعالى: "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" ٥٤ الأعراف. وهذه النار هي عبارة عن جزء من نور الله تعالى يتوهج كما قاله ابن عباس وغيره لم تكن ناراً وإنما كانت نوراً يتوهج وفي رواية عن ابن عباس نور رب العالمين. [ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٦]. قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا شعبة والمسعودي عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل) زاد المسعودي: (وحجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره) ثم قرأ أبو عبيدة: "أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا". [وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة - ابن كثير ج ٣

ص ٣٥٧]. {وَمَنْ حَوْلَهَا} موسى عليه السلام {وَسُبْحَانَ اللَّهِ} تقديس وتنزه وجل وعظم الله تعالى {رَبِّ الْعَالَمِينَ} رب جميع العوالم والعالم كله فهو إلهه وخالقه ورازقه ومحبيه ومميته فهو رب الخلق والكون كله {يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ} يا موسى بن عمران إن الذي يناديك ويناديك هو أنا الله تعالى {الْعَزِيزُ} القوي في ملكه وفي حكمه وإرادته وفعله فهو عزيز الجانب ومنيع وقوي في سلطانه وملكه {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة في أمره ونهيه وفي ملكه ولا يخطئ أبداً {وَالْقِيَامُ} وارم {عَصَاكَ} عصاك التي في يمينك على الأرض {فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ} فلما شاهدها موسى عليه السلام وهي تهتز وتتحرك على الأرض {كَأَنَّهُ جَانٌّ} كأنها عفريت أو شيطان يتحرك ويقفز {وَلَّىٰ مُدْبِرًا} هرب راجعاً ومسرعاً وأعطاه ظهره هرباً وخوفاً {وَلَمْ يُعَقِّبْ} ولم يلتفت من شدة خوفه وهلعه مما رأى وشاهد وذلك خوفاً أن تدركه لسرعة تحركها لأن المفاجأة التي رآها أفقدت تفكيره وشلته ونسي أنه بين يدي الله تعالى وأن هذه معجزة له {يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ} فناداه الله عز وجل يا موسى أقبل ولا تخف منها {إِنِّي لَا أَخَافُ لَدَيْكَ} إنه لا يخاف ولا يخشى من شيء عندي وأمامي {الْمُرْسَلُونَ} الرسل الذين أرسلهم فهم في أمان وحفظ مني وهنا يطمئن الله تعالى موسى عليه السلام بأنه أصبح رسولاً من رسل الله تعالى وهذه أول بشارة لموسى عليه السلام بالرسالة {إِلَّا مَنْ ظَلَمَ} إلا من ظلم نفسه بالكفر أو تغيير وتبديل وتحريف الرسالة أو ظلم غيره بدون حق أو أفسد في الأرض أو من ظلم بقتل نفس بغير حق {ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ} ثم بدل الظلم بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح بعد عمله أو خطئه السيئ {فَإِنِّي غَفُورٌ} فإني أغفر ذنب

من تاب وندم ورجع وعمل صالحاً {رَحِيمٌ} وأرحمه فلا أعذبه يوم القيامة وأدخله الجنة وهنا بشرى ثانية لموسى عليه السلام بأن الله قد غفر خطأه بقتل الفرعوني عندما انتصر لقريبه الإسرائيلي {وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ} وأمر الله تعالى موسى بأن يضع يده في جيبه لردائه ولثوبه ثم أخرجها تخرج لونها بيضاء تتلألاً {مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} بدون سواد بها حيث أن موسى عليه السلام كانت بشرته سمراء فهنا تخرج يده بيضاء لا سواد بها ولا مرض كبرص وخلافه بل بيضاء ناصعة البياض تتلألاً نوراً {فِي تِسْعِ آيَاتٍ} مع تسع آيات ومعجزات أخرى {إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ} إلى فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب وقومه أهل مصر. والتسع آيات هي: العصا - اليد تخرج بيضاء - أخذهم بالسنين والقحط والجذب - انفلاق البحر لموسى - الطوفان للأنهار عليهم - الجراد - القمل - الضفادع - الدم {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ} إنهم كانوا قوماً معلنين المعاصي والكفر والشرك {فَلَمَّا جَاءَهُمْ} فلما أتتهم أي فرعون وقومه {ءَايَاتُنَا} بيناتنا ومعجزاتنا مع موسى عليه السلام {مُبْصِرَةً} واضحة وجلية وبينة {قَالُوا} قال فرعون وقومه {هَذَا سِحْرٌ} هذا الذي جاءنا به موسى هو سحر {مُتَّبِعِينَ} عظيم {وَجَحَدُوا بِهَا} وكفروا وأنكروا برسالة موسى عليه السلام ومعجزته وهي العصا {وَأَسْتَيْقَنَتَهَا} وأيقنتها وعلمتها وصدققتها {أَنْفُسُهُمْ} داخل أنفسهم بأنها حقاً وصدقاً ولكنهم جحدوا وكفروا بها {ظُلْمًا} طغياناً {وَعُلُوًّا} واستكباراً في اتباع موسى عليه السلام {فَأَنْظُرْ} فانظر يا محمد وتعجب {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} كيف كان مصير ونهاية {الْمُفْسِدِينَ} وهم فرعون وقومه وكيف كان مصيرهم الهلاك والعذاب والغرق فقد



أفسدوا في الأرض بالشرك والكفر وإذلال بني إسرائيل وتعذيبهم من قبل قدوم موسى عليه السلام باستحياء نسائهم وقتل أبنائهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَّيِّهَا النَّاسُ عُلمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٧﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَّيِّهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ} ولقد أعطى الله تعالى داود عليه السلام وابنه سليمان عليهما السلام {عِلْمًا} علماً في القضاء بين الناس ومنطق الطير والحيوانات والنمل وفي حكم الجن {وَقَالَا} وقال داوود وسليمان عليهما السلام {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ} حمداً لله تعالى وشكراً على فضله وكرمه وتخييره وتفضيله لهما على أغلب المؤمنين بالرسالة والنبوة ومنطق الطير والحيوانات وتسبيح الجبال مع داوود عليه السلام كما قال تعالى: " وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ " ٧٩ الأنبياء. وتسخير الجن والريح لسليمان عليه السلام {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ} وورث سليمان عليه السلام الرسالة والنبوة والقضاء والملك من والده داوود عليه السلام بعد وفاته {وَقَالَ يَتَّيِّهَا النَّاسُ}

وقال سليمان عليه السلام للناس {عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ} علمنا من قبل الله تعالى ووهبنا قول وكلام الطير ومعرفة نطقه ومعناه {وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} وأعطانا الله تعالى كل شيء من الملك والمال والنبوة والرسالة وحكم المشرق والمغرب والجن والإنس والطيور والحيوانات وتسخير الريح غدوها ورواحها شهر {إِنَّ هَذَا} إن هذا العطاء وهذا الخير {هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ} إنه الخير والكرم العظيم من قبل الله تعالى لنا {وَحُشْرٍ} وجمع وسُخَّرَ {لِسُلَيْمَانَ} لسليمان بن داود عليهما السلام {جُنُودُهُ} الجنود {مِنَ الْجِنِّ} من الجن والشياطين {وَالْإِنْسِ} وحكم الإنس كذلك لأن الله تعالى جعله ملكاً {وَالطَّيْرِ} والحكم على الطيور {فَهُمْ يُوزَعُونَ} فهم يتوزعون وينتشرون على الأعمال التي يوكلها لهم سليمان عليه السلام {حَتَّى إِذَا أَتَوْا} حتى إذا جاء سليمان وجنوده ومروا {عَلَى وَادِ النَّمْلِ} وهي المنطقة التي كان يسكنها النمل {قَالَتْ نَمْلَةٌ} قالت نملة واحدة من النمل لباقي النمل {يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ} التجئوا وادخلوا بيوتكم أي جحوركم وهي مساكن النمل {لَا تَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ} حتى لا يهلكنكم ويقتلنكم سليمان عليه السلام هو وعساكره وجنوده {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} وهم لا يعلمون بكم لصغر حجمكم فقد لا يراكم هو وجنده ولا ينتبه لكم فهذه شهادة من النمل لسليمان عليه السلام بعدم إيذاء خلق الله تعالى ولو كانت نملة وهذا يدل على أنه نبي ورسول وقد اعترفت هذه النملة بذلك {فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا} فعندها ابتسم ضاحكاً من قول تلك النملة وذلك بوعظها لباقي النمل الذين كانوا معها ومن علمها برسالة سليمان عليه السلام وأنه نبي الله ورسوله وعدلها في الحكم عليه بأنه لا يعتدي

على خلق الله تعالى حتى ولو كان نملاً إلا لو لم يكن يراهم أو يعلم بهم وكذلك من سماعه وفهمه لكلام تلك النملة الصغيرة فرحاً بفضل الله تعالى عليه لتعليمه له منطلق النمل {وَقَالَ} وقال عندها سليمان عليه السلام {رَبِّ} ربي وخالقي وإلهي يا الله يا رب العالمين {أَوْزِعْنِي} أعني وساعدني {أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ} على شركك وحمدك على نعمة الرسالة والنبوة والملك التي أنعمت وتفضلت وتكرمت ووهبتها لي ولوالدائي أي لوالده داوود عليه السلام ولأمه فهي زوجة نبي ورسول وأم نبي ورسول وأنجبت سليمان عليه السلام نبي الله ورسوله الذي آتاه الله تعالى الملك ومنطق الطير والحيوانات والنمل {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} وأعني على عمل الأعمال الصالحة التي ترضاها في طاعتك وعبادتك وكما جاء في الدعاء: (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} وأدخلني يا الله برحمتك الواسعة وبفضلك وبكرمك مع عبادك الصالحين أي مع عبادك المقربين ومع النبيين والرسل والصديقين ممن صلحت أعمالهم الصالحة في عبادة الله تعالى ومرضاته.

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾  
 لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْنَحُجَّنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ  
 فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً  
 تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا  
 يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
 فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ  
 وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾

{ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرُ } كان سليمان عليه السلام يجمع الإنس والجن والوحوش والطيور  
 ويتفقدهم ويصرفهم فيما يطلب منهم ويريد من أعمال أو أفعال لأن الله تعالى  
 حشرهم وسخرهم له وفي ذات يوم جمع الطيور وتفقد من غاب منهم عن طلبه  
 وأمره { فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ } فلم يشاهد  
 الهدهد لأنه لم يجده ولم يره بين الحضور فسأل عنه وعن غيابه فظن أنه قد عصى  
 أمره ولم يحضر مجلسه فلما تيقن سليمان عليه السلام أن الهدهد غائب فعلاً عن  
 الحضور غضب وقال { لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا } لأعاقبن الهدهد بعذاب شديد  
 كحبسه في قفص لا يخرج ولا يطير وقيل أنه أراد نتف ريش جناحه حتى لا  
 يستطيع الطيران وقيل ضربه { أَوْ لَأَذْنَحُجَّنَّهُ } أو ليذبحنه سليمان بالسكين. أي  
 قتله وموته إن كان تأخره عن الحضور هو المعصية والمخالفة وعدم إطاعة أمره كما  
 قال تعالى: " قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا {٨٦} قَالَ  
 أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا {٨٧} " ٨٧، ٨٦

الكهف. { أَوْ لَيَأْتِيَنِي } أو ليحضر لي { بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ } بعذر وبحجة واضحة وعذر

مقبول {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ} فمكث الهدهد غائباً مدة قصيرة وغير طويلة ثم حضر إلى سيدنا سليمان عليه السلام {فَقَالَ} فقال الهدهد لسليمان عليه السلام {أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} علمت بما لم تعلم به {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ} وحضرت إليك الآن من سبأ ببلاد اليمن {بِنَبَأٍ يَقِينٍ} بخبر مضبوط وصادق ومتأكد {إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً} إني عثرت وشاهدت امرأة من النساء {تَمْلِكُهُمْ} فهي ملكتهم وتحكمهم وهي بلقيس ملكة سبأ {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} وأوتيت من الترف والنعيم والجاه والغنى والزخرف والجند {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} ولها قصر عظيم الشأن والبنيان والزخرف {وَوَجَدْتُهُمْ وَاقِفِينَ يُسَبِّحُونَ لِلشَّمْسِ} يقول الهدهد عنها أي عن بلقيس أنه وجدها وقومها أهل اليمن يعبدون الشمس {مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي غير الله تعالى {وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ} وزخرف وجمل لبلقيس وقومها الشيطان {أَعْمَلَهُمْ} عبادتهم للشمس من دون الله تعالى {فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} فمنعهم الشيطان وأبعدهم عن سبيل وطريق الهدى وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} فهم لا يهتدون للصواب ولا لعبادة الله تعالى وحده {أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ} أفلا يسجدون لله تعالى وحده ويعبدونه ولا يشركوا به شيئاً {الَّذِي مَخْرَجَ الخَبَاءَ} الذي يخرج الخفي وما خفي {فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} إن كان مخفياً في السموات والأرض كما قال تعالى: " يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْتَقَالَ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ " ١٦ لقمان. {وَيَعْلَمُ} ويعلم ويدري ويعرف ويحيط علماً {مَا تُخْفُونَ} ما تبطنون وتسرون {وَمَا تُعْلِنُونَ} وما تُظهرون {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم

قدره وعلا شأنه {لَا إِلَهَ} لا يوجد إله ولا معبود {إِلَّا هُوَ} لا إله إلا هو الله وحده لا شريك له وهو {رَبُّ} رب وخالق وإله {الْعَرْشِ} عرش الله تعالى وهو أكبر مخلوقات الله تعالى {الْعَظِيمِ} العظيم والكبير في خلقته فهو أعظم شيء في كون الله تعالى. وفي الحديث: (ما السماوات السبع والأرضون السبع وما بينهما وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣].

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا خُنُّوا أَوْ لَوْا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسًا شَدِيدًا وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

{قَالَ سَنَنْظُرُ} قال سليمان عليه السلام رداً على قول الهدهد سنرى ونعلم {أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} هل صدقت في قولك أم كذبت وكنت ممن لا يصدق القول وكذاباً من الكذابين {أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا} اذهب وتوجه برسالتى هذه وهو كتاب قد أعده إلى بلقيس وقومها أهل اليمن {فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ} فألق الكتاب وارمه إلى بلقيس وقومها {ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ} ثم انصرف وابتعد قليلاً عنهم {فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} ثم انظر وشاهد ما يقولون وماذا يرجعون من القول وبماذا ينتهون من

الرأي والمشورة {قَالَتْ} قالت بلقيس لما ألقى إليها الكتاب وهي بلقيس بنت شراحبيل بن مالك بن الريان وبنت فارغة الجنية. [انظر ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٠]. وكان الهدد قد ألقى بالكتاب والرسالة من طاقة وفتحة من العرش في حجر بلقيس عندها قالت لقومها {يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُوْا} أيها الحضور- من القوم ومن الناس الذين حضروا مجلسها {إِنِّي} إني أنا بلقيس ملكة سبأ {أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ} ألقى ورمي علي كتاب {كَرِيمٌ} كريم القول والخطاب {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ} إنه الذي أرسله وهو سليمان {وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} وإنه جاء فيه بسم الله الرحمن الرحيم وقد بدأه ببسم الله الرحمن الرحيم {أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ} لا تتعالوا ولا تعاضموا ولا تتكبروا علي بالرفض {وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ} واحضروا إلي أنا سليمان احضروا مسلمين ومتبعين دين الإسلام لأن الدين عند الله الإسلام {قَالَتْ} ثم قالت بلقيس {يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُوْا} يا أيها الحضور من الناس من قومي {أَفْتُونِي} أشيروا علي {فِي أَمْرِي} في الكتاب الذي أرسل إلي من سليمان {مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا} ما كنت فاصلة ولا جازمة في أمر من الأمور {حَتَّى تَشْهَدُونِ} حتى تحضرون وتشيروا علي بما ترون {قَالُوا} قال الملأ الذين حضروا مجلس بلقيس من قومها {نَحْنُ} رد قومها بقولهم نحن {أَوْلُوا قُوَّةً} نحن أصحاب قوة وشجاعة {وَأَوْلُوا بَأْسًا شَدِيدًا} وأصحاب حرب وبطش شديد أي صُبر في اللقاء والمبارزة أي نحن أهل الحرب والقتال والنزال والقوة والشدة {وَالأَمْرُ إِلَيْكَ} والأمر مفوض لك {فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} ما الذي تريه وتأمرين به. فبالبسملة أحببت بلقيس ملكة سبأ سيدنا سليمان ونوّهت وألمحت بذلك في قولها " إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ " فوصفته بالكتاب الكريم ولما

لم يفهم قومها الإشارة بالتلميح والتنويه بذلك صرّحت لهم علنا بعدم محاربتهم فعندها {قَالَتْ} قالت بلقيس رأيها وعلمها وحكمتها وهو {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً} إن الملوك للدول إذا دخلوا قرية بالحرب والقتال {أَفْسَدُوهَا} أهلكتها وخربوها ودمروها {وَجَعَلُوا أَعْرَظَ أَهْلِهَا} وجعلوا أعزة البلاد وكبرائها ورؤساءها ووجهاءها وأغنياءها وجميع أهلها {أَذِلَّةٌ} أسرى ذليلين حقيرين {وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} وهذا هو شأن الحرب والقتال فهو فعلهم وعملهم في الحرب وهو الأسر والسبي والسلب والنهب والقتل والهلاك وهكذا يفعلون يقيناً. ومن ذلك نرى أن النساء يطلبن وُدّ الأنبياء والرسل فبلقيس أحببت سيدنا سليمان لرسالته وابنة سيدنا شعيب أحببت سيدنا موسى لشهامته وزليخا امرأة العزيز أحببت سيدنا يوسف لجماله وأناقته وخديجة الكبرى أحببت سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم لأمانته وصدق الله حيث يقول: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا " ٩٦ مريم. {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ} وإني سأبعث لسليمان وجنده هدية {فَنَاطِرَةٌ} فمنتظرة {بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} بماذا يرجع رسلنا من عند سليمان فإن قبلها فهو ملك وعندها نقاتله وإن كان نبياً ورسولاً لا يقبلها فعندها نطيعه ونتبعه وهكذا كان.



﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ  
بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٦٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِنُجُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا  
أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

{ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ } فلما حضر الوفد المرسلون إلى سليمان عليه السلام { قَالَ } قال  
لهم سليمان عليه السلام وهم يحملون الهدايا الفاخرة والذهب والحلي { أَتُمِدُّونَنِ  
بِمَالٍ } أتهدونني وتعطوني وتقدموا لي المال { فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ } فما أعطاني الله  
تعالى من المال والملك { خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ } أفضل وأكثر مما أعطاكم { بَلْ أَنْتُمْ  
بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ } بل أنتم بهديتكم ترجعون وتنعمون بها وتفرحون بعودتها لكم  
{ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ } عد إليهم يا وفد المرسلين أي إلى بلقيس وقومها { فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ } فإن لم  
يحضروا مسلمين فلنحضرن إليهم ونأتينهم { بِنُجُودٍ } بعساكر وجيش { لَّا قِبَلَ لَهُمْ  
بِهَا } لا يستطيعون مقاومتها ولا ردها عنهم { وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا } ولنطردهم من  
بلادهم من سبأ من بلاد اليمن { أَذِلَّةً } ذليلين { وَهُمْ صَاغِرُونَ } وهم حقيرون  
ومقهورون.

﴿ قَالَ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ٣٨ قَالَ عَفْرَيْتُ  
 مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ  
 الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ  
 مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرٌ أَمْ أَكْفُرٌ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا  
 يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكُرُوا هَآءَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي  
 أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ  
 وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ؕ إِنَّهَا  
 كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ  
 عَن سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي  
 وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

{ قَالَ } قال سليمان عليه السلام بعد أن جمع جنوده من الإنس والجن وبعد أن علم من الجن الذين أرسلهم لمراقبة بلقيس وقومها فلما أعلموه أنها هي وقومها أي بلقيس ملكة سبأ في طريقها إلى سيدنا سليمان عليه السلام { يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي } أيها الملأ من الإنس والجن الحضور من منكم يحضر إليّ { بِعَرْشِهَا } عرش بلقيس قالوا هو سرير الملك ولكنني أرى الأقرب أنه قصرها كله مثل قرية لوط التي رفعتها الملائكة إلى عنان السماء فقلبوها بالكامل كما قال تعالى: " فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا " ٧٤ الحجر. وكذلك عرش بلقيس وقصرها جيء به بالكامل { قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي } قبل أن يحضروا لي أي بلقيس وقومها { مُسْلِمِينَ } مستسلمين ومطيعين لأمري ودعوتي لهم بالحضور وقد أسلموا وأطاعوا { قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ }

والعفريت هو القوي والجبار والشديد من الجن {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ} أنا أجيء لك به وأحضره إليك قبل أن تقف واقفاً وأنت جالس لأنه يمتاز الجن بالسرعة الهائلة في قطع المسافات حتى أنهم يصلون إلى السماء في الليل يستمعون إلى الملائكة الأعلى وهي مسافة طويلة جداً وكما جاء في حديث الإسراء والمعراج: (إن ما بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام للخيل أو الطير المسرع). وقال بعض المفسرين حتى يفرغ سليمان عليه السلام من مجلس الحكم والله أعلم بالصواب {وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ} وإني قوي أستطيع حمله وهذا تعريف لكلمة عفريت من الجن {أَمِينٌ} أي صادق ومخلص في حمله وحفظ ما به من مال وجواهر وغير ذلك {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ} قال الآخر من الإنس وعنده علم باسم الله الأعظم {مِنَ الْكِتَابِ} أي اللوح المحفوظ لأنه عِلْمَ اسم الله الأعظم. وقيل اسمه آصف ابن برخياء. [ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٤]. وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم كما رواه محمد ابن إسحاق عن يزيد بن رومان {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} أنا أحضر لك قصر بلقيس قبل أن ترمش بعينيك وهذه هي معجزة اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى وهذا يدل على أنه أحضر كل قصرها وليس سريرها وإلا ما فائدة اسم الله الأعظم إذا أحضر سريراً ويمكن أن يصنع مثله سواء صانعه الأصلي أو صانع آخر حاذق مثله ولكن اسم الله الأعظم يدل على قدرة الله تعالى بأن يأتي بالقصر كله بنوافذه وأبوابه وبسريرها وبكل ما في قصرها من متاع وكما قال تعالى: " وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ " ٣١ الرعد. {فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ} فلما شاهد سليمان عليه السلام قصر بلقيس قد حضر عنده يقيناً وحقيقة {قَالَ} قال سليمان عليه السلام {هَذَا} إحضار عرش

بلقيس عنده باسم الله الأعظم بفضل دعاء آصف بن برخياء {مِنْ فَضْلِ رَبِّي} من فضل وكرم الله تعالى وقدرته وعلمه ورحمته بإحضار عرش بلقيس أي قصرها من اليمن إلى فلسطين بببيت المقدس إلى سليمان عليه السلام باسم الله الأعظم وبعلم من كتاب اللوح المحفوظ الذي اطلع عليه وزيره وكاتبه وابن خالته آصف بن برخياء وذلك قبل أن يغمض أو يرمش بعينه سيدنا سليمان. وقيل أن الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا لإحضار عرش بلقيس به هو هذا الدعاء: ((اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الحي القيوم الطاهر المطهر نور السموات والأرض)).

[مفاتيح الفرج ص ٤٢]. {لِيَبْلُوَنِي} ليفتنني ويمتحنني بهذه المعجزة الخارقة لنواميس الطبيعة وخاصة في ذلك العصر {ءَأَشْكُرُ} فهذا امتحان لي هل أشكر الله تعالى على نعمه وعلى معجزته هذه بإحضار قصر بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين {أَمْ أَكْفُرُ} أم أجدد نعم الله تعالى والتي منها كرامة ومعجزة إحضار عرش بلقيس باسمه الأعظم {وَمَنْ شَكَرَ} ومن شكر الله تعالى على فضله وكرمه ونعمه {فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} وإنما يردد الشكر على نفسه بدوام ومزيد النعمة كما قال تعالى: " لئن شكرتم لأزيدنكم " ٧ إبراهيم. {وَمَنْ كَفَرَ} ومن جحد نعم الله تعالى عليه {فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ} فإن ربي الله تعالى مستغن عنه وعن عبادته وطاعته {كَرِيمٌ} كريم العطاء للكافر والمسلم في الدنيا وكريم للمؤمنين يوم القيامة بإدخالهم الجنة {قَالَ} قال سليمان عليه السلام {نَكْرُوا هَآ} موهوا وغيروا لها {عَرَشَهَا} قصرها بأن تغيروا اتجاه الأبواب والنوافذ {نَنْظُرُ} حتى نعلم {أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ} فهل تعرف قصرها بذكائها أم تكون من الذين يجهلون قصورهم وحوائجهم إذا تغيرت عليهم الجهات أو بعض التغيير وهذا امتحان من

سيدنا سليمان عليه السلام لمعرفة قدرة ذكائها وفطنتها وقدرتها على تمييز قصرها وحاجياتها بداخله حتى لو كان مستحيلاً إحضاره من اليمن بكامله مع سرعة إحضاره في الواقع {فَلَمَّا جَاءَتْ} فلما حضرت بلقيس عند سيدنا سليمان {قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ} أمثل هذا القصر عرشك {قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ} فلما نظرته قالت هذا مثله بالضبط ولولا بعد المسافة وصعوبة نقله ومخالفة نوااميس الطبيعة وقدرة البشر على نقله بالكامل لقلت أنه هو {وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا} وجاء العلم إلى سيدنا سليمان بمجيء بلقيس وإسلامها قبل حضورها إليه {وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} أي وكنا نحن سليمان وبلقيس من الأزل في علم الله تعالى وفي اللوح المحفوظ مسلمين. أي يرجع سيدنا سليمان عليه السلام إسلام بلقيس وسببه وفضله لعلم الله تعالى من الأزل وليس له فكما يُجَلَّى الذهب من الغبار والشوائب ليظهر لمعانه من جديد فهكذا كانت بلقيس فقد ظهر إسلامها على يد سيدنا سليمان عليه السلام وكان سيدنا سليمان عليه السلام واسطةً وسبباً في إسلامها كما كان الهدهد واسطةً وسبباً في علم سيدنا سليمان عليه السلام ببلقيس وكفرها. وهذه المعية في الجمع بالإسلام بينها وبين سليمان في قول سليمان عليه السلام: " وَكُنَّا مُسْلِمِينَ " أشارت إليه بلقيس في قوله تعالى: " وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " مع ملاحظة أن سيدنا سليمان عليه السلام هو نبي ورسول ولم يتباهى ويتفاخر بأنه هو الذي أجبرها على الإسلام كما قال قارون في تفاخره: " إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي " إذ لو لم يرد الله تعالى لبلقيس الإسلام من الأزل لرفضت تهديد سليمان ولم تؤمن ولم تسلم كما رفض أبو جهل الإسلام وهو يُقتل ويموت ولم يسلم وكذلك أبو لهب ومن قبلهما إبليس لم يسلم لأنه من الأزل في علم الله تعالى هو من الكافرين ومن أهل النار فكل شيء راجع في الحقيقة لله تعالى وفضله كما قال سبحانه وتعالى: " الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ " ٤٣ الأعراف. وفي الآية الأخرى قوله تعالى: " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ " ١٢٥ الأنعام. وهكذا النبوة تُرجع كل شيء فضله لله تعالى وإرادته ومشيئته وعلمه الأزلي وحكمته {وَصَدَّهَا} ومنعها وحولها {مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ} من عبادة الشمس إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ} إنها كانت قبل حضورها لسليمان عليه السلام هي وقومها من الكافرين بالله تعالى لعبادتهم الشمس من دون الله تعالى {قِيلَ هَا} فلما حضرت بلقيس عند سيدنا سليمان من اليمن إلى بيت المقدس قيل لها {أَدْخِلِي الصَّرْحَ} ادخلي فناء القصر وكان سليمان عليه السلام قد أمر الجن ببناء سطح أرض الفناء داخل القصر من بلور من الزجاج وتحتة ماء يجري {فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً} فلما شاهدته ظنته حوض أو بركة ماء والماء يجري داخلها {وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا} عندها رفعت رداءها وثوبها عن ساقها وشمرت لدخول القصر ظناً منها بأن الماء يجري أمامها على مدخل باب القصر {قَالَ} قال سليمان عليه السلام لها عند ذلك {إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ} إنه فناء وممر مغطى ببلور أملس وناعم من الزجاج وليس الماء مكشوفاً {قَالَتْ} قالت عندها بلقيس وأيقنت وعلمت أن سليمان عليه السلام هو نبي الله ورسوله وأن هذا العمل ليس من عمل ملوك الأرض ولا من عمل بني الإنسان في ذلك العصر فقالت {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} اعترفت بظلمها لنفسها بالكفر والشرك وعبادة الشمس قبل حضورها لسيدنا سليمان عليه السلام {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ} والآن أسلمت ودخلت واتبعت دين الإسلام مع رسول الله سليمان عليه السلام

{لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} لعبادة الله وأخلصت العبادة لله رب العالم كله والخلق والكون كله. وذكر أن الحمام والطاحون والزجاج والصابون من عمل الجن لسليمان عليه السلام وقيل أنه لما كشفت بلقيس عن ساقها رأى سيدنا سليمان كثافة شعر ساقها فطلب من الجن شيئاً يزيله فوصفوا له النوره وتزوجها سليمان عليه السلام وحازت الدنيا والآخرة بزواجها من نبي ورسول وملك عصره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ

مُخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْقَوْمَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا

تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ

طَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ

يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ

ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُوهٌ مَكْرًا

وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا

دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لآيَةٌ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} فقد أرسل الله تعالى إلى قوم ثمود أخاهم صالحاً عليه السلام فهو من قومهم وهو نبي الله ورسوله أرسله الله تعالى إليهم وثمرود اسم بئر ويسكنون الحجر وهي بين المدينة وتبوك {أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ} وقال لهم صالح عليه السلام نبيهم ورسولهم ناصحاً وواعظاً أن اعبدوا الله وحده لا شريك له {فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ} فإذا هم فريقان فريق مؤمن صدق صالحاً عليه السلام

واتبعه وفريق كافر كذب صالحاً عليه السلام وعصاه وعاداه {سَخْتَصِمُونَ} يتجادلون ويتعادون كلُّ يؤيد فريقه {قَالَ} قال لهم صالح عليه السلام {يَنْقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ} يا قومي ويا عشيرتي ويا قبيلتي لماذا تتعجلون {بِالسَّيِّئَةِ} بالمعصية والكفر والعصيان والجحود والتكذيب {قَبَلِ الْحَسَنَةِ} بدلاً من الحسنه وهي الإيمان بالله تعالى وطاعته وأعمال الخير {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ} أفلا تستغفرون الله وتطلبون منه المغفرة وتتوبون من الكفر والشرك والمعاصي {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} لعلكم ترحمون من الله تعالى ويدخلكم الجنة بدلاً من عذاب الله تعالى {قَالُوا} قوم ثمود قالوا لصالح عليه السلام {أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ} قالوا له تشاء منا وتضايقنا منك وممن معك ممن صدقك {قَالَ} قال صالح عليه السلام {طَّيَّرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ} شؤمكم وتضايقكم مكتوب عند الله تعالى وهو يعلمه {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} بل أنتم قوم تبتلون وتعذبون على كفركم وعنادكم وتكذيبكم لرسولكم {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ} وكان في مدينة الحجر وهي بين المدينة وتبوك وهي مدينة قوم ثمود قوم صالح عليه السلام {تِسْعَةَ رَهْطٍ} أي تسعة أفراد وكل فرد منهم من قبيلة أو عشيرة وهم راب وغنم والهزيل ومصدع وشبيط وعمير وسالف وقدار وسمعان رأس الماكريين {يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} يخربون في الأرض ويعتدون ظلماً وتكبراً وتجبراً على الناس {وَلَا يُصْلِحُونَ} ولا يعملون أعمال الخير ولا يصلحون بين الناس ولا يتبعون الحق ولا يعدلون {قَالُوا} قال قوم صالح عليه السلام وهم قوم ثمود لبعضهم البعض وفيما بينهم {تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ} تعاهدوا وأقسموا واحلفوا بالله فيما بينكم {لَنُبَيِّتَنَّهُ} لنقتلنه ليلاً وبياتاً أي صالح عليه



السلام {وَأَهْلَهُ} أي وزوجته {ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ} ثم لنقولن بعد قتله لوليه وأقرب الناس إليه وولي أمره من عصبته {مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ} ما علمنا ولا رأينا قتل زوجته وذلك أنهم تقاسموا فيما بينهم إلى فريقين فريق يقتل صالح وعندما يشهد أمام وليه يشهد بأنه لم يشاهد مقتل زوجته والفريق الثاني يقتل زوجته ويشهد بأنه لم ير ولم يشاهد مقتل صالح وعندها نكون {وَأِنَّا لَصَادِقُونَ} وعندها نكون صادقين في شهادتنا وقسمنا أمام وليه ولم نكذب في قسمنا {وَمَكْرُؤًا مَكْرًا} واتفقوا على المكر والعدو والخديعة في تنفيذ جريمتهم والنجاة منها كما أسلفنا بعمل تلك المكيدة في قتله هو وزوجته {وَمَكْرَنَا مَكْرًا} ومكر الله تعالى بحفظ صالح عليه السلام هو وزوجته منهم ونجاته منهم ولم يستطيعوا قتله ولا هلاكه {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} وهم لا يعلمون بفساد خطتهم ونجاة صالح عليه السلام بل هلاكهم هم {فَأَنْظُرْ} فشاهد واعتبر {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} كيف كان مصير {مَكْرِهِمْ} كيدهم وغدرهم وخداعهم {أَنَا} أن الله تعالى بقدرته وبحكمته {دَمَّرْنَاهُمْ} أهلكتناهم وهم التسعة رهط الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وهم من دبر المكيدة وعقدوا العزم على المكر بقتل صالح عليه السلام وزوجته {وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ} وكذلك أهلك الله قوم التسعة رهط وقبيلتهم وعشيرتهم أجمعين لأنهم وافقوهم في تكذيب صالح عليه السلام وعقر الناقة {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ} فهذه بيوتهم ومساكنهم ودورهم خالية من الناس لأنهم هلكوا جميعاً لأن الله تعالى أخذهم بالرجفة والزلال والصاعقة فلم يبق منهم أحداً {بِمَا ظَلَمُوا} بما كفروا وأشركوا وكذبوا صالحاً عليه السلام وأرادوا قتله هو وزوجته

{إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك الهلاك والعذاب لقوم صالح {الآية} لمعجزة وعبرة وعظة {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} لقوم يعلمون أن الله سريع الحساب وشديد العقاب لمن طغى وبغى وكفر وأشرك وعصى {وَأُنَجِّينَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} ونجى الله تعالى المؤمنين مع صالح عليه السلام {وَكَانُوا يَتَّقُونَ} وكانوا يحذرون ويخافون من معصية الله تعالى ومعصية رسوله ويعبدون الله تعالى ويطيعونه.

﴿ وَلَوْ طَآءً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا ۗ أَلْ لُّوطِ ۖ مِّنْ قَرِيْبَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ ۚ فَمَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَيْبِ ۖ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

{وَلَوْ طَآءً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ} ولوطاً عليه السلام إذ نصح قومه قائلاً {أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ} أترتكبون الفاحشة من الذنب العظيم وهي أنكم تأتون الرجال في الأدبار {وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} وأنتم تعلمون قذارتها وقبحها وذنبيها ومعصيتها {أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً} إنكم لتفعلون فاحشة إتيان الرجال في الأدبار بشهوة ولذة {مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ} بدلاً من النساء اللاتي أحلهن الله تعالى لكم {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} ولكنكم قوم تجهلون ما طهره الله وأحله لكم ولا تعلمون عاقبة أعمالكم ولا قبح ما ترتكبون ولا مقدار بغض الله تعالى لأعمالكم تلك {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِمْ} فما كان رد قوم لوط عليه {إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا} إلا أن قالوا اطرردوا {ءَالِ لُوطِ} لوط وأهله وذريته وأبناءه {مِّنْ قَرِيْبَتِكُمْ} وهي سدوم بغور الأردن

متاخمة لجبال بيت المقدس {إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} لأنهم قوم يتعففون ويتعالون  
 عن هذه الفاحشة {فَأَنْجَيْنَاهُ} فسلمه الله ونجاه {وَأَهْلَهُرَّ} وأهل بيته من أبنائه  
 {إِلَّا امْرَأَتَهُ} إلا زوجته {قَدَرْنَاهَا} جعلناها {مِنَ الْغَابِرِينَ} من الهالكين  
 {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا} فأنزل الله عليهم من السماء مطراً من الحجارة من سجيل  
 من طين مشوي وقوي على كل شخص منهم {فَسَاءَ} فقبح {مَطَرُ الْمُنذَرِينَ} مطر  
 المحذرين والمنذرين من نبيهم ورسولهم لوط عليه السلام وقد أهلكوا جميعاً.

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴾<sup>(٥١)</sup>  
 أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ  
 ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَهُمْ قَوْمٌ  
 يَعْدِلُونَ ﴿٥٢﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ  
 وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَهُمْ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾ أَمَّنْ  
 يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ  
 قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ  
 الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٥﴾  
 أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌّ  
 هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٥٧﴾ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ  
 هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ۗ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٥٨﴾

{ قُلِ } قل يا محمد يا رسول الله { الْحَمْدُ لِلَّهِ } الحمد والشكر والثناء لله تعالى  
 { وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ } وتحية وسلام وأمان على أنبياء الله ورسوله  
 وكما قال تعالى: " وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ " ١٨١ الصافات. { اللَّهُ خَيْرٌ مَّا  
 يُشْرِكُونَ } فهل الله خير مما يشركون به من الأصنام والأوثان والأنداد ومما لا  
 ينفع ولا يضر ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا { أَمَّنْ خَلَقَ } أو من خلق { السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ } السموات السبع والأرض وما فيهن وما بينهن { وَأَنْزَلَ لَكُمْ } وأنزل  
 لكم أيها الناس جميعا { مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } من السماء مطرا { فَأَنْبَتْنَا بِهِ } فأنبت

الله به وأخرج { حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ } بساتين ذات خضرة وجمال ونضرة وبهاء ورونق وأزهار ذات ألوان مختلفة من الورود والأزهار والفواكه الكثيرة واللذيذة والطيبة في الأكل والمنظر والرائحة { مَا كَانَ لَكُمْ } ما كان باستطاعتكم أيها الناس عامة { أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا } أن تخرجوا وتحياها شجرها بدون خلق الله تعالى لها وإحيائها { أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ } فهل يوجد إله ورب وخالق مع الله تعالى يفعل ذلك { بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ } بل هم قوم ينحرفون وينصرفون عن الحق والعدل والصواب وعن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له { أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا } أو من جعل الأرض مستوية ومستقرة في مكانها { وَجَعَلْ خِلَالَهَا أَنْهَارًا } وجعل الله تعالى خلال الأرض الأنهار تجري وتمر من خلالها { وَجَعَلْ لَهَا رِوَاسِيًا } وجعل للأرض الجبال رواسي تثبت الأرض حتى لا تتحرك ولا تميل بأهلها { وَجَعَلْ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا } وجعل بين البحرين المالح والحلو مانعاً بينهما وفاصلاً لا ينبغي بعضهما على الآخر { أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ } فهل مع الله شريك وإله غيره ورب سواه فالجواب لا إله إلا الله وحده لا شريك له { بَلْ أَكْثَرُهُمْ } بل أغلبهم { لَا يَعْلَمُونَ } لا يعرفون ولا يعلمون قدرة الله تعالى وكما قال تعالى: " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ " ٩١ الأنعام. { أَمْ نَجْعَلُ الْمُضْطَرَّ } فمن يجيب المحتاج والملهوف وذا الحاجة { إِذَا دَعَاهُ } إذا طلب منه وسأله { وَيَكْشِفُ السُّوءَ } ويصرف السوء والشر عنه { وَيَجْعَلْ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ } ويجعلكم ورثة الأرض بعضكم من بعض الأبناء من الآباء والآباء من الأجداد وهكذا { أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ } فهل يوجد مع الله إله وشريك غيره وشريك له في ملكه { قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } قليلاً ما تتعظون وتنتصحون

بذلك {أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ} أمن يرشدكم {فِي ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} في ظلام وعممة البر والبحر أي في الليل فهو يهديكم بالقمر وبالنجوم {وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا} ومن هو الذي يرسل الرياح تتحمل ببخار الماء لتكون الغمام والسحاب وتأتي بالبشرى {بَيْنَ يَدَيْ} مقدمة لـ {رَحْمَتِهِ} رحمته بالمطر {أَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ} فهل إله آخر مع الله تعالى يساعده ويفعل ذلك؟ الجواب بالنفي {تَعَلَى اللَّهِ} تنزهه وتقدس وعظم وارتفع الله تعالى عن الشرك والشريك {عَمَّا يُشْرِكُونَ} على ما يدعون له من الشركاء من الأصنام والأوثان والأنداد {أَمَّنْ يَبْدُوْا الْخَلْقَ} فمن يبدئ الخلق من العدم {ثُمَّ يُعِيدُهُ} ثم يعيده ثانية يوم القيامة حياً من بعد موته {وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ} ومن هو الذي يرزقكم بالمطر ويهبه لكم وينعم به عليكم {وَالْأَرْضِ} ويرزقكم من الأرض من الثمار والفواكه والحبوب ومعادن الأرض من بترول وحديد والمونيوم وذهب وفضة وفحم حجري وخلافه {أَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ} فهل إله ورب معبود مع الله تعالى غيره يفعل كل ذلك {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} هاتوا بينتكم ودلائلكم وإثباتاتكم {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم صادقين في قولكم وجعلكم الأصنام والأوثان والأنداد آلهة غير الله تعالى {قُلْ} لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} قل لهم يا محمد يا رسول الله لا أحد في السموات وفي الأرض يعلم {الْغَيْبِ} كل ما غاب عن الناس والخلق من الغيبيات {إِلَّا اللَّهُ} إلا الله تعالى هو الذي يعلم الغيب ولا مانع من أن يأتي ببعضه إلى من أراد من أنبيائه ورسله أو أوليائه كعلامات الساعة الصغرى وأشراتها لأن الأمر أمره والحكم حكمه والغيب غيبه كما قال تعالى: " وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا

بِمَا شَاءَ " ٢٥٥ البقرة. {وَمَا يَشْعُرُونَ} وما يعلمون {أَيَّانَ} متى {يُبْعَثُونَ} يحيون من قبورهم ويبعثون للمحشر للحساب يوم القيامة فهذه غيبها لله وحده هي ويوم القيامة لا يطلع أحد من خلقه عليهما {بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ} بل وصل علمهم إليها {فِي الْآخِرَةِ} فقط في يوم القيامة {بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا} بل هم في ظن من يوم القيامة وقيامها والحساب فيها {بَلْ هُمْ مِّنْهَا} بل هم من العمل لها من الأعمال الصالحون وأعمال الخير وعبادة الله تعالى وحده {عَمُونَ} بعيدون ولا يقدمون لها من خير أبداً.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا أَبْنَاءَ لَمُخْرَجُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} وقال الكفار وهم من جحدوا وأنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا} هل إذا تحللت عظامنا وبليت أجسادنا نحن وآباؤنا وأجدادنا السابقون {أَبْنَاءَ لَمُخْرَجُونَ} فهل نحن نحيا من جديد ونخرج من قبورنا أحياء كما تزعم يا محمد {لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّءَابَاؤُنَا} لقد وعدنا بالبعث يوم القيامة نحن وآباؤنا وأجدادنا {مِن قَبْلُ} من قبلك يا محمد من

الرسل السابقين {إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ} إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْإِحْيَاءِ لَنَا بَعْدَ مَوْتِنَا هُوَ خُرَافَاتٌ وَأَكَاذِيبُ السَّابِقِينَ مِنَ الرُّسُلِ {قُلْ} قُلْ لَّهُمْ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلْكَفَّارِ وَالْمَعَانِدِينَ وَالْجَاهِدِينَ وَالْمَكْذِبِينَ {سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا} تَجُولُوا فِي الْأَرْضِ فَشَاهِدُوا {كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ} كَيْفَ كَانَ نَهَايَةُ وَمَصِيرُ {الْمُجْرِمِينَ} الْمَجْرِمِينَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى بِالْكَفْرِ وَالشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ أَيِ الْمَذْنِبِينَ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا الْمَعَاصِيَ وَالْكَفْرَ وَالشُّرْكَ {وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ} وَلَا تَحْزَنُ وَلَا تَأَلَمُ وَلَا تَتَأَثَّرُ بِتَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ {وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ} وَلَا تَتَضَاقِقُ وَلَا تَكُنْ فِي شِدَّةٍ وَضَيْقٍ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ {مِمَّا يَمْكُرُونَ} مِمَّا يَكْفُرُونَ وَيَكِيدُونَ وَيَكْذِبُونَ {وَيَقُولُونَ} وَيَقُولُ الْكَفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ سَاخِرِينَ {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ} مَتَى سَيَكُونُ هَذَا الْوَعْدُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَذَابِهَا الَّتِي تَخُوفُونَنَا بِهَا {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إِنْ كُنْتُمْ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ وَمَنْ سَبَقَكَ مِنَ الرُّسُلِ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَابِنَا أَجْبِنَا عَنْ وَقْتِ قِيَامِهَا {قُلْ} قُلْ لَّهُمْ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَدًّا عَلَى سُؤَالِهِمْ وَسُخْرِيَّتِهِمْ {عَسَى} لَعَلَّ {أَنْ يَكُونَ رَدْفًا} أَتَى وَقَرَّبَ وَحَضَرَ {لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ} قَرَّبَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْمَوْتِ. وَقَدْ حَضَرَ لَهُمْ بَعْضُهُ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرِ الْكِبْرَى حَيْثُ أُسِرَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وَهَرَبَ الْبَاقُونَ {وَإِنَّ رَبَّكَ} وَإِنَّ رَبَّكَ وَخَالِقَكَ وَإِلَهَكَ اللَّهُ تَعَالَى يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ {لَذُو فَضْلٍ} لَذُو كَرَمٍ وَخَيْرٍ وَنِعْمَةٍ وَرَحْمَةٍ {عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} فَفَضَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ كَثِيرٌ وَلَكِنْ أَغْلَبَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا يَحْمَدُونَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْجَلْ لَهُمْ



العذاب بل أخره إلى يوم القيامة لعلهم يتوبون من قريب {وَإِنَّ رَبَّكَ} وإن ربك  
 وخالقك يا محمد يا رسول الله {لَيَعْلَمُ} ليعلم علم اليقين ويعرف ويدري {مَا تَكُنُّ  
 صُدُورُهُمْ} ما تخفي وتسر صدورهم من الشرك والكفر والإنكار والتكذيب والجحود  
 {وَمَا يُعْلِنُونَ} وما يظهرون من أسرارهم {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ} وما من مخفية في علم الله  
 تعالى {فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} سواء في السماء أو في الأرض {إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} إلا  
 في اللوح المحفوظ مكتوبة فهو كتاب الله تعالى العظيم الذي كتب فيه ذكر كل شيء  
 ما كان وما يكون وما هو كائن في علم الله تعالى ففي حديث عمران بن حصين قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقبلوا البشرى يا بني تميم) قالوا بشرتنا  
 فأعطنا قال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن) قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا  
 الأمر كيف كان؟ قال: (كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في  
 اللوح المحفوظ ذكر كل شيء) قال فأتاني آت فقال يا عمران انحلت ناقتك من  
 عقالها قال فخرجت في إثرها فلا أدري ما كان بعدي. [وهذا الحديث مخرج في  
 صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة - ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧].

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾<sup>(٧٦)</sup>  
 وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
 الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ أَلْمُوتَى وَلَا  
 تَسْمَعُ أَلْصُمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى ۗ إِنَّ  
 تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِعَايَتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ } إن القرآن الكريم هذا يا محمد يا رسول الله يروي ويحكي ويحدث { عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ } على بني إسرائيل من اليهود من ذرية يعقوب عليه السلام لأن اسمه (إسرائيل) ومعنى [إسرا] أي عبد و[إيل] معناه الله أي عبد الله في لغة بني إسرائيل { أَكْثَرَ } أكثر وأغلب { الَّذِي هُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } فيما يختلفون فيه ن رسالة سيدنا محمد واختلافهم على أنبيائهم ورسلمهم وأنهم ما قتلوا وما صلبوا سيدنا عيسى عليه السلام بل شبه لهم وأنه ليس العزيز ابن الله وأن الله لم يحرم على إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام إلا ما حرمه هو على نفسه من لحوم الإبل وألبانها لأنه أصيب بمرض وشفي منه بسبب شربه ألبان الإبل { وَإِنَّهُ } وإن القرآن الكريم { هُدًى } يهدي الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والإسلام { وَرَحْمَةٌ } يرحم به عباده ممن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً وصدق بالقرآن وما جاء فيه فيرحمه الله تعالى يوم القيامة ولا يعذبه ويدخله الجنة { لِّلْمُؤْمِنِينَ } لمن آمن وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { إِنَّ رَبَّكَ } إن ربك وإلهك وخالقك الله تعالى { يَقْضِي بَيْنَهُمْ } يحكم بينهم { بِحُكْمِهِ } بقضائه العادل فلا يظلم أحداً { وَهُوَ الْعَزِيزُ } وهو الله تعالى

القوي في ملكه وفي سلطانه وأمره {أَعْلِيْمُ} الذي يعلم أفعال وأقوال خلقه {فَتَوَكَّلْ} فاعتمد يا محمد يا رسول الله {عَلَى اللَّهِ} على الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه في تبليغ الرسالة {إِنَّكَ} إنك يا محمد يا رسول الله {عَلَى الْحَقِّ} على الصواب {الْمُبِينِ} البين والواضح والمستقيم {إِنَّكَ} إنك يا محمد يا رسول الله {لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى} إنك لا تستطيع أن تُسمع وتُفهم الموتى قلوبهم بالكفر والشرك والإنكار والجحود والإعراض عن الإسلام {وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ} ولا تستطيع أن تُسمع الدعاء لمن بأذنه صمم وطرش وهذا كناية عن أنك لا تسمع ولا تقنع من لم يرد أن يسمع أو يفهم قولك {إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} إذا أعرضوا مكذابين وجاحدين بالقرآن وبرسالتك يا محمد يا رسول الله {وَمَا أَنْتَ} ولا تستطيع أنت {بِهْدَى الْعُمَى} وغير قادر على أن تهدي العمي عن الحق إذا تعاملوا عن الطريق المستقيم وطريق الحق والصواب وهو دين الإسلام واتباعه {عَنْ ضَلَلَتِهِمْ} عن كفرهم وضلالهم وابتعادهم عن الحق والصواب وعن اتباع الإسلام {إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ} إنك تستطيع يا محمد يا رسول الله أن تُسمع وتهدي فقط من {يُؤْمِنُ بِعَايَتِنَا} من يصدق بآيات القرآن الكريم {فَهُمْ مُسْلِمُونَ} فهم مستسلمون لأمر الله تعالى وطائعون لك ومتبعون دينك دين الإسلام فهم مسلمون حقاً.

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا

بِغَايَتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٢٧﴾

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ} وإذا طبق القول عليهم وجاء أوانه وأتى أمر الله بخروج الدابة {أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ} يخرج الله تعالى لهم دابة تخرج من الأرض من المسجد الحرام بين الركن والمقام {تُكَلِّمُهُمْ} تحدثهم وتقول لهم {أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِغَايَتِنَا} أن الناس كانوا بمعجزات الله تعالى وآياته وكلامه وقرآنه {لَا يُوقِنُونَ} لا يصدقون ولا يقرون ولا يؤمنون ولا يعترفون. قال مسلم بن الحجاج: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه بعد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها قريباً). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٥]. وقال أبو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجريير بن حازم فأما طلحة فقال أخبرني عبد الله ابن عبيد الله بن عمير الليثي أن أبا الطفيل حدثه عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي شريحة وأما جريير فقال عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله ابن مسعود وحديث طلحة أتم وأحسن قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال: (لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرقة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تكمن زمناً طويلاً ثم تخرج خرقة أخرى دون تلك فيعملو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية - يعني مكة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها

المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي تدنو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى ومعاً وبقيت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقضني حقي وحتى أن الكافر ليقول يا مؤمن اقضني حقي). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٥]. وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تلبثون بعد يأجوج ومأجوج إلا قليلاً حتى تطلع الشمس من مغربها فيقول من لا خلاق له: ما نبالي إذا رد الله ضوءه علينا من حيث ما طلعت من مشرقها أو مغربها قال: فيسمعون نداءً من السماء: يا أيها الذين آمنوا قد قبل منكم إيمانكم ورفع عنكم العمل ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم أبواب التوبة وجفت الأقلام وطويت الصحف فلا يقبل من أحد توبة ولا إيمان إلا من آمن من قبل ذلك فلا يلد بعد ذلك المؤمن إلا مؤمناً ولا الكافر إلا كافراً ويخر إبليس ساجداً ينادي: إلهي أمرني أن أسجد لمن شئت ولما شئت وتجتتمع إليه شياطين فيقولون له: يا سيدنا إلى من نفزح؟ فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى يوم البعث وإلى يوم الوقت المعلوم وهذه الشمس قد طلعت من مغربها وهو الوقت المعلوم فلا عمل بعد اليوم وتصير الشياطين ظاهرين في الأرض حتى يقول الرجل: هذا قريني الذي كان يغويني والحمد لله الذي أخزاه وأراحني منه وينظر الناس إلى الجن والشياطين أكلهم وشربهم ومحياهم ومماتهم فلا يزال إبليس ساجداً باكياً حتى تخرج دابة الأرض فتقتله). [كتاب الفتن لنعيم بن حماد ص ٤٤٣].

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِعَايَتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا  
 جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِعَايَتِي وَلَمْ تَحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٧﴾ وَوَقَعَ  
 الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ  
 وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ  
 مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۗ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ ﴿٩٠﴾ وَتَرَى  
 الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۗ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ إِنَّهُ  
 خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

{ وَيَوْمَ نَحْشُرُ } ويوم نجمع في المحشر { مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ } من كل قوم من الأقوام وأمة  
 من الأمم مثل أمة نوح وصالح وهود وشعيب وأمة موسى وأمة عيسى عليهم السلام  
 جميعاً وأمة محمد صلى الله عليه وسلم { فَوْجًا } قسماً أو مجموعة أو جزءاً أو  
 جماعة { مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِعَايَتِنَا } ممن يكذب وينكر ولا يصدق بمعجزات الله تعالى  
 ولا حججه ولا براهينه ولا بآيات القرآن الكريم { فَهُمْ يُوزَعُونَ } فهؤلاء يقسمون  
 كل قوم على حده ثم يوزعون على أبواب جهنم على حسب كفرهم وعصيانهم  
 ووجودهم { حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا } حتى إذا حضروا عند الله تعالى للحساب { قَالَ } قال  
 لهم الله تعالى عز وجل موبخاً { أَكَذَّبْتُمْ بِعَايَتِي } هل كذبتُم بمعجزاتي وقرآني  
 { وَلَمْ تَحِيطُوا بِهَا عِلْمًا } ولم تعلموا بها ولم تعرفوها فكذبتُموها { أَمْ آذًا كُنْتُمْ  
 تَعْمَلُونَ } أم ما الذي كنتم تفعلونه في الدنيا من الطاعات والعبادات من صلاة  
 وصيام وزكاة وحج { وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ } وحق ووجب عليهم العذاب { بِمَا  
 ظَلَمُوا } بما ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي. والظلم هو الشرك والكفر كما

قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. { فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ } فهم لا يستطيعون نطقاً بالدفاع عن أنفسهم لاعترافهم بذنوبهم لأنهم كما قال تعالى: " فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى {٣١} وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى {٣٢} " ٣١، ٣٢ القيامة. { أَلَمْ يَرَوْا } ألم ينظروا ويشاهدوا بأعينهم { أَنَا } أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { جَعَلْنَا } جعل الله تعالى { أَلَيْلٍ لِّيَسْكُنُوا فِيهِ } جعل الليل مظلاً لينام الناس فيه ويستريحوا من مشقة وتعب اليوم السابق من طلب المعيشة ولذلك جعله الله تعالى لهم راحة ونعمة { وَالنَّهَارَ مُبْصِراً } والنهار مضيئاً بالشمس حتى يقوموا بأعمالهم وطلباً لمعاشتهم وحياتهم في الدنيا { إِنَّ فِي ذَلِكَ } إن في ذلك أي في اختلاف وتعاقب الليل والنهار { لآيَاتٍ } لبيانات وعبر وعظات { لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } لقوم يصدقون بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ } ويوم ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور النفخة الأولى وهي نفخة الفزع كما في الحديث الذي فيه: (يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ..). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣]. والصور هو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ثلاث نفخات وهي نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام { ففزع من في السموات ومن في الأرض } فيفزع أهل السماء والأرض ويخافون منها خوفاً ورعباً شديداً { إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ } إلا جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وحملة العرش والشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون والأنبياء والصالحون الذين هم أحياء في قبورهم مثل الشهداء { وَكُلُّ } وكل من في السموات والأرض { أتوه } يأتون الله تعالى في المحشر

{دَاخِرِينَ} صاغرين {وَتَرَى الْجِبَالَ} وتشاهد الجبال يا محمد يا رسول الله {تَحْسِبُهَا} تظنها يا محمد يا رسول الله {جَامِدَةً} تظن أنها لا تزول من مكانها لثباتها ورسوخها وشموخها وكبرها وعظمتها كما قال تعالى: " وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ " ٢٧ المرسلات. {وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} وهي تزول كما يزول السحاب كما قال تعالى: " وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا " ٢٠ النبأ. فلا يبقى لها أثر ولا علامة وهذا يوم القيامة لا كما يقول البعض أنها في الدنيا ونسوا أن الآية تنص أنها تمر مر السحاب أي أنها تسير وتزول من مكانها بسرعة فائقة وكما قال تعالى: " يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا {٩} وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا {١٠} " ١٠،٩ الطور. وكما قال تعالى: " وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا " ٤٧ الكهف. وقال تعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا " ١٠٥ طه. {صُنِعَ اللَّهُ} صنع الله تعالى وعمله {الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} الذي أحسن صناعة كل شيء في الخلق وفي زواله. والإتقان بالنسبة للجبال في الدنيا هو خلقها وإقامتها وجعلها رواسي في الأرض وفي الآخرة هو سرعة إزالتها كما يزول السحاب من السماء وبإتقان شديد بحيث لا يبقى لها أثر ولا علامة كما قال تبارك وتعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا {١٠٥} فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا {١٠٦} لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا {١٠٧} " ١٠٥ - ١٠٧ طه. فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً من شدة إتقان إزالتها وهذا هو الإتقان في الخلق والحياة وفي الموت والإزالة {إِنَّهُرْ حَبِيرٌ} إنه عليم {بِمَا تَفْعَلُونَ} بما تعملون أيها الناس جميعاً وكما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨،٧ الزلزلة.

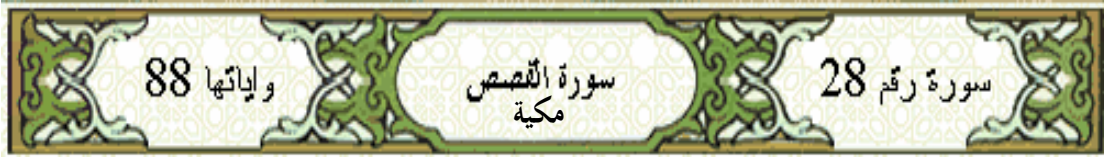




له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك). [ورواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث الجعد بن عثمان به - ابن كثير ج ٢ ص ١٩٦]. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل: من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد. ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر. ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة. ومن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعاً ومن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة). [ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية به - ابن كثير ج ٢ ص ١٩٦]. وكما قال تعالى: " مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ " ١٦٠ الأنعام. {إِنَّمَا أُمِرْتُ} قل لهم يا محمد يا رسول الله إنما أمرت بواسطة الوحي جبريل عليه السلام من قبل الله تعالى {أَنْ أَعْبُدَ} أن أؤدي العبادة وأعبد فقط {رَبِّ} رب وخالق وإله {هَذِهِ الْبَلَدَةِ} وهي مكة التي بها المسجد الحرام والكعبة وهي قبلة المسلمين وولد بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم {الَّذِي حَرَّمَهَا} الله الذي جعلها محرمة لا يُرفع فيها سلاح على أحد وحرم سفك الدماء بها وكذلك الصيد فعن أبي هريرة قال: لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لم تحل لأحد كان قبلي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وإنها لا تحل لأحد بعدي فلا ينفر صيدها ولا يختلي شوكرها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين [إما أخذ الدية أو قتل القاتل]) فقال العباس: إلا الإذخري يا رسول الله

فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا فقال: (إلا الإذخر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٢ ص ١٩٦]. {وَلَهُر} ولله تعالى {كُلُّ شَيْءٍ} ملك كل شيء لأن الملك ملكه والخلق خلقه والناس عبده والمال من فضله {وَأْمَرْتُ} وأمرني الله تعالى {أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} أن أكون من المتبعين دين الإسلام والديانة به كما قال تعالى: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " ١٩ آل عمران. وقال تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران. {وَأَنْ أَتْلُوا} وأن أقرأ {الْقُرْآنَ} القرآن الكريم وأبينه وأوضحه وأفسره وأعلمه للناس حتى يعلموا حكمه ونصحه ووعظه {فَمَنْ أَهْتَدَى} فمن صدق واتبع القرآن وأطاع الله تعالى بما جاء فيه وعمل به {فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} فإنما يرجع فضل الهدى على نفس المهتدي لأن الله تعالى يرحمه من العذاب ويدخله الجنة {وَمَنْ ضَلَّ} ومن غوى وابتعد وانحرف وجحد وكذب بالقرآن {فَقُلْ} فقل يا محمد يا رسول الله للناس {إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ} إنما أنا محمد سول الله من رسل الله تعالى ننذر ونحذر وننبه الناس وأعظمهم وأنصحهم وأخوفهم من عذاب الله تعالى ومن عذاب جهنم لمن عصى وخالف وكفر وأشرك وأنكر وجحد وكذب بالله تعالى وبالقرآن الكريم وبما جاء به كما قال تعالى: " فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ " ٤٠ الرعد. {وَقُلْ} وقل لهم يا محمد يا رسول الله {الْحَمْدُ لِلَّهِ} الشكر لله تعالى لأنه {سَيُرِيكُمْ} فإن الله تعالى سيريكم أيها الناس وسيبين لكم ويجعلكم تشهدون بأعينكم وسيوضح لكم {ءَايَاتِهِ} معجزاته وبياناته وعظاته وبراهينه لتعتبروا بها {فَتَعْرِفُونَهَا} فتشاهدونها وتصدقونها وتعلمونها أنها من الله تعالى كسنيين القحط التي دعا بها صلى الله عليه وسلم على قريش وهي كسني يوسف عليه السلام وكذلك آية الأسر

والقتل والهزيمة في معركة بدر مع كثرتهم وقلة المسلمين فهذه كلها من آيات الله ومعجزاته وبراهينه وبياناته لمن يتعظ بها ويعلم أن الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حق والقرآن الكريم الذي نزل عليه من الله تعالى حق {وَمَا رَبُّكَ} وما ربك أيها الكافر والمشرك والعاصي {بِغَفْلٍ} بلاه ولا ساه {عَمَّا تَعْمَلُونَ} عما تفعلون في الدنيا من الخير والشر. قال ابن أبي حاتم: ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر حدثنا أبو أمية بن يعلى الثقفي حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس لا يَغْتَرَنَّ أحدكم بالله فإن الله لو كان غافلاً شيئاً لأغفل البعوضة والخردلة والذرة). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٩].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾

{طَسَمَ} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جُعِلَتْ في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ القرآن من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن.

وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢،١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢،١ لقمان. وعليه فإن معنى (طسم) هو قوله تعالى: " وَاللَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا " ١٦ الجن. والله أعلم. {تِلْكَ} حروف أوائل السور {ءَايَاتُ الْكِتَابِ} هي آيات من آيات القرآن الكريم وهي آيات ومعجزات ومواعظ وعبر من القرآن الكريم {الْمُبِينِ} العظيم والواضح والبيِّن الدلالة والمعجزة والحجة {تَتْلُوا} نقرأ ونقص {عَلَيْكَ} يا محمد يا رسول الله {مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى} من خبر موسى ابن عمران عليه السلام {وَفِرْعَوْنَ} وفرعون ملك مصر وهو الوليد بن مصعب {بِالْحَقِّ} بالصدق والعدل {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} لقوم يصدقون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ  
 أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى  
 الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٣١﴾  
 وَنُמَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا  
 يَحْتَدِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

{إِنَّ فِرْعَوْنَ} إن فرعون ملك مصر وهو الوليد بن مصعب {عَلَا} تجبر وتعالى  
 وتغترس {فِي الْأَرْضِ} في أرض مصر وعلى أهلها {وَجَعَلَ أَهْلَهَا} وجعل أهل  
 مصر وسكانها {شِيَعًا} أحزاباً وطوائف وفرق {يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ} يذل طائفة  
 منهم وهي طائفة ضعيفة وهي طائفة بني إسرائيل {يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ} يذبح أطفالهم  
 ومواليدهم لرؤية رآها وأخبره الكهان بأن ملكه سيزول على يد غلام من بني  
 إسرائيل ولذلك أمر بذبح كل المواليد الذكور {وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} ويستبيح  
 أعراض نسائهم {إِنَّهُ} فرعون ملك مصر {كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} كان من  
 الظالمين والباغين والمعتدين والطاغين في مصر على بني إسرائيل {وَنُرِيدُ} ويقول  
 الله تعالى أنه يريد {أَنْ نَمُنَّ} أن نتفضل وننعم {عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي  
 الْأَرْضِ} على الذين قهروا وظلموا في أرض مصر وهم بنو إسرائيل {وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً}  
 يُقْتَدَى بهم بالرسالة والنبوة {وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} ويورثهم الله تعالى ملك مصر  
 بعد هلاك فرعون وجنده {وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} ونثبت ونقوي لهم الملك في مصر  
 {وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ} فرعون ملك مصر ووزيره هامان سوف نجعلهم يرون  
 بأم أعينهم {وَجُنُودَهُمَا} وعساكرهما وجيشهما {مِنْهُمْ} من بني إسرائيل

{ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } ما كانوا يخافونه ويخشونه من زهاب وهلاك فرعون وجنده وتحقيق رؤية فرعون بهلاكه وزهاب ملكه على يد غلام من بني إسرائيل وهذا ما حدث بالفعل وكان موسى عليه السلام هو ذلك الذي يحذرون منه.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ۗ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ } وهنا الوحي بواسطة جبريل عليه السلام لقوله تعالى: "إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ" ٣٨ طه. أي ما يرسل بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام وهنا يفصل سبحانه وتعالى ما قاله الوحي جبريل عليه السلام لأم موسى { أَنْ أَرْضِعِيهِ } أمرها الوحي جبريل عليه السلام أن أرضعي موسى عليه السلام واستمري في رضاعته { فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ } حتى إذا خشيت عليه من القتل من جند فرعون { فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي } فاصنعي له تابوتاً من الخشب في



صفة قارب ثم ألقى في البحر ولا تخافي عليه من الغرق ولا من قتل فرعون له وكما قال تعالى: " أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ " ٣٩ طه. {وَلَا تَحْزَنِي} ولا تألمي لفراقه {إِنَّا رَأَوْهُ إِلَيْكَ} إنا مرجعوه إليك {وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} وسنجعله رسولاً ونبياً من المرسلين من قبل الله تعالى للناس {فَالْتَقَطَهُرَّ} فأخذه أي شاهده وأخذه وهو موسى عليه السلام وهو في التابوت وفي اليم عند خروجه للساحل {ءَالُ فِرْعَوْنَ} وهم حاشية فرعون ملك مصر الوليد بن مصعب {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا} ليكون لفرعون وحاشيته وقومه عدواً ومبغضاً {وَحَزَنًا} ويجلب لهم الأحزان والمآسي {إِنَّ فِرْعَوْنَ} إن فرعون ملك مصر الوليد بن مصعب {وَهَمَمَنَ} ووزيره واسمه هامان {وَجُنُودَهُمَا} وعساكرهما وجيشهما {كَانُوا مَذْنِبِينَ بِالْإِفْسَادِ وَالظُّلْمِ وَالتَّسَلُّطِ وَالتَّجْبِيرِ وَالتَّكْبَرِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} وقالت امرأت فرعون {وَقَالَتْ زَوْجَةُ فِرْعَوْنَ} وهي (آسية بنت مزاحم) {قَرَّتْ عَيْنَ لِي وَلكَ} أي هو بهجة وفرحة وسرور وسعادة لي ولك يا فرعون فقال فرعون قرة عين لك وأما أنا فلا حاجة لي به. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي يُحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك). [ابن كثير ج ٣ ص ١٤٨]. {لَا تَقْتُلُوهُ} فلا تقتلوه {عَسَى} لعله {أَنْ يَنْفَعَنَا} أن ينفعنا في المستقبل {أَوْ نَتَّخِذَهُرَّ وِلْدَانًا} أو نتبناه ولداً لنا حيث أنهما ليس لهما أولاد ذكور. وقيل أنه لم يدخل فرعون على آسية فحفظها الله تعالى من فرعون لأنها من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة فإن قيل إذا كان الله تعالى حفظها من فرعون فما معنى قوله تعالى " نِيَّاتٍ وَأَبْكَارًا " فإن المراد بالثيبات

آسية والأبكار مريم على أحد الأقوال فالجواب أن المرأة تسمى ثيباً إذا كانت متزوجة وإن لم توطأ ويجري عليها أحكام الثيب ألا ترى أنه لو مات زوجها وجبت عليها العدة ومريم لم تنزل بكارتها لأنها ولدت من سرتها. [نزهة المجالس ص ٢٨٤]. {وَهُمْ} أي فرعون وقومه {لَا يَشْعُرُونَ} لا يعلمون أن موسى عليه السلام عندما يكبر سيكون عدواً لهما وسيكون هلاك فرعون وذهاب ملكه على يدي موسى عليه السلام فهم لا يشعرون بعاقبة أمرهم معه {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى} وأصبح قلب أم موسى - والمشهور أن اسمها هو (بوخايد) وقال ابن اسحاق اسمها (ختلت) وقيل (أناجيركا) وقيل (أياوخذ) وقال سهل (أيادخا) {فَرِغًا} خائفاً وفزعاً على موسى عليه السلام {إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ} ومن خوفها وخشيتها وشدة رعبها من فرعون وجنده أن يقتلها ويقتلوه أو شكت أن تكشف أمره وتكشف عن خبره {لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبَهَا} لولا تداركها الله تعالى بعنايته وربط على قلبها بأن ثبتها وقوى قلبها وقوى جأشها وصبرها وعزمها وجلدها بالتكتم على خبر مولد موسى عليه السلام {لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} لتكون من المؤمنين بالله وبقضائه ومن المصدقين بالله تعالى بحفظ أنبيائه ورسله وأوليائه {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ} وقالت أم موسى لأخت موسى كلثوم بنت عمران. وعمران والد موسى عليه السلام ليس هو عمران أبو مريم أم عيسى عليهما السلام حيث أن بينهما فترة وزماً طويلاً وبعيداً لأنه أتى بعد موسى عليه السلام داوود عليه السلام ثم خلافة ابنه سليمان بن داوود ثم زكريا عليه السلام ثم مريم بنت عمران وهناك زمن وفترة طويلة بينهما {قُصِيهِ} أي تتبعي أثره وتحسسي خبره وأمره وراقبيه {فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ} فراقبته من بعيد وعلمت خبره بالخفاء {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}

وفرعون وقومه لا يشعرون ولا يعلمون بخبرها أنها أخته أو تعرفه {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ  
 الْمَرَاضِعَ} وحرم الله تعالى عليه ومنعه من الرضاعة من جميع المراضع أي  
 المرضعات فلا يضع فمه على ثدي أبداً {مِنْ قَبْلُ} من قبل حضور أخته كلثوم  
 {فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ} فلما رأتهم كلثوم أخت موسى  
 عليه السلام أنهم في حيرة من أمره وأنه لا يرضع من أية مرضعة أحضروها له  
 علمت بأنها وأمها سيحظون برجوعه فقالت لهم هل أخبركم وأدلكم على أهل  
 بيت يكفلونه ويرضعونه لكم {وَهُمْ لَهُ نَصِاحُونَ} وهم له راعون وحافظون  
 ومخلصون ومدبرون أمره بإخلاص وأمانة {فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ} فأخذتهم إلى أمها  
 فلما أرضعته التقم موسى عليه السلام ثديها ففرح فرعون وآسية بذلك فرحاً شديداً  
 وهكذا رده الله عز وجل إلى أمه (بوخايد) {كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} كي تفرح وتسر وتطمئن  
 على رجوع ابنها موسى عليه السلام لها {وَلَا تَحْزَنَ} حتى لا تحزن ولا تغم  
 {وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ} وحتى تعلم أم موسى عليه السلام أن وعد الله تعالى لها  
 برجوع ولدها {حَقٌّ} هو صدق {وَلَيْكِنَّ أَكْثَرُهُمْ} ولكن أغلب قوم فرعون {لَا  
 يَعْلَمُونَ} لا يعلمون بما سيأتيهم به موسى عليه السلام من هلاكهم وهلاك  
 ملكهم فرعون وأن موسى عليه السلام سيصبح رسولاً ونبياً من قبل الله تعالى لهم.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاسَتْوَىٰ ۖ ۙ أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾﴾  
 وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ  
 شَيْعَتِهِ ۖ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغْنَتْهُ ٱلَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ ۖ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ۖ  
 فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾  
 قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ قَالَ رَبِّ  
 بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَافِيًا  
 يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۖ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾  
 فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي  
 كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن  
 تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿٢٢﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوسَىٰ إِنَّ  
 ٱلْمَلَآئِكَةَ يَتَمَرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ فَأَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ ﴿٢٣﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَافِيًا  
 يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾﴾

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} ولما بلغ موسى عليه السلام رشده وسن الرجولة {وَأَسَتْوَىٰ} وقوي ساعده واشتد عوده {أَتَيْنَهُ حُكْمًا} فصلاً بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ {وَعِلْمًا} علماً في الحكم بين الخطأ والصواب وعلم الحياة وعلم الرجولة والفروسية وعلم الملك حيث تربى في بيت الملك عند فرعون ملك مصر {وَكَذَٰلِكَ} نَجْزِي {وَالْمُحْسِنِينَ} المحسنين أعمالهم في الحق والخير والهدى {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ} ودخل موسى عليه السلام سوق المدينة مدينة مصر {عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا} وذلك وقت القيلولة وهو وقت راحة أهل المدينة

وتجارها من أهل السوق {فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ} فرأى في أحد شوارع المدينة رجلين يتقاتلان ويتشاجران {هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ} أحدهما من قومه من بني إسرائيل {وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} وهذا من قوم فرعون ومن أعدائه لقومه لأنهم يعذبون ويذلون قومه من بني إسرائيل ولذلك هم أعداؤه وأعداء قومه {فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ} فطلب الذي من حزبه ومن قوم موسى طلب منه النجدة {عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} على الفرعوني {فَوَكَرَهُ مُوسَى} فضربه موسى بقبضته {فَقَضَى عَلَيْهِ} فقتله وأماته فوراً وهذا يدل على قوة موسى عليه السلام لما بلغ أشده بمجرد ضربه بقبضته لأنه تربى في بيت الملك والعز والجاه وفي ترف الملك فرعون {قَالَ} قال موسى عليه السلام {هَذَا} أي هذا العمل الذي قام به بضربه الفرعوني بقبضته ضربة شديدة في صدره أو بطنه {مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} من إغراء الشيطان وفتنته ووسوسته ومن سرعة الغضب التي احتملت موسى عليه السلام بضرب الفرعوني وقتله {إِنَّهُ} أي الشيطان {عَدُوٌّ} عدو للإنسان يثيره ويحرضه ويسرعه في الغضب {مُضِلٌّ} أي يضل الإنسان حيث أنه يوسوس له بالغضب والثأر والانتقام والنصرة على الغير بدون حق أو بدون روية وتمهل وتفكر في عاقبة الأمور {مُبِينٌ} أي عظيم الإضلال والإغواء لبني آدم {قَالَ} قال موسى عليه السلام {رَبِّ} ربي وإلهي وخالقي يا الله {إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} إني ارتكبت ظملاً بقتل الفرعوني {فَاغْفِرْ لِي} فاغفر لي ذنبي هذا وتجاوز عنه وسامحني عليه فإني قد ندمت وتبت إليك {فَغَفَرَ لَهُ} فسامحه الله تعالى وغفر له وتجاوز عن فعلته هذه بتوبته وندمه ورجوعه إلى الله تعالى وكما جاء في الحديث: (التوبة تجب ما قبلها) {إِنَّهُ} إنه

الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ} هو الله تعالى {الْغُفُورُ} يغفر  
 ذنب من تاب وندم ورجع إليه {الرَّحِيمُ} فهو يرحم من تاب وندم فلا يعذبه  
 ويدخله الجنة يوم القيامة {قَالَ} قال موسى عليه السلام {رَبِّ} ربي وإلهي  
 وخالقي يا الله {بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} بحق ما أنعمت وتفضلت وتكرمت علي من  
 القوة والجاه والتوبة {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا} فلن أكون معيناً ومساعداً {لِلْمُجْرِمِينَ}  
 للمذنبين ومن أجرم في حق الله تعالى وعصاه وعبد غيره {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ  
 خَائِفًا} فأصبح موسى عليه السلام وهو في مدينة مصر خائفاً من فرعون وقومه بأن  
 يثاروا لقتيلهم وينتقموا من موسى عليه السلام {يَتَرَقَّبُ} يراقب ما يدور حوله  
 ويراقب الشوارع {فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ} فإذا الذي طلب نصرته بالأمس  
 على الفرعوني أي الذي من شيعته ومن حزبه وقومه ونصره يوم أمس  
 {يَسْتَصْرِخُهُ} يطلب مساعدته ونصره مرة ثانية ويطلب نجده على فرعوني آخر  
 {قَالَ لَهُ مُوسَى} رد عليه موسى عليه السلام وقال له {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ} إنك لشيرير  
 وفاتن ومغوي {مُبِينٌ} عظيم {فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ} فلما أراد  
 موسى عليه السلام نصره وأراد أن يضرب الفرعوني ويقهره وينتقم منه لأنه عدو  
 {لَهُمَا} لموسى وللإسرائيلي الذي هو من قومه {قَالَ} قال الذي استنصره بالأمس  
 الإسرائيلي {يَمْوَسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي} ظن الإسرائيلي بأن موسى عليه السلام لما  
 سمع منه قوله " إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ " ظن بأن موسى عليه السلام يريد قتله هو وليس  
 الفرعوني فقال له هل تريد أن تقتلني {كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا} أي الفرعوني الذي قتله  
 {بِالْأَمْسِ} أي في اليوم السابق {إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا} إلا أن تكون ظالماً

{ فِي الْأَرْضِ } في أرض مصر لأنه ظن أن موسى عليه السلام لا يُسأل لأن فرعون ملك مصر هو والده ولا يقاصه فليفعل ما يريد ولذلك قال له { وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ } أي بدلاً من تجبرك وطغيانك في الأرض بسبب أن فرعون والدك أفلا تكون بدلاً من ذلك { مِنَ الْمُصْلِحِينَ } بأن تصلح بيننا وتفصل وتفرض المنازعة بالإصلاح بين الطرفين فعندها سمع الفرعوني بذلك وعلم أن القاتل بالأمس هو موسى فأخبر قومه وفرعون بذلك { وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ } وجاء رجل ممن ينصح وممن يحب موسى عليه السلام من آخر المدينة ومن طرفها { يَسْعَى } يسرع المشي إلى موسى عليه السلام مختصراً الطريق { قَالَ يَمْوَسَى } قال لموسى عليه السلام محذراً وناصحاً { إِنَّ الْمَلَائِكَةَ } إن القوم أي قوم فرعون { يَأْتِمُرُونَ بِكَ } يتآمرون عليك { لِيَقْتُلُوكَ } ليثأروا منك ويقتلوك بدل الفرعوني الذي قتلته بالأمس { فَأَخْرَجَ } فاهرب خارج المدينة إلى مكان آخر واختف عنهم وعن أعينهم حتى لا يقتلوك { إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ } إني لك ناصح حقاً وصادق فتأكد من ذلك { فَخَرَجَ مِنْهَا } فخرج موسى عليه السلام من مصر { خَائِيفًا } خائفاً على نفسه أن يمسكوا به ويقتلوه { يَتَرَقَّبُ } أي يترقب حركاتهم أثناء خروجه من مصر خوفاً من اللحاق به قبل أن يهرب { قَالَ } قال موسى عليه السلام { رَبِّ } قال داعياً: ربي وإلهي وخالقي يا الله { اجْنُبْنِي } أنقذني { مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } من فرعون وقومه وهم قوم ظالمون وباغون ومعتدون.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيَ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا  
 وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ  
 تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ  
 ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾  
 فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا  
 سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُرُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ  
 الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتِ اسْتَعْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَجَرْتَ الْقَوِيُّ  
 الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نِكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي  
 حِجَابٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ  
 شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا  
 عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَمَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿٢٩﴾﴾

{وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ} ولما اتجه موسى عليه السلام فراراً إلى مدين وهي  
 بالقرب من معان بالأردن وهم أصحاب الأيكة {قَالَ} موسى عليه السلام {عَسَىٰ}  
 لعل {رَبِّيَ} الله تعالى {أَن يَهْدِيَنِي} أن يرشدني {سَوَاءَ السَّبِيلِ} طريق النجاة  
 وأفضل الطرق للنجاة والعيش الكريم {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} ولما ذهب موسى  
 عليه السلام إلى بئر مدين للاستسقاء ولروي عطشه من طول المسافة التي قطعها من  
 مصر وحتى مدين ولما جاء البئر {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ} وجد على البئر ناساً كثيرين وهم  
 قوم أهل مدين {مِّنَ النَّاسِ} من أهل مدين {يَسْقُونَ} يسقون مواشيهم  
 ويأخذون ماء إلى بيوتهم للشرب وسقي مواشيهم {وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ} ووجد



من دون الرجال وبين الرجال امرأتين من النساء {تَدُودَانِ} تمنعان مواشيهم وأنفسهم من المزاحمة لسقي الماء {قَالَ} قال موسى عليه السلام للمرأتين {مَا حَطْبُكُمْمَا} ما شأنكما لا تسقيان ولا تزاحمان {قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ} ردتا عليه بأنهما لا يسقيان حتى ينصرف ويذهب رعيان المواشي بعد سقيهم مواشيهم {وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} وأنه لا يأتي والدهما يسقي لهما لأنه شيخ كبير السن ولا يوجد لهما إخوة ذكور حتى يسقوا لهما {فَسَقَى لَهُمَا} فأنزل الدلو وأخرج لهما الماء حتى سقتا مواشيهما وانصرفتا {ثُمَّ تَوَلَّى} ثم توجه موسى عليه السلام بعد أن سقى لهما {إِلَى الظِّلِّ} إلى ظل شجرة يتوارى من شدة حر الشمس {فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ} ربي وإلهي وخالقي بالرغم مما أنزلت إليّ وأنعمت عليّ من خير كثير فإني {فَقِيرٌ} فأنا الآن لا أزال فقيراً أي يطلب من الله أن يعينه بالرزق في محنته هذه وهو غريب الديار والأوطان {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} فلما رجعتا بنات شعيب عليه السلام إلى منزلهما بسرعة وكانت عادتهما التأخر في العودة بسبب تأخر ورود الماء عندها سألهما شعيب عليه السلام والدهما عن السبب فقستا عليه قصة مساعدة موسى لهما وطلب شعيب من إحدى بناته الرجوع لإحضاره فجاءته إحداهما وهي تمشي بخجل من شخص تناديه لبيتها وهي لم تعرفه ولم تصحبه قبل ذلك وخاصة وهي عفيفة وبنت نبي وهو رسول الله شعيب عليه السلام ولم تتعود على مخاطبة الرجال وخاصة رجل غريب لا تعرفه من قبل {قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} وهنا قالت له بأدب بنت نبي ورسول حتى لا يظن بها ظن السوء وذكاءً منها وبأدبها إن والدي يدعوك وأرسلني في طلبك ليكافئك على ما قمت به وسقيت لنا

ويعطيك أجرك { فَلَمَّا جَاءَهُ } فلما جاء موسى عليه السلام ولبى دعوة شعيب عليه السلام بالحضور إلى بيته { وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ } وأخبره بقصته كاملة وما حصل له من قبل الفرعوني { قَالَ } قال شعيب عليه السلام والد المرأتين { لَا تَخَفْ } لا تخف ولا تخشى { نَجَوْتَ } أَنْقَذْتَ { مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } من قوم فرعون الباغين والمتجبرين والمعتدين { قَالَتْ إِحَدَهُمَا } وقالت واحدة من بنات شعيب وهي التي حضرت تدعوه على استحياء { يَتَأَبَّتْ } يا والدي { أَسْتَعِجِرُهُ } طلبت من والدها أن يستأجره لخدمتهم ويسقي لهما المواشي قائلة { إِنَّ خَيْرَ } إن أفضل { مَنْ أَسْتَعِجَرْتِ } من أخذته أجيراً للخدمة { الْقَوِيُّ } لأنها رأت قوته عند رفعه الصخرة التي تغطي باب البئر وكذلك قوته بأن تمكن من سقي مواشيهما من ماء البئر بسرعة وقوة ونشاط علماً أنه كان مسافراً هارباً من مصر إلى مدين ولم يتعب من ذلك ولم يتوقف حتى سقى لهما وانصرفتا { الْأَمِينُ } وذلك أنه رجل يغض بصره عن النساء وقيل أنه أمرها أن تمشي خلفه وتدله على الطريق وهي تمشي خلفه وحتى لا يرى مفاتنها وهذا لا يفعله إلا رجل أمين ومخلص { قَالَ } قال له شعيب عليه السلام { إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ } إني أريد أن أزوجك { إِحْدَى أَبْتَتَى هَتَيْنِ } واحدة من بناتي هاتين التي تريدها وتختارها منهما { عَلَى أَنْ تَأْجُرْنِي } على أن تقوم بخدمتي وتكون أجيراً عندي { ثَمَنِي حِجَجٍ } ثماني سنين { فَإِنْ أَتَمَمْتَ } فإن أكملت { عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ } عشرًا من السنين فمن فضلك فهي زيادة إذا وافقت عليها وتفضلت بها فهي بخاطرك وليس من شرطك { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسُقَّ عَلَيْكَ } فهذا معروف منك ولا أريد أن أصعب عليك الشرط بعشرة

سنين فهي من تلقاء نفسك {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ} ستجدني إن شاء الله عند خدمتك لي بأني {مِنَ الصَّالِحِينَ} من المتقين الله فيك ولا أشقى عليك في الخدمة ولا أرهقك فوق استطاعتك وسأكون باراً بك وهذه الآية "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" دلت على أنه نبي الله ورسوله شعيب عليه السلام كما قال تعالى: "وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ" ٨٥ الأعراف. حيث أنه كشف عن نفسه بأنه من الصالحين أي أنه نبي الله ورسوله وكونه من الصالحين في حين أن كل قومه بعيدون عن الصلاح والخلق الحسن كما دل عليه فعلهم مع بنتيه إذ لا أحد منهم كانت عنده نخوة وغيره تدفعه لمساعدة البنيتين حتى جاء موسى عليه السلام الذي ظهرت فيه النخوة والبروة والصلاح فساعدهما وسقا لهما فلا يمكن أن يكون شعيب صالحاً وحده من دون قومه في ذلك العصر إلا أن يكون نبياً ولهذا أحسن استقبال موسى عليه السلام رغم أنه لا يعرفه من قبل وما ذلك إلا لكونهما نبيين واتصافهما بأخلاق النبوة والحديث يقول: (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف). إضافة إلى إشارات ودلائل ظهرت في أقواله لموسى عليه السلام كلها تدل على اتصافه بأخلاق النبوة والتي لا يتسم بها في ذلك الوقت إلا نبي أو رسول كقوله: "نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" وقوله: "وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ" وقوله: "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" وكلمة إن شاء الله لا تقال في ذلك العصر إلا من نبي إضافة إلى ورود ما يؤكد أن المذكور في هذه القصة هو نبي الله تعالى شعيب عليه السلام في بعض الأحاديث. قال أبو بكر البزار: حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن يزيد عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر يقول إن رسول الله صلى الله عليه

وسلم سُئِلَ أَيُّ الْأَجْلِينَ قَضَىٰ مُوسَىٰ؟ قال: (أبرهما وأوفاهما) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن موسى عليه السلام لما أراد فراق شعيب عليه السلام أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاهما ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالب لون قال فما مرت شاة إلا ضرب موسى جنبها بعصاه فولدت قوالب ألوان كلها وولدت ثنتين وثلاثاً كل شاة ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا كمشة تفوت الكف ولا تعول). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا فتحتم الشام فإنكم ستجدون بقايا منها وهي السامرية). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٨٦]. {قَالَ} موسى عليه السلام {ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ} هذا الشرط بيني وبينك موافق عليه {أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ} وأي أجل سواء الثمان سنين أو العشرة فأبي واحد منهما أنهيت مدته {فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ} فلا غضب علي ولا اعتداء بأن أكمل الأجل الثاني {وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ} والله شاهد على ذلك الشرط ووكيل عنا حتى ننفذه ونتمه فهو شاهد على ذلك. قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أبو عبيد الله يحيى بن محمد بن السكن حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا عويذ بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أَيُّ الْأَجْلِينَ قَضَىٰ مُوسَىٰ؟ قال: (أوفاهما وأبرهما) قال: وإن سُئِلت أي المرأتين تزوج؟ فقل الصغرى منهما. [قال البزار لا نعلم يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد - ابن كثير ج ٣ ص ٣٨٦].

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴿٢٣﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرَّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٥﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِقَائِنَتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿

{فَلَمَّا قَضَىٰ} فلما أنهى {مُوسَى} موسى بن عمران عليه السلام {الْأَجَلَ} أجل الشرط لخدمة شعيب عليه السلام عشرة سنين حتى يزوجه ابنته. قال ابن جرير: حدثنا أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثني إبراهيم ابن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سألت جبريل أيّ الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأكملهما). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٨٦]. {وَسَارَ بِأَهْلِهِ} وارتحل موسى عليه السلام ومعه زوجته وقيل أن اسمها صفوريا بنت شعيب أو صفورا وهي الصغرى كما أسلفنا آنفاً ورجع إلى بلده مصر ولما رجع موسى عليه السلام ومعه زوجته وهو في

الطريق في ظلام الليل وشدة البرد {ءانس} رأى واستأنس {من جانب الطور ناراً} من جانب طور سيناء ناراً تشتعل {قال} موسى عليه السلام {لأهله} لزوجته {أمكثوا} ابقوا هنا {إني آذنت ناراً} إني شاهدت واستأنست بنار في جانب الطور {لعلّي آتاكم منها بخبر} عساني أعلم خبراً وأجد ممن حول النار من الناس من يخبرني ويهديني إلى الطريق الصحيح ويدلني ويرشدني إلى طريق مصر حتى لا نتوه في صحراء سيناء {أو جذوة من النار} أو آتيكم بجمرة أو شعلة أو قطعة من النار {لعلكم تصطلون} لعلكم تستدفئون {فلما أتتها} فلما جاء موسى عليه السلام وحضر إلى النار {نودي} أي سمع نداءً يناديه باسمه {من شطي الواد الأيمن} من حافة الوادي الأيمن أي من على يمين موسى عليه السلام أي الغربي {في البقعة المباركة من الشجرة} في المكان المبارك من الشجرة التي هي بطور سيناء التي ناجى فيها موسى عليه السلام العلي الأعلى وجاء النداء {أن يمسى} وناداه العلي الأعلى أنه يا موسى {إني أنا الله ربّ العلمين} إني أنا الذي أناديك وأكلمك أنا الله عز وجل رب العالم كله والخلق والكون كله {وأن ألق عصاك} وأنه ارم عصاك من يدك على الأرض فلما ألقاها {فلما رءاها تهتز} فلما رأى موسى عليه السلام معجزة العصا وهي تهتز وتتحرك وتقفز في صورة ثعبان عظيم {كأنها جان} كأنها عفريت الجان لشدة حركتها وهولها {ولى مدبراً} هرب موسى عليه السلام شارداً {ولم يعقب} ولم يلتفت خلفه لشدة خوفه وفزعه ورعبه من معجزة العصا وانقلابها ثعباناً مهيباً مخيفاً تقفز في كل اتجاه {يمسى أقبل} فناده الله عز وجل عندها قائلاً له تعال

وارجع ثانياً إلى مخاطبتي {وَلَا تَخَفْ} ولا تخشى {إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ} إنك من المأمنين والآمنين من الخوف أو الإيذاء بين يدي {أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ} أدخل يدك في جيبك لقميصك وثوبك {تَخْرُجُ بَيْضَاءَ} تخرج يدك من جيبك بيضاء اللون تتلألاً مثل الشمس من شدة اللمعان والبياض {مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} من غير تشويه ومن غير مرض أو برص حيث أن موسى عليه السلام كان أسمر البشرة {وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ} واضمم يدك إلى جنبك يذهب عنك الخوف لأنه لما رآها بيضاء تلمع خاف منها فقال له ضعها على جنبك يذهب عنك الرعب والفرع والخوف عندها تشعر أنه لا يحصل لك شيء وهذا سر الله في خلقه أنه إذا خاف أي شخص أو ارتعب فإنه يلصق يديه إلى جنبه فيزول عنه الخوف وهذا يعمل كتفريغ لشحنة الخوف {فَدَايِكَ} فذلك {بُرْهَنَانِ} بيئتان وحُجَّتَانِ ومعجزتان {مِنْ رَبِّكَ} من ربك الله تعالى وإلهك وخالقك {إِلَى فِرْعَوْنَ} إلى فرعون ملك مصر {وَمَلَايِهَةٍ} وقومه {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ} إنهم كانوا قوماً مذنبين ومعلنين بالمعاصي ومجاهرين بها {قَالَ} قال موسى عليه السلام {رَبِّ} ربي وإلهي وخالقي {إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا} إني قد سبق وقتلت منهم الفرعوني - وذلك عندما استنصره قريبه الإسرائيلي {فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ} فأخشى أن ينتقموا مني ويقتلوني بدلاً من قنيلهم {وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي} وأن أخي هارون - وهو الأكبر سنّاً من موسى - هو أبلغ مني {لِسَانًا} قولاً وحجة ولأن في لسان موسى عليه السلام لثغاً عندما أكل الجمره عندما نتف لحيه فرعون وهو صغير فأراد فرعون البطش به وقتله وقال هذا الذي سيقضي على ملكي من الرؤيا التي

رآها سابقاً فدافعت آسية بنت مزاحم زوجة فرعون عن موسى عليه السلام وقالت هذا طفل لا يعقل وسنضع له امتحاناً حتى تعلم أنه لا يعقل فأحضرت لموسى عليه السلام وهو طفل طبقاً من جمر وطبقاً من تمر فأراد موسى عليه السلام تناول التمر فأمسك جبريل عليه السلام يده ودفعها إلى الجمر فأكل جمرة أحرقت لسانه وأصبح بعدها في لسانه لثغاً ولذلك قال موسى عليه السلام هو أفصح مني لساناً {فَأَرْسَلُهُ مَعِيَ رِدْءًا} فأرسله معي مساعداً ومسانداً وحمايةً ووقايةً {يُصَدِّقُنِي} يؤيدني فيما أقول {إِنِّي أَخَافُ} إني أخشى من فرعون وقومه {أَنْ يُكَذِّبُونِ} أي لا يصدقوني في رسالتي {قَالَ} قال الله تعالى لموسى عليه السلام {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} سنجعل أخاك هارون يساعذك ويؤازرك {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا} ونجعل لكما قوةً وحكماً وعلماً وبياناً وحجةً {فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا} فلا يصلون إليكما بأذى {بِعَايٰتِنَا} ببيناتنا ومعجزاتنا {أَنْتُمَا} أنت يا موسى وهارون {وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا} ومن اتبعكما وآمن بكما من قومكما ومن السحرة {الْغٰلِبُونَ} المنتصرون على فرعون وقومه. وهذه الآية إضافة إلى ثبوت بقاء السامري على قيد الحياة وهو كبير السحرة دليل على أن الله تعالى لم يُمكن فرعون من صلب السحرة بل نجوا مع موسى عليه السلام.



﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا  
 بِهَذَا فِي ءِآبَائِنَا الْأُولَىٰ ۗ ﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ  
 وَمَن تَكُونُ لَهُ عَنقَبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۗ ﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا  
 الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي  
 صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۗ ﴾ وَأَسْتَكْبَرَهُ  
 وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۗ ﴾ فَأَخَذْنَاهُ  
 وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۗ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ الظَّالِمِينَ ۗ ﴾  
 وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ۗ ﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي  
 هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۗ ﴾

{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا } فلما جاء موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه  
 بمعجزات الله تعالى { بَيِّنَاتٍ } واضحات البينة والدلالة والحجة والإثبات وأن  
 العصا عندما يلقيها موسى عليه السلام تصبح ثعباناً عظيماً وإذا وضع يده في جيبه  
 وأخرجها تصبح بيضاء تتلألأ وتلمع مثل الشمس { قَالُوا } قال فرعون وقومه { مَا  
 هَذَا إِلَّا سِحْرٌ } ما هذا العمل الذي يعمله موسى عليه السلام إلا سحر { مُّفْتَرَىٰ }  
 مختلق من صنعه ومن سحره { وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءِآبَائِنَا الْأُولَىٰ } وما سمعنا  
 بالرسول والأنبياء وعبادة الله تعالى وحده من دون الأصنام لم نسمعه من آبائنا  
 وأجدادنا السابقين { وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ } وقال موسى عليه  
 السلام رداً على تكذيبهم له وإنكارهم وجحودهم بما جاء به إليهم من المعجزات  
 ربي وإلهي وخالقي الله تعالى يعلم ويدري بمن جاء لكم بالهدى { مِنْ عِنْدِهِ } من

عند الله تعالى وبأمره {وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَنقَبَةُ الدَّارِ} ومن تكون له عاقبة ومصير الجنة داراً يوم القيامة وهي لمن صدق واتبع رسوله {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ} إنه لا يفلح ولا يفوز {الظَّالِمُونَ} الظالمون لأنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي والذنوب والجحود والإنكار والتكذيب لموسى عليه السلام وكما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ} فقال فرعون لقومه يا أيها الحضور من الناس {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} لا أعلم لكم ولا أدري ولا أعرف أنه يوجد إله ورب غيري وكما قال تعالى: " فَحَشَرَ فَنَادَى {٢٣} فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى {٢٤} " ٢٣، ٢٤ النازعات.

{فَأَوْقَدَ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ} فأشعل يا هامان النار على الطين لبناء الحجارة من اللبن وهامان هو وزيره الخاص {فَأَجْعَلِ لِي صَرْحًا} فابن لي بناءً عالياً ومرتفعاً وشاهقاً وبرجاً {لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى} عسى أن أرى من فوق الصرح رب موسى وأشاهده وهو بقوله هذا يسخر من موسى عليه السلام ولا يصدقه {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} وإني أعتقد بأن موسى من المكذابين وغير الصادقين {وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ} وتكبر فرعون هو وجنوده وعتوا وعلوا {فِي الْأَرْضِ} في أرض مصر {بِغَيْرِ الْحَقِّ} بدون حق ولا عدل {وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} واعتقد فرعون وقومه أنهم إلى الله تعالى لا يرجعون بالموت وللحساب {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} فأخذ الله تعالى فرعون وجنوده وألقاهم في البحر فأغرقهم عن آخرهم {فَانظُرْ} فانظر وشاهد يا محمد {كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ الظَّالِمِينَ} كيف كان مصير الباغين والمعتمدين والمتجبرين والمشركين وهو عاقبة

فرعون وهلاكه هو وقومه {وَجَعَلْنَاهُمْ} وجعل الله تعالى فرعون وقومه {أِيْمَةً} رؤساء وأعلام في الكفر والفجور {يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} يدعون الناس من على شاكلتهم في الكفر والشرك إلى نار جهنم {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ} ويوم القيامة عند الحساب لا ينصرون ولا ينقذون من عذاب الله تعالى ويدخلون جهنم ولا يستطيع أحد أن ينصرهم وينقذهم من العذاب {وَأَتَّبَعْنَاهُمْ} وأخلفناهم وألحقنا بهم {فِي هَذِهِ الدُّنْيَا} في الحياة الدنيا {لَعْنَةً} أي شتيمة وسب الناس عليهم لكفرهم وشركهم ومن الله تعالى العذاب والهلاك والغرق في البحر {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ} وفي يوم القيامة هم من المذمومين والحقيرين والمعذبين في نار جهنم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَافِرٍ لِلنَّاسِ  
 وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى  
 الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَذْشَانَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا  
 كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾  
 وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ  
 نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمُ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتَ  
 أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِّنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ  
 مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ  
 كَفْرٍ لَّوْنٍ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ  
 مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} ولقد أعطى الله تعالى موسى عليه السلام كتاب  
 التوراة {مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى} من بعد ما عذبت ودمرت وأهلكت  
 القرون السابقة من قوم نوح وإبراهيم وصالح ولوط وشعيب وهود عليهم السلام وهم  
 رسول الله وقد أهلك الله أقوامهم لكفرهم وشركهم {بِصَافِرٍ لِلنَّاسِ} مواعظ ونورا  
 وضياءً وبيانا للناس من بني إسرائيل {وَهُدًى} يهدي به من اتبع سبيله وعبده  
 وحده لا شريك له وأطاعه فيما أمر ونهى {وَرَحْمَةً} ويرحم ولا يعذب من أخذ به  
 وأطاعه {لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} لعلهم يتعظون به وينتصحون {وَمَا كُنْتَ} ولم تكن يا

محمد يا رسول الله حاضراً {بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ} بجانب طور سيناء الغربي وهو على يمين موسى عليه السلام {إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ} إذ أنفذنا ووجهنا إلى موسى عليه السلام {الْأَمْرَ} الأمر بأداء الرسالة والتوجه إلى فرعون ملك مصر لهدايته ووعظه وتحذيره من الكفر والعصيان {وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} ولم تكن من الحاضرين عند تبليغ الرسالة إلى موسى عليه السلام {وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا} ولكن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه خلق {قُرُونًا} أمماً وأقواماً بعده {فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ} فطال عليهم العمر وعمرؤا طويلاً ولم يتعظوا ولم يعتبروا {وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا} ولم تكن يا محمد يا رسول الله مقيماً وحاضراً {فِي أَهْلِ مَدْيَنَ} في قوم مدين وهم قوم شعيب عليه السلام بالأردن قريبة من معان {تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} تقرأ عليهم آيات القرآن الكريم حتى يعتبروا ويتعظوا {وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} ولكن الله تعالى أرسل لهم شعيباً عليه السلام {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ} ولم تكن يا محمد يا رسول الله بجانب طور سيناء {إِذْ نَادَيْنَا} عندما نادينا موسى عليه السلام وذلك عندما جاء موسى عليه السلام للميقات وكلمه ربه وذلك في قوله تعالى: " وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ {٨٣} قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرِكُ وَعَاجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ {٨٤} قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ {٨٥} " ٨٣ - ٨٥ طه. أو عندما جاء موسى عليه السلام للميقات ومعه السبعون رجلاً من قومه فأهلكهم الله وأماتهم ثم أحياهم وهو المذكور في قوله تعالى: " وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ " ١٥٥ الأعراف.

{وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} ولكن أخرج الله لهذه الأمة المحمدية رحمة ورأفة  
 وفضلاً وكرماً من ربك الله يا محمد يا رسول الله {لِتُنذِرَ} لتعظ وتنصح {قَوْمًا}  
 أمة وهي أمتك في آخر الزمان {مَا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ} ما أتاهم ولم يأتهم لا واعظ ولا  
 ناصح ولا رسول ينذرهم ويحذرهم ويخوفهم من عبادة غير الله تعالى {مِّن قَبْلِكَ}  
 من قبل قدومك بالرسالة {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} لعلهم يتعظون وينتصحون بك  
 {وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ} ولولا وخشية أن تنزل عليهم مصيبة وعذاب {بِمَا  
 قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} بما عملت أيديهم {فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا}  
 فيقولوا عند نزول العذاب عليهم ربنا وإلهنا وخالقنا ومعبودنا أفلا أرسلت إلينا  
 رسولاً ينذرنا ويحذرنا ويهدينا لعبادتك وطاعتك {فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ} فنطيعك فيما  
 تأمرنا به {وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ونكون مع المؤمنين والمصدقين بك وبكتابتك  
 وبرسولك والملائكة واليوم الآخر {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ} ولما أتاهم القرآن والرسول  
 محمد صلى الله عليه وسلم وهما الحق والصدق {مِّن عِنْدِنَا} من عند الله تعالى  
 {قَالُوا} قال الكفار {لَوْلَا أُوتِيَ} لو أعطي {مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى} مثل ما  
 أعطي موسى التوراة والعصا معجزة معه {أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ}  
 أفلم يجحدوا ويكذبوا بما أعطي موسى عليه السلام من كتاب التوراة ومعجزة  
 العصا من قبل قدومك بالرسالة لهم {قَالُوا} قال الذين كفروا من قريش {سِحْرَانِ  
 تَظَاهَرَا} محمد وموسى عليهما السلام هما ساحران يسحران ويتباهيان ويتعاليان  
 بفن سحرهما وبراعتهما في السحر وتعاوننا بالسحر علينا {وَقَالُوا} وقال كفار قريش  
 لمحمد صلى الله عليه وسلم {إِنَّا بِكُلِّ} إنا كفار قريش بموسى وبمحمد عليهما

السلام {كٰفِرُونَ} جاحدون ومنكرون ومكذبون وغير مصدقين برسالتهما {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {فَاتُوا} هاتوا لنا {يَكْتَبِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} هاتوا لنا قرآناً من عند الله تعالى بدلاً من هذا القرآن وبدلاً من التوراة {هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا} هو أفضل في الهداية من التوراة والقرآن {أَتَّبِعْهُ} أقتدي به وأخذ به {إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ} إن كنتم صادقين في قولكم بأن القرآن والتوراة كذب وليس من عند الله تعالى {فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ} فإن لم يستجيبوا لك يا محمد يا رسول الله بإحضار كتاب من عند الله تعالى غير كتب الله التوراة والقرآن وهذا مستحيل طبعاً لأن الله تعالى هو الذي أنزل التوراة والقرآن {فَاعْلَمْ} فاعلم يا محمد علم اليقين وتأكد {أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ} إنما يتبعون شهواتهم ورغبات أنفسهم وملذاتهم {وَمَنْ أَضَلُّ} ومن أكثر إضلالاً وبعداً عن الحق والصواب واتباع الهوى {مِمَّنْ أَتَّبَعَ هَوْنَهُ} ممن أتبع نفسه هواها وشهواتها وملذاتها {بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} بغير هداية وبغير علم من الله تعالى له {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك وكما قال تبارك وتعالى: " وَالْكَٰفِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان.

﴿ وَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ٥١ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ} ولقد أبلغناهم {الْقَوْلَ} كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم ليتدارسوه وليعلموا ما فيه من الحكم والوعظ {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} لعلهم يتعظون به ويهتدون به {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ} الذين آتيناهم وأعطيناهم {الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ} كتاب التوراة والإنجيل قبل القرآن {هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ} هم بالقرآن يصدقون وهم كأمثال عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيه وأسد بن سعيه وأسد بن عبيد وكعب الأحبار وغيرهم من أحناف وعلماء بني إسرائيل ممن أسلموا يؤمنون ويصدقون بالقرآن الكريم ويتبعون ما أنزل فيه {وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ} وعندما يُقرأ عليهم القرآن {قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ} قال الأحناف ومن أسلم منهم صدقنا به {إِنَّهُ الْحَقُّ} إنه الصدق والعدل {مِنْ رَبِّنَا} نزل من عند ربنا الله تعالى {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ} إنا كنا من قبل نزول القرآن {مُسْلِمِينَ} مصدقين وأسلمنا واتبعنا دين الإسلام لأننا صدقنا التوراة والإنجيل وإنهما يبشران بالقرآن وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أُولَٰئِكَ} هؤلاء الذين آمنوا بالقرآن {يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ} يعطون أجرهم مرتين مرة على تصديق التوراة والإنجيل وهي كتبهم التي نزلت على رسلهم ومرة ثانية



يؤتون أجرهم بتصديق القرآن الكريم وتصديق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ودخولهم دين الإسلام {بِمَا صَبَرُوا} بما صبروا على طاعة الله تعالى وصدقوا برسله {وَيَدْرءُونَ} ويدفعون {بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ} والسيئة والشر والذنب يتبعونها بحسنة تمحها وتذهبها عنهم {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} ومما رزقناهم وأعطيناهم ووهبناهم من أموال وزروع وثمار وفواكه وعلم ونصيحة {يُنْفِقُونَ} ينفقونها في سبيل الله تعالى ولا يمنعونها أهلها ولا يحجبوها ويمنعوها عن الناس وذلك إرضاءً لله تعالى وطلباً لثوابه ومغفرته {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ} وإذا سمعوا في مجلس اللغو واللغو والخلط وكلام السوء والغيبة والنميمة والفحش {أَعْرَضُوا عَنْهُ} تركوه وابتعدوا عنه وعن مخالطة أهله أو الاشتراك معهم فيه {وَقَالُوا} وقالوا لهم {لَنَا أَعْمَلُنَا} لنا أعمالنا الصالحة والطيبة والحسنة {وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ} ولكم أعمالكم القبيحة والسيئة والشر والغيبة والنميمة والكفر والإلحاد {سَلَّمْ عَلَيْكُمْ} وانصرفوا عنهم بتحية الانصراف وهي عدم التعدي عليهم {لَا تَبْتَغِي} لا نتبع ولا نريد ولا نجالس {الْجَاهِلِينَ} الذين لا يعلمون عاقبة الغيبة والنميمة وفحش الكلام وشره وكما قال تعالى: " لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ " ١١٤ النساء. وقال صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت). [سبل السلام ج ٤ ص ١٨١]. وقال معاذ رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم: أنؤاخذ بما نقول؟ قال: (ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟). [سبل السلام ج ٤ ص ١٨١]. {إِنَّكَ} إنك يا محمد يا رسول الله {لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَبْتَ} لا تستطيع أن تهدي إلى الإيمان من أحببت لدخول الإسلام وهو عمك أبو طالب وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي

طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حباً شديداً طبعياً لا شريعياً فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والدخول في الإسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده فاستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحكمة التامة. [ابن كثير ج ٣ ص ٣٩٤]. {وَلَيْكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} ولكن الله تعالى يهدي من يريد له الإيمان وذلك بتصديق ما جئت به يا محمد يا رسول الله وبطاعته لك {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} وهو الله تعالى أعلم وأدرى ويعرف المهتدين للطريق المستقيم والذين لا يريدون إلا وجهه الكريم وعبادته وطاعته ويخافون عذابه.

﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ أَهْدَىٰ مَعَكَ تَتَخَطَّفَ مِنَّا أَرْضُنَا أَوْلَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمَّا تَسَكَّنُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا لَنُحِثُّ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا ۖ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ ۖ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدَّنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَلَّذِي كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾

{وَقَالُوا} وقال كفار قريش للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {إِنْ نَتَّبِعِ أَهْدَىٰ مَعَكَ} إن نتبع الإسلام معك يا محمد {تَتَخَطَّفَ مِنَّا أَرْضُنَا} نُقاتل ونُحارب ونُطرد من أرضنا من مكة {أَوْلَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا} ألم نجعل لهم حرم

مكة وهو المسجد الحرام {ءَامِنًا} آمناً من الحرب فيه. وعن أبي هريرة قال: لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وأنها لم تحل لأحد كان قبلي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وإنما لا تحل لأحد بعدي فلا ينفر صيدها ولا يُختلى شوكتها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد ومن قُتل له قتيل فهو بخير النظرين [إما أخذ الدية أو قتل القاتل]) فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا فقال: (إلا الإذخر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٢ ص ١٩٦]. {تُجَبَّىٰ إِلَيْهِ} يُجَلَّبُ وَيُحْضَرُ إِلَى أَهْلِ الْحَرَمِ {ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ} ثمرات كل شيء من الفواكه والزروع {رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا} رزقاً من الله تعالى وذلك لأن أرضهم كان لا زرع فيها وقليلة المطر وهذه الثمرات تحضر لهم بواسطة حجاج وزوار بيت الله الحرام فهي رزق من الله تعالى كرامة للمسجد الحرام والكعبة التي فيه {وَلَيْكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ولكن أغلب أهل قريش لا يعلمون أن حجتهم باطلة وهي خوفهم أن يتخطفهم الناس من أرضهم ولا يعلمون أن الله تعالى هو الذي حفظهم وحماهم من الأعداء كما حمى وحفظ الكعبة من أبرهة الحبشي ومن فيلته حيث أرسل عليهم طيراً أبابيل {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ} وكم دمرنا من قرية {بَطَرَتْ} جحدت نعمة الله عليها {مَعِيشَتَهَا} في معيشتها وفي حياتها الرغدة والسعيدة وذلك بارتكاب المعاصي والشرك والكفر وصرف أموالها في المحرمات فأهلكهم الله تعالى ودمرهم {فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا} فهذه بيوتهم خاوية وفارغة من السكان ولم يسكنها من بعدهم أحد إلا قليلاً ممن سكنها بعدهم {وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ}

ووراثه مساكنهم باقية لله تعالى ولم يورثها أحداً منهم كمثل قوم لوط { وَمَا كَانَ رَبُّكَ } ولم يكن ربك يا محمد يا رسول الله { مُهْلِكَ الْقُرَى } مدمرها وأهلها إلا بعد ظلم أهلها وطغيانهم وكفرهم وعصيانهم { حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا } ولم يكن ليعذبهم أو يهلكهم قبل أن يبعث في أمها أي أهلها وخاصتها رسولاً ونبياً يبلغ أهلها وساداتها { يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا } يقرأ عليهم آيات الله تعالى من الكتب السماوية { وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى } ولم يكن الله تعالى يهلك القرى بدون ذنب وظلم ولم يهلكهم ويدمرهم { إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } إلا بعد أن يكون أهلها ظالمين لأنفسهم بالطغيان والكفر والشرك كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ } وما أعطيتم يا أهل قريش من شيء من مال وزروع { فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } فهو تمتع ولذة الحياة في الدنيا وسميت الدنيا لدناءتها وحقارتها { وَزَيَّنَّاهَا } وجمالها وزخرفها وحلاوتها عند الناس { وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ } وما عند الله يوم القيامة من دخول الجنة فهو خير وأفضل { وَأَبْقَى } وبقاؤه ونعيمه دائم { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } أفلا تتعظون وتفهمون وتعقلون دوام الآخرة ونهاية الدنيا وزوالها { أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا } فهل من وعدناه وعداً حسناً بدخول الجنة { فَهُوَ لَنَقِيهِ } فهو سيجد ثواب عمله وحسناته يوم القيامة ويدخل الجنة { كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَةً مَّتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } فهل يستوي ويكون كمن أرغدناه في عيش الدنيا الزائلة في ملذاتها ومحرماتها { ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ } فهو يوم القيامة من المحضرين في المحشر للحساب والعقاب في جهنم لأنه ضيع آخرته ولم يعمل لها حسنات.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ٢٢ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ <sup>ط</sup> مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ ٢٣ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ ٢٤ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ٢٥ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ٢٦ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ ٢٧ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ <sup>ط</sup> مَا كَانَ لَهُمُ الْحَيْرَةُ <sup>ج</sup> سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ٢٨ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ٢٩ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ <sup>ط</sup> لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ <sup>ط</sup> وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ٣٠

{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ } ويوم القيامة ينادى المشركون والكفار يناديهم الله تعالى { فَيَقُولُ } أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ { فَيَقُولُ لَهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ سؤَالًا اسْتِنكَارِيًّا وَتَوْبِيخًا لَهُمْ أَيْنَ مِنْكُمْ الَّذِينَ أَشْرَكْتُمُوهُمْ مَعِيَ فِي مَلَكِي وَادْعَيْتُمْ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ لِمَاذَا لَمْ يَنْصُرُواكُمْ وَيَحْفَظُوكُمْ مِنْ عَذَابِي } قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ { قَالَ الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَجِبَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ لِكُفْرِهِمْ وَعَصِيَانِهِمْ وَجُحُودِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى وَمَلَانِكْتِهِ وَكُتْبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا { رَبَّنَا وَإِلَيْنَا خَالَقُنَا وَاعْتَرَفُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ رَبُّهُمْ وَقَالُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَاهُمْ وَأَضَلَّلْنَاهُمْ } أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا { أَضَلَّلْنَاهُمْ كَمَا ضَلَّلْنَا نَحْنُ وَغَوَيْنَا } تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ { أَي نَبْرَأُ إِلَيْكَ } مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ { تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَمَا كَانُوا لَنَا يَعْبُدُونَ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ } وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ

وقيل لهم اطلبوا النجدة والنصرة والخلاص من شركائكم وأصنامكم الذين أشركتموهم في العبادة مع الله تعالى وجعلتموهم آلهة تعبدونها {فَدَعَوْهُمْ} فطلبوا نصرتهم {فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ} ولم ينصروهم لأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً بل لله الأمر جميعاً {وَرَأَوْا الْعَذَابَ} وشاهدوا العذاب ونار جهنم بأعينهم عين اليقين {لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} وتمنوا لو أنهم كانوا في الدنيا يهتدون لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأطاعوه لنجوا من العذاب يوم القيامة {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} ويوم القيامة يناديهم الله تعالى ويسألهم {فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ} فيكلمهم الله ويقول لهم سائلاً وهو أعلم بهم بماذا أجبتهم {الْمُرْسَلِينَ} رسل الله تعالى هل أطعتموهم واتبعتموهم وصدقتموهم {فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ} فلم يجدوا رداً وطمس على قلوبهم وحُجبت عنهم الإجابة وغاب عنهم معرفة أنباء وأخبار ما جاءت به الرسل من الشرائع فلم يعرفوا الرد على الله تعالى لأنهم لا يعرفون صلاة ولا كم ركعة هي ولا كيف الصلاة ولا الزكاة ولا كم هي ولا صوماً لأنهم لا يصومون ولا يزكون ولا يصلون {يَوْمَئِذٍ} عندها في ذلك اليوم يوم القيامة {فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ} فهم لا يستطيعون سؤال غيرهم فيما بينهم لمعرفة الجواب {فَأَمَّا مَنْ تَابَ} فأمم من تاب وندم ورجع عن الكفر والمعاصي {وَوَآمَنَ} وصدق وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلَ صَالِحًا} وعمل من الأعمال الصالحة من العبادة وأعمال الخير في مرضاة الله تعالى {فَعَسَىٰ} فلعل الواحد من هؤلاء ممن تاب وآمن وعمل صالحاً {أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ} أن يكون من الفائزين بالجنة ونعيمها {وَرَبُّكَ} وربك يا محمد يا رسول الله {تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} يخلق من المخلوقات ما يريد

{وَيَخْتَارُ} ويختار لها الذكور والأنوثة وهذا إنسان وهذا حيوان وهذا مجنون وهذا سليم وهذا نبات وهذا جان وهذا ملك {مَا كَانَ لَهُمُ الْحَيْرَةُ} لم يكن لأحد من المخلوقات الخيار في خلق نفسه سواء ذكراً أو أنثى وسواءً جميلاً أو قبيحاً أو طويلاً أو قصيراً وهذا حيوان وهذا كلب وهذا حمار وهذا إنسان {سُبْحَانَ اللَّهِ} تنزه الله وتقدس وجل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَتَعَالَى} وعلا وارتفع وتنزه {عَمَّا يُشْرِكُونَ} على ما يشركون معه في الألوهية والربوبية من الأصنام والأوثان التي لا تنطق ولا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا تحيي ولا تميت {وَرَبُّكَ} وربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {يَعْلَمُ} يعلم ويدري ويعرف ويحيط علماً {مَا تَكُنُّ} ما تخفي {صُدُّوهُمْ} قلوبهم {وَمَا يُعْلِنُونَ} وما يُظهرون من الكفر والشرك وغيره {وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه لا إله معه ولا معبود غيره {إِلَّا هُوَ} إلا هو اله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد {لَهُ الْحَمْدُ} له الشكر والحمد والثناء {فِي الْأُولَى} في الحياة الدنيا لأنه الخالق والرازق والمحيي والمميت {وَالْآخِرَةِ} وفي الآخرة له الحمد والشكر والثناء على عدله وإنصافه وعلى إدخال المؤمنين الجنة والكافرين والمشركين في نار جهنم {وَلَهُ الْحُكْمُ} وله الحكم والقضاء والأمر {وَالِيَهُ} تُرْجَعُونَ} وإليه أيها الناس والخلق جميعاً سترجعون لله تعالى وتبعثون أحياءً يوم القيامة للحساب والعقاب والجزاء والثواب فمن أطاع الله تعالى ورسله فله الجنة ومن عصى فله النار.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٩﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٠﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله لكفار مكة {أَرَأَيْتُمْ} هل علمتم {إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ} إن جعل الله عليكم الليل {سَرْمَدًا} أي دائماً ومستمراً وبدون أن يأتيكم نهار ولا شمس {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} حتى تقوم القيامة {مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ} هل من إله غير الله تعالى يستطيع أن يأتيكم عندها بنهار يضيء بغير شمسها إذا منعها عنكم {أَفَلَا تَسْمَعُونَ} أفلا تستمعون النصح والوعظ والتدبر وتعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَرَأَيْتُمْ} هل علمتم {إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ} إن أدام الله تعالى عليكم النهار {سَرْمَدًا} دائماً ومستمراً {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} حتى تقوم القيامة {مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ} هل من إله غير الله تعالى يأتيكم بليل وظلام {تَسْكُنُونَ فِيهِ} تقيمون فيه وتنامون وترتاحون من تعب وعناء النهار في طلب المعيشة {أَفَلَا تُبْصِرُونَ} أفلا تبصرون الحقيقة بأن الله تعالى هو الخالق وهو المعبود لا شريك له أفلا تتعظون وتنتصحوون بذلك {وَمِنْ رَحْمَتِهِ} ومن فضل الله تعالى عليكم



ورحمته لكم وتخفيفه عنكم { جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } جعل لكم الليل والنهار يتعاقبان ويخلف بعضهما الآخر دائمين وجعل الليل لتسكنوا وتناموا فيه وترتاحوا من عناء وتعب المعيشة في اليوم السابق له وجعل النهار لتبتغوا من فضل الله تعالى لطلب الرزق والمعيشة وقضاء الحاجات { وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } وعساكم تشكرون الله تعالى على فضله ونعمه وعلى معاقبة الليل والنهار دائمين رحمة بكم وشفقة بكم { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ } ويوم القيامة ينادي الله تعالى الكفار { فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي } أين الذين أشركتموهم معي في الألوهية والربوبية والعبادة { الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } الذين كنتم تدعون أنهم آلهة من الأصنام والأوثان { وَنَزَعْنَا } وأخرج الله تعالى { مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ } من كل أمة من الأمم ومن كل قوم من الأقوام { شَهِيدًا } أي رسولا يشهد عليهم بأنه بلغهم الرسالة { فَقُلْنَا } فقال الله تعالى لأقوام الرسل وأمهم { هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ } آتوني حجتكم ودليلكم على من أشركتموهم معي في الألوهية والربوبية والعبودية بأنهم آلهة { فَعَلِمُوا } فعلم الكفار الحقيقة { أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ } أن الحق هو الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه لا إله غيره ولا معبود سواه وأنه الحق { وَضَلَّ عَنْهُمْ } وذهب عنهم وتاه { مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } ما كانوا يكذبون ويختلقون.

﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن ۖ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۗ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُمْ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيَكَافُ لَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ۖ نَجَعْنَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تَجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

{ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ } إن قارون كان من قوم موسى عليه السلام من بني إسرائيل وهو ابن عم موسى - وفي نزهة المجالس أنه كان زوج أخته. قال إبراهيم النخعي وعبد الله بن الحارث بن نوفل وسماك بن حرب وقتادة ومالك ابن

دينار وابن جريج وغيرهم أنه كان ابن عم موسى عليه السلام قال ابن جريج هو قارون بن يعمر بن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث. [ابن كثير ج ٣ ص ٣٩٨].

{فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ} فتجبر وتكبر وظلم قومه {وَأَتَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ} وأعطاه الله تعالى من كنوز الأموال والذهب {مَاَ إِنَّ مَفَاتِحَهُ} وإن جملة مفاتيح خزائن كنوزه {لَتُنَوَّأُ} لتثقل لكثرتها {بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ} لتثقل كاهل الجماعة الأقوياء من حملها من كثرتها وقيل أن عدد حملة المفاتيح أربعون رجلاً {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ} حيث قال له قومه من بني إسرائيل {لَا تَفْرَحْ} لا تفرح بالتفاخر والتباهي والتعالي والكبر والعظمة على الناس {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ} إن الله تعالى لا يحب ويكره ويبغض {الْفَرِحِينَ} المتفاخرين والمتبخترين والمتعاليين والمتباهين بكثرة أموالهم {وَأَبْتَغِ} واطلب {فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ} فيما أعطاك الله من المال {الدَّارَ الْآخِرَةَ} طلب الآخرة وثوابها بالصدقات والزكاة وأعمال الخير والإنفاق منه في سبيل الله تعالى وعلى المحتاجين {وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} ولا تبخل على نفسك وكل واشرب والبس في غير مخيلة {وَأَحْسِنِ} وتصدق {كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} كما تفضل الله تعالى عليك وأعطاك وتصدق عليك بهذه الأموال والكنوز الكثيرة {وَلَا تَبْغِ} ولا تطلب بهذه الأموال والكنوز {الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ} الظلم والبغي وانتهاك الأعراض وغير ذلك من الفساد {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} إن الله تعالى لا يحب ويكره ويبغض الباغين والظالمين والمفسدين في الأرض بغير حق {قَالَ} رد عليهم قارون أي على قومه وقال {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ} بل أوتيت وأعطيت هذا المال وهذه الكنوز {عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي} أي بعلمي واجتهادي وخبرتي. وذلك أن الله تعالى لما

أهلك فرعون أمر موسى أن يكتب التوراة في ألواح الذهب فقال يا رب وأين الذهب فأرسل الله إليه جبريل فعلمه الكيمياء فعلم موسى أخته زوجة قارون ثلثاً ويوشع ثلثاً وطالوت ثلثاً فتعلم قارون من زوجته ولم يزل يتضرع إلى موسى حتى علمه الجميع. [نزهة المجالس ص ٤٩٧]. {أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِءَ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا} فلما تكبر قارون وامتنع عن دفع زكاة أمواله بأمر موسى عليه السلام وعصى موسى رسوله وقال إنما أوتيته على علم عندي وبعلمي الخاص وبذكائي أولم يعلم ويدري بتكبره وبغيه وجحوده وعناده وكفره بأن الله تعالى قد أهلك ودمر قبله وقبل أن يولد من القرون السابقة قوماً هم أشد من قارون وأكبر وأعظم قوة في جسمه وبدنه وأكثر جمعاً للأموال مثل النمرود ملك العراق ومثل فرعون ملك مصر الذي قال أنا ربكم الأعلى {وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} ولا يُسأل أصحاب الذنوب من المذنبين والعاصين والجاحدين والمنكرين والمكذبين لرسولهم عن ذنوبهم لوجود الشهود من الملائكة الكرام الكاتبين كما قال تعالى: " وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف. ولشهادة جوارحهم عليهم كما قال تعالى: " الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ٦٥ يس. كما تشهد عليهم جلودهم كما قال تبارك وتعالى: " وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ " ٢١ فصلت. أما ما ورد من أنهم يُسألون كما في قوله تعالى: " فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ " ٩٢ الحجر. فالسؤال هنا للتوبيخ والتقريع والعذاب والمحاسبة لا للاستفسار والاستعلام {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ} فخرج ذات يوم قارون على قومه من بني إسرائيل

{ فِي زِينَتِهِ } في بهجته وزينته وهيبته في خدمه وحشمه وأمواله متفاخراً ومتكبراً بجاهه وبأمواله وملابسه الفاخرة من الحرير والديباج { قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } قال بعض قومه ممن يحبون الزينة والتفاخر والجاه والأموال ولا يريدون إلا الدنيا وزخرفها وملذاتها ومتاعها { يَلْبِغْتَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ } تمنوا لو أن لهم من الأموال والكنوز مثل قارون { إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } وقالوا إن قارون ذو حظ سعيد وكبير بهذه الأموال والكنوز { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } وقال العلماء العارفون بالله وبزوال الدنيا ونعيمها وبقاء الآخرة وثوابها { وَيَلْعَلْكُمْ خِيبتكم والويل لكم من عذاب الله تعالى { ثَوَابُ اللَّهِ حَيْرٌ } ثواب الله على الطاعات وعطاؤه أفضل من هذه الأموال الزائلة في الدنيا { لِمَنْ ءَامَنَ } لمن صدق وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { وَعَمِلَ صَالِحًا } وعمل في الدنيا عملاً صالحاً وطيباً في مرضاة الله تعالى وعبادته وطاعته { وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ } ولا ينال هذه المرتبة وهذه المنزلة وهذه الدرجة يوم القيامة إلا الصابرون على طاعة الله تعالى والصابرون والمجالدون أنفسهم عن معصية الله تعالى { فَخَسَفْنَا بِهِءٍ وَبِدَارِهِ } فخسف الله تعالى بقارون وبداره وما تحوي من كنوز وأموال ومتاع { الْأَرْضُ } أي غارت جميعها داخل الأرض { فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ } فلم يجد له طائفة ولا حزب ولا جماعة { يَنْصُرُونَهُ } ينقذونه من خسف الأرض به وابتلاعه هو وأمواله وكنوزه { مِنْ دُونِ اللَّهِ } غير الله تعالى ينصره وينقذه من الخسف { وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ } ولم يكن ليُنصر ويُنقذ أبداً. ثبت في الصحيح عند البخاري من حديث الزهري عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(بينما رجل يجر إزاره إذ حُسِفَ به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة). [ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه - ابن كثير ج ٣ ص ٤٠٠]. {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ} وغدا الذين تمنوا الدنيا والغنى والأموال والكنوز مثل قارون بالأمس {يَقُولُونَ} يقولون اليوم {وَيَكْفُرُونَ} يا ويلنا كأن الله تعالى {يَبْسُطُ الرِّزْقَ} يعطي الرزق {لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} لمن يريد من عباده {وَيَقْدِرُ} ويمنعه ممن يريد {لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} لولا أن تفضل الله علينا ومنعنا من الغنى مثل قارون {لَخَسَفَ بِنَا} لخسف بنا الأرض وغارت بنا وبأموالنا مثل قارون {وَيَكْفُرُونَ} وكلمة (وي) كلمة تقال للتعجب أي يا ويلنا كأنه حقاً {لَا يُفْلِحُ} لا يفوز ولا ينجح {الْكَافِرُونَ} الجاحدون والمكذبون والمنكرون لله ولرسوله {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ} فإن الدار الآخرة {نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ} نجعل الآخرة يوم القيامة وهي الجنة ونعيمها يجعلها الله تعالى فقط للذين لا يتكبرون ولا يتعالون على خلق الله تعالى. قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد ابن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال: ذكر الكبر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدد فيه فقال: (إن الله لا يحب كل مختال فخور) فقال رجل من القوم والله يا رسول الله إنني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ويعجبني شراك نعلي وعلاقة سوطي فقال: (ليس ذلك الكبر إنما الكبر أن تسفه الحق وتغتمت الناس). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٦]. {وَلَا فَسَادًا} ولا ظلماً ولا بغياً ولا انتهاكاً للأموال والأعراض ولا فساداً في دينهم {وَالْعِيقَبَةُ}

والخاتمة والنهاية الحسنة {لِلْمُتَّقِينَ} للطائعين لله تعالى والعابدين له والخائفين من انتهاك حدوده وارتكاب معاصيه وهؤلاء لهم الجنة يوم القيامة {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ} من عمل الحسنة وجاء بها يوم القيامة وهي الطاعة وأعمال الخير وعبادة الله تعالى وحده {فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} فله يوم القيامة أفضل ثواباً من هذه الحسنة وهي دخول الجنة ودوام نعيمها {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ} ومن أتى يوم القيامة بالمعصية {فَلَا تُجْزَى} فلا يحاسب ولا يعاقب {الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فلا يحاسب أهل المعاصي إلا على قدر ذنوبهم وما عملوا في الدنيا.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِأَهْدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۗ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۗ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۗ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ} إن الذي أنزل عليك يا محمد يا رسول الله القرآن وأوجبه وافترضه عليك {لَرَادُّكَ} لمرجعك ومعيدك {إِلَىٰ مَعَادٍ} إلى ميعاد يوم القيامة وباعثك ومحبيك يوم القيامة وفي الدنيا رادك إلى مكة وهي بشارة برجوعه صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحاً كما قال البخاري في التفسير من صحيحه: حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا يعلى حدثنا سفيان العصفري عن عكرمة عن ابن عباس: " لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ " قال: إلى مكة. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٠٢]. وإن

من فوائد هذه الآية قيل أن من خرج من منزله وقرأ هذه الآية لابد أن يرجع إلى منزله ومن قصر أجله لا يوفقه الله تعالى لقراءتها وكذلك لمن أراد أن يستيقظ من الليل في أي ساعة أراد وقرأها يوقظ بإذن الله تعالى {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله لكفار قريش {رَبِّي} ربي وخالقي وإلهي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِأَهْدَى} فهو أعلم ويدري ويعرف ويحيط علماً بمن جاء بدين الإسلام وهدى الناس {وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ} ومن الذي هو في غي وضلال وبعد عن الحق {مُبِينٍ} عظيم {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو} وما كنت يا محمد يا رسول الله تأمل {أَنْ يُلْقَى} أن يُنزل {إِلَيْكَ الْكِتَابُ} عليك الكتاب وهو القرآن الكريم {إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} ولكنه نزل رحمة للعباد يرحم بها ربك وخالقك وإلهك الله تعالى الناس على يدك {فَلَا تَكُونَنَّ} فلا تكن يا محمد يا رسول الله {ظَهِيْرًا} مساعداً ومعيناً ومؤيداً {لِّلْكَافِرِينَ} للجاحدين والمنكرين والمكذبين لرسول الله تعالى {وَلَا يَصُدُّنَكَ} ولا يمنعونك {عَنْ آيَاتِ اللَّهِ} عن الحكم بآيات القرآن الكريم فهي آيات نزلت بأمر الله تعالى وبحكمه وإرادته {بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ} ولا يثنوك عن العمل بآيات الله وهي آيات القرآن والأمر والقضاء والحكم بها بين الناس والتبليغ بها للناس بعد أن أنزلها الله إليك بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ} وادع يا محمد وبلغ الرسالة يا رسول الله إلى عبادة ربك الله تعالى وحده لا شريك له {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ولا تكن ممن يشركون أحداً مع الله تعالى في عبادته {وَلَا تَدْعُ} ولا تعبد {مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} مع الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فلا تشرك به إلهاً آخر غيره من الأصنام والأوثان والأنداد



{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا يوجد إله إلا هو الله وحده لا شريك له {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ} كل شيء فيه حياة فان وميت {إِلَّا وَجْهَهُ} إلا ذاته وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَهُ الْحُكْمُ} له الحكم والقضاء والأمر في الدنيا وفي الآخرة {وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وإلى الله تعالى يوم القيامة تبعثون أحياءً من قبوركم وتأتون إليه في المحشر يوم القيامة للجزاء والحساب والعقاب ومن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ <sup>ط</sup> فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴿

{الْم} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ الْقُرْآنِ من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسم لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢٠١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢٠١ لقمان. وعليه فإن معنى (الْم) هو قوله تعالى: " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَنْطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " ١٦ التغابن. والله أعلم. مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {أَحْسَبَ النَّاسُ} هل ظن الناس {أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا} أن لا يفتنوا عندما يقولون بألسنتهم فقط قد آمننا وصدقنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} وهم لا يمتحنون في دينهم وعقيدتهم بالحرب والجهاد والخوف والاعتداء عليهم في دينهم وعقيدتهم ونقص لهم في الثمرات بالقحط والجذب وقلة الأمطار وفي الأنفس بالحرب والأسر والموت {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} ولقد امتحن الله تعالى الأمم السابقة من قبلهم وامتحن المؤمنين بالمصائب والبلاء والفتن في دينهم وعقيدتهم {فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} وذلك حتى يعلم الله تعالى علم إظهار وإثبات وليس علم استبيان وليثبت علمه الأزلي بعلم الواقع الذي

يتصرف فيه الناس وخاصة المؤمنون منهم ويعلم من صدق في إيمانه وفي عقيدته وقد ثبت على دين الله تعالى ولم تغيره الفتن ولا المصائب ولا البلاء ولا الفتنة في دينه ويعلم الله من ارتد وكذب ونافق وترك الإسلام والإيمان خلف ظهره طمعاً في لذة أو قضاء شهوة أو مقابل رشوة أو مال يسير أو لأي سبب من الأسباب طمعاً في الدنيا وعيشتها وملذاتها ومحرماتها {أَمْ حَسِبَ} أو هل يظن {الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} الذين يعملون المعاصي والذنوب من الكفار والمنافقين {أَنْ يَسْبِقُونَا} أن يهربوا ويفلتوا من سخط الله تعالى ومن عذابه وينجوا دون عقاب ولا عذاب {سَاءَ} أخطأ وقبح {مَا تَحْكُمُونَ} ما يفكرون وما جاء في تفكيرهم وظنهم وحكمهم على ذلك بأنهم سيفلتون من عذاب الله تعالى يوم القيامة.

﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾

{ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ } من كان يأمل ويتمنى ملاقة الله تعالى يوم القيامة ويرجو ثوابه ودخول الجنة { فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ } فإن موعد الله بالبعث والقيامة والمحشر والحساب والثواب { لَآتٍ } سيأتي لا ريب فيه ولا كذب { وَهُوَ } وهو الله تعالى { السَّمِيعُ } الذي يسمع القول من الناس ويسمع خفقات قلوبهم { الْعَلِيمُ } فهو يعلم بكم أيها الناس والخلق جميعاً وبأعمالكم وبأحوالكم وبكل شيء في السماوات وفي الأرض { وَمَنْ جَاهَدَ } ومن قاوم شهوات نفسه وجاهدها وجاهد الشيطان ووسوسته وجاهد وحارب وقاوم الأعداء في الدين وعن الوطن وفي سبيل الله { فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ } فإنما جهاده يرجع ثوابه على نفسه فإن جاهد وقاوم

نفسه فإنه ينقذها من الشرور والغرور والمعاصي وينجو بنفسه من عذاب الله تعالى كما قال تعالى: " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا " ٤٦ فصلت. {إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} إن الله غني ولا يحتاج إلى معونة أحد من العالمين ومن جميع الخلق. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٢٤]. {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} والذين صدقوا وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحات من أعمال البر والخير وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأطاعوه {لَنُكَفِّرَنَّ} لنمحوهم {عَنَّهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} عنهم ذنوبهم {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ} ولنكافئهم ولنثيبهم {أَحْسَنَ} أفضل {الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما كانوا يعملون من الطاعات لأن الحسنه بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويضاعف الله الثواب لمن يشاء.

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ} ووصى الله تعالى ونصح الإنسان من بني آدم {بِوَالِدَيْهِ} بأبيه وأبيه {حُسْنًا} أي خيراً ومعاملة حسنة وبراً بهما وكما قال تعالى: " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا " ٢٣ الإسراء. وقال تبارك وتعالى: " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ " ١٤ لقمان. وهذا لما قاما به نحوك في الصغر يسهرون إذا سهرت ويألمون إذا مرضت. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لعنة الوالدين تبتز أي تقطع أصل ولدهما إذا عقمها فمن أرضى والديه فقد أرضى خالقه ومن أسخط والديه فقد أسخط خالقه ومن أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما فدخل النار فأبعده الله). [تنبيه الغافلين ص ٤٥]. {وَإِنْ جَاهَدَاكَ} وإن أمراك وقاوماك وأرغماك {لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} فإن حاولا أن تشرك وتكفر معهما بما ليس لك به علم وبما لا تعلم بأن الله تعالى له شريك أو ند من الأصنام والأوثان أو غيرهم من الشركاء وما لم ينزل به الله تعالى سلطاناً بل يتبعون الظن في الشرك {فَلَا تُطِعْهُمَا} فلا تطعهما ولا توافقهما في طلبهما وفي أمرهما لك بالإشراك بالله تعالى وكما جاء في الحديث: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) {إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ} إلى الله تعالى مصيركم ومرجعكم يوم القيامة {فَأُنَبِّئُكُم} فيخبركم الله تعالى {بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} بما كنتم تعملون في الدنيا من الخير أو الشر

{وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} والمؤمنون الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره وحلوه ومره {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحات من العبادات والطاعات والبر والخير في مرضاة الله تعالى {لَنُدْخِلَنَّهُمْ} لنجعلنهم يوم القيامة {فِي الصَّالِحِينَ} مع الصالحين والأولياء وفيمن صلحت أعمالهم في الدنيا في مرضاة الله تعالى وفي الآخرة هم أصحاب الجنة لصلاحهم وصلاح أعمالهم.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ؕ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ ﴿١٢﴾ خَطِيئَتُهُمْ مِّن شَيْءٍ ؕ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴿١٤﴾ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ} وبعض الناس ضعفاء الإيمان من يقول بلسانه آمنا وصدقنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى {فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ} فإذا حصل له بعض الأذى في عبادة الله تعالى من حاكم ظالم أو سلطان جائر أو مسؤول عاص ومنعه مثلاً من أداء صلاة الفريضة في أوقاتها جماعة أو غير ذلك أو آذاه أو أراد طرده لأنه يؤدي فريضة الصوم ولأن هذا يضعف العمل أو يقلله أو أي سبب آخر يمس دينه وعقيدته وعبادته بأي أذى من الناس {جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ} جعل ظلم الناس له وسوء معاملتهم له بإجباره على ترك فريضة أداء الصلاة في أوقاتها أو ترك فريضة الصيام حتى لا يؤثر على عمله

فخوفاً من الناس أن يمنعوا أو يقطعوا رزقه من وظيفته أو عمله جعل أذى الناس والمسؤولين عنه وعذابهم ذلك له {كَعَذَابِ اللَّهِ} مثل عذاب الله تعالى يوم القيامة في جهنم أو أشد. قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُوا أَيَدِيكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً " ٧٧ النساء. وقال تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ " ١١ الحج. {وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ} ولئن نصر الله تعالى المؤمنين بإذن ربك وبفضل ربك يا محمد يا رسول الله على الكفار والمنافقين {لَيَقُولُنَّ} ليقول المنافقون والكاذبون والمدعون الإيمان الذين همهم الغنيمة والمربح حتى ينالوا منصباً أو عزاً أو جاهاً أو مالاً أو غنيمَةً {إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} إنا كنا معكم مؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وذلك كذباً ونفاقاً وكما قال تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ " ٨ البقرة. {أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} أولم يكن الله تعالى يعلم ويحيط علماً بما في قلوب جميع الخلق وما تخفي صدورهم وتكن قلوبهم من الكذب والنفاق {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} ولسوف يعلم الله تعالى علم إظهار وإثبات وليس علم استبيان ولسوف يُثبت علمه الأزلي بعلم الواقع بعمل الناس حتى يكون حجة لمن آمن به وصدق وحجة على المنافقين وكما قال سبحانه وتعالى: " وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " ٣ العنكبوت. {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} وقال الكفار للمؤمنين {اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا} اتبعوا طريقنا في اللهو واللعب والكفر والمعاصي



والذنوب {وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ} ونحمل عنكم خطاياكم يوم القيامة وذنوبكم وكما يقولون (الخطية في رقبتني) وهذا كإغراء إبليس لآدم عليه السلام في الجنة كما قال تعالى: " وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ {٢١} فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ " ٢٢، ٢١ الأعراف. {وَمَا هُمْ بِحَكَمِيلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} وفي الحقيقة هم لن يُسْقِطُوا عنهم من عذاب أوزارهم ومعاصيهم وخطاياهم شيئاً بل يكذبون عليهم ويضحكون عليهم حتى يضلّوهم ويشركوهم معهم في الذنب وفي خطاياهم ومعاصيهم {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَاهُمْ} وسيحملون أوزارهم وذنوب أنفسهم يوم القيامة {وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ} وذنوب وأوزار من أضلوهم معهم وأغروهم وفتنوهم بالضلال والكفر والشرك. وفي الصحيح: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٠٦]. وفي الصحيح من غير هذا الوجه: (إن الرجل ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال وقد ظلم هذا وأخذ مال هذا وأخذ من عرض هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا لم تبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٠٦]. {وَلَيَسْئَلُنَّ} وسوف يسألون سؤال توبيخ واستنكار وليس سؤال علم هل فعل ذلك أم لا {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} في المحشر يوم القيامة عند الحساب {عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} عما كانوا يختلقون ويكذبون في إضلال الناس وإغوائهم وتحريضهم على الشرك والكفر والمعاصي والذنوب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ  
الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً  
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ} ولقد أرسل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه نوحاً عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً إلى قومه {فَلَبِثَ فِيهِمْ} فمكث فيهم يهديهم {أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا} وهو تسعمائة وخمسون عاماً وهو يهديهم إلى طاعة الله تعالى وأن لا يشركوا به شيئاً فأعرضوا عنه ولم يصدقوه وكذبوه. قال القرطبي في تفسيره: وروي من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما بعث الله نوحاً إلى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومائتي سنة فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وبقي بعد الطوفان خمسين ومائتي سنة فلما أتاه ملك الموت قال يا نوح يا أكبر الأنبياء ويا طويل العمر ويا مجاب الدعوة كيف رأيت الدنيا قال مثل رجل بُني له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر). وهذا لا يتعارض مع ما روي من أنه ما بعث نبي إلا بعد الأربعين وقيل إلا على رأس الأربعين فهذا إن صح فهو حكم عام وهناك استثناء لكل حكم والنادر ليس له حكم ومن هذا النادر عيسى عليه السلام أرسل منذ ولادته ونوح أرسل وهو ابن خمسين ومائتين كما جاء في هذه الرواية {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ} فأغرقهم الله تعالى بالطوفان وهو أن السماء أمطرت عليهم ماءً والأرض تفجرت عليهم ينابيع {وَهُمْ ظَالِمُونَ} وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك والكفر والمعاصي كما قال تعالى: "وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ" ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ١٣ لقمان. {فَأَنْجَيْنَاهُ} فأنجى الله تعالى نوحاً عليه السلام في السفينة من الغرق من

الطوفان {وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} ومن آمن معه وركب السفينة معه أنجاهم الله تعالى من الغرق {وَجَعَلْنَاهَا} وجعل الله معجزة الطوفان والغرق للكفار ونجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه وركب السفينة {ءآيَةً} معجزة وعبرة وعظة {لِّلْعَالَمِينَ} لجميع العالم وجميع الأمم بعدهم. وكان نوح عليه السلام اسمه شاكراً وإنما سمي نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله تعالى وكان أول من أمر بنسخ الأحكام وأمر بالشرائع وكان من قبله نكاح الأخت مباحاً وحرم ذلك على عهده فكذبه قومه فأرسل الله عليهم الطوفان فغرقت الدنيا كلها إلا من كان معه في السفينة وكان معه في السفينة أربعون رجلاً وأربعون امرأة فلما خرجوا من السفينة ماتوا كلهم إلا أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم كما قال الله تعالى: " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ " ٧٧ الصافات. فتوالدوا حتى كثروا فالعرب والفرس والروم كلهم من ولد سام والحبش والسند والهند كلهم من ولد حام ويأجوج ومأجوج والصقالبة والترك كلهم من ولد يافث. [بستان العارفين للسمرقندي ص ٦٦].

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٩﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٢﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٧٣﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۗ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِغَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾

{وإبراهيم} وإبراهيم عليه السلام ابن آزر {إذ قال لقومه أعبدوا الله} قال الخليل إبراهيم عليه السلام لقومه أهل العراق قوم النمرود ملك العراق وهم قومه قال لهم اعبدوا الله وحده لا شريك له وأدوا له الطاعات والأعمال الصالحة {واتقوه} وخافوه واجتنبوا نواهيته ولا تتعدوا حدوده {ذالكم خير لكم} ذلك أفضل وأحسن لكم {إن كنتم تعلمون} إن كنتم تعلمون أن النجاة يوم القيامة في مرضاة الله تعالى وفي طاعته {إنما تعبدون من دون الله} إنما تعبدون أنتم غير الله تعالى {أوثاناً} أصناماً {وتخلقون} وتعملون بصناعتكم التماثيل التي تصنعونها بأيديكم {إفكاً} ذنباً ومعصيةً واختلاقاً وكذباً {إن الذين تعبدون من دون الله} إن الذين تعبدون غير الله من الأصنام والأوثان والأنداد

{ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا } لا يستطيعون أن يهبوا لكم رزقاً ولا طعاماً ولا شراباً ولا كساءً لأنهم أصنام لا تتحرك فهي مجرد تماثيل تصنعونها من الحجارة بأيديكم { فَابْتَغُوا } فاطلبوا { عِنْدَ اللَّهِ } من عند الله تعالى { الرِّزْقَ } الرزق الحلال والطعام الحلال { وَأَعْبُدُوهُ } واعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له { وَأَشْكُرُوا لَهُ } واشكروا لله تعالى وحده على كل خير ونعمة وهبها لكم من الرزق والصحة والعافية والمال والولد { إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } وإلى الله تعالى يوم القيامة تحيون وتبعثون من قبوركم أحياءً إلى المحشر للحساب والثواب من قِبَلِ اللَّهِ تعالى { وَإِنْ تَكْذِبُوا } وإن تجحدوا وتكذبوا وتنكروا { فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ } فقد كذب وجدد وأنكر أمم ممن سبقكم لرسولهم الذين أرسلهم الله تعالى لهم { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَ } وليس لكم على الرسول من حق إلا البلاغ للرسالة لكم التي أرسلها الله وكلفه بها لكم { الْمُبِينُ } الواضح والبين والذي لا لبس فيه { أَوْلَم يَرَوْا } أولم ينظروا ويشاهدوا { كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ } كيف يبدأ خلق المخلوقات بالولادة ثم تبدأ الأطوار طفل ثم شاب ثم كهل ثم شيخ ثم يعيده إلى أرذل العمر حتى لا يعلم من بعد علم شيئاً كما قال تعالى: " وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا " ٧٠ النحل. وكذلك يوم القيامة يعيده من جديد بالبعث والحشر والحساب { إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ } إن البداية في بدء الخلق والكون وإحياءه من جديد يوم القيامة هو { يَسِيرٌ } سهل { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ } قل لهم يا محمد يا رسول الله أيها الناس يا من لم تصدقوا سيحوا في الأرض وانتشروا { فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ } كيف بدأ خلق الخلق من بداية المني ثم

الجنين ثم طفل بعد الولادة وهكذا حتى يصبح شيخاً {ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ  
الْآخِرَةَ} ثم يبدأ الله تعالى يوم القيامة بخلق وإحياء الأجساد للناس وللخلق من  
جديد وهي الحياة الآخرة ولا موت بعد ذلك بعد إحيائهم يوم القيامة لأنه يكون  
الخلود إما في الجنة وإما في النار وكما قال تعالى: " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ  
أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " ٢٨ البقرة. {إِنَّ اللَّهَ} إن  
الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} على كل  
شيء قادر سواء بالخلق أو الموت أو البعث أو أي شيء يريد في كونه فإن أمره إذا  
أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون {يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ} يعاقب من يشاء {وَيَرْحَمُ مَن  
يَشَاءُ} وينجي من عذابه وعقابه من يريد {وَالِيَهُ تُقَلَّبُونَ} وإليه ترجعون يوم  
القيامة للحساب {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} ولن تستطيعوا أن تفروا من قدر الله  
تعالى {فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} سواء كنتم في الأرض أو في السماء {وَمَا لَكُمْ  
مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ} وليس لكم غير الله تعالى من يتولى أمركم ويتولاكم بالعناية  
والرعاية والحفظ {وَلَا نَصِيرٍ} ولا أحد ينصركم على أعدائكم غير الله تعالى سواءً  
كنتم في الأرض بين الجبال وفي الكهوف والمغارات أو في السماء في الأقمار الصناعية  
في القمر أو المريخ أو الكواكب الأخرى فأمر الله ينفذ عليكم {وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
بِعَايَةِ اللَّهِ} والذين جحدوا وأنكروا ولم يصدقوا بآيات الله تعالى وبالقرآن الكريم  
وببيناته ودلائله وحججه ومعجزاته {وَلِقَائِهِ} وكذبوا بقاء الله تعالى يوم القيامة  
بالبعث والمحشر والحساب {أُولَئِكَ يَئِسُوا} هؤلاء قنطوا وفقدوا الأمل {مِن  
رَّحْمَتِي} من رحمة الله تعالى ونجاتهم يوم القيامة من عقابه ومن عذابه بكفرهم

وعنادهم {وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وهؤلاء من جحدوا وكفروا وأنكروا وكذبوا بالقرآن الكريم وآياته وباللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لهم عذاب شديد يوم القيامة في نار جهنم.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَنُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَأَمَّنْ لَهُ رُوحٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ} فما كان رد قومه وهم قوم إبراهيم عليه السلام وهم أهل العراق وملكهم النمرود بعد أن فشلوا في إقامة الحجج والبراهين مثل إبراهيم عليه السلام فأرادوا قهره بالقوة والتغلب عليه بالسطوة والجبروت {إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} إلا أن قالوا إما أن تقتلوه على جرمه بعبادة الله تعالى وعدم عبادته للأصنام أو أشعلوا ناراً وأحرقوه فيها وقد أجمعوا أكثرهم على حرقه في النار فأوقدوا له النيران العظيمة حتى قيل أنه كان كل رجل أو امرأة تنذر نذراً يندرون أنهم إذا أتمت الآلهة لهم أمرهم سيأتون بالحطب لتحرق إبراهيم حتى أن النار التي أضمرت كانت تسقط الطير من عنان السماء إذا مرّ فوقها من شدة وعظمة لهيبها وحرها {فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ} فأنقذه الله تعالى ونجاه من حرق النار له بأن سلب خاصية الحرق منها معجزة لإبراهيم عليه السلام وقال لها الله تعالى:

” يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ” {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} إن في تلك المعجزة التي جعلها الله تعالى للنار لا تحرق جسد إبراهيم عليه السلام هي عبر وعظات للمؤمنين حتى يعلموا أنه لا إله ولا معبود غير الله تعالى فهو وحده لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة والطاعة {وَقَالَ} وقال إبراهيم عليه السلام {إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا} إنما عبدتم غير الله تعالى أصناماً تعبدونها {مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} لتجلبوا بها مودة وصدقة بعضكم لبعض بعبادتها في الدنيا {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ} ثم في يوم القيامة عند الحساب في المحشر أمام الله تعالى يكذب بعضكم بعضاً ويتبرأ بعضكم من بعض {وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا} ويسب ويشتم ويسخط بعضكم على بعض لإغوائهم وضلالهم ولسوء مصيرهم بعبادتهم غير الله تعالى {وَمَا أَوْلَاكُمْ أَلْنَا} ومصيركم ونهايتكم جميعاً أيها الكفار إلى نار جهنم عذاباً وعقاباً على كفركم وشرككم وعبادتكم الأصنام والأوثان من دون الله تعالى {وَمَا لَكُمْ مِّن نَّصِيرِينَ} وليس لكم أيها الكفار من منجد ولا ناصر ولا منقذ من عذاب الله تعالى يوم القيامة غير الله تعالى {فَقَامَنَ لَهُ لُوطٌ} فآمن معه لوط عليه السلام آمن مع إبراهيم عليه السلام وصدق رسالته {وَقَالَ} وقال إبراهيم عليه السلام عندما كذبه قومه أهل العراق وملكهم النمرود {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي} إني مهاجر وتارك وطني العراق وقومي هناك إلى الشام إلى فلسطين عبادةً وطاعةً لربي الله تعالى فلا معبود ولا إله غيره {إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو العزيز في ملكه والقوي في سلطانه {الْحَكِيمُ} والحكيم في أمره وحكمه وخلقته



{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} ووهب الله تعالى له بعد هجرته من العراق من بنت عمه التي تزوجها وهي سارة أخت لوط عليه السلام التي آمنت معه ومع أخيها لوط عليه السلام وهب له منها إسحاق عليه السلام وأنجب إسحاق ابنه يعقوب عليه السلام وهو الذي يسمى إسرائيل أي عبد الله في لغتهم {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} جعل الله تعالى في ذرية إبراهيم عليه السلام وفي نسله أنبياء الله ورسله وأنزل عليهم الكتب السماوية ومنهم على سبيل المثال يوسف عليه السلام وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وجميعاً هم أنبياء ورسل الله تعالى من بني إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام جميعاً {وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ} وأعطاه الله تعالى ثواب طاعته وعبادته لله تعالى وهو إبراهيم عليه السلام {فِي الدُّنْيَا} أي الحياة الدنيا مكافأة له وهي الذرية الصالحة من الأنبياء والرسل {وَأِنَّهُ فِي الآخِرَةِ} وإن إبراهيم عليه السلام يوم القيامة {لَمِنَ الصَّالِحِينَ} سيكون مع الصالحين في جنة الفردوس الأعلى مكافأة وثواباً له على طاعته لله تعالى.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانَوْا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

{وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ} ولوط عليه السلام قال لقومه سكان سدوم وهم بغور الأردن متاخمة لجبال بيت المقدس بينها وبين الكرك والشوبك بالأردن وهم المؤتفكات ويسكنون مدائن وما تسمى قرية لوط {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ} قال لهم يا قومي إنكم تأتون فاحشة المنكر {مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ} لم يسبقكم بعملها أحد من الأمم السابقة {مِّنَ الْعَالَمِينَ} من جميع عالم أولاد بني آدم ممن سبقكم {أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ} إنكم تأتون الرجال بالرجال في الأدبار دون النساء {وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} وتقطعون الطريق على المارة للنهب والسلب والاختصاب والفاحشة {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ} وتعملون في مكان اجتماعكم وهو ديوان القوم وهو المكان الذي يجتمعون فيه في مناسباتهم المختلفة ويتسامرون فيه {الْمُنْكَرَ} وتعملون فيه المنكر وهو الفاحشة وإتيان الذكور الرجال بالرجال في الأدبار {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ} فما كان رد قوم لوط على لوط عليه السلام {إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ} قالوا رداً على لوط استعجل يا لوط وأنزل علينا عذاب الله تعالى

الذي تعدنا به {إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ} إن كنت صادقاً في نبوتك ورسالتك وأنت حقاً وصدقاً من الرسل والصادقين في قولك هذا {قَالَ} قال لوط عليه السلام {رَبِّ} ربي وإلهي وخالقي يا الله {أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} انصرنني وأيدني بنصرك على قومي وهم قوم مفسدون في الأرض ومخربون وعابثون وظالمون بقطع الطريق والفاحشة {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ} ولما حضرت الملائكة وهم رسل الله تعالى وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل {بِالْبُشْرَى} وهي بشرى إهلاك قوم لوط عليه السلام (ونجاة لوط عليه السلام) لأنهم يعملون الفاحشة وهي أن تأتي الرجال الذكور في الأدبار للرجال {قَالُوا} قالت الملائكة رسل الله تعالى إلى إبراهيم الخليل عليه السلام {إِنَّا} إنا معشر الملائكة رسل الله تعالى {مُهْلِكُوا} مُدْمَرُوا {أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} قوم وسكان هذه القرية وهي سدوم الموجودة بغور الأردن ومتاخمة لجبال بيت المقدس {إِنَّ أَهْلَهَا} إن سكانها {كَانُوا ظٰلِمِيْنَ} كانوا ظالمين لأنفسهم بعمل الفاحشة والمعصية وهي إتيان الذكور للذكور في الأدبار من الرجال {قَالَ} قال إبراهيم عليه السلام {إِنَّ فِيهَا لُوطًا} كيف تدمرونها وفيها نبي الله ورسوله لوط عليه السلام {قَالُوا} قالت الملائكة رسل الله تعالى وفيهم جبريل عليه السلام {نَحْنُ} معشر الملائكة رسل الله تعالى {أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا} نعلم من فيها أكثر منك {لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ} لننقذنه وننجيه هو وذريته وأهل بيته جميعاً {إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ} إلا زوجته وقيل اسمها وعله {كَانَتْ مِنَ الْغٰبِرِيْنَ} كانت من الهالكين في علم الله الأزلي حيث أنها كانت تدل وتخبر قومها عن ضيوف لوط عليه السلام عندما يحضرون إليه ولم تكن أمينة على سره وسر ضيوفه.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

{وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا} ولما حضرت الملائكة وهم رسل الله تعالى إلى لوط عليه السلام في صورة شباب جميلي الصورة ومرد وفي أحسن خلقة من الجمال {سِيءَ بِهِمْ} حزن بسبب قدومهم عليه {وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} وتضايق من حضورهم إليه حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت لشدة خوفه عليهم من قومه أن يفعلوا بهم الفاحشة ويغتصبوهم رغماً عنه {وَقَالُوا} وقال الملائكة وهم رسل الله تعالى وهم من جاؤوه في صورة شباب مرد وفي أحسن خلقة وعلموا بشدة خوفه عليهم من قومه {لَا تَخَفْ} لا تخشى من قومك سوءاً علينا {وَلَا تَحْزَنْ} ولا تنغم بحضورنا إليك {إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ} إنا ملائكة رسل الله تعالى جننا لننقذك وندجيك وأهل بيتك وذريتك جميعاً إلا زوجتك {كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} فهي من الهالكين وهي في علم الله تعالى من الأزل والآن في الحقيقة ستهلك لأنها تخبر قومها عن ضيوفك فهي خائنة وجاسوسة عليك وعلى ضيوفك {إِنَّا} إنا نحن معشر الملائكة رسل الله تعالى إليك {مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} إنا منزلون على أهل هذه القرية قريتك سدوم {رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ} عذاباً من السماء {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} بما كانوا يعصون الله جهرة وهي فاحشة إتيان الرجال للرجال في الأدبار دون النساء وقد اقتلعها جبريل عليه السلام

بجناحه وحملها إلى عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها وأمطرها الله تعالى بالحجارة من سجيل منضود وكل حجر مسجل عليه اسم واحد من أهل القرية {وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً} ولقد جعل الله تعالى من هذه القرية معجزة وبينة واضحة ودلالة تركها للناس {بَيِّنَةً} واضحة المعلم والدلالة {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} لقوم يدركون ويفهمون العظة والعبرة وإنها لا تزال خراباً بدون عمارة حتى الآن عذاباً وعقاباً لهم على معصية الفاحشة.

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٦٧﴾﴾

{وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} وأرسل الله إلى مدين وهي قرية بالأردن قرب معان أرسل إليهم نبيهم ورسولهم شعيباً عليه السلام ومعنى أخاهم أي أنه من قومهم {فَقَالَ} قال شعيب عليه السلام {يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ} نصحهم وأنذرهم وأمرهم بعبادة الله تعالى وهم قومه أهل مدين {وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ} واطلبوا ثواب يوم القيامة لأنها دار خلود إما الجنة وإما النار {وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ} ولا تنتشروا في الأرض {مُفْسِدِينَ} مخربين وعابثين بالقتل والنهب والسرقات وسرقة الميزان في البيع والشراء وغير ذلك من الفساد {فَكَذَّبُوهُ} فكذبوا قوله وكذبوا رسالته {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} فأخذتهم الزلزلة وأهلكتهم {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ} فأصبحوا في قريتهم وفي دورهم {جِثْمِينَ} هالكين صرعى وموتى وجثثاً هامدة لكفرهم وتكذيبهم لنبيهم ورسولهم شعيب عليه السلام.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَينِهِمْ<sup>ط</sup> وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ  
 أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُونَ وَفِرْعَوْنَ  
 وَهَمَانَ<sup>ط</sup> وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا  
 سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ<sup>ط</sup> فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ  
 أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا  
 كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

{وَعَادًا} وهم قوم هود عليه السلام وهم سكان الأحقاف وهي القريفة من  
 حضرموت متاخمة لبلاد اليمن أهلكهم الله تعالى بالريح الصرصر العاتية والشديدة  
 البرودة {وَتَمُودًا} وهم قوم صالح عليه السلام وكانوا يسكنون مدائن الحجر وهي  
 بين المدينة وتبوك عقروا الناقة التي طلبوها معجزة من صالح عليه السلام على أن  
 يخرج لهم ناقة من صخرة ففعل فكذبوه وعقروا الناقة والذي عقرها هو قدار ابن  
 سالف وهو أشقى القوم فأخذتهم الصيحة وزلزلوا وأهلكوا بالصاعقة {وَقَدْ تَبَيَّنَ  
 لَكُمْ} وقد اتضح لكم ما تبقى {مِنْ مَسْكَينِهِمْ} ما بقي من دورهم وبيوتهم  
 الخربة وكيف فعل الله بهم من الهلاك والدمار {وَزَيْنَ} وزخرف وجمّل وحللاً  
 {لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ} وجمّل لهم الشيطان أعمالهم القبيحة من الكفر والشرك  
 والمعاصي والذنوب {فَصَدَّهُمْ} فمنعهم وأبعدهم {عَنِ السَّبِيلِ} عن الطريق  
 المستقيم طريق عبادة الله تعالى وطاعته وحده لا شريك له {وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}  
 وكانوا مُبْصِرِينَ ومُرشِدِينَ ومنصوحين من قبل رسلهم وأنبيائهم ولكنهم أحبوا  
 العمى على الهدى وضلوا وأشركوا وكفروا وجحدوا وأنكروا وكذبوا رسلهم

{وَقَرُونِ} وقارون كان من قوم موسى فبغى على قومه وتكبر وظلم ومنع الزكاة  
 عن أمواله وكنوزه وقال إنما أوتيته على علم عندي ومنع الزكاة لأمواله فخسف الله  
 تعالى به وبداره وكنوزه الأرض {وَفِرْعَوْنَ} وهو ملك مصر وهو الوليد بن مصعب  
 كذب معجزة عصا موسى عليه السلام وأراد قتل موسى ومن هرب معه من بني  
 إسرائيل فأغرقه الله تعالى في البحر هو وجنوده {وَهَامَانَ} وهامان كان وزير  
 فرعون ومشيره وكان ظالماً مثله فأهلكه الله تعالى مع فرعون {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ}  
 ولقد أتاهم موسى عليه السلام {بِالْبَيِّنَاتِ} بالدلائل والحجج والبراهين والمعجزات  
 {فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ} فعلوا وتكبروا وجحدوا وأنكروا وكذبوا رسالة موسى  
 عليه السلام {وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} ولم يكونوا ناجين من عذاب الله تعالى  
 {فَكُلًّا} فكل من فرعون وقارون وهامان {أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ} أخذنا الله تعالى على  
 ذنبه ومعصيته التي عملها وقام بها {فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ} فمن هؤلاء الأقوام  
 من أرسل الله تعالى عليهم {حَاصِبًا} وهو القذف بالحجارة والحجارة من سجيل  
 منضود كقوم لوط عليه السلام {وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ} ومنهم من أخذتهم  
 الصيحة والصاعقة كقوم صالح عليه السلام وقوم هود وقوم شعيب {وَمِنْهُمْ مَّنْ  
 خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ} كقارون خسف الله تعالى به الأرض وغارت به وأخذته هو  
 وأمواله وكنوزه {وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا} وأغرق الله تعالى قوم نوح وفرعون وجنوده  
 {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ} ولم يظلمهم الله تعالى ولم يحف عليهم {وَلَكِنْ  
 كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك كما قال تعالى:

” وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ” ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: ” إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ” ١٣ لقمان.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتَلَّكَ الْأَمثالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

{ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ } مثل وصفة الذين اتخذوا غير الله أولياء يعبدونهم من الأصنام والأوثان والشركاء { كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا } هؤلاء الذين يعبدون الأصنام والأوثان مثلهم كمثل بيت العنكبوت الذي يتخذه العنكبوت بيتاً له ليقية ويحميه من تأثيرات الجو المختلفة { وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ } وإن أضعف البيوت وأقلها متانة { لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ } فبيت العنكبوت هو أضعف البيوت للمخلوقات لأنه يتكون من خيوط رفيعة من لعاب العنكبوت يصنعها بيتاً لنفسه وهي رقيقة وضعيفة جداً وضرب الله ذلك مثلاً لعبادة غيره فهي ضعيفة لا تنفع كما أن بيت العنكبوت لا يحمي العنكبوت لا من شمس ولا مطر ولا حيوانات ولا وحوش لضعفه وهكذا لا تنفع العبادة لمن يتخذها لغير الله تعالى { لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } لو أنهم يعلمون الحقيقة المؤكدة بأن الشركاء لله لا يملكون لهم نفعاً ولا ضراً في عبادتهم فعبادتهم هذه ضعيفة كبيت العنكبوت لا أساس لها ولا كيان ولا حقيقة بل هي زائفة { إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ } إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يعرف { مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ } فالله تعالى يعلم



ويدري ويعرف ويحيط علماً بما يعبدون من غيره من شيء من الأصنام والأوثان والأنداد وهو علام الغيوب {وَهُوَ الْعَزِيزُ} وهو القوي في ملكه وفي سلطانه {الْحَكِيمُ} وهو ذو الحكمة في صنعه وخلقه فأقام العباد فيما أراد {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ} وهذه الأمثال والعبر {نَضْرِبُهَا} نقصها ونقولها ونحكيها {لِلنَّاسِ} للناس حتى يتدبروها ويتعظون بها {وَمَا يَعْقِلُهَا} وما يفهما وما يدركها وما يتعظ ويعتبر بها {إِلَّا الْعَالِمُونَ} إلا العارفون بالله تعالى والعالمون بقدره الله تعالى وعظمته جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهم العلماء العاملون والمتقون وليس علماء القول واللسان لأن إبليس كان عالماً ولكنه لم يكن عالماً عاملاً ولا متقياً ولا ورعاً {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} خلق الله تعالى السماوات السبع والأرضين السبع بالحق وبالجد لا بالهزل ولا لعباً بل بحكمته وبعلمه وبقدرته وبعظمته ليجزي كل نفس بما كسبت يوم القيامة من خير أو شر {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في خلق السموات والأرض بالحق {لَآيَةً} لمعجزة وعظة وعبرة {لِلْمُؤْمِنِينَ} للمصدقين بقدره الله تعالى وبحكمته وبعظمته وللمؤمنين والمصدقين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٤١﴾

{ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ } اقرأ يا محمد ورتل ما أوحى الله تعالى إليك من القرآن الكريم وتدبر آياته { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ } وأقم يا محمد يا رسول الله الصلاة في أوقاتها الخمس { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ } لأن الصلاة تمنع الإنسان { عَنِ الْفَحْشَاءِ } عن الوقوع في الفحشاء من الزنا وخلافه { وَالْمُنْكَرِ } وكل شيء حرمه وأنكره الشرع فهي تمنع صاحبها عن الوقوع فيه. قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن هارون المخرمي الفلاس حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد حدثنا عمر ابن أبي عثمان حدثنا الحسن بن عمران بن حصين قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله: " إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ " قال: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له). وحدثنا علي بن الحسين حدثنا يحيى بن أبي طلحة اليربوعي حدثنا أبو معاوية عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعداً). [ابن كثير ج ٣ ص ٤١٤]. { وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } وذكر الله تعالى أكبر العبادات بعد الفريضة. وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله). [أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه. [رواه البخاري ج ١ ص ١٦٣]. وأخرج الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث جابر مرفوعاً: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل ما

قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد والإخلاص وهي اسم الله الأعظم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. وأخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: (ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟) قالوا: بلى قال: (ذكر الله). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفثاه). [أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان وذكره البخاري تعليقاً وهو في البخاري بلفظ: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وكما قال تعالى: " وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " ٣٥ الأحزاب. وقال تعالى: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ١٠ الجمعة. وقال تعالى: " رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ {٣٧} لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ {٣٨} " ٣٧، ٣٨ النور. {وَاللَّهُ يَعْلَمُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يعلم ويدري ويعرف {مَا تَصْنَعُونَ} ما تعملون من الصلاة وذكر الله ومن الخير والشر فالله تعالى لا يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا  
 ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ  
 ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ  
 وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۗ وَمَا تَجْحَدُ بِغَايَتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ  
 تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُرْ بِيَمِينِكَ ۗ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ  
 هُوَ ءَايَاتُ يَبْنِتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۗ وَمَا تَجْحَدُ بِغَايَتِنَا إِلَّا  
 الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

{ وَلَا تُجَادِلُوا } ولا تناقشوا { أَهْلَ الْكِتَابِ } اليهود والنصارى { إِلَّا بِالَّتِي هِيَ  
 أَحْسَنُ } إلا بالحسنى والنقاش الحسن وليس بالعنف والشدة والمخاصمة فما بال  
 أهل الإسلام يجادلون بعضهم بعضاً بالشدة والعنف والغلظة لِيَتَّبِعُوهُمْ قسراً وعلى  
 غير هدى بل بعضهم يكذب ويجحد بالأئمة أصحاب المذاهب الأربعة { إِلَّا الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا مِنْهُمْ } ما عدا الذين ظلموا منهم أنفسهم بالطعن في الدين والسب والشتم  
 على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام وتفريق المسلمين والاعتداء  
 على مقدساتهم وعلى عباداتهم أو منعهم منها. فالقسم الأول وهم الذين نريد ونطمح  
 في هدايتهم فهم الذين نجادلهم بالتي هي أحسن أي نهددهم بطريق سلس سهل  
 والقسم الثاني وهم الذين يعتدون على المقدسات الإسلامية ويمنعون العبادة لله تعالى  
 فهؤلاء نقاومهم ونغلظ لهم القول كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ  
 وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ " ٧٣ التوبة. وهناك قسم ثالث وهم السفهاء من الناس  
 وهؤلاء نعرض عنهم لقوله تعالى: " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ "  
 ١٩٩ الأعراف. وكما قال تعالى: " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا " ٦٣ الفرقان. {وَقُولُوا} وقولوا أيها المسلمون {ءَامِنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا} آمنا وصدقنا بالقرآن الكريم الذي أنزل إلينا على رسولنا ونبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ} وآمنا وصدقنا بما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل وجميع الكتب السماوية وجميع الرسل ولا نفرق بين أحد من رسله {وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّ وَاحِدٌ} وإلهنا وإلهكم وربنا وربكم هو الله تعالى وهو إله واحد لا شريك له ولا نعبد إلا إياه {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} ونحن له عابدون وطائعون {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ} وهكذا أنزل الله تعالى إليك يا محمد يا رسول الله {الْكِتَابَ} القرآن الكريم {فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} فالمؤمنون الذين أعطيناهم القرآن الكريم وأنزلناه عليهم {يُؤْمِنُونَ بِهِ} يصدقون به {وَمِنْ هَؤُلَاءِ} ومن اليهود والنصارى هؤلاء {مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ} من يصدق به كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيه وأسد بن سعيه وأسد بن عبيد حيث أنهم دخلوا في الإسلام وصدقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم وعبد الله بن سلام هو من أكبر أئمة اليهود أي من أكبر علمائهم {وَمَا يَجْحَدُ} وما ينكر ويكذب ويكفر {بِعَايَتِنَا} بآيات القرآن الكريم {إِلَّا الْكَافِرُونَ} إلا القوم الكافرون الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا بالله وبرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وآياته التي ذكرت ذلك ودلت على صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ} ولم تكن يا محمد يا رسول الله تقرأ قبل نزول القرآن عليك {مِنْ كِتَابٍ} من الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل {وَلَا تَحْطُرُهُ بِيَمِينِكَ} ولم تكتبه بيدك اليمنى وهي المعدة غالباً للكتابة ولأنك رسول أمي لا تعرف القراءة ولا

الكتابة { إِذَا لَأَزْتَابُ } إِذَا لَشَكَ { الْمُبْطُلُونَ } المكذبون والشاكون في رسالتك بأنك قد تعلمتها من كتب سابقة لو أنك تعرف القراءة والكتابة { بَلْ هُوَ } ولكن القرآن هو { ءَايَاتُ بَيِّنَاتٌ } هو يحتوي على بينات ودلائل وحجج واضحة وجليات { فِي صُدُورٍ } في صدور وقلوب { الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ } في صدور العلماء { وَمَا سَجَّحْدُ } وما ينكر وما يكذب { بِغَايَتِنَا } آيات الله تعالى في القرآن الكريم { إِلَّا الظَّالِمُونَ } إلا الظالمون لأنفسهم بالكفر والشرك كما قال تبارك وتعالى: "وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ" ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: "إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ١٣ لقمان.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَطْلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٣﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

{ وَقَالُوا } وقال كفار أهل مكة واليهود والنصارى { لَوْلَا أَنْزَلَ } أفلا أنزل { عَلَيْهِ } على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ } معجزات من الله تعالى حتى نصدق كمعجزة عصا موسى عليه السلام ومعجزة ناقة صالح وكإحياء الموتى

وشفاء الأكمه والأبرص على يد عيسى عليه السلام وغيرها من المعجزات {قُلْ} قل  
 لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّمَا الْأَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} إنما المعجزات عند الله تعالى  
 يرسلها كيف يشاء ومتى يشاء ولمن يشاء وليست هي بيدي ولا طوع يدي ولا تحت  
 أمري ولا بخاطري {وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ} وإنما أنا رسول الله ونبيه إليكم كي أنذركم  
 وأحذركم وأنصحكم وأعظكم وأخوفكم من عذاب الله يوم القيامة {مُبينٌ} عظيم  
 البينة وواضح ومبين لكم الحلال من الحرام وواضح الحجة {أُولَٰمَٰ يَكْفِهِمْ} أوليس  
 يكفيهم يا محمد يا رسول الله معجزة {أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ} أن الله تعالى جل جلاله  
 وعظم قدره وعلا شأنه أنزل عليك يا محمد يا رسول الله {الْكِتَابَ} القرآن  
 الكريم {يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ} يُقرأ عليهم إلى يوم القيامة دون أن يُغير أو يُنسى أو يُحرّف  
 أو تُحرّف منه كلمة واحدة وقد عجز الإنس والجن عن أن يأتوا بسورة من مثله  
 {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ} إن في نزول القرآن ذلك هو {لَرَحْمَةً} رحمة ونجاة يرحم بها  
 من يُصدق ويؤمن به من عذابه يوم القيامة {وَذِكْرَىٰ} وعبرة وعظة {لِقَوْمٍ  
 يُؤْمِنُونَ} لقوم يصدقون به ويؤمنون به ويهديهم إلى طريق الفلاح والرشاد  
 وينقذهم من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور {قُلْ} قل لهم يا محمد يا  
 رسول الله {كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَٰهِدًا} يكفي بالله تعالى أن يشهد بيني  
 وبينكم يوم القيامة على صدق رسالتي لكم {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}  
 والله تعالى يعلم ويدري ويعرف ويحيط علماً بما يحصل في السموات السبع  
 وفي الأرض فإن كنت كاذباً فسينتقم مني الله ويعذبني {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا}  
 وأما الذين صدّقوا {بِالْبَطْلِ} بالكفر والشرك وعبادة الأصنام والأوثان

{وَكَفَرُوا بِاللَّهِ} ووجدوا وكذبوا وأنكروا بعبادة الله تعالى وحده وأشركوا به {أَوْلِيَاكَ} هؤلاء {هُمُ الْخٰسِرُونَ} هم الذين سيخسرون أنفسهم في نار جهنم يوم القيامة {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} ويطلبون منك يا محمد يا رسول الله الاستعجال والسرعة بنزول العذاب عليهم وذلك لشدة عنادهم وتكذيبهم لك يا محمد يا رسول الله وللقرآن الكريم الذي جاءك من عند الله تعالى وبرسالتك التي أرسلها الله تعالى لهم {وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى} ولولا أجل وموعد سماه الله تعالى لهم ووعد بعذابهم فيه وهو يوم القيامة {لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ} لنزل عليهم العذاب وقال تعالى: " وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا " ٥٨ الكهف. {وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً} وسيفاجئهم العذاب فجأة {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} وهم لا يعلمون به ولا بوقته وكما قال تعالى: " وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا " ٥٩ الكهف. {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} يستعجلك الكفار يا محمد يا رسول الله بسرعة العذاب أن ينزل عليهم في الدنيا لتكذيبهم رسالتك {وَإِنَّ جَهَنَّمَ} وإن مصيرهم يوم القيامة إلى نار جهنم {لَمُحِيطَةٌ} لدائرة {بِالْكَٰفِرِينَ} بالكفار وهي تسعهم وأمثالهم وهي مصيرهم ونهايتهم {يَوْمَ يَغْشَاهُمُْ الْعَذَابُ} يوم يأتيهم العذاب {مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} ويحيط العذاب بهم في نار جهنم ويأتيهم من فوقهم بمقامع من حديد ويصب فوق رؤوسهم الحميم ومن تحت أرجلهم جمر جهنم ولهيبها وعذابها {وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ويقول الله تعالى لهم توبيخاً لهم على شركهم



وكفرهم وتكذيبهم لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ذوقوا عذاب ما كنتم تعملون وتفعلون في الدنيا من الذنوب والمعاصي والشرك والكفر والتكذيب والعدا.

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةٌ  
 الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ  
 الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا  
 وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ  
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

{يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا عبادي المؤمنين الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته  
 وكتبه ورسوله واليوم الآخر {إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ} إن أرض الله تعالى واسعة فهاجروا  
 فيها وإذا ضاق بكم العيش وأوذيتم في دينكم {فَأَيُّنِّي فَاعْبُدُونِ} فاعبدوا الله تعالى  
 وحده لا شريك له. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقیة ابن  
 الوليد حدثني جبیر بن عمرو القرشي حدثني أبو سعد الأنصاري عن أبي يحيى  
 مولى الزبير بن العوام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البلاد بلاد الله  
 والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيراً فأقم). [ابن كثير ج ٣ ص ٤١٩]. {كُلُّ نَفْسٍ  
 ذَائِقَةٌ الْمَوْتِ} وأن كل إنسان وكل مخلوق ميت ونهايته إلى الموت فلا داعي أن  
 تتشبث بأرض تؤذى فيها فإنك لا تخلد ولذلك إذا أوذيت في الله فهاجر إلى بلاد  
 الله الواسعة {ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} ثم إلى الله مصيركم وترجعون إليه بعد البعث  
 والحياة بعد الموت في المحشر للحساب {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} والذين آمنوا وصدقوا بالله  
 وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحة  
 في طاعة الله تعالى من أعمال البر والخير والعبادات والطاعات في مرضاة الله تعالى

{لَنْبُوئِنَّهُمْ} لنكافئهم ولنجزينهم ولندخلنهم ولنسكننهم {مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} في الجنة يوم القيامة نسكنهم غرفاً تجري من تحتها الأنهار من تحت قصورها وخلالها الأنهار نهر من لبن ونهر من عسل مصفى ونهر من ماء ونهر من خمر لذة للشاربين لا تسكر ولا تأخذ العقل {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمين في نعيم الجنة فلا موت فيها {نِعَمَ} حسن {أَجْرُ الْعَمَلِينَ} ثواب الطائعين والعابدين لله تعالى وحده لا شريك له {الَّذِينَ صَبَرُوا} الذين صبروا وجالدوا وتحملوا مشقة عبادة الله تعالى وحده وصبروا على الطاعات وصبروا عن المعاصي {وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} وفي جميع أمورهم يعتمدون على الله تعالى وحده لا شريك له {وَكَايِنٍ مِّن دَابَّةٍ} وكم من دابة (أي دلالة كثرة الدواب التي) {لَا تَحْمِلُ} لا تستطيع أن تجلب ولا تخزن ولا تأخذ معها إلى مسكنها {رِزْقَهَا} أي طعامها لأنها ليس لها يدان لتحمل رزقها وطعامها معها وتخزنه {اللَّهُ يَرْزُقُهَا} ولكن الله تعالى يرزقها دائماً ويومياً وييسر لها طعامها فهو المتكفل برزقها هي والطير وجميع الحيوانات {وَأَيَّاكُمْ} فيرزقها ويرزقكم مثلها لأنه هو الرزاق وحده {وَهُوَ السَّمِيعُ} وهو السميع لمن يسأله ويطلب منه الرزق {الْعَلِيمُ} والعليم بخلقه واحتياجاتهم وبأحوالهم وبما يلزمهم.

﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ رِزْقًا إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

{ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ } ولئن سألت الكفار يا محمد يا رسول الله { مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ } من هو الذي خلق السماوات السبع والأرض وسخر الشمس تسير من المشرق إلى المغرب خلال النهار والقمر في الليل ينير الأرض لكم وتعلموا به الأهلة وبداية الشهور { لِيَقُولَنَّ اللَّهُ } ليحييونك هؤلاء الكفار بأن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر { فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } فمتى يصرفون عن عبادة الأصنام والأوثان والشركاء { اللَّهُ } الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } يوسع ويرزقه ويهبه ويعطيه الرزق الواسع لمن يريد من عباده بحكمته وعلمه وقدرته { وَيَقْدِرُ لَهُ رِزْقًا } ويمنعه ويقلله على من يشاء من عباده بحكمته { إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } لأن الله تعالى بكل شيء محيط ويعلم بمن يستحق الغنى أو الفقر بالفقر لو أغناه قد يطغى لقوله تعالى: " كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦١﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٦٢﴾ " ٧، ٦، العلق. { وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ } وكذلك لو سألت الكفار { مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } من أنزل المطر من

السماء {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ} فأحيا به الأرض بخروج النبات والأشجار من الأرض  
{مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا} من بعد جفافها وقحطها {لَيَقُولَنَّ اللَّهُ} سيعترفون ويقولون لك  
الله تعالى هو الذي أحياها {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {الْحَمْدُ لِلَّهِ} الحمد  
لله على اعترافكم بأن الله تعالى هو الذي بيده الرزق والمطر والخلق والأمر {بَلْ  
أَكْثَرُهُمْ} ولكن أكثرهم وأغلبهم وهم الكفار {لَا يَعْقِلُونَ} لا يدركون ولا يفهمون  
العظة والعبرة بذلك {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا} وما هذه الدنيا التي يتمتعون  
بها إلا {لَهُوَ} تلهيهم عن طاعة الله تعالى وعبادته {وَلَعِبٌ} ويلعبون فيما لا يعود  
عليهم يوم القيامة بنفع فهي دار غرور وضياع للوقت في الملذات والشهوات  
والمحرمات {وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ} وإن يوم القيامة فهي الدار الآخرة بعد انقضاء  
الدنيا {لَهَا أَلْحَيَاةٌ} لها الحياة الدائمة والتخليد {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} لو  
يعلمون ذلك حقاً وصدقاً {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ} فإذا ركب المشركون في السفن  
في البحار وعصفت بهم الرياح والزوابع وتلاطمت عليهم الأمواج {دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ  
لَهُ الدِّينَ} دعاوا الله تعالى وأخلصوا له دينهم ودعاءهم لينجيهم من الغرق ونسوا  
عبادة الأصنام والأوثان لأنهم يعلمون أنها لا تنفع ولا تضر {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ} فلما  
أنقذهم من الغرق {إِلَى الْبَرِّ} ووصلوا إلى البر وهي الأرض اليابسة سالمين {إِذَا هُمْ  
يُشْرِكُونَ} فبعد نجاتهم من الغرق إذا هم ينكثون عهدهم ويشركون بالله تعالى معه  
غيره من الأصنام والأوثان والأنداد {لِيَكْفُرُوا} فليجحدوا ويكذبوا {بِمَاءِ آتَيْنَاهُمْ} بالرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم {وَلِيَتَمَتَّعُوا} وليتمتعوا  
في هذه الدنيا وملذاتها وشهواتها ومحرماتها {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} فسوف يعلمون

يوم القيامة أن مصيرهم إلى النار على كفرهم وجحودهم وإنكارهم وتكذيبهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

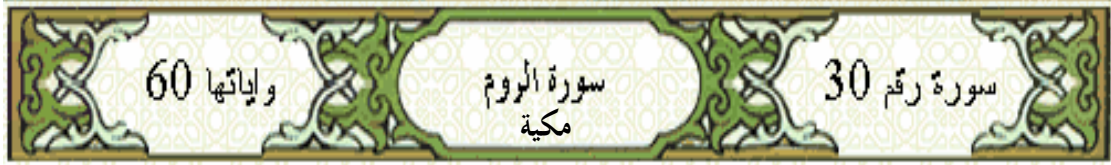
﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ؕ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

{أَوْلَمْ يَرَوْا} أولم ينظر ويشاهد أهل مكة {أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا} أن الله تعالى بحكمته وقدرته جعل لأهل مكة المسجد الحرام آمناً أهله فلا قتال فيه. وعن أبي هريرة قال: لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الغيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وأنها لم تحل لأحد كان قبلي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وأنها لا تحل لأحد بعدي فلا ينفر صيدها ولا يختلي شوكرها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين [إما أخذ الدية أو قتل القاتل]) فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال: (إلا الإذخر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٢ ص ١٩٦]. {وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ} ويقتل الناس ويؤسر {مِنْ حَوْلِهِمْ} ممن يدور حولهم من المدن والدول {أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ} أفبغير الحق من الأصنام والأوثان والأنداد والشركاء يصدقون أهل مكة {وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ} وبرسالة الله تعالى إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبنعمة نزول القرآن عليه {يَكْفُرُونَ} يجحدون وينكرون ويكذبون {وَمَنْ أَظْلَمُ} فهل أحد أظلم (أي وأنه لا أحد أظلم) {مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} ممن اختلق وكذب على الله تعالى كمسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة والرسالة كذباً

{أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ} أو كذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلا أحد أظلم منه وهو مثل (أبو جهل وأبو لهب) ومن كفر وجحد وكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ} ألا يوجد في جهنم {مَثْوًى} مكاناً يسع ويحوي {لِلْكَافِرِينَ} لمن كفر من هؤلاء الكفار أي أنه سؤال استنكاري وتوبيخ للكفار وأن جهنم مصيرهم وقرارهم ومنزلهم ونهايتهم يوم القيامة على كفرهم وعنادهم.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا} والذين غالبوا شهواتهم وقاوموها في طاعة الله تعالى وعبادته وجاهدوا في الله حق جهاده وصبروا عن المعصية وصبروا على الطاعة {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} ولنرشدنهم ولنذلنهم على سبيل الله تعالى في الخير والأعمال الصالحة وفي البر والتقوى والهدى والرشاد والصلاح {وَإِنَّ اللَّهَ} وإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} وأن الله تعالى مع المحسنين أعمالهم وعبادتهم وطاعتهم خالصة لله تعالى يؤيدهم بالعون والنصر والتأييد والحفظ والعناية والرعاية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾  
 فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۗ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾  
 بِنَصْرِ اللَّهِ ۗ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ ۗ لَا تُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۗ  
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

{الْم} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وباللغة التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى:

" إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ الْقُرْآنِ من هذه الحروف العربية لَدُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسماً لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢٤١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢٤١ لقمان. وعليه فإن معنى (الْم) هو قوله تعالى: " وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " ٢٢ لقمان. والله أعلم. مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {غُلِبَتِ الرُّومُ} لقد غلبت الروم في الحرب غلبتها فارس {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} في الشام حيث فرح المشركون والكفار من أهل مكة بنصرة فارس على الروم لأنهم مشركون مثلهم وكان الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنون يحبون أن تنتصر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب مثلهم وقال كفار قريش للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أي الروم أهل كتاب مثلكم وقد انتصر إخواننا الفرس على إخوانكم الروم أهل الكتاب وإن قاتلتمونا لنظهرن عليكم مثلهم فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال {وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} من بعد هزيمة الروم فإنهم سيغلبون الفرس



{ فِي بَضْعِ سِنِينَ } قيل في مدة لا تزيد عن تسع سنين وفي اللغة البضع في العدد ما بين الثلاث إلى التسع. ويمكن حصر المدة بالحساب فبحساب الجمل يكون (الم) الألف يساوي واحد (١) واللام تساوي ثلاثين (٣٠) والميم تساوي أربعين (٤٠) والمجموع هو واحد وسبعون (٧١) وإذا جمعنا الواحد مع السبعة (٧+١) يكون المجموع ثمانية فيكون على هذا الحساب مدة البضع سنين هي ثمان سنوات. وإذا طرحنا الثلاثين قيمة اللام من الأربعين قيمة الميم (٤٠-٣٠) يكون الناتج هو عشرة نطرح منها الواحد قيمة الألف (١٠-١) يكون الناتج هو تسعة فيكون على هذا الحساب مدة البضع سنين هي تسع سنوات. ولو حسبنا جمل (بضع سنين) يكون الناتج هو اثنان وأربعون وألف (١٠٤٢) وإذا جمعنا الاثنتين مع الأربعة مع الصفر مع الواحد (٢+٤+٠+١) يكون الناتج هو سبعة وعدد حروف (بضع سنين) هو سبعة وفي قوله تعالى: " وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ " جاءت كلمة (بضع) الكلمة السابعة في الترتيب فيكون على هذا الحساب مدة البضع سنين هي سبع سنين. ومن هذا الحساب اختُصرت وحُصرت البضع سنين في الثلاث سنوات الأخيرة من البضع سنين سواء السابعة أو الثامنة أو التاسعة وذلك بالحساب كما قال تعالى: " ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ " ١ القلم. وكما قال تبارك وتعالى: " اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {٤} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {٥} " ٣-٥ العلق. {لِلَّهِ الْأَمْرُ} ولله تعالى الحكم والقضاء والنصر والهزيمة {مِنْ قَبْلُ} عندما هزمت الروم {وَمِنْ بَعْدُ} بعد نصر الروم على الفرس {وَيَوْمَئِذٍ} وبعد نصر الروم على فارس من جديد {يَفْرَحُ} يُسِرُّ {الْمُؤْمِنُونَ} الذين صدقوا وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {بِنَصْرِ اللَّهِ} بعد مرور البضع سنين ينصر الله تعالى الروم على الفرس {يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} والله تعالى بيده النصر

وينصر من يريد {وَهُوَ الْعَزِيزُ} له العزة والرفعة والقوة فهو عزيز وقوي في ملكه وسلطانه {الرَّحِيمُ} الرحيم على عباده يرحمهم بالنصر في الدنيا ويوم القيامة ينجيهم من عذاب النار ويدخلهم الجنة {وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ} وعد الله تعالى لعباده المؤمنين بالنصر آت لا ريب فيه فالله تعالى لا يغير ولا يخلف بوعدته {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} ولكن أغلب الناس {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون حقيقة وعد الله تعالى فهو حق لا ريب فيه وكما قال تعالى: " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " ٨٧ النساء. وقال تعالى: " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا " ١٢٢ النساء.

﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٧) أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ مِمَّا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ ﴿١٤﴾

{يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يعلم أغلب الناس ظاهر الأمور في الدنيا من سرعة الكسب الحرام والترف والملذات والشهوات في الحرام ويعلمون ظاهراً من الدنيا من ترفها ونعيمها وملذاتها وعلومها وفنونها {وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}

وأما باطنها وهي عبادة الله تعالى وحده وطاعته لا شريك له والعمل للآخرة لأنها دار القرار والنهاية والمصير فهم غافلون لاهون وساهون عنها. وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوالي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك). [ابن كثير ج ٣ ص ١٧١]. وروى ابن ماجه من حديث شعبة عن عمر ابن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من كانت الدنيا همّه فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتبت له ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة). [ابن كثير ج ٣ ص ١٧١]. {أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ} أفلا يتفكر هؤلاء الكفار بأنفسهم {مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} أفلا يتعظ هؤلاء الكفار في خلق الله تعالى حيث خلق السموات السبع وما فيهن من الملائكة والأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال وسهول ووديان وإنس وجان وحيوانات ووحوش وطيور وأشجار ونباتات {وَمَا بَيْنَهُمَا} ما بينهما من هواء وشمس وقمر ونجوم وكواكب وأفلاك ومخلوقات لا يعلمها إلا الله تعالى {إِلَّا بِالْحَقِّ} لم يخلقها الله تعالى عبثاً بل بالحق وبالجد ليس بالهزل {وَأَجَلٍ مُّسَمًّى} وعمر مسمى ومعروف إما بالموت في الدنيا للمخلوقات أو بالموت يوم القيامة حيث تبدل الأرض غير الأرض والسموات {وَأِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} وإن أغلب الناس {بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ} وإن أغلب الناس وأكثرهم يجحدون ويكذبون بيوم القيامة وبالبعث والمحشر والحساب في يوم القيامة والخلود إما في

الجنة وإما في النار {أَوْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} أوليس هؤلاء الكفار يمشون في الأرض {فَيَنْظُرُوا} فيشاهدوا {كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ} كيف كان مصير ونهاية {الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} الذين سبقوهم من الأمم السابقة والماضية قبلهم كقوم عاد وثمود {كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} كانوا أكثر من قريش قوة ومنعة وجبروت {وَأَثَارُوا الْأَرْضَ} حرثوها وأخرجوا معادنها وكنوزها ومحاصيلها الزراعية {وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} وعمروها بالزراعة والنبات والبناء والتشييد كالأهرامات وسد مأرب وكنوز قارون أي استغلوها أكثر من قريش {وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ} وجاءهم رسلهم وأنبيأؤهم بالمعجزات والبيّنات الواضحات والدلائل والبراهين {فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ} ولم يظلمهم الله تعالى بعدم إنذارهم وتحذيرهم ولكن الله تعالى بفضله وكرمه ورحمته أرسل لهم الرسل والأنبياء {وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {ثُمَّ كَانَ عَنقَبَةُ} ثم كان مصير ونهاية {الَّذِينَ أَسْتَعُوهَا} الذين عملوا السيئات والمعاصي والذنوب وكفروا وأشركوا بالله تعالى {الْأَسْوَأَى} والسوأى مؤنث الأسوأ أي عاقبتهم أسوأ عقاب وأسوأ عذاب {أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ} لأنهم جحدوا وكذبوا وأنكروا بالقرآن والمعجزات والحجج والبراهين {وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} وكانوا بآيات الله تعالى يسخرون ويضحكون وقالوا سحر مستمر {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَبْدَأُ الْخَلْقَ} يبدأ الخلق من العدم ويحييه {ثُمَّ يُعِيدُهُ} ثم بعد موته يحييه من جديد يوم القيامة {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ثم بعد البعث يوم القيامة

يرجع جميع الخلق في المحشر لله تعالى للحساب ليفصل بينهم إما إلى الجنة وإما إلى النار {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} ويوم تقوم القيامة {يُبْلِسُ} يذهل ويبهت ويخرس ويذل ويخذل {الْمُجْرِمُونَ} وهم المذنبون في حق الله تعالى بالشرك والكفر وما أجرموا من انتهاك حدود الله تعالى ومعصيته {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ} ولم يوجد لهم يوم القيامة من شركائهم الذين أشركوهم مع عبادة الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد والشركاء من يشفع لهم وينقذهم من عذاب الله تعالى {وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} وكان الشركاء من الأصنام والأوثان والأنداد بعبادتهم لهم مكذبين ومتبرئين منهم {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} ويوم القيامة {يَوْمَئِذٍ} يومها {يَتَفَرَّقُونَ} يتشتتون ويتوزعون حسب أعمالهم في الدنيا على جهنم التي لها سبعة أبواب كما قال تعالى: " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {٤٣} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ {٤٤} " ٤٣، ٤٤ الحجر. أما الباب الأسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمها الهاوية والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه إبليس ومن تبعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير والباب السابع فيه أهل الكبائر من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذين ماتوا ولم يتوبوا. [تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ٢٣].

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَانَ  
اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ تَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي  
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

{ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا } فأما المؤمنون الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه  
ورسله واليوم الآخر وأن القضاء خيره وشره من الله تعالى { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }  
وعملوا الأعمال الصالحات في عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وطاعته وعملوا  
الخير والبر { فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ } فهم في الجنة يكرمون ويتنعمون ويتلذذون  
بالفواكه والطعام والشراب { وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } وأما الكفار الذين  
جحدوا وأنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا بآيات القرآن  
الكريم الذي أنزله الله تعالى في كتابه وكذبوا بالمعجزات والدلائل والبيانات والحجج  
والبراهين على صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ }  
وكذبوا بالبعث والنشور والمحشر والحساب يوم القيامة { فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ  
مُحْضَرُونَ } واقعون وملقون { فَسُبْحَانَ اللَّهِ } فتنزهه الله وتقدس وتبجل { حِينَ  
تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ } أي سبحوه ومجدوه وقدسوه مساءً وصباحاً كما قال  
تعالى: " وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ " ٤٠ ق. { وَلَهُ الْحَمْدُ } وله الشكر  
على نعمه { فِي السَّمَوَاتِ } في خلق الملائكة لنا رسلاً وفي خلق الشمس والقمر  
والنجوم والكواكب التي تضيء لنا { وَالْأَرْضِ } وله الحمد والشكر على خلقه لنا

الأرض نعيش فيها وما خلق لنا فيها من بحار وأنهار وما يوجد فيها من حيتان  
وسمك نأكله كذلك من النباتات والأشجار والزرور التي نأكل منها طعامنا وشرابنا  
ومعيشتنا {وَعَشِيًّا} قيل أن العشي هو وقت ما بين الظهر والمغرب وقيل أنه من  
صلاة المغرب إلى العتمة {وَحِينَ تَظْهَرُونَ} أي وقت القيلولة والظهيرة أي سبحوه  
واحمدوه طول اليوم على فضله وكرمه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى. وكما قال  
تعالى: " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ " ٢٨  
الكهف. أي يدعونه ويذكرونه صباحاً ومساءً وعن سمرة بن جندب رضي الله  
عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله أربع لا  
يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). [أخرجه  
مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٧]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم: (من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه  
خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦].  
وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان  
الله وبحمده سبحان الله العظيم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٤]. {مُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ  
الْمَمِيَّتِ} والله تعالى يخرج الرجل من النطفة والدجاجة من البيضة والنبات  
والشجر من الحبة {وَمُخْرِجُ الْمَمِيَّتِ مِنَ الْحَيِّ} أي يخرج النطفة والمنى من الرجل  
والبيضة من الدجاجة والحبة من النبات {وَمُحْيِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا} ويحيي الأرض  
بالمطر بعد جفافها وجدبها {وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ} وكذلك تخرجون من قبوركم  
أحياء يوم القيامة للحساب والعقاب والجزاء والثواب.





التزاوج والنسل والذرية والخلق {لَايَتِ} لمعجزات ودلائل وبراهين {لِقَوْمٍ} يَتَفَكَّرُونَ} لقوم يتعظون ويعتبرون بأنه لا إله ولا خالق ولا رازق ولا معبود سوى الله تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ} ومن معجزاته ودلائله وبراهينه {خَلَقَ السَّمَوَاتِ} خلق السموات السبع ومن فيهن من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وكواكب {وَالْأَرْضِ} وخلق الأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال وسهول وواديان وأشجار ونبات وإنس وجان وحيوان وطير وغير ذلك {وَأَخْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ} واختلاف لغاتكم هذا عربي وهذا إفرنجي {وَالْوَالِدِينَ} وهذا أبيض وهذا أسمر وهذا أحمر {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك الخلق واختلافه {لَايَتٍ} لدلائل وبراهين وحجج ومعجزات {لِلْعَالَمِينَ} لجميع العالم وجميع الخلق {وَمِنْ آيَاتِهِ} ومن براهينه ومعجزاته الدالة على قدرته وحكمته {مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ} منامكم أثناء الليل بدون ألم وبدون خوف وبسهولة وببسر وبدون أن تعلموا أو تشعروا بلحظة نومكم في أي دقيقة نمتم {وَالنَّهَارِ} ونومكم وقت القيلولة للراحة {وَأَبْتَعَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ} وخروجكم لطلب الرزق في النهار وفي الصباح وأنتم في نشاط وراحة {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك النوم بالليل والسعي لطلب الرزق في النهار {لَايَتٍ} لدلائل ومعجزات وبراهين {لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} لقوم يتعظون بالنصح على طاعة الله تعالى وحده لا شريك له {وَمِنْ آيَاتِهِ} ومن معجزاته ودلائله {يُرِيكُمُ الْبَرْقَ} يجعلكم تشاهدون البرق في الشتاء {خَوْفًا} خوفاً وخشيةً من الصواعق أن تنزل عليكم {وَوَطْمَعًا} في المطر وهي رحمة الله تعالى {وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} وينزل من السماء المطر {فِيحْيِي بِهِ الْأَرْضَ} فيحيي به الأرض بخروج النباتات وخضرة الشجر {بَعْدَ مَوْتِهَا} بعد

جفافها وقحطها {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك المطر {لآيَاتٍ} لدلائل وحجج وبراهين ومعجزات {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} لقوم يتعظون ويفهمون ويدركون قدرة الله تعالى ويعبدونه ويطيعونه فيما أمر ونهى عنه {وَمِنَ آيَاتِهِ} ومن معجزاته {أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} أن تبقى السماء لا تقع على الأرض بأمره وحكمه وقدرته وإرادته فلا يزولا حتى تقوم الساعة {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ} فإذا دعاكم للنشور من القبور بأمره بنفخ إسرافيل عليه السلام في النفخ في الصور للقيام {إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} فإذا أنتم من القبور تخرجون أحياء بالبعث كما قال تعالى: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ" ٥١ يس. {وَلَهُ} من في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} ولله تعالى من في السماوات من الملائكة ومن في الأرض من الإنس والجن {كُلُّ لَهُ قَبِيلَتُونَ} كل له طائعون ومنقادون. قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل حرف في القرآن فيه القنوت فهو الطاعة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٣].

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ} وهو الله تعالى الذي يبدأ خلق المخلوقات من عدم ويحييها {ثُمَّ يُعِيدُهُرُ} ثم يميتها ثم يعيده حياً يوم القيامة للحساب والعقاب والجزاء والثواب {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} وإعادته للحياة بعد موته أيسر وأسهل عليه في الخلقة ولا يتعبه ولا يرهقه ذلك {وَلَهُ} ولله تعالى {الْمَثَلُ الْأَعْلَى} القدر الأسمى والصفات الحسنى والعليا في الخلق والرزق والحياة والموت والنشور {فِي السَّمَوَاتِ} في خلق السموات السبع وما فيهن من الملائكة والشمس والقمر والنجوم

فهذا مثل على خلقه لذلك {وَالْأَرْضِ} والأرض وما خلق فيها من جبال وسهول ووديان وبحار وأنهار وإنس وجان ونبات وأشجار وحيوانات وطيور فهو مثل بيّن وواضح الدلالة ولا شك فيه على قدرته على إعادة إحياء الخلق يوم القيامة وكما قال تعالى: " أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ " ٨١ يس. {وَهُوَ الْعَزِيزُ} والله تعالى هو العزيز والقوي في ملكه وسلطانه وخلقه وأمره وحكمه وإرادته {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة والذي لا يخطئ في ملكه وخلقه وحكمه وإرادته.

﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ۗ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۗ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ مِّنْ مِّنِيْنَ اِلَيْهِ وَاتَّقُوْهُ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَلَا تَكُوْنُوْا مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴾ ﴿٢٨﴾ مِّنْ

الَّذِيْنَ فَرَّقُوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوْا شِيْعًا ۗ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ ﴾ ﴿٢٩﴾

{ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا} ضرب الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه لكم أيها الكفار والمشركون مثلاً {مِّنْ أَنْفُسِكُمْ} من ذاتكم أنفسكم {هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ} فهل لكم أيها الكفار من هو شريك لكم في أموالكم وأملاككم من الرقيق والعبيد الذين تملكونهم بالرق والعبودية {فِي مَآ رَزَقْنَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ

سَوَاءٌ { فهل أنتم وهم شركاء فيما وهب الله تعالى لكم من رزق ومال وسيادة  
 {تَخَافُونَهُمْ} وتخشونهم {كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} كخشيتكم على أنفسكم أن  
 تكونوا أنتم العبيد وهم السادة أي أنكم لا ترضون أن يشارككم أحد من العبيد في  
 الرزق والمال والسيادة فكيف يقبل الله تعالى أن يشرك معه شيئاً {كَذَلِكَ}  
 وهكذا {نُفِصِلُ} نوضح ونبين {الْآيَاتِ} نوضح آيات القرآن الكريم بالأمثلة كما  
 قال تعالى: " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ " ٨٩ الإسراء {لِقَوْمٍ  
 يَعْقِلُونَ} لقوم يفهمون ويدركون ويتدبرون ويتعظون بذلك {بَلِ اتَّبَعَ} ولكن اتبع  
 {الَّذِينَ ظَلَمُوا} الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ  
 هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان.  
 {أَهْوَاءَهُمْ} هواهم ورغباتهم وشهواتهم وملذاتهم واتبعوا أنفسهم الأمانة بالسوء  
 {بِغَيْرِ عِلْمٍ} بدون علم أتاهم وما لم ينزل به الله سلطاناً. وفي صحيح مسلم عن  
 عياض بن حماد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله تعالى: إني  
 خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما  
 أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً). [ابن كثير ج ٢  
 ص ٤٤٠]. {فَمَنْ يَهْدِي} فمن يا محمد يستطيع أن يهدي ويرشد للإسلام {مَنْ  
 أَضَلَّ اللَّهُ} من أضل الله وأبعده عن الهدى لأنه أحب العمى على الهدى وكما قال  
 تعالى: " وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ  
 يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ " ١٢٥ الأنعام. {وَمَا هُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ}  
 وليس لهم يوم القيامة من ينصرهم أو ينقذهم من عذاب الله تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ  
 فَوْجَهُ وَجْهَكَ وَجْهَكَ وَعَمَلِكَ واجتهد وأخلص وثابر واستمر في تبليغ رسالتك

{لِلدِّينِ} للدين الإسلامي وأمر به {حَنِيفًا} مستقيماً سمحاً {فِطْرَتَ اللَّهِ} خلقة الله تعالى {الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} وهي التي خلق الناس عليها وعلى طبيعتها ولا شذوذ فيها. وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٤٠]. {لَا تَبْدِيلَ} لا تغيير {لِخَلْقِ اللَّهِ} لما خلق الله تعالى عليه الناس وهو خلقهم على الفطرة يعبدون الله تعالى وحده لا شريك له ويتبعون دين الإسلام {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} هذا هو الدين المستقيم والصحيح وذو القيمة والثمين والغالي {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} ولكن أغلب الناس {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون أن الإسلام هو دين الحق وكما قال تعالى: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " ١٩ آل عمران وكما قال تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران. {مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ} تائبين ونادمين وراجعين إليه بالتوبة {وَأَتَّقُوهُ} واتقوا الله تعالى وخافوه واخلشوه وخافوا عذابه يوم القيامة {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} وأدوا الصلوات الخمس في أوقاتها {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ولا تكونوا مع من يشرك بالله غيره {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ} من الذين مزقوا وشتتوا وتفرقوا في اتباع دينهم فمنهم من عبد الأصنام ومنهم من عبد الشمس والكواكب ومنهم من عبد البقر ومنهم من عبد النار ومنهم من عبد الفرج ومنهم من عبد الملائكة ومنهم من عبد الجن ومنهم اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصرى عيسى ابن الله أو هو الله أو هو ثالث ثلاثة {وَكَانُوا شِيَعًا} وكانوا جماعاتٍ وأحزاباً {كُلُّ حِزْبٍ

بِمَا لَدَيْهِمْ} كل حزب وجماعة وفرقة بما عندهم {فَرِحُونَ} مسرورون به ولا يتبعون غيره ولا يحيدون عنه حتى لو كان خطأ.

﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

{وَإِذَا مَسَّ} وإذا أصاب {النَّاسَ ضُرٌّ} إذا أصاب الناس سوءً أو شرًّا أو مصيبةً أو بلاءً {دَعَوْا رَبَّهُمْ} سألوا ربهم الله تعالى {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} تائبين وراجعين وملتجئين إلى الله تعالى لينجيتهم من ذلك الضر والسوء والبلاء الذي وقع عليهم {ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً} ثم بعد ذلك إذا نجاهم الله تعالى ورزقهم خيراً ونعيماً وكرماً منه ومن فضله {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} إذا جماعة منهم أو طائفة يكفرون بربهم ويشركون معه في العبادة الأصنام والأوثان والأنداد {لِيَكْفُرُوا} فليجحدوا {بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ} بما أعطيناهم وما أنزلنا عليهم وهذا تهديد ووعيد من الله تعالى بمن يكفر ويجحد بالنعمة {فَتَمَتَّعُوا} فتغنموا في الملمات والشهوات والأهواء والمحرمات في الدنيا {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} فستعلمون وتعرفون عاقبة ذلك يوم القيامة يوم الحساب والعذاب في جهنم {أَمْ} فهل {أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا} فهل أنزلنا عليهم علماً أو ملكاً أو رسولاً {فَهُوَ يَتَكَلَّمُ} فهو يقول لهم {بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} يقول لهم أشركوا بالله الأصنام والأوثان والشركاء. أي أن الله تعالى يكذبهم بأنه ليس لهم

به علم ولا سلطان ولا حجة ولا برهان ولا دليل لذلك {وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً} وإذا وهبنا وأعطينا الناس نعمة وخيراً وفضلاً ورحمةً من الله تعالى في الدنيا {فَرِحُوا بِهَا} سرورا بها {وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} وإن تنزل بهم مصيبة أو شر أو عذاب بما عملت أيديهم من المعاصي والذنوب عقاباً على ذلك {إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} إذا هم ييأسون من رحمة الله تعالى. وقد ثبت في الصحيحين: (عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٨]. {أَوْلَمْ يَرَوْا} أولم يعلم الناس {أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ} أن الله تعالى يعطي الرزق ويهب الرزق ويوسعه لمن يريد {وَيَقْدِرُ} ويضيقه على من يريد {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} إن في ذلك الغنى والفقر للناس لعظات وعبراً لأن الغنى لبعض الناس يطغيه ويغويه وكذلك الفقر لبعض الناس قد يمنعه من أداء العبادة أو يدفعه لأخذ الرشوة أو السرقة فالله تعالى له حكمة في الغنى والفقر للناس {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} وهذه العبر لقوم يؤمنون ويصدقون بحكمة الله وقدرته وإرادته وعلمه وخيرته لمنفعة الناس وكما قيل: (لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع).

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

{فآتِ} فأعطِ أيها المؤمن {ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ} أهل القرابة لك حقه من صلة الرحم ومن المعروف والصدقات {وَالْمِسْكِينَ} والمسكين هو الذي لا يجد من يعوله ولا يفتن له ويتصدق عليه ففي الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يُفتن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤]. {وَابْنَ السَّبِيلِ} وابن السبيل هو المسافر الذي انقطعت به السبل عن وطنه ولا يجد من يداينه أو ينفق عليه فله حق الضيافة والنفقة والنصيحة وإرشاده إلى الطريق الذي يريده {ذَٰلِكَ خَيْرٌ} ذلك فضل وله ثواب عند الله تعالى في الدنيا والآخرة {لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ} وذلك للذين يريدون رضا الله تعالى وثوابه {وَأُولَٰئِكَ} وهؤلاء الذين يعملون الخير {هُمُ الْمُفْلِحُونَ} هم الفائزون برضوان الله تعالى وبالجنة يوم القيامة {وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا} وما أعطيتم من الربا وهو زيادة المال بغير حق. وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل قرض جرّ منفعة فهو ربا). [رواه الحارث بن أبي أسامة وإسناده ساقط لأن في إسناده سوار بن مصعب الهمداني المؤذن الأعمى وهو متروك وله شاهد



ضعيف عن فضالة بن عبيد عند البيهقي أخرجه البيهقي في المعرفة بلفظ: (كل قرض جرّ منفعة فهو وجه من وجوه الربا) - سبل السلام ج ٣ ص ٥٣]. {لَيْرَبُؤًا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ} ليزيد في مال الناس بغير وجه حق وبدون مقابل {فَلَا يَرْبُؤًا} فلا يزيد بل ينقص {عِنْدَ اللَّهِ} عند الله تعالى فهو محرم وممنوع {وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ} وما أعطيتم من زكاة أموالكم للفقراء والمساكين ومستحقيها {تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ} تريدون ثواب الله تعالى ورضاه {فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} فهم المزيّدون في ثوابهم عند الله تعالى أي يضاعفه الله تعالى لهم يوم القيامة ويدخلهم الجنة. قال البخاري: حدثنا عبد الله بن كثير أخبرنا كثير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربّيها لصاحبها كما يربّي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٩]. {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} الله تعالى هو الذي خلقكم من العدم {ثُمَّ رَزَقَكُمْ} ثم وهبكم الرزق والطعام والشراب والكساء {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} ثم تموتون في الدنيا {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} ثم يحييكم الله تعالى يوم القيامة ويخرجكم من قبوركم أحياءً بالبعث والنشور إلى المحشر للحساب {هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن دَالِكُمْ مِّن شَيْءٍ} هل يستطيع أحد ممن أشركتم مع الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد من يستطيع فعل ذلك أو شيء من ذلك بإحياء الموتى وأن يخلقهم من العدم مثل الله تعالى ويرزق جميع الناس والخلق مثل الله تعالى {سُبْحٰنَهُ} تقدس وتنزه وعلا وجل الله {وَتَعَالَى} وارتفع عما يصفون {عَمَّا يُشْرِكُونَ} على ما يشركون معه من الأصنام والأوثان والأنداد.

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانُوا أَكْثَرَهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٣٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٣٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

{ظَهَرَ الْفَسَادُ} ظهر وشوهد الخراب والإفساد والعبث والظلم {فِي الْبَرِّ} في الأرض اليابسة من المدن والقرى وال عمران {وَالْبَحْرِ} وفي البحار والمحيطات وكل ما هو داخلها وداخل مائها {بِمَا كَسَبَتْ} بما عملت {أَيْدِي النَّاسِ} بأيدي الناس وليس من أعمال الطبيعة الكونية التي خلقها الله تعالى عليها بل بعبث الناس وإفسادهم {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} ليعاقبهم ويعذبهم على بعض أعمالهم من الحروب والظلم والمعاصي والذنوب والإفساد ففي البر على سبيل المثال إما بالحروب وإما بالظلم وسفك الدماء وانتهاك الأعراض واغتصاب الحقوق ففي المدن تظهر الكوارث من المصانع الكيماوية والذرية وحتى من رش المبيدات للزراعة تؤثر على الثمار والحبوب عند أكلها وفي البحر تسمم الثروة السمكية بدفن النفايات والكيماويات والمواد المشعة وزيتوت وبتروال السفن المختلفة مما يؤثر على الأسماك وعلى ماء البحار وعلى تحلية ماء البحار عند الشرب ولهذا يعاقبهم الله تعالى على المعاصي والذنوب والآثام التي يعملونها بالأمراض ونقص الطعام في البر والبحر ونقص من الأموال والأنفس والثمرات {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} لعلهم يتوبون ويرجعون إلى الله تعالى بالتوبة وعدم الإفساد في البر والبحر {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله أي

للكفار {سَيُرَوُّوا فِي الْأَرْضِ} أي سيحوا وتجولوا وامشوا وشاهدوا في أرض الله تعالى {فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} شاهدوا بأنفسكم ما هو مصير وعاقبة {الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ} الذين سبقوكم من قبلكم من الأمم والأقوام السابقة حيث دمرهم الله تعالى وخسف بهم الأرض وأنزل عليهم الطوفان والصواعق والزلازل وغيرها من الحروب والقتل والهلاك {كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ} لأنه كان أغلبهم مشركون بالله تعالى ويعبدون غيره من الأصنام والأوثان والأنداد {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} فوجه وجهك وجهك وعملك واجتهد وأخلص وثابر واستمر في تبليغ رسالتك {لِلدِّينِ الْقَيِّمِ} للدين المستقيم الثمين والغالي الذي يقيم ويصحح بالعدل والحق للناس حياتهم ومعيشتهم في الدنيا وفي الآخرة فوزهم برضوان الله تعالى وجنته {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ} من قبل أن يأتي يوم القيامة {لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} لا مانع يمنع حدوثه ولا راد لقضاء الله تعالى بذلك اليوم {يَوْمَ يَذِرُ} يوم القيامة {يَصْدَعُونَ} يذهلون ويبهتون ويعذبون كأنما أصاب رؤوسهم الصداع من هول ذلك اليوم {مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} من جحد وأنكر وكذب بيوم القيامة فهو يتحمل عذابه {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا} ومن عمل عملاً صالحاً في عبادة الله تعالى وطاعته ومرضاته {فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} فلأنفسهم يعملون ويقدمون {لِيَجْزِيَ} ليكافئ ويثيب {الَّذِينَ آمَنُوا} المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحات من العبادة والطاعة والبر والخير في مرضات الله تعالى {مِنْ فَضْلِهِ} من كرمه وجوده بثواب الجنة ودخولها يوم القيامة {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْكَافِرِينَ} إن الله تعالى يبغض الجاحدين والمكذبين بالرسول والأنبياء والملائكة والكتب واليوم الآخر.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدَّاقَ تَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَأَنْظِرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ تُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

{ وَمِنْ آيَاتِهِ } ومن معجزات الله تعالى ودلائله وبراهينه { أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ } أن الله تعالى يرسل الرياح تهب على الأرض تبشر الناس في فصل الشتاء بقدوم المطر وخاصة الرياح التي تمر فوق البحار حيث تتحمل ببخار الماء في الجو وعندما يلامس منطقة باردة تتكثف وتتجمع نقط الماء على بعضها فينزل المطر بإذن الله تعالى { وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ } ويطعمكم بماء المطر الفواكه والثمار والحبوب وذلك من رحمة الله تعالى بكم { وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ } ولتسير السفن في البحر بواسطة الرياح لأنها تدفع قلاع (أشرعة) السفن فتجري السفن إلى الجهة التي يرغب إليها أصحابها بأمر الله تعالى وبإذنه وإرادته { وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ }

ولتطلبوا الرزق في التجارة والمعيشة في طلب الرزق بفضل الله تعالى وبفضل إرسال الرياح التي تُجري السفن إلى الاتجاه والبلاد المطلوبة {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لعلكم تحمدون الله تعالى وتشكروه على فضله ونعمه عليكم {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} ولقد أرسلنا وبعثنا {مِنْ قَبْلِكَ} من قبل رسالتك يا محمد يا رسول الله {رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ} رسلاً وأنبياءً أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم {فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} فأتوا إلى أقوامهم بالدلائل والبراهين والحجج والمعجزات {فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} فانتقم الله تعالى من الذين عصوا وأنكروا وكذبوا وكفروا برسلمهم وجحدوا بهم {وَوَكَانَ حَقًّا} وكان حقاً وواجباً وصدقاً وتأكيذاً {عَلَيْنَا} على الله تعالى {نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} أن ينصر الله تعالى من آمن وصدق به وبرسوله في الدنيا وفي الآخرة يدخلهم الجنة {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الذي يسخر ويرسل {الرِّيحَ} هبوب الرياح {فَتُثِيرُ سَحَابًا} فمن حكمته وقدرته أن تحمل الرياح بخار الماء من البحار والمحيطات والأنهار وتجعله سحاباً {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ} فينشره الله تعالى في السماء كيفما يريد ومتى يريد وأينما يريد {وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا} ويجعل الله تعالى ذلك البخار المحمول بالهواء قطعاً متراكمة {فَتَرَى الْوَدْقَ} ترى المطر {تَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} ينزل المطر من خلال السحاب {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ} فإذا نزل بأرض قوم {مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} لمن يريد من عباده وأرضهم ومزارعهم {إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} إذا هم يفرحون ويسرون ويستبشرون بالمطر وبخصب مزرعاتهم وبقدوم الرخاء والخير عليهم وعلى أرضهم وعلى قومهم {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ} ولو كانوا من قبل نزول المطر عليهم ومن

قبله {لَمْبَلِسِينَ} لقانطين ويائسين ومتضايقين ومغمومين من قلة المطر {فَأَنْظُرْ} فشهد يا محمد يا رسول الله {إِلَىٰ آثَرِ} إلى دلائل ونتيجة {رَحْمَتِ اللَّهِ} إلى المطر الذي نزل برحمة الله تعالى لهم {كَيْفَ تَحْيِي الْأَرْضَ} كيف تَحْضُرُ الأرض بالنبات والمزروعات والأشجار {بَعْدَ مَوْتِهَا} بعد جفافها وقحطها {إِنَّ ذَلِكَ} إن ذلك الذي أحيا الأرض بعد موتها {لَمُحْيِ الْمَوْتَى} هو الذي يحيي الموتى أي كذلك الله تعالى يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} على فعل كل شيء فهو قادر بقوله للشيء كن فيكون {وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا} ولو أرسل الله تعالى على الناس ريحاً {فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا} فشاهدوه ولونه أصفر وليس به مطر {لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ} لمكثوا من بعد هذا الريح المكفهر والأصفر الذي يجفف الأرض والمزروعات {يَكْفُرُونَ} يجحدون ويكذبون بنزول المطر عليهم بعد ذلك.

﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ

بِهَدِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَلَتِهِمْ ۗ إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

{فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى} فإنك يا محمد يا رسول الله لا تسمع بهديك الموتى في قبورهم لأنهم عند سماعهم لك لا يستجيبون ولا يعملون بما تأمرهم به وهو تشبيهه وكناية عن الكفار وشبههم بالموتى لأنه لم يتحرك فيهم الإيمان ولا الإسلام فلا يستجيبون لك كالموتى بسبب كفرهم وعنادهم {وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ} وكذلك لا تسمع يا محمد يا رسول الله من في أذنه صمم وطرش {الدُّعَاءَ} النداء عليه {إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} إذا انصرفوا وأدبروا وأعرضوا عنك وذهبوا وشبههم الله تعالى كذلك

بالصمم والطرش في آذانهم عن سماع الهدى وإعراضهم عن الحق والهدى وعن الإسلام {وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ} وما أنت يا محمد يا رسول الله بقادر على هداية العمي عن ضلالتهم وغيهم عن الطريق المستقيم لأنهم لا يطيعونك ولا يهتدوا بهديك ولا بإرشادك ولا بنصحك بل يستمروا في ضلالهم وبعدهم عن الحق والهدى وطريق الإسلام {إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا} وإنك فقط يا محمد يا رسول الله تُسمع من يؤمن ويصدق بآيات الله تعالى ومن قرآنه {فَهُمْ مُسْلِمُونَ} فهم طائعون لله تعالى ومستسلمون لأوامره ومنقادون له ومتبعون دين الإسلام.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٦﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

{اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره {الَّذِي خَلَقَكُمْ} الذي خلقكم وأوجدكم من العدم {مِنْ ضَعْفٍ} من نطفة الرجل والمرأة أي من ماء الرجل والمرأة ومن المنى لتكونوا طفلاً {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} ثم جعلكم من بعد الطفولة وضعفها في قوة الشباب وقوة البدن والجسم والعضلات {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ} ثم جعل من بعد قوة الشباب {ضَعْفًا وَشَيْبَةً} وهو الشيخوخة لكبر السن بأن يشيب رأسه ويوهن جسمه وعظمه {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} والله تعالى يخلق ما يريد من ذكر وأنثى

وصغير وكبير وقوي وضعيف وسليم ومريض {وَهُوَ الْعَلِيمُ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه العليم بخلقه ويعلم ما ينفعهم وما يضرهم وما يحتاجون إليه من قوة وضعف {الْقَدِيرُ} القادر على خلق كل شيء وعمل كل شيء وموت الأحياء وإحياء الموتى وضعفهم وقوتهم وأمره بين الكاف والنون بقوله كن فيكون {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} ويوم القيامة {يُقَسَّمُ} يقسم ويحلف {الْمُجْرِمُونَ} المذنبون والكفار والمشركون والعاصون والمذنبون {مَا لَبِثُوا} ما مكثوا في الدنيا {غَيْرَ سَاعَةٍ} غير ساعة من نهار عاشوا في الدنيا لقصرها وقلة أعمارهم في الدنيا وهم في قولهم هذا يكذبون فقد عاشوا سنين كثيرة في كفرهم وعنادهم {كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} أي كما كذبوا في قولهم هذا أنهم لم يلبثوا إلا ساعة في الدنيا وهم عاشوا في الحقيقة سنين كثيرة فكذلك كانوا في الدنيا يفترون ويكذبون على الله تعالى وعلى رسله {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} وقال العلماء والعارفون {وَالْإِيمَانِ} والمؤمنون والصالحون {لَقَدْ لَبِثْتُمْ} لقد مكثتم {فِي كِتَابِ اللَّهِ} في اللوح المحفوظ {إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} إلى يوم القيامة يوم يُبعث الناس أحياءً من قبورهم إلى المحشر للحساب {فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ} فيقول العلماء والصالحون والمؤمنون للكفار في يوم القيامة هذا اليوم هو يوم البعث والنشور للحساب {وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ولكنكم كنتم أيها الكفار تجهلون حقيقة التصديق بيوم القيامة وصدق قيامها {فَيَوْمَئِذٍ} فيومها يوم القيامة {لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا} لا ينفع ولا يجدي الكفار والمشركين وهم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك كما قال تعالى: "وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ" ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: "إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ١٣



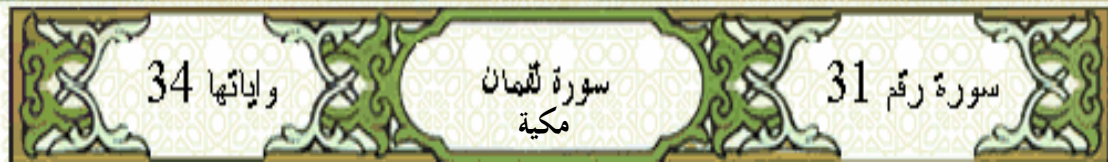
لقمان. {مَعْدِرَتُهُمْ} اعتذارهم وتوبتهم {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} فلا يعاتبون على كفرهم وشركهم وعنادهم لاستكبارهم في الدنيا وتكذيبهم لرسولهم بل يعذبون ويدخلون جهنم.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} لقد ضرب الله تعالى للناس في كتابه القرآن الكريم لكل شيء مثلاً حتى يتعظوا به ويعتبروا {وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ} ولكن يا محمد يا رسول الله لو جئت للكفار بكل آية من القرآن أو بمعجزة من المعجزات كدليل وحجة للكفار بأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك فاعبدوه وحده وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} سيقول لك الكفار الذين كفروا ووجدوا وأنكروا وكذبوا بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِنْ أَنْتُمْ} إن أنتم يا محمد يا رسول الله والمؤمنون معك {إِلَّا مُبْطِلُونَ} إلا كذابون ودجالون وسحارون ومخادعون لأنهم لم يصدقوا بك ولا برسالتك ولا بيوم القيامة {كَذَلِكَ} وهكذا {يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ} يقفل ويختم على قلوب الكفار {الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} الذين يجهلون بيوم القيامة وبالبعث والنشور والمحشر والحساب والعذاب يوم القيامة {فَأَصْبِرْ} فاصبر يا محمد يا رسول الله وجاهد

وتحمّل تكذيبهم ومعارضتهم لك ولرسالتك { **إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ** } إن ما وعد الله تعالى به من يوم القيامة من البعث وإحياء الموتى والنشور من قبورهم إلى المحشر للحساب { **حَقٌّ** } هو حق وصدق ولا كذب فيه وأنه سيدخل من آمن وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعمل صالحاً يدخلهم الجنة يوم القيامة ومن عصى وكفر وأشرك وجحد وكذب بالبعث ويوم القيامة سيدخلهم نار جهنم خالدين فيها وبئس المصير { **وَلَا يَسْتَخَفُّنَاكَ** } ولا يستفزونك ولا يثيرونك ولا يضايقونك { **الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** } الذين لا يصدقون بالبعث وبيوم القيامة لأن مصيرهم إلى نار جهنم يوم القيامة.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شيبان أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرأ فيها الرّوم فأوهم فلما انصرف قال: (إنه يلبس علينا القرآن فإن أقواماً منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء فمن شهد منكم الصلاة معنا فليحسن الوضوء). [وهذا إسناد حسن ومتمن حسن وفيه سر عجيب ونبا غريب وهو أنه صلى الله عليه وسلم تأثر بنقصان وضوء من ائتم به فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام - ابن كثير ج ٣ ص ٤٤١].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

{الْم} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وباللغة التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ الْقُرْآنِ من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسم لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (الْم) هو قوله تعالى: " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ {٦٠} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {٦١} " ٦٠، ٦١ يس. والله تعالى أعلم. مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {تِلْكَ آيَاتُ} هذه أي حروف أوائل سور القرآن الكريم هي عبارة عن آيات مختصرة عن {الْكِتَابِ} القرآن {الْحَكِيمِ} الحكيم في أوامره ونواهيته ونصحه {هُدًى} يهدي الناس للخير وإلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وطاعته {وَرَحْمَةً} ويرحم الله تعالى المؤمنين باتباعهم لما جاء في القرآن الكريم {لِلْمُحْسِنِينَ} للمحسنين أعمالهم وعبادتهم لله تعالى وحده والمخلصين له في العبادة والطاعة {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} وهم الذين يؤديون فريضة الصلاة في أوقاتها الخمس في كل يوم وليلة {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} ويؤدون زكاة أموالهم للفقراء والمساكين ومستحقيها {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ} وكذلك هم بيوم القيامة والحساب {هُمْ يُوقِنُونَ} هم يصدقون

بيوم القيامة من البعث والنشور والمحشر والحساب يوم القيامة {أَوْلَيْكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ} وهؤلاء الذين هذه صفاتهم هم على هداية من الله تعالى وهم على طاعته وهدايته {وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} وهؤلاء هم الفائزون يوم القيامة برضوان الله تعالى وجنته والناجون من عذابه.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٧﴾ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي} ومن الناس من يرغب ومن يطلب ومن يأخذ ومن يختار ثمنًا وطلباً لدنياه ويشتريه بدلاً من الآخرة {لَهْوَ الْحَدِيثِ} الساقط من الكلام وهو ما يلهي عن طاعة الله تعالى وعبادته ومرضاته بإرضاء الناس من الكلام الذي لا فائدة منه بل يؤثم عليه من القصاص الغرامية ومن النكت الجارحة والآثمة كالتهمك والاستهزاء بعباد الله الصالحين وبالصلاة ومن يؤديها وعلى من يؤدي الصلاة والزكاة والحج والاستهزاء والسخرية والغيبة والنميمة وكل كلام ساقط وغير مسؤول وغير ذي فائدة ويلهي عن الحسنات وعبادة الله تعالى ويجلب المعاصي والذنوب والآثام والبعد عن طاعة الله تعالى {لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} ليضل ويغوي نفسه وغيره ويبعدهم عن دين الإسلام وعن عبادة الله تعالى الحققة {بِغَيْرِ عِلْمٍ} بغير علم منه أنها حرام ويعاقب على فعلها وقولها من الاستهزاء والسخرية والغيبة والنميمة لعباد الله تعالى {وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا} ويتخذ لهو حديثه سخرية بالغير وتنقيصاً من شأنهم ومكانتهم ومن عبادتهم لله تعالى {أَوْلَيْكَ} هؤلاء الساخرون {هُمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} لهم يوم القيامة عذاب وعقاب من الله تعالى مذل لهم {وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِ

ءَايْتُنَا} وعندما تقرأ على مسامعه آيات القرآن الكريم سواء في عزاء أو في خطبة أو درس أو علم أو موعظة {وَلِي} أعرض وانصرف {مُسْتَكْبِرًا} جاحداً ومتكبراً وناكراً وغير مصدق بها {كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا} لا يريد سماعها ولا تصديقها ولا العمل بها {كَأَنَّ فِي أذُنَيْهِ وَقْرًا} وكان في أذنيه صمماً وطرشاً أي أنه لا يريد سماعها والأخذ بها والعمل بها تكبراً وعصيانياً وإنكاراً وجحوداً {فَبَشِّرْهُ} فبلغه يا محمد يا رسول الله ببشارة العذاب {بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} بعقاب يوم القيامة في جهنم موجه وشديد وقاس.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَلِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقَ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن المؤمنين وهم الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحات من العبادات وأعمال البر والخير في طاعة الله تعالى ومرضاته {هُم جَنَّاتُ النَّعِيمِ} لهم يوم القيامة ثواب من الله تعالى بدخول جناته ونعيمها المقيم والجنات هي ثمان جنان إما دار الجلال أو جنة المأوى أو جنة الخلد أو جنة النعيم أو جنة الفردوس أو جنة عدن أو جنة دار القرار ولذلك سميت بالجمع جنات فيدخل المؤمن إحداها على قدر عمله الصالح في الدنيا وسميت بالنعيم لأنها

دار نعيم مقيم ودائم. وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: (لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه) [وروي عن ابن عمر مرفوعاً نحوه - ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٠]. {خَلِدِينَ فِيهَا} مقيمين وساكنين ودائمين في الجنة {وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا} ما وعد الله به المؤمنين هو حق وصدق ولا كذب فيه {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَزِيزُ} القوي في ملكه وسلطانه فلا أحد يستطيع أن يذله أو يقهره فهو عزيز في ملكه وسلطانه {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة في خلقه وكونه وأمره ونهيه ولا يخطئ أبداً {خَلَقَ السَّمَوَاتِ} خلق الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه السموات السبع بعضها فوق بعض ابتداءً من السماء الدنيا وهي الأولى التي نراها حتى السماء السابعة كما قال تعالى: " الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا " ٣ الملك. وقال تبارك وتعالى: " إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ " ٦ الصافات. وقد جاء في الحديث أن ما بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام وسمك كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء خمسمائة عام حتى السابعة {بِعِزِّ عَمْدٍ تَرَوْنَهَا} ولم يجعل الله تعالى عمداً تحملها في وسطها ولم يرى أحد من الناس عمداً تحمل السماء وهذا يدل على عظيم ألوهيته وقدرته سبحانه وتعالى وتبارك في ملكه {وَأَلْقَى} ووضع {فِي الْأَرْضِ} في الأرض التي نحن عليها {رَوَاسِيَ} جبال تثبتها كما تثبت الأوتاد الخيمة {أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} حتى لا تضرب الأرض ولا تميل ولا تتحرك بسبب الجبال الرواسي والعظيمة التي تثبت الأرض وهذه من حكمة الله تعالى ومن قدرته ومن علمه ومن رحمته بالناس وبالخلق

الذين يسكنون عليها {وَبَثَّ} ووضع ونشر {فِيهَا} في الأرض التي نحن عليها {مِنْ} كُلِّ دَابَّةٍ} خلق الله تعالى على الأرض من كل دابة تدب وتمشي على الأرض سواء لها أرجل أو بدون أرجل من جميع المخلوقات والكائنات والحيوانات والإنس والجان والطيور والوحوش والهوام والحشرات ومن مخلوقات الله تعالى التي لا يعلمها غيره {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} وأنزل الله تعالى المطر من السماء ماءً {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا} فأنبت الله تعالى في الأرض بسبب نزول المطر عليها {مِنْ كُلِّ} زَوْجٍ} من كل صنف ونوع ذكر وأنثى كالنخيل مثلاً حيث تلقح أنثى النخل بقلح ذكر النخل وهكذا {كَرِيمٍ} طيب الثمر وكثيره كما تحمل أشجار النخيل والعنب وباقي أشجار الفواكه والخضروات الطيبة الطعم واللون والرائحة {هَذَا خَلْقَ اللَّهِ} هذا الذي خلقه الله تعالى من سماوات بدون عمد ومن كل دابة وأنزل المطر وأنبت النبات والأشجار والفواكه فكلهم خلقهم الله تعالى بقدرته وحكمته وعلمه ورحمته {فَأَرْوِنِي} فاجعلوني أنظر وأشاهد {مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} ماذا خلق الذين تعبدون من غير الله تعالى من الأصنام والأوثان ماذا خلقوا من الأشياء غير ما خلق الله تعالى أي أنهم لم يخلقوا أنفسهم ولا غيرهم ولن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له {بَلِ الظَّالِمُونَ} ولكن الظالمون لأنفسهم بالكفر والشرك كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {فِي ضَلَالٍ} في غي وعمى وبعد عن الحق {مُبين} عظيم.



﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنِّي إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

{وَلَقَدْ آتَيْنَا} ولقد وهب الله تعالى وأعطى {لُقْمَانَ} لقمان عليه السلام. وهو ابن عنقاء بن سدون واسم أبيه ثاران في قول حكاة السهيلي. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٤]. وقال سفيان الثوري عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٣]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: (كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين أحب الله تعالى فأحبه ومنّ عليه بالحكمة). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٦٣]. ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٣]. {الْحِكْمَةَ} والحكمة هي القول السديد والتصرف السديد في كل أمر من الأمور وكما قال تعالى: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" ٢٦٩ البقرة. ومن حكمة لقمان عليه

السلام قال ابن جرير: حدثنا وكيع حدثنا أبي عن أبي الأشهب عن خالد الربعي قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال أخرج أطيّب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال أخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيّب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما، فقال لقمان إنه ليس من شيء أطيّب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٣]. ومن حكمته أيضاً ما ورد من أنه قدم لقمان عليه السلام من سفر فلقيه خادمه فقال ما فعل أبي قال مات قال ملكتُ أمري قال وما فعلت أُمي؟ قال ماتت قال ذهب همي قال وما فعلت امرأتي؟ قال ماتت قال تجدد فراشي قال وما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتني قال وما فعل أخي؟ قال مات قال انقطع ظهري. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٦٣]. وهو عبد وليّ الله كثير الصمت والتفكير وليس نبياً لأن كل نبي حكيم وليس للنبي أن يكون رقيقاً ومولى للغير لأنه يتنافى مع حرية النبوة. قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي مسلم الخولاني رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لقمان كان عبداً كثير التفكير حسن الظن كثير الصمت أحب الله فأحبه الله تعالى فمنّ عليه بالحكمة نودي بالخلافة قبل داود عليه السلام فقبل له يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة تحكم بين الناس بالحق؟ قال لقمان إن أجبرني ربي عز وجل قبلت فإنني أعلم أنه إن فعل ذلك أعانني وعلمني وعصمني وإن خيرني ربي قبلت العافية ولم أسأل البلاء فقالت الملائكة يا لقمان لم؟! قال لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان فيؤخذل أو يُعان فإن أصاب فبالحري أن ينجو وإن أخطأ

أخطأ طريق الجنة ومن يكون في الدنيا ذليلاً خيراً من أن يكون شريفاً شائعاً ومن يختار الدنيا على الآخرة فاتته الدنيا ولا يصير إلى ملك الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فغط بالحكمة غطاً فانتبه فتكلم بها ثم نودي داود عليه السلام بعده بالخلافة فقبلها ولم يشترط شرط لقمان فأهوى في الخطيئة فصغ عنه وتجاوز وكان لقمان يؤازره بعلمه وحكمته فقال داود عليه السلام: طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة فصرفت عنك البلية وأوتي داود الخلافة فابتلي بالذنب والفتنة). {أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ} أمره الله تعالى أن يشكر أنعم الله تعالى وأفضاله عليه {وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} ومن يشكر النعمة فمردود النعمة والنفع راجع عليه نفسه بزيادة النعمة عليه ورضوان الله تعالى له يوم القيامة بإدخاله الجنة ولقوله تعالى: " لئن شكرتم لأزيدنكم " ٧ إبراهيم. {وَمَنْ كَفَرَ} ومن جحد وأنكر وكذب بالنعمة {فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ} فإن الله تعالى غني عن شكره ولا يحتاج إليه {حَمِيدٌ} فهو حميد الصفات والأفعال {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ} وإذ قال لقمان لابنه {وَهُوَ يَعِظُهُ} في نصحه له {يَبْنِي لَأُتَشْرِكَ بِاللَّهِ} يا ولدي لا تجعل في عبادتك شريكاً لله من الأصنام والأوثان والأنداد فهي لا تنفع ولا تضر وكما قال تعالى: " وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ " ٥٥ الفرقان. {إِنَّ الشِّرْكَ} إن الإشراك مع الله غيره في العبادة {لَظُلْمٌ} لظلم يظلم به نفسه ولا يغفره الله تعالى {عَظِيمٌ} فهو كبير ولا يغفره الله تعالى لأنه أكبر الكبائر كما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ " ٤٨ النساء. وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عدّ شهادة الزور في أكبر الكبائر. متفق عليه في حديث ولفظه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أنبئكم

بأكبر الكبائر ثلاثاً) قالوا بلى قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين) وجلس وكان متكئاً ثم قال: (ألا وقول الزور) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. [سبل السلام ج ٤ ص ١٣٠، ١٢٩]. {وَوَصَّيْنَا} ووصى الله تعالى وصيةً واجبةً {الْإِنْسَانَ} الواحد من ذرية آدم وصاه الله تعالى بحسن العشرة وبحسن المعاملة {بِوَالِدَيْهِ} بأمه وأبيه {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ} حملت به أمه من الشهر الأول من الحمل إلى الشهر الأخير من الحمل وهو غالباً إلى الشهر التاسع وفي بعض الحالات إلى الشهر السابع وفي النادر الشهر السادس {وَهَنَّا عَلَىٰ وَهْنٍ} ضعفاً على ضعف ومشقة على مشقة وألماً على ألم لأنه كلما تقدمت مدة الحمل وزادت يثقل في بطنها وتنتابها الأمراض والأوجاع والآلام. وسبب الإشارة للأم دون الأب في تشديد الوصية لسببين أولهما ضعف الأم وثانيهما قلة مالها غالباً كما قال تعالى: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ" ٣٤ النساء. {وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ} وفظامه عن الرضاعة لمدة عامين لمن أراد أن يتم الرضاعة وكما قال تعالى: "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ" ٢٣٣ البقرة. وكما قال تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا" ١٥ الأحقاف. {أَنْ أَشْكُرَ لِي} أن اشكر يا ابن آدم لله تعالى على السراء والضراء وعلى نعمه وأفضاله تعالى عليك {وَلِوَالِدَيْكَ} واشكر لوالديك صنيعهما على تربيتهك طفلاً رضيعاً وعلى حسن تربيتهم ورعايتهم وسهرهم لك ومن أجلك {إِلَى الْمَصِيرِ} إلى الله تعالى المصير والمنقلب والعاقبة والرجوع إليه يوم القيامة وكما قال تعالى: "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا" ٢٣ الإسراء. {وَإِنْ جَاهَدَاكَ} وإن أمراك وإن قاوماك ودفعاك وأرغماك

{عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ} أن تشرك بالله تعالى وتجعل له شريكاً في ألوهيته وفي عبادتك له من الأصنام والأوثان والأنداد {بِي} بجلالي أي بجلال الله تعالى وبذاته {مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} من زيف عبادة الأصنام والأوثان التي ما أنزل بها من سلطان وليس عندك وعندهم علم حقيقي وثابت وبيّن لعبادتها {فَلَا تُطْعُهُمَا} فعندها لا تطع والديك في الإشراف بالله تعالى لأنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وكما قال تعالى: " وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا " ٢٨ الكهف. {وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} وصاحبهما في الدنيا بالمعروف والمعاملة الحسنة من مأكّل ومشرب وملبس وعشرة حسنة وبرّ بهما وتلطف معهما لما لهما عليك من حق الأبوة والأمومة {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ} واقترف أثر وطريق {مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} من تاب وندم ورجع إلى الله تعالى بالعبادة والطاعة والتوبة {ثُمَّ إِلَيَّ} ثم إلى الله تعالى {مَرْجِعُكُمْ} ترجعون إلى الله تعالى بالبعث أحياء من قبوركم إلى المحشر للحساب {فَأُنَبِّئُكُمْ} فيخبركم الله تعالى ويحاسبكم {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} بما عملتم في الدنيا من خير أو شر كما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨،٧ الزلزلة. {يَبْنِيٰ إِنْبَاءَ إِنْ تَكُ} يخاطب لقمان عليه السلام ولده قائلاً له إن تكن هناك {مِثْقَالَ} وزن {حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ} وزن حبة من نبات الخردل مع صغرها وقلة وزنها وحجمها وهي عبارة عن السيئة مع صغرها وحقارتها {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} فتكن تلك الحبة من الخردل موجودة على صخرة {أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ} أي مهما صغرت الأشياء حتى لو حبة خردل وكانت على صخرة أو في السموات السبع أو في الأرض يُحضرها الله تعالى ولا تغيب عنه فهو يعلمها وهكذا الخطيئة والذنب يأتي بها الله

يوم القيامة ويحاسب عليها مَنْ عملها وكما قال تعالى: " وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف. {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ} إن الله رفيق بعباده ويشفق عليهم ويرحمهم بإرسال الرسل لهم يعظونهم وينصحونهم ويخوفونهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة حتى لا تكون لهم حجة عند الله تعالى يوم القيامة عند محاسبتهم على أعمالهم {خَبِيرٌ} عليم بكل شيء وجميع أعمالهم في الدنيا من خير أو شر {يَبْنِي أَقْرِبَ الصَّلَاةِ} ثم بعد ذلك أمره بإقامة الصلاة {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ} ونصحه بالأمر بالمعروف وهو بعد العبادات أن يأمر بأعمال الخير والبر والطاعات {وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ} وأمره بالنهاي عن المنكر وهو ما أنكره الشرع من الأعمال المحرمة والقبيحة والسيئة {وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ} ووعظه بالصبر وتحمل الأذى عند أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لأنه يعلم أن كل من يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر لا بد من أن يلاقي الأذى من السفهاء ومن الحساد وممن لا يعلمون بإنكارهم وجحودهم وتكذيبهم له عاقبة أمرهم من الجهال أو من الخصماء {إِنَّ ذَلِكَ} إن ذلك الصبر وتحمل الأذى من الحساد والخصماء والمعاندين {مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} هو من قوة العزيمة ومن نجاح الأمور والأعمال وتحملها في طاعة الله تعالى {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} لا تتعرض لمخاصمة الناس وعنادهم واستفزازهم بالكبر والتعالي والعناد بل كن سهلاً ليناً معهم كما قال تعالى: " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى " ٤٤ طه. {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} ولا تمش في الأرض مسروراً بوظيفتك أو منزلتك في خيلاء

وكِبْرٍ وبطر {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} إن الله تعالى يبغض المتكبر على الناس بوظيفته أو جاهه أو منزلته ويحتقر الناس ويذلهم ويقهرهم ويظلمهم في وظيفته وفي عمله {وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} وتوسط في مشيك أي لا تجري في الشارع عند ذهابك لقضاء شأنك فيستخف الناس بك ولا تمش ببطء تكبراً وخيلاء تفاخراً وتعالياً {وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} وخفض من صوتك حتى لا تزعج الناس بكلامك الذي لا فائدة منه بل ثرثرة أو سخرية أو شماتة {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} فإن الصوت العالي في غير طاعة أو وعظ أو نصح أو إصلاح بين الناس فهو عندها يكون كصوت الحمير مزعج ولا فائدة منه.

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۗ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۗ﴾

﴿ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۗ﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۗ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۗ﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۗ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ۗ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۗ﴾

{أَلَمْ تَرَوْا} ألم تعلموا وتشاهدوا بأعينكم أيها الناس {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَخَّرَ لَكُمْ} سخر لكم لمنفعتكم أيها الناس

{مَا فِي السَّمَوَاتِ} كل ما في السموات من مطر وشمس وقمر ونجوم وملائكة يحفظونكم ويدعون لكم بالمغفرة وبالرزق وبالمر {وَمَا فِي الْأَرْضِ} وكل ما في الأرض من بحار وأنهار وأشجار وفواكه وحيوانات وطيور وكل ما في الأرض قد سخره الله تعالى ووهبه وجعله في خدمتكم ومنفعتكم {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ} وأتم وأكمل عليكم {نِعْمَهُ} خيره وفضله ونعيمه {ظَهَرَ} وهي كل ما خلقه الله تعالى من نعمة وترونها بأعينكم من مال وجاه وصحة وخير {وَبَاطِنَةً} وهي نِعَم الإيمان والاطمئنان والفرح والسرور وغنى النفس وما وُري وخفي عن أعينكم وتعلمونه أو لا تعلمونه {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ} ومن الناس من يخاصم ويناقش ويدافع عن رأيه بأن الله تعالى له شريك أو ولد {بِغَيْرِ عِلْمٍ} بجهل وبشك وعدم يقين {وَلَا هُدًى} ولا هدى معه يهديه ويرشده للحق والعدل والصواب {وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} ولا كتاب من الكتب السماوية صحيح وواضح وبينٌ ينير له طريق الحق والعدل والصواب {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} وإذا قيل للكفار والجاحدين والمعاندين والمكذابين بالله تعالى وبرسوله {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} اتبعوا وخذوا بالقرآن الكريم وما أنزل الله تعالى فيه من الهدى والرشاد والأمر والنهي وما ينفعكم في دنياكم وآخرتكم {قَالُوا} ردوا قائلين {بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} بل نتبع ونقتفي ونعمل بما جاء به وما سبقنا به آبائنا وأجدادنا من عبادة الأصنام والأوثان والأنداد {أُولَئِكَ} يفعلون ذلك حتى لو {كَانَ الشَّيْطَانُ} كان الشيطان وهو إبليس وجنده {يَدْعُوهُمْ} يأمرهم ويوجههم ويغريهم إلى الضلال والغي والبعد عن الحق والصواب وعن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وإلى عدم طاعته ثم {إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ} ثم يكون مصيرهم



بكفرهم وعنادهم وتكذيبهم إلى عذاب جهنم التي لا ينطفئ عذابها ولا نارها وكلما أرادت الخمود زادت الملائكة سعيراً أي وقوداً واشتعالاً {وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ} ومن يوجه وجهه وعمله وعبادته {إِلَى اللَّهِ} إلى مرضات الله تعالى {وَهُوَ مُحْسِنٌ} وهو مخلص في عبادته وعمله ويحسن كل ذلك في مرضات الله تعالى {فَقَدْ اسْتَمْسَكَ} فقد تمسك وتعلق {بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} بالحق والعدل والصواب والعروة المتينة كما هي فتحة الثوب لزرار القميص القوية والمتينة التي تمسك وتغلق الثوب جيداً أو كحلقة الحبل التي يتمسك بها الغريق للنجاة من الغرق والموت إذا أدليت في البحر له من أحد لنجاته من الغرق {وَإِلَى اللَّهِ عَنقَبَةُ الْأُمُورِ} وإلى الله تعالى مصير وعاقبة ونهاية الأمور كلها فمرجعها إليه وإلى حكمه وإلى مشيئته وإرادته {وَمَنْ كَفَرَ} ومن كفر بالله وجحد وأنكر وكذب بالله تعالى وبرسله وباليوم الآخر {فَلَا تَحْزُنْكَ} فلا يغضبك ولا يؤلمك ولا تتأثر فهم لا يستحقون حزنك وكما قال تبارك وتعالى: " وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ " ٧٠ النمل. وكما قال تعالى: " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا " ٦ الكهف. {كُفْرُهُ} لكفره {إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ} لأن مصيرهم أنهم يرجعون إلى الله تعالى بالبعث والنشور إلى المحشر {فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا} فيعلمهم الله تعالى بما عملوا في الدنيا من الكفر والشرك والجحود والإنكار والتكذيب لرسله فيحاسبهم على أعمالهم التي في الدنيا والتي اقتترفوها {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ} إن الله تعالى يعلم ويعرف ويدري {بِدَاتِ الصُّدُورِ} بما في الصدور والقلوب ويعلم بنياتهم وأعمالهم وتوجهاتهم ما ظهر منها وما بطن {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا} يمتعهم الله تعالى في الدنيا وينعمهم قليلاً لأن متاع الدنيا بالنسبة للآخرة فهو قليل {ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ} ثم نرجعهم وندفعهم {إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ} إلى

عذاب جهنم القاسي والموجع {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ} ولئن سألتهم يا محمد يا رسول الله واستفسرت من الكفار {مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} من هو الذي خلق وأوجد السموات السبع والأرض وأوجدهم من العدم {لَيَقُولَنَّ اللَّهُ} سيجيبونك: الله تعالى هو الذي خلقهن {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} قل يا محمد يا رسول الله الحمد والشكر لله تعالى باعترافكم أن الله تعالى هو الخالق والموجد للسموات والأرض وقد حكمتم على أنفسكم أيها الكفار أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه أنه هو الخالق وليس له شريك {بَلْ أَكْثَرُهُمْ} ولكن أغلبهم {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون ضلالهم ولا عاقبة أمرهم أنهم إلى النار يحشرون {لِلَّهِ} لله تعالى {مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} كل ما في السموات وكل ما في الأرض كله لله تعالى {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الغني عن خلقه ولا يحتاج إلى عون أو مساعدة أحدهم وهو غني عن الشركاء {الْحَمِيدُ} فهو حميد الصفات والأفعال في خلقه ومملكه.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُخْرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾

{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ } ولو أن جميع شجر الأرض أقلام للكتابة { وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُخْرٍ } وماء البحر يمدده ويزيده سبعة أبحر أخرى وتكون مداداً للكتابة { مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ } ما انتهت كلمات الله تعالى في عدِّ صفاته وعدِّ مخلوقاته ونعيمه وأوامره ونواهيها وتفصيلها عن كل شيء خلقه الله تعالى في كونه ولذلك نزل القرآن الكريم موجزاً والتفصيل والتوضيح والسنة لرسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فمثلاً الصلاة لم يعين القرآن الكريم عدد ركعاتها لا في صلاة الصبح ولا الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء ولا كيفيتها وكذلك لم يعين الفريضة الثانية كم نسبة الزكاة للأموال وللماشية وللبقر وللغنم ولعروض التجارة وللذهب وللفضة وكذلك الحج ومناسكه وهكذا ولكن السنة الشريفة هي التي وضحت ذلك { إِنَّ اللَّهَ } إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { عَزِيزٌ } قوي في ملكه وسلطانه فلا أحد يستطيع أن يذله أو يقهره فهو عزيز وقوي في ملكه وسلطانه { حَكِيمٌ } ذو حكمة في خلقه وكونه وأمره ونهيه ولا يخطئ أبداً { مَّا خَلَقَكُمْ } ليس خلقكم في البداية من العدم { وَلَا بَعَثَكُمْ } ولا بعثكم أحياء من

قبوركم يوم القيامة للمحشر وللحساب {إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} إلا كما يخلق أو يحيي ويبعث نفساً واحدة فهم سواء بكلمة كن فيكون {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَمِيعٌ} إن الله تعالى يسمع جميع خلقه ويسمع دبة النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء {بَصِيرٌ} يرى ويبصر جميع خلقه في لحظة واحدة {أَلَمْ تَرَ} ألم تشاهد يا محمد يا رسول الله {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ} يدخل ويتعاقب الليل مع النهار {وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} ويدخل ويربط النهار مع الليل ويشابكهما مع بعضهما كحبات العقد تدور خلف بعضها {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} وجعل الشمس والقمر مسخرتان للناس لتضيء لهم الأرض ولمعرفة الحساب لعدد السنين والأشهر والأيام {كُلُّ شَيْءٍ حَسْبِيَ} كل يدور ويجري في مداره {إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} إلى يوم القيامة {وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ} وأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بما تفعلون أيها الناس في الدنيا {خَبِيرٌ} عليم وذو خبرة بكم وبأفعالكم وأعمالكم {ذَلِكَ} إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل وتسخير الشمس والقمر {بِأَنَّ اللَّهَ} دليل على أن الله تعالى الذي سخر الشمس والقمر وخلق السموات والأرض وخلقكم ويحييكم {هُوَ الْحَقُّ} هو المعبود الحق ولا إله غيره ولا معبود سواه {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ} وأن ما يعبدون {مِنْ دُونِهِ} غيره {الْبَاطِلُ} فهو الباطل والمزيف والكذب {وَأَنَّ اللَّهَ} وأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ الْعَلِيُّ} هو العلي عن الشرك والمتعالي عن الأنداد والأوثان والأصنام {الْكَبِيرُ} العظيم.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٦﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا تَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ وَأَحْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۗ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۗ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تعلم وتشاهد يا محمد يا رسول الله {أَنَّ الْفُلْكَ} أن السفن {تَجْرَى فِي الْبَحْرِ} تجري في أعماق البحار وعلى سطحه {بِنِعْمَتِ اللَّهِ} بفضل الله تعالى ورحمته {لِيُرِيَكُمْ} ليبين لكم ويجعلكم تشاهدون {مِنْ آيَاتِهِ} من قدرته ومعجزاته ودلائله وبراهينه {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك البحر الذي يحمل السفينة التي حمولتها عدة أطنان من الحديد ولم تغطس مع ثقلها في البحر {لَآيَاتٍ} لمعجزات ودلائل وبراهين {لِكُلِّ صَبَّارٍ} وهي كلمة مبالغة للصبر على طاعة الله تعالى وعبادته ولن هو صبور عن المعاصي وصبور في الشدائد {شَكُورٍ} لمن يشكر الله تعالى على أنعمه وأفضاله وفي الرخاء والشدّة {وَإِذَا غَشِيَهُمْ} وإذا جاءهم {مَوْجٌ} موج متلاطم في البحر {كَالظُّلَلِ} الداكن كالجبال أي إذا هاج البحر عليهم وتلاطمت أمواجه وكالغيم المظلم {دَعَوْا اللَّهَ} عندما رأوا الهلاك بأعينهم التجؤوا إلى الله تعالى بالدعاء {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} وأخلصوا له دينهم ودعاهم لأنهم علموا

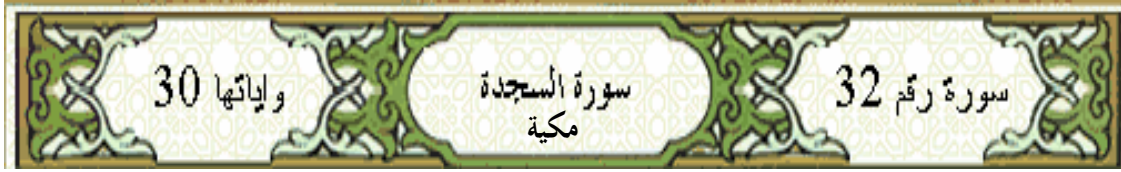
أنه لا ينقذهم أحد من الغرق إلا الله تعالى فدعوه موقنين بأنه الواحد الأحد الذي يخلصهم مما هم فيه {فَلَمَّا جَحَّهْمَ} فلما أنقذهم الله تعالى {إِلَى الْبَرِّ} إلى أرض اليابسة {فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ} منهم معتدل في طاعة الله تعالى {وَمَا تَجْحَدُ} وما يكفر ويكذب {بِعَايَتِنَا} بقدرتنا ومعجزاتنا على نجاته {إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ} إلا كل غدار وجبار ومتعالي ومتكبر {كَفُورٍ} جحود ومنكر فضل الله تعالى عليه {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} يا أيها الناس عامة {اتَّقُوا رَبَّكُمْ} اعبدوا ربكم وأطيعوه وخافوه {وَأَخْشَوْا يَوْمًا} وخافوا يوم القيامة {لَا تَجْزِي} لا ينفع {وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ} والد وأب عن ابنه لا ينفعه بشيء {وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ} ولا ابن هو دافع ولا مغنٍ {عَن وَالِدِهِ شَيْئًا} عن أبيه شيئاً {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} إن ما وعد الله به خلقه من البعث والنشور والمحشر والحساب يوم القيامة هو حق وصدق {فَلَا تَغْرُنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} فلا تلهيكم الدنيا ولا تغريكم {وَلَا يَغْرُنَّكُم بِاللَّهِ} ولا يغريكم ولا يغويكم عن عبادة الله تعالى وطاعته {الْغُرُورُ} الضال والمفسد والمغوي والمغرر بكم {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عِنْدَهُ رِيسَالُ السَّاعَةِ} عنده وحده علم الساعة في أي ساعة تقوم ولا يعلمها أحد غيره {وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ} وهو الذي يستطيع أن ينزل المطر على من يشاء من عباده {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} وهو الله تعالى الذي يعلم ما تحمل الأرحام من ذكر أو أنثى أو شقي أو سعيد أو سليم أو مريض أو سقط أو حي وكما ثبت في الصحيحين من حديث الأعمش عن زيد ابن وهب عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: (إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك

ثم يكون مُضْغَةً مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧]. {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ} ولا تعلم نفس {مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} ماذا تغنم وترزق من خير أو شر غداً في مستقبلها {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} ولا تعلم نفس في أي أرض أو بلاد يأتيها الموت. قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في مسند أسامة بن زيد: حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما جعل الله ميتة عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٥٥]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} يعلم بكل شيء ويعلم دقائق الأمور في ملكه ومحيط وخبير به {خَبِيرٌ} عليم ومحيط بكونه وما يدور فيه.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا إسحاق عن جرير عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر) قال يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان) قال يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قال يا رسول الله متى الساعة؟ قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربّتها فذاك من أشراطها وإذا كان الحفاة العرابة رؤوس الناس فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله. " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ

وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ " الآية.) ثم انصرف الرجل فقال: (ردُّوه عَلَيَّ) فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئاً فقال: (هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٥٤].





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ  
أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ  
يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾

{الْم} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وباللغة التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ الْقُرْآنِ من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسم لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢٠١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢٠١ لقمان. وعليه فإن معنى (الْم) هو قوله تعالى: " أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " ١٦٩ الأعراف. والله تعالى أعلم. مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ} تنزيل القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل منجماً ومفرقاً على حسب الأحداث والوقائع بواسطة الوحي سيدنا جبريل عليه السلام إلى النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَا رَيْبَ فِيهِ} لا شك في القرآن {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فهو من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو رب وخالق وإله جميع العوالم وجميع الخلق والكون {أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرْتَهُ} أم يقول الكفار اختلقه وكذبه محمد من عنده {بَلْ هُوَ} ولكنه هو أي القرآن الكريم {الْحَقُّ} هو الصدق {مِنْ رَبِّكَ} نزل من عند ربك يا محمد يا رسول الله

{لِتُنذِرَ قَوْمًا} لتحذر وتعظ قوماً وهم قوم قريش {مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ} لم يأتيهم ولم يرسل إليهم ولم يبعث إليهم من رسول من قبلك يحذرهم ويعظهم ويخوفهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة لمن كفر وأشرك وكذب بالقرآن {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} لعلهم يهتدون ويرشدون إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وطاعته وترك عبادة الأصنام والأوثان والأنداد والإشراك والكفر بالله تعالى.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٢﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٣﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

{اللَّهُ} الله عز وجل عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} هو الذي خلق وأوجد من العدم السموات السبع والأرض {وَمَا بَيْنَهُمَا} من شمس وقمر ونجوم وكواكب {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} في عدد ستة أيام اليوم منها يساوي ألف سنة مما تعدون لقوله تعالى: " وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " ٤٧ الحج. {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} وبعد ذلك بدأ في تصريف شؤون خلقه وكونه بالحكم والأمر والخلق والرزق والموت والحياة والقدرة كما قال تعالى: " كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ " ٢٩ الرحمن. وكما قال تعالى عن الاستواء: " إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ " ٣ يونس.  
(والاستواء) هو البدء في تصريف شؤون خلقه وكونه كما قال تعالى: " هُوَ الَّذِي  
خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ " ٢٩  
البقرة. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من زعم أن الله تعالى في شيء أو من  
شيء أو على شيء فقد أشرك به إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ولو كان من  
شيء لكان محدثاً ولو كان في شيء لكان محصوراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.  
[نزهة المجالس ص ٨]. وليس معنى الاستواء هو الجلوس كما يظن البعض لأنه  
تعالى منزّه عن فوق يرفعه وعن تحت ينزله وعن عرش يحمله وعن سماء تكتنفه  
وعن جهة تحده وعن مكان يقفه. قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لما سئل عن  
قوله تعالى: " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " قال من حصر الله تعالى في الجهة  
الفوقية أو التحتية فقد كفر. [نزهة المجالس ص ٧]. وقال الإمام أحمد: حدثنا  
يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع ابن عابس عن  
عمه أبي رزين واسمه لقيط بن عامر بن المنفق العقيلي قال قلت يا رسول الله أين  
كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم  
خلق العرش بعد ذلك). [وقد رواه الترمذي في التفسير وابن ماجه في السنن من  
حديث يزيد بن هارون به وقال الترمذي: هذا حديث حسن - ابن كثير ج ٢  
ص ٤٣٧]. وقال العرش للنبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج: أنت  
المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة ونصيب في فيها أن تشهد  
لي بالبراءة مما نسبته أهل الغرور إليّ وتقولن أهل الزور عليّ زعموا أني أسع من لا  
حدّ له وأحيط بمن لا كيفية له - يا محمد، من لا حدّ لذاته ولا عد لصفاته كيف  
يكون مستقراً إليّ أو محمولاً عليّ؟ يا محمد إذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته

وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي أو ينفصل عني؟ لا أنا منه ولا هو مني. [نزهة المجالس ص ١١٩]. فهذا الاستواء ليس معناه الجلوس وإنما معناه كما سبق هو أنه بدأ في تصريف شؤون خلقه وكونه بعد خلق السموات والأرض وما فيهما وبدأ بتدبير شؤون كونه بتدبير الأمر من خلق وحياة وموت ورزق وغير ذلك وكما قال تعالى: " ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ " ٣ يونس. { مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ } ليس لكم غير الله تعالى { مِّنْ وَلِيٍّ } ما لكم أيها الناس جميعاً غير الله تعالى من ولي يتولى أمركم ويرعاكم ويرزقكم { وَلَا شَفِيعٍ } ولا شفيع غير الله تعالى يشفع لكم يوم القيامة لينفذكم من عذابه { أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } أفلا تتعظون وتنتصحون { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ } فهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض كنزول المطر وكطلوع الشمس والقمر ونزول الملائكة في ليلة القدر وغير ذلك مما يحيط الله تعالى به علماً { ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } ثم ينتهي ويصعد إلى الله تعالى أمر الخلائق وأعمالهم { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } لأن الأمر من الله تعالى عندما ينزل من السماء إلى الأرض ثم يعود ثانياً ويصعد من الأرض إلى السماء يقطع مسافة ألف سنة ذهاباً وإياباً وهذا ما عناه حديث الإسراء والمعراج بأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام سرعة الجواد المسرع أو الطير ولذلك قال تعالى: " يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " ه السجدة. وليس معنى ذلك أن أمر الله تعالى يتأخر بحيث ينزل بعد ألف سنة فهو ليس كذلك لأن سرعة الملائكة أسرع من لمح البصر ولكن المسافة بين السماء والأرض بعيدة بحيث لو أراد الطير أو الجواد المسرع قطعها لا يقطعها إلا بعد ألف سنة (خمسمائة عام ذهاباً وخمسمائة عام إياباً) وليس الملائكة لأن سرعتهم أسرع من

البرق الخاطف وأسرع من لمح البصر فلا يستغرق هبوطهم وصعودهم بأمر الله تعالى إلا جزءاً يسيراً من الثانية أو أقل {ذَلِكَ عَنِ الْغَيْبِ} ذلك الذي خلق السموات والأرض والعرش هو عالم الغيب الذي يعلم غيب السموات والأرض وما بينهما ويعلم ما في الدنيا والآخرة ويعلم الأزل والماضي والحاضر والمستقبل {وَالشَّهَادَةِ} وهو العالم المنظور والمعلوم والمشاهد بالعين {الْعَزِيزِ} القوي في ملكه وسلطانه فلا أحد يستطيع أن يذله أو يقهره فهو عزيز وقوي في ملكه وسلطانه {الرَّحِيمِ} فهو يرحم خلقه المؤمنين فلا يعذبهم يوم القيامة ويدخلهم الجنة {الَّذِي أَحْسَنَ} الذي أتقن {كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} كل شيء خلقه على أحسن صورة فهو بديع السموات والأرض وكما قال تعالى: " الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ {٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ {٤} " ٤، ٣، ٤ الملك. وكما قال تعالى: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " ٤ التين. {وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} والله تعالى بدأ خلق آدم عليه السلام من أديم الأرض وطينها كما جاء في الحديث الذي رواه النسائي قال: حدثنا إبراهيم بن يعقوب حدثني محمد بن الصباح حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا الأخضر بن عجلان عن أبي جريح المكي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدي فقال: (إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع فخلق التربة يوم السبت، والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الاثنين، والمكروه يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر، وخلق من أديم الأرض أحمرها وأسودها وطيبها وخبثها، من أجل ذلك

جعل الله من بني آدم الطيب والخبِيث). [هكذا أورد الحديث إسناداً ومتمناً وقد أخرج مسلم والنسائي أيضاً من حديث حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا السياق - ابن كثير ج ٣ ص ٤٥٧]. {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ} ثم جعل الله تعالى ذريته تتكاثر {مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ} من سلاله الأب والأم من ماء الرجل وماء المرأة {مَّهِينٍ} حقير وقذر {ثُمَّ سَوَّاهُ} أي شكّله الله تعالى عند خلقه كصفة إنسان وهو من طين حتى يجف كما قال تعالى: " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ " ١٤ الرحمن. {وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ} ثم نفخ الله تعالى في جسد آدم الروح التي هي من خلقه فتغير من طين إلى لحم ودم بقدره الله تعالى {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ} وجعل لكم الآذان تسمعون بها {وَالْأَبْصَارَ} والأعين تبصرون بها الأشياء {وَالْأَفْئِدَةَ} والقلوب التي تعقلون بها وتؤمنون بها {قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} وبعد ذلك لقلما يشكر الناس نعم الله تعالى عليه وكما قال تعالى: "وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ" ١٣ سبأ.

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١﴾  
 ﴿ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٢﴾ وَلَوْ تَرَىٰ  
 إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ  
 صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي  
 لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٤﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ  
 هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

{وَقَالُوا} وقال الكفار والمشركون {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ} هل إذا ضللنا وتاهت  
 أجسادنا وأشلائونا وتفرقت عظامنا وبلبيت في أنحاء الأرض {أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}  
 فهل بعد أن تتمزق وتتشتت أشلائونا وعظامنا هل من حياة جديدة ونحيا بعد  
 الموت وهو سؤال استنكاري أي أنهم ينكرون البعث والحياة والنشور يوم القيامة  
 والمحشر والحساب {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} بل هؤلاء الكفار ينكرون  
 ويجحدون الرجوع إلى الله تعالى بالبعث والنشور والمحشر والحساب فهم ينكرون  
 ذلك ويكذبون به {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ  
 الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} يميئتم ملك الموت الذي وكله الله تعالى بقبض الأرواح وملك  
 الموت هو عزرائيل عليه السلام وهو رئيس ملائكة الموت وقائدهم لأنه يوجد تحت  
 إمرته عدد كبير من الملائكة في هذا الشأن فهم جميعهم تحت لوائه وإمرته وكما أن  
 إبليس لعنه الله له جنود من الشياطين أعداد كثيرة - وليس إبليس هو الذي يغري  
 الناس في الوقت الحاضر بل جنوده من الشياطين هم الذين يقومون بإفساد الناس  
 وإغوائهم ولكنه كان يتسلط سابقاً على الأنبياء والرسل والصالحين قبل رسالة  
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك تحولت إلى جنوده من الشياطين -



وهكذا ملك الموت جنوده من الملائكة يتوكلون بقبض الأرواح كما قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا " ٩٧ النساء. وكما قال تعالى: " الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ " ٢٨ النحل. وكما قال تعالى: " الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " ٣٢ النحل. وكما قال تعالى: " وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ " ٥٠ الأنفال. وكما قال تبارك وتعالى: " فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ " ٢٧ محمد. {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} ثم بعد الموت تُرجعون إلى الله تعالى يوم القيامة بالبعث والنشور إلى المحشر ليحاسبكم على أعمالكم التي كانت في الدنيا من خير أو شر {وَلَوْ تَرَىٰ} ولو تشاهد يا محمد يا رسول الله {إِذِ الْمُجْرِمُونَ} وهم المذنبون والعاصون والكافرون والمشركون وهم {نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ} مطأطئون رؤوسهم ذلاً وهواناً {عِنْدَ رَبِّهِمْ} وهم يوم القيامة في المحشر بين يدي ربهم {رَبَّنَا} يقولون ربنا وخالقنا وإلهنا {أَبْصَرْنَا} رأينا وشاهدنا الحقيقة وعلم اليقين بأعيننا أن هناك عذاب يوم القيامة {وَسَمِعْنَا} وأطعنا لأمرك ورسلك {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا} فأعدنا إلى الدنيا لنعمل عملاً صالحاً من جديد {إِنَّا مُوقِنُونَ} إنا الآن مصدقون بالبعث والعذاب. وهيئات ينفع الندم بعد فوات الأوان {وَلَوْ شِئْنَا} ولو أراد الله تعالى غضباً وأمراً {لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ} لألزمنا وأعطينا كل نفس منهم {هُدًى} رشدها وصلاحتها وتقواها وذلك مثل الملائكة يعبدون الله ولا يعصونه طرفة عين كما قال تعالى: " عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا

يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " ٦ التحريم. {وَلَيْكُنْ حَقًّا} ولكن وجب وتأكد {الْقَوْلُ مِنِّي} ولكن سبق القول من الله تعالى في كتابه العزيز في القرآن {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} سيملاً ويعبئ الله تعالى جهنم يوم القيامة ممن كفر من الجن والإنس جميعهم ولا يستثنى أحداً ممن كفر وأشرك منه {فَذُوقُوا} فذوقوا العذاب أيها الكفار والمشركون {بِمَا نَسِيتُمْ} بما تجاهلتم {لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} رجوعكم واجتماعكم في يومكم هذا في المحشر وهو يوم القيامة للحساب {إِنَّا نَسِينَاكُمْ} إنا تركناكم وأبعدناكم من الرحمة ومن العفو ومن المغفرة {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ} وخذوا العذاب المخلد والدائم في جهنم وعذابها {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} بما كنتم تفعلون من المعاصي والذنوب والكفر والإشراك والجحود والإنكار والتكذيب للرسول.

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن تَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِء تَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَلَنذِيقَنَّهِنَّ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴿

{ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا } إنما يصدق بآيات الله تعالى من القرآن الكريم { الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا } الذين إذا تُلِّيت عليهم واتعظوا وانتصحووا بها { خَرُّوا سُجَّدًا } وقعوا على الأرض سجدًا وسجدوا خضعاناً لله تعالى { وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ } وسبحوا الله تعالى ربهم وخالقهم وإلههم وحمدوه على فضله ونعمه { وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } وهم لا يتعالون ولا يتكبرون عن عبادة الله تعالى وطاعته والسجود له. ورد في الصحيحين أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فيقرأ السورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته). وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار). [رواه مسلم - فقه المذاهب الأربعة ص ٢٤٤].

{تَتَجَافَى} تتباعد وتهجر نومها وفراشها {جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} تهجر فراش النوم وتهب للصلاة وطاعة الله تعالى في ظلم الليل ووقت السحر {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} يطلبون من الله تعالى {خَوْفًا} يستعيذون من عذاب جهنم ومن عذاب القبر وفتنة المحيا والممات {وَوَطْمَعًا} وطلباً وطمعاً في الجنة ونعيمها ورضوان الله تعالى عليهم {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} ومن مال الله تعالى ورزقه الذي أعطاه لهم وأغدقه عليهم {يُنْفِقُونَ} ينفقون بالصدقات والزكاة للمحتاجين وللفقراء {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ} فلا تدري نفس {مَا أُخْفِيَ لَهُمْ} ما يخفيه الله تعالى لأولئك الطائعين من النعيم في الجنة وما أعده الله تعالى لهم {مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} مما تقر وتلذ به العين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر {جَزَاءً} ثواباً ومكافأة {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} بما كانوا يفعلون. قال البخاري: حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا أبو أسامة عن الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا من بله ما أطلعتم عليه) ثم قرأ: " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ". [ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٠]. {أَفَمَنْ} فهل {كَانَ مُؤْمِنًا} فهل من كان مصداقاً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر منزلته ودرجته وثوابه {كَمَنْ كَانَتْ فَاسِقًا} يتساوى مع الفاسق والعاصي والمذنب والمفسد والمعلن المعصية؟! {لَا يَسْتَوُونَ} أي أنهم لا يتساوون عند الله تعالى منزلةً {أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا} فأما المؤمنون الذين آمنوا بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال

الصالحات من الخير والبر وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وطاعته {فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ} فلهم يوم القيامة ثواب دخول جنات المأوى التي يأوي إليها ويدخلها ويسكنها المؤمنون {نُزُلًا} مسكنًا ومنزلًا لهم يوم القيامة {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} بما كانوا يفعلون من الطاعات والعبادات ومرضات الله تعالى {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا} وأما الذين أعلنوا عصيانهم وكفرهم وطغيانهم {فَمَأْوَاهُمُ} فمصيرهم {النَّارُ} إلى نار جهنم وعذابها {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} أي كلما يرفعهم اللهب إلى أعلى تضربهم الملائكة بمقامع من حديد فتعيدهم إلى قعرها ثانيًا أو كلما أرادوا الهروب إلى أطرافها أعادتهم الملائكة إلى وسطها {وَقِيلَ لَهُمْ} وقالت لهم الملائكة {ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} ذوقوا عذاب نار جهنم الذي كنتم في الدنيا تكذبوه ولم تصدقوه {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ} ويقول الله تعالى سنذيقهم العذاب الأصغر والأقل في الدنيا من الأسر والقتل والمصائب والأمراض والأحزان {ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} غير العذاب الأكبر يوم القيامة في جهنم {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} لعلهم يتوبون من قريب ويندمون على عصيانهم وكفرهم {وَمَنْ أَظْلَمُ} فهل أحد أظلم وأنه ليس أحد أظلم {مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ} فمن ذكّر ووُعِظَ بآيات الله تعالى من القرآن الكريم {ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا} ثم تولى عنها وكذب بها وجحدها وأنكرها ولم يصدق ولم يعمل بها {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ} إنا أي الله تعالى من العصاة والكافرين {مُنْتَقِمُونَ} سينتقم منهم ويعذبهم في نار جهنم يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۗ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۗ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ يَهْدِي لَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا نُنسِقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

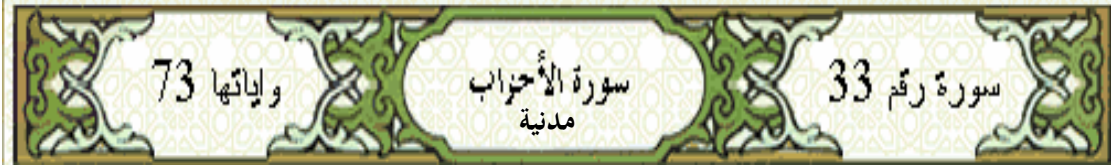
{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى} ولقد أتى الله تعالى وأنزل على سيدنا موسى عليه السلام نبي الله ورسوله {الْكِتَابَ} التوراة {فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ} فلا تكن يا محمد يا رسول الله في ظن وفي شك من لقاء ربك يوم القيامة ليجازي المحسن إحساناً ويعاقب ويعذب المسيء والمذنب ناراً في جهنم {وَجَعَلْنَاهُ هُدًى} وجعل الله تعالى كتاب التوراة هدى ويُرشد به {لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} لليهود وهم ذرية يعقوب عليه السلام {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ} وجعل الله تعالى من بني إسرائيل {أُمَّةً} أحراراً وعلماً ووعاظاً ومصلحين {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} يهدون ويرشدون بني إسرائيل لعبادة الله تعالى وطاعته بأمر من الله تعالى {لَمَّا صَبَرُوا} لما صبروا على طاعة الله تعالى وعبادته وصبروا عن معصية الله تعالى {وَكَانُوا بِآيَاتِنَا} وكانوا هؤلاء الأحرار والعلماء من بني إسرائيل بآيات كتاب التوراة التي أنزلها الله تعالى عليهم {يُوقِنُونَ} يؤمنون ويصدقون بها {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك وخالقك الله تعالى جل جلاله

وعظم قدره وعلا شأنه يا محمد يا رسول الله {هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ} هو الذي يحكم ويقضي ويفصل بين بني إسرائيل وبين أنبيائهم وأئمتهم يوم القيامة {فِيمَا كَانُوا فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} فيما كانوا فيه يختصمون في أمر دينهم {أَوْلَمَ يَهْدِ لَهُمْ} أولم يكن لهم واعظاً وعبرةً {كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ} كم أهلك الله تعالى ودمر وأمات قبل بني إسرائيل {مِنَ الْقُرُونِ} من الأمم السابقة والقرون الماضية التي سبقتهم {يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ} وكانوا يمشون في مساكنهم وفي ديارهم من قبلهم {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك الهلاك والدمار للأمم السابقة التي سبقتهم {لَآيَاتٍ} لدلائل وبراهين وحجج لهم حتى يتعظوا ويعتبروا {أَفَلَا يَسْمَعُونَ} أفلا يسمعون النصح والإرشاد ويتعظون ويصدقون برسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسل إليهم وهو دين الحق ودين الإسلام وبالقرآن الكريم وبما جاء فيه لهم {أَوْلَمَ يَرَوْا} أفلا يشاهدوا وينظروا بأعينهم {أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ} أن الله تعالى يُسَيِّرُ وَيُسَخِّرُ المطر وينزله {إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ} إلى الأرض القاحلة والمجدبة والصحراوية {فَنُخْرِجُ بِهِ} فینبت الله تعالى به ويخرج بواسطة ماء المطر من الأرض القاحلة والمجدبة {زُرْعًا} نباتاً وأشجاراً وحشائش {تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ} تأكل أنعامهم ودوابهم ومواشيهم من ذلك النبات وترعى منه حيواناتهم {وَأَنْفُسُهُمْ} ويأكلون أنفسهم من الفواكه والخضروات مما تنتجه الأرض بعد نزول المطر عليها {أَفَلَا يُبْصِرُونَ} أفلا يرون ويشاهدون حقيقة قدرة الله تعالى وعظمته ورحمته وفضله عليهم فيعبدونه وحده لا شريك له ويطيعونه ويتركون عبادة الأصنام والأوثان والأنداد {وَيَقُولُونَ} ويقول كفار مكة للنبي صلى الله عليه

وسلم {مَتَى هَذَا الْفَتْحُ} متى يأتي هذا النصر لك يا محمد ويفتح الله تعالى العذاب علينا ويهلكنا فاستعجل به لنا {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنت يا محمد أنت وربك والمؤمنون صادقين في قولكم بأن الله تعالى هو واحد لا شريك له وهو يستحق العبادة وحده ونترك أصنامنا وعبادتهم يقولون ذلك سخرية بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبذلك هم يكذبونه ولا يصدقونه لا هو ولا رسالته لهم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {يَوْمَ الْفَتْحِ} يوم نصر الله لك وللمؤمنين ويوم أن يفتح الله تعالى العذاب على الكفار {لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا} لا ينفع الكفار ولا يغني عنهم يومها {إِيْمَانُهُمْ} تصديقهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لا ينفع يومها الندم {وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} ولا هم يؤجّلون ولا يؤجّل عنهم العذاب {فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ} فدعهم واتركهم في غيهم وضلالهم وكفرهم {وَأَنْتَظِرُ} وانتظر نقمة الله تعالى وعذابه عليهم {إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ} إنهم منتظرون العذاب وهو واقع بهم لا محالة كواقعة بدر وفتح مكة.

روى البخاري في كتاب الجمعة: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة: "الم \* تَنْزِيلُ" السجدة و "هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ". ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان الثوري به. وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر أخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ "الم \* تَنْزِيلُ" السجدة و "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ". تفرد به أحمد. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٥٦].





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ} يقول الله تعالى مخاطباً نبيه ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تكريماً له وتعظيماً بندائه يا أيها النبي ولم يدعه باسمه يا محمد تكريماً وتعظيماً له ولرسالته {اتَّقِ اللَّهَ} اعبد الله تعالى وأطعه واخشه وخفه واحذره واحذر عصيانه {وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ} ودع الكافرين ولا تطعمهم بصدقك عن تبليغ رسالتك {وَالْمُنَافِقِينَ} وكذلك لا تطع المنافقين في تثبيطهم لك وتخذيْلهم لك بعدم مواصلة تبليغ رسالتك {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ عَلِيمًا} عليماً بتبليغك الرسالة ويعلم جميع أمرك وشأنك ويعلم كفرهم وجحودهم وإنكارهم وتكذيبهم لك ولرسالتك {حَكِيمًا} حكيماً ذا حكمة في شرعه وأمره ونهيه وما ينفع الناس في حياتهم الدنيا وفي الآخرة يوم القيامة {وَأَتَّبِعَ} ونفذ وخذ {مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ} ما يوحيه الله تعالى لك من القرآن والسنة بواسطة الوحي جبريل عليه السلام وما ينزل إليك {مِنْ رَبِّكَ} من القرآن الكريم {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه كان ولا يزال بما تفعلون يا محمد يا رسول الله أنت وجبريل والناس جميعاً {خَبِيرًا} ذا خبرة

وعلم ومن الأزل بما تعملون وستعملون في المستقبل وخبيراً بكم وبأحوالكم وشؤونكم  
 {وَتَوَكَّلْ} واعتمد يا محمد يا رسول الله {عَلَى اللَّهِ} على الله تعالى في جميع  
 شأنك {وَكَفَى بِاللَّهِ} ويكفيك بالله تعالى {وَكَيْلًا} معيناً وسنداً ومدافعاً ونصيراً.  
 ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ  
 مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَقُولُ  
 الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿١٠٠﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا  
 ءَابَاءَهُمْ فَاِحْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ  
 وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠١﴾ ﴾

{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} لم يجعل الله تعالى لرجل من بني  
 آدم قلبين اثنين في جسده وداخله. وقيل أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش  
 يقال له ذو القلبين وكان يزعم أن له قلبين كل منهما يعقل به أفضل من عقل  
 محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليه. [هكذا روى العوفي  
 عن ابن عباس وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير - ابن كثير  
 ج ٣ ص ٤٦٦]. {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي} ولم يجعل الله تعالى زوجاتكم اللاتي  
 {تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ} تحرموهن بقول الرجل لامراته أنتِ عليّ كظهر أمي أي  
 يجعلها محرمة عليه مثل أمه فهن لسن بأمهات ولدنه من أرحامهن فالأم حرمها  
 الله تعالى وليست الزوجة كالأم والظهار مشتق من الظهر لقول القائل أنتِ عليّ  
 كظهر أمي أي يحرم على نفسه جماعها كأمه. وقد نزلت آية الظهار في سورة  
 المجادلة في أوس بن الصامت وفي زوجته وهي خويلة بنت ثعلبة وفي حديث  
 خويلة بنت ثعلبة قالت: في والله وفي أوس أنزل الله سورة المجادلة قالت: كنت

عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وقد ضجر قالت فدخل عليّ يوماً فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت عليّ كظهر أمي قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي قالت: قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت، فحكم الله ورسوله فيهما. [الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود إسناده مشهور - سبل السلام ج ٣ ص ١٩٠]. وحكم الله ورسوله فيهما هو الكفارة وكفارة الظهار هي كما في حديث سلمة بن صخر وهو أنصاري خزرجي قال: دخل رمضان فخفت أن أصيب امرأتي - وفي الإرشاد قال: إني كنت امرأاً أصيب من النساء ما لا يصيب غيري - فظاهرت منها فانكشف لي شيء منها ليلة فوقعت عليها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حرر رقبة) فقلت ما أملك إلا رقبتي قال: (فصم شهرين متتابعين) قلت وهل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام قال: (أطعم فرقاً من تمر ستين مسكيناً). [أخرجه أحمد والأربعة إلا النسائي وصححه ابن خزيمة وابن الجارود - سبل السلام ج ٣ ص ١٨٧]. {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ} نزلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة فكان يُقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى: "وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ". [ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٥]. {ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ} ذلك التبني ثم ادعاء أن المتبني هو ابن شرعي هو قولكم بألسنتكم وبفمكم وادعائكم بالباطل فانتهوا {وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ} والله تعالى يقول ويحكم ويقضي بالحق والصدق {وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يهدي الناس للحق والهدى وطريق الرشاد والطريق المستقيم {أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ} انسبواهم لآبائهم الحقيقيين {هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} هو أعدل

عند الله تعالى لمعرفة النسب حتى لا ينسب أحد إلى غير أبيه وأمه {فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا  
 ءَابَاءَهُمْ} فإن كنتم أيها المسلمون تجهلون آباءهم {فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} فهم  
 إخوان لكم في دين الإسلام ونادوهم بكلمة (أخ) أو (يا أخي) {وَمَوَالِيكُمْ} أي  
 عتقائكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لزيد: (أنت أخونا ومولانا). [ابن كثير ج ٣  
 ص ٤٦٧]. {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} وليس عليكم ذنب {فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} وفي  
 الحديث: (إن الله رفع عن أمتي الخطأ والنسيان والأمر الذي يكرهون عليه). [ابن  
 كثير ج ٣ ص ٤٦٧]. {وَلَيْكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} ما أصرت قلوبكم وتعمدت  
 {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا} والله تعالى يغفر لمن تاب وندم ورجع أو أخطأ ولم يتعمد ولم  
 يصر على ذلك {رَحِيمًا} يرحمه الله تعالى ولا يعذبه بعد توبته وندمه ويدخله  
 الجنة.

﴿النبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ  
 أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ  
 أَوْلِيَاءِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ  
 مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا  
 غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

{النبِيُّ} النبي والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ  
 أَنفُسِهِمْ} أولى بالطاعة والاحترام والإجلال من المؤمنين بعضهم لبعض ومن أنفسهم  
 ذاتهم لنفس أنفسهم وذاتهم فلا يرفعوا أصواتهم عليه ولا ينادونه من وراء  
 الحجرات ولا يعصوا له أمراً. وفي الصحيح: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم

حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٧]. وفي الصحيح أيضاً أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله والله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم: (لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء حتى من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم: (الآن يا عمر) ولهذا قال تعالى في هذه الآية: " النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ " . [ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٨]. وقال البخاري عند هذه الآية الكريمة: حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم: " النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ " فأیما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه). [تفرد به البخاري - ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله: " النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ " عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأیما رجل مات وترك ديناً فإليّ ومن ترك مالاً فهو لورثته). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٨]. { وَأَزْوَاجُهُمْ وَأُمَّهَاتُهُمْ } وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم جميعهم أمهات للمؤمنين فهم لهم حرمة فلا يجوز الزواج بإحدهن ولهن الاحترام والتوقير والتعظيم وليس ذلك لبناتهن حيث تزوج علي بن أبي طالب فاطمة رضي الله عنهما وكذلك تزوج عثمان بن عفان بابنتي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهما أم كلثوم ورقية رضي الله عنهما جميعاً وبهذا لا يستطيع أحد أن يقول أنه خال أو عم المؤمنين أي أن الحرمة من الزواج

من إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بسبب أنهن أمهات المؤمنين ذلك تعظيماً وتبجيلاً واحتراماً للنبي صلى الله عليه وسلم وحتى يحفظ رسالته وبيته وأهله من الشبهات ومن اللغز والهمز والغمز من الأعداء والمنافقين وحتى يحفظ ويصون عرض وشرف النبي صلى الله عليه وسلم في أزواجه تعظيماً وتبجيلاً واحتراماً للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأهله {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ} وأصحاب الأرحام وهم الأقرباء بالنسب {بَعْضُهُمْ} بعضهم في الميراث وصلة الأرحام {أُولَىٰ بِبَعْضٍ} فهم أولى ببعضهم البعض بسبب القرابة والنسب سواء في الميراث أو في صلة الرحم أو في صلة القرابة {فِي كِتَابِ اللَّهِ} وهذا نص عليه القرآن الكريم حتى يأخذ ويعمل به المؤمنون {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ} أي أولى من وراثة الإيمان والهجرة التي كانت في أول الإسلام فنسخت بهذه الآية {إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أَوْلِيَاءِ كُمْ} ولا بأس أن تقدموا سواء الهبات أو الصدقات أو البر والخير إلى أصدقائكم ومعارفكم {مَعْرُوفًا} أي جميلاً ومعروفاً وفضلاً وكرماً منكم فلا مانع منه وعلى أن تكون الوصية بهذه الهبة أو الصدقة لا تزيد عن ثلث مال الميت كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم {كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} هذا الحكم فهو مسجل لكم في القرآن الكريم مكتوباً ومؤكداً ومبيناً وواضحاً إلى يوم القيامة {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ} وأخذ الله تعالى من جميع الأنبياء والرسول {مِيثَاقَهُمْ} العهد والميثاق على تبليغ الرسالة لأقوامهم وأممهم {وَمِنْكَ} ومنك أنت يا محمد يا رسول الله كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ " ٦٧ المائدة. {وَمِنْ نُوحٍ} وكذلك أخذ الله عز وجل الميثاق والعهد من نوح عليه السلام لتبليغ الرسالة حتى مكث في قومه ألف

عام إلا خمسين وهو يهديهم ويعظهم فلما أصروا على الكفر أغرقهم الله تعالى {وإبراهيم} وكذلك أخذ الميثاق من إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حتى لما وُضع في المنجنيق ليقتلوه في النار لم يردد عن دينه ولم يستغث حتى بجبريل عليه الصلاة والسلام عندما نزل فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما طلب منه أن يأمره بما يريد فقال أما منك فلا وكذلك تبرأ من أبيه آزر عندما علم منه إصراره على الكفر وأنه عدو لله تبرأ منه وهاجر من عند قومه ووطنه من العراق إلى الشام {وموسى} وموسى بالذهاب إلى فرعون كما قال تعالى: " اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ " ١٧ النازعات. أمره بالذهاب إلى فرعون ووعظه بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له إلا أنه أصر على كفره فأغرقه الله تعالى {وعيسى ابن مريم} وكذلك عيسى عليه السلام أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل كما قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ " ٦ الصف. {وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً} والميثاق الغليظ هو العهد المشدّد المغلظ بتبليغ الرسالة وما جاء في كتبهم لأقوامهم. وهؤلاء الرسل المذكورون في هذه الآية هم أولو العزم من الرسل كما قال تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ " ٣٥ الأحقاف. {لِيَسْأَلَ الصّٰدِقِيْنَ عَنْ صَدَقِهِمْ} وذلك حتى يسأل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام عن صدقهم في تبليغ رسالته إلى قومهم وأممهم هل بلغوها كاملة غير منقوصة حتى يحاسب الكفار والمشركين على جحودهم وكفرهم وتكذيبهم وإنكارهم برسولهم وما جاءوا به من عند الله تعالى لهم {وأعدّ} وحضّر وجهز {للكافرين} لمن كفر وجحد

وأنكر وكذب بالله تعالى وبرسله وباليوم الآخر {عَذَابًا أَلِيمًا} عذاباً شديداً يوم  
القيامة ومؤملاً وموجعاً وقاسياً.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا  
وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ إِذْ جَاءَ وَكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ  
أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا  
﴿٢﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٣﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ  
مِّنْهُمْ يَا هَلْ يَأْتِيهِمْ لَيْسَابٌ لَّا يُفْقَهُونَ فَارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴿٥﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٦﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٧﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٨﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٩﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١١﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١٣﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١٤﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١٨﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١٩﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِذْ  
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا سُبُورٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٣﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله وملائكته وكتبه  
ورسله واليوم الآخر {أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} تفكروا فضل الله تعالى عليكم {إِذْ  
جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ} عندما جاء لقتالكم جنود كفار قريش وعلى رأسهم أبو سفيان  
صخر بن حرب ومن غطفان عيينة بن حصن بن بدر وهي غزوة الأحزاب وجمع  
لها كفار قريش ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل وذلك في شوال سنة خمس من



الهجرة على المشهور وكانت بنو قريظة بينها وبين النبي محمد صلى الله عليه وسلم عهداً فنقضوه ومالؤوا الأحزاب وقد ألبهم حيي بن أخطب النضري على الرسول عليه السلام فلبوا نداءه وانضموا إلى قريش مما زاد الابتلاء للمؤمنين ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم حفر الخندق حول المدينة بإشارة من سلمان الفارسي رضي الله عنه ومكثوا محاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريباً من شهر ولم يقع بينهم قتال إلا أن عمرو بن عبد ود العامري وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا إلى ناحية المسلمين وكان عدد المسلمين نحواً من ثلاثة آلاف وقيل سبعمائة فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين إليه فيقال أنه لم يبرز إليه أحد وأمر علياً رضي الله عنه فخرج إليه فتجاولا ساعة ثم قتله علي رضي الله عنه فكان علامة على النصر. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٠]. { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا } ثم أرسل الله عز وجل جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه على الأحزاب ريحاً شديدة الهبوب حتى لم تبق لهم شيئاً لا خيمة ولا ناراً حتى ارتحلوا خائفين مذعورين بفضل الله تعالى ونصره بإرسال هذه الريح. قال مجاهد وهي الصبا ويؤيده الحديث الآخر: (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٠]. وقال محمد ابن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه؟ قال نعم يا ابن أخي قال وكيف كنتم تصنعون؟ قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال قال حذيفة رضي الله عنه يا ابن أخي والله لو رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

هويا من الليل ثم التفت فقال: (مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم؟ - يشرط له النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع - أدخله الله الجنة) قال فما قام رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويًا من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويًا من الليل ثم التفت إلينا فقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟ - يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة) فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال صلى الله عليه وسلم: (يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تُحدثنَّ شيئاً حتى تأتينا) قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل لا تُقرّ لهم قراراً ولا ناراً ولا بناءً فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر كل امرئ مَنْ جليسه. قال حذيفة رضي الله عنه فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت مَنْ أنت؟ فقال أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليّ أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني لو شئت لقتلته بسهم قال حذيفة رضي الله عنه فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرجل فلما رأني أدخلني بين رجليه وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد وإني لفيه فلما سلّم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت

قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧١]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عاصم الأنصاري حدثنا أبو عامر ح وحدثنا أبي حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا الزبير يعني ابن عبد الله مولى عثمان رضي الله عنه عن ربيع ابن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال صلى الله عليه وسلم: (نعم قولوا: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) قال ف ضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم بالريح. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٢]. {وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا} وهي جنود من الملائكة ولأنها لا تُرى بالعين المجردة فقد سلطهم الله عليهم فزلزلتهم الملائكة وألقت في قلوبهم الرعب والهلع وظنوا بأن المسلمين قد تسللوا إليهم وذلك مع شدة هبوب الريح عليهم فولوا مدبرين ولم ينالوا خيراً {وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} والله تعالى مطلع عليكم وعلى أحوالكم ومبصر لجميع أعمالكم وأفعالكم والتي منها حفر الخندق حول المدينة بمشورة سلمان الفارسي وكان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق ويقولون:

لَاهُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا \* \* وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا \* \* وَثَبَّتْ الْأَقْدَامَ إِنَّ لَاقِينَا

إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَغَا عَلَيْنَا \* \* إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا

فيوافقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول معهم آخر كل قافية فإذا قالوا: إذا أرادوا فتنة أبينا، يقول: (أبينا) يمد بها صوته. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٥]. {إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} إذ جاءت قريش والأحزاب من أعالي المدينة وبنو قريظة أي اليهود جاءوهم من أسفل المدينة. وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفراً من أشرف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم من المدينة إلى خيبر منهم سلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة ابن الربيع خرجوا إلى مكة فاجتمعوا بأشراف قريش وألبوهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ووعدهم من أنفسهم النصر والإعانة. فأجابوهم إلى ذلك ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضاً. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٠]. وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريباً من أحد ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة وهم كفار قريش بقيادة أبو سفيان ومن معه وقريظة واليهود من أسفل منكم {وَأِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ} ومن شدة الخوف والهلع للمسلمين مالت أبصارهم إلى جميع الجهات فلا تدري من أي مكان يأتيهم العدو {وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} وبلغ شدة الخوف والفزع والهلع أقصى مداه وكأنه طمح من القلوب حتى وصل حنجرة الفم وهذا أقصى أنواع الخوف وشدته {وَتَطَّنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} حتى ظن المسلمون بأن الله تعالى لن ينصرهم وسيخذلهم {هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} وفي تلك اللحظات من معركة الأحزاب ابتلي المؤمنون بالأعداء من فوقهم ومن أسفل منهم وأحاطوا بهم كالسوار حول المعصم {وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا} وأرعبوا وتخوفوا خوفاً شديداً وكان الأعداء الذين أحاطوا بهم هم زلزال سيقتلهم ويهلكهم وذلك من شدة الخوف والرعب الذي زلزل قلوبهم وإيمانهم {وَأِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ} وعندها قال المنافقون {وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} وهم الذين في قلوبهم شك من نصر الله تعالى لهم {مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} لم يعدنا الله تعالى ورسوله إلا وهماً وخداعاً وكذباً حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمداً يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٢]. {وَأِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ} ويقال إنما كان أصل

تسميتها يثرب برجل نزلها من العماليق يقال له يثرب بن عبید بن مهالييل ابن عوص بن عملاق بن لاذ بن ارم بن سام بن نوح. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٣]. أي يا أهل المدينة {لَا مَقَامَ لَكُمْ} لا منزل لكم هنا {فَارْجِعُوا} فارجعوا إلى بيوتكم ومنازلكم ودوركم حتى لا تقتلوا {وَيَسْتَعِزُّنَ} ويطلب الإذن {فَرِيقٌ مِّنْهُمْ} قسم من المسلمين {النَّبِيِّ} سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} أن بيوتهم غير محصنة ويخافون عليها من السرقة {وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ} وليس هي بقبالة للسرقة والنهب {إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} ويريدون باستئذانهم من النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة إنما هو هروب من اللقاء ومن العدو {وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا} ولو دخلت عليهم جيوش وجنود الكفار من جوانب المدينة {ثُمَّ سُلِّمُوا أَلْفِتْنَةً} ثم طلب منهم الشرك والكفر والردة عن الإسلام {لَأَنْتَوَّهَا} لقاموا بها {وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا} وما مكثوا في الإسلام إلا لحظات وفترة قليلة ثم يرددوا عن الإسلام وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ وَقَدْ كَانُوا أَقْسَمُوا بِاللَّهِ وَعَاهَدُوا اللَّهَ تَعَالَى {مِنْ قَبْلُ} من قبل أن يأتيهم الأحزاب {لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ} لا يفرون ولا يهربون {وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا} وسيُسألون عن عهد الله ونقضهم للعهد يوم القيامة فليس عهد الله لعباً ولا هزواً {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله أي للمنافقين معك {لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ} لن ينفعكم الهروب {إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ} سواءً فررتم وهربتم من الموت أو القتل {وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا} لأن متاع الدنيا قليل ولا يجدي لكم نفعاً يوم القيامة {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله للمنافقين {مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ} من هو الذي يمنعكم {مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ

سَوْءًا} من عذاب الله تعالى إن أراد بكم شراً {أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} أو أراد بكم نعمة وفضلاً ونصراً {وَلَا تَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا} ولا يجد هؤلاء المنافقون يوم القيامة من يتولاهم ويرعاهم ويحفظهم ويمنعهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة فلا يجدون أحداً يتولاهم ويرعاهم ويحفظهم {وَلَا نَصِيرًا} ولا من ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله تعالى.

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ تَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَن أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ} يعلم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يعلم علم اليقين والتأكيد والإثبات {الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ} المنهزمين والمقللين والمفسدين والمثبطين الهمم للمجاهدين من المؤمنين {وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ} والقائلين لإخوانهم من المؤمنين ومن أقربائهم ومن عشيرتهم {هَلُمَّ إِلَيْنَا} تعالوا إلينا إلى المدينة ولا تجاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نحميكم ونحفظكم من الأعداء {وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا} ولا يأتون الحرب والقتال إلا قليلاً ثم يستسلمون ويفرون من القتال {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ} بخلاء عليكم لا يساعدونكم ولا ينفعونكم بشيء {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ} فإذا جاء الخوف وأحاط بكم العدو {رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ} عندها تراهم

يا محمد يا رسول الله ينظرون إليك في حيرة {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ} من شدة الخوف والرعب ينظرون إلى جميع الاتجاهات خوفاً من دخول الأعداء عليهم وهلاكهم {كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} وقد تشخصت أجسادهم من شدة الخوف فلا حراك لهم كأنهم قد غشي عليهم وكأنهم في سكرات الموت باهتون لا يعلمون ماذا يفعلون أي أنهم كالذي حضرته الوفاة لا يتكلم ولا يتحرك من شدة الخوف والرعب والفرع من الأعداء {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ} فإذا ذهب الأعداء والخوف عنهم وأتى الأمان عليهم {سَلَقُوكُمْ} آذوكم واتهموكم وجرحوكم {بِالسِّنَةِ حِدَادٍ} بالسنة مثل المنشار يتهموكم بعدم الحكمة وسوء التصرف وبالخوف والجبن ويؤذونكم بالغيبة والنميمة وبذيء القول كما قال تعالى: " يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ " ٨ المنافقون. {أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ} لا يفعلون الخير إلا غصباً عنهم خوفاً منكم أو حياءً {أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا} هؤلاء الفئة لم يدخل الإيمان في قلوبهم بل ينافقون {فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ} فخرّب الله تعالى وأهلك وذهب بأعمالهم الشريرة وأفسدها وكذلك لم يبق لهم حسنة لخدلانهم لله ولرسوله وللمؤمنين {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} وكان إفساد وإبطال خدلانهم للمؤمنين سهلاً على الله تعالى حيث كشفها وبينها للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فقد علموا نفاقهم للمؤمنين وخدلانهم لهم {تَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا} يظنون أن الأحزاب وهم قريش ومن معهم من الجنود لم ينصرفوا عن المدينة وأنهم سيعيدون الكرة عليهم ثانياً لقتالهم وذلك لشدة خوفهم على أنفسهم من الهلاك {وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ} وإن يرجع الأحزاب لقتالهم {يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ} يتمنوا لو أنهم من سكان البادية مع الأعراب ولم يسكنوا

المدينة قط {يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ} يسألون عن أخباركم وهم في الصحراء بعيدون عنكم وسالمون من قتال الأحزاب لكم وذلك خوفاً وفراراً من العدو {وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ} ولو كانوا معكم في المعركة {مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا} فلو كانوا معكم يا محمد يا رسول الله لم يقاتلوا العدو إلا فترة يسيرة ثم استسلموا للعدو لجبنهم وخوفهم ونفاقهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٦٩﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٧٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّا اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧١﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٧٢﴾﴾

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ} لقد كان لكم أيها المسلمون في رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} قدوة حسنة وطيبة فاقنوا به وبأخلاقه وصبره وجلده في المكاره سواء من معاداة الكفار والمعاندين له أو صبره في الجهاد والقتال أو صبره في الطاعات والعبادات {لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ} لمن كان يطلب عفو الله تعالى ورضاه {وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} ولمن يطلب ثواب يوم القيامة والنجاة مما فيها من أهوال وعذاب والنجاة من غضب الله تعالى وعذابه {وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} وذكر الله تعالى هو التوحيد وإقرار واعتراف بالوحدانية لله تعالى ودوام ترديد اسمه وذكره



كثيراً لما له من فوائد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفثاه). أخرج ابن ماجه وصححه ابن حبان وذكره البخاري تعليقاً وهو في البخاري بلفظ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وأخرج الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: (ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟) قالوا: بلى قال: (ذكر الله). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٤]. وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا) قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: (حلق الذكر). [الكلم الطيب ص ٢٠]. وأخرج الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث جابر مرفوعاً: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد والإخلاص وهي اسم الله الأعظم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٧]. وكما قال تعالى: " الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " ٢٨ الرعد. وقال تعالى: " فَادْكُرُونِي أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون " ١٥٢ البقرة. وكما قال تعالى:

” وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ” ٣٥ الأحزاب.

والذكر هو توحيد الله تعالى وترديد اسم من أسمائه أما التسبيح هو تقديس وتنزيه الله تعالى وتمجيده بصفاته {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ} ولما شاهد المؤمنون بأعينهم {الْأَحْزَابِ} وهم كفار قريش ومن جاء معهم من غطفان وبني قريظة وبني كنانة وأهل تهامة {قَالُوا} قال المؤمنون {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ} هذا ما وعدنا الله تعالى ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الابتلاء والاختبار والامتحان وإحدى الحسنيتين إما النصر وإما الشهادة {وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} وصدق الله تعالى ورسوله فمن مات منا شهيداً فله الجنة {وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا} وما زادهم هذا الموقف الشديد والمخيف إلا إيماناً بالله تعالى وأن الحياة والنصر والموت والهزيمة بيده سبحانه وتعالى وسلموا أمرهم إلى الله تعالى {وَتَسْلِيمًا} وانقياداً لأمره وحكمه فإما النصر وإما الشهادة وهما إحدى الحسنيتين {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا} من المؤمنين رجال صدقوا في الوفاء بعهدهم لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما عاهدوه عليه من أن ينصروه ولا يخذلونه وعاهدوه على المحافظة على طاعة الله تعالى في أوامره واجتناب نواهيه فوفوا بعهدهم وأنجزوا وعدهم وصدقوا قولهم {مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} ما أخذوا على أنفسهم من العهد بالوفاء والصبر عند اللقاء في الحرب وقد صدقوا بذلك {فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ} فمنهم من قد مات واستشهد في سبيل الله تعالى {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ} ومنهم من هو على قيد الحياة ينتظر وعد الله تعالى له {وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} ولم يغيروا شيئاً من عهدهم ولا من طاعة الله تعالى {لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ} ليكافئ ويثيب الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه المحافظين على عهدهم ولم ينقضوه وصدقوا فيه

بالنصر في الحياة الدنيا وبالحياة الطيبة وفي الآخرة ثواب دخول الجنة {وَيُعَذِّبُ} ويعاقب {الْمُنَافِقِينَ} المخادعين ممن يدعون الإيمان كذباً ونفاقاً وخداعاً {إِنْ شَاءَ} إن أراد الله تعالى يعذبهم بالخزي في الدنيا وفي الآخرة بالعذاب في نار جهنم {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} أو يتوب الله تعالى عليهم بعد ندمهم وتوبتهم ورجوعهم عن نفاقهم وخداعهم للمسلمين {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا} إن الله تعالى برحمته الواسعة يغفر لمن تاب منهم وندم ورجع لطاعة الله تعالى وعبادته {رَحِيمًا} يرحم يوم القيامة من تاب منهم ويدخله الجنة {وَرَدَّ اللَّهُ} وأرجع الله تعالى {الَّذِينَ كَفَرُوا} كفار قريش ومن معهم {بِغَيْظِهِمْ} بعداوتهم وحقدهم وكرههم وحرابهم {لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا} خائبين خاسرين لم يحوذوا نصراً على المسلمين بأن أرسل الله تعالى عليهم ريحاً شديدة الهبوب وشديدة البرودة قلبت قلوبهم على النار وخلعت خيامهم وأطفأت نارهم {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} وحفظ الله تعالى المؤمنين من قتال الأعداء ومنازلتهم وحفظهم وحماهم ودافع عنهم بإرسال الرياح على كفار قريش {وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا} وكان الله تعالى قوياً وعظيماً بنصر المسلمين على كفار قريش والأحزاب معهم {عَزِيزًا} فلا أحد يستطيع أن يذله أو يقهره أو يقهر من عبده وأطاعه فهو عزيز وقوي في ملكه وسلطانه وفي أخذه للأعداء.

﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ  
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦٦﴾ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدَيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا  
لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٦٧﴾ ﴾

{ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُمْ } وأنزل الله تعالى الذين عادوا المسلمين وعاونوا الأحزاب  
ونصروهم على حرب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو والمسلمين في معركة  
الأحزاب { مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } من اليهود من بني قريظة من بعض أسباط بني  
إسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديماً طمعاً في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه  
مكتوباً عندهم في التوراة { مِنْ صَيَاصِيهِمْ } أي من حصونهم. ومنه سميت صياصي  
البقر وهي تعني قرونها لأنها أعلى شيء فيها { وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ } وجعل  
الله تعالى في قلوب اليهود من بني قريظة الخوف والهلع والرعب من المسلمين  
{ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ } فريقاً من اليهود المقاتلين تقتلونهم { وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا }  
وتأخذون جماعة أخرى منهم أسرى { وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدَيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ } وجعلكم  
الله تعالى بعد تقتيلهم وسبيهم ترثون أرضهم ودورهم ومساكنهم وأموالهم ونخيلهم  
{ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا } وأرضهم التي لم تدخلوها قبل ذلك وكذلك أرض اليهود من  
خيبر التي لم تستولوا عليها قبل ذلك { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا } والله  
تعالى قادر على كل شيء وعلى نصركم وخذلان أعدائكم. قال الإمام أحمد: حدثنا  
يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال: أخبرتني  
عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت يوم الخندق أقفوا الناس فسمعت وثيد  
الأرض ورائي فإذا أنا بسعد بن معاذ رضي الله عنه ومعه ابن أخيه الحارث ابن  
أوس يحمل مجنه قالت فجلست إلى الأرض فمر سعد رضي الله عنه وعليه درع من

حديد قد خرجت منه أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضي الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول:

ليت قليلا يشهد الهيجا جمل \* \* ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت فقامت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وفيهم رجل عليه نشيعة له تعني المغفر فقال عمر رضي الله عنه ما جاء بك؟ لعمرى والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تخور قالت فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت بي ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل النشيعة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال: يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم وأين التخور أو الفرار إلا إلى الله تعالى؟ قالت ويرمي سعداً رضي الله عنه رجل من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له وقال له خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكله فقطعه فدعا الله تعالى سعد رضي الله عنه فقال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقاً كلمه وبعث الله تعالى الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ولحق عيينة ابن بدر ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصبيهم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمر بقبة من آدم فضربت على سعد رضي الله عنه في المسجد قالت فجاءه جبريل عليه السلام وإن على ثناياه لنقع الغبار فقال أو قد وضعت السلاح؟ لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم قالت فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فمر على بني تميم وهم جيران المسجد فقال: (من مر بكم؟) قالوا مر بنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي يشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه

الصلاة والسلام فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذبح قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انزلوا على حكم سعد بن معاذ) فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد ابن معاذ رضي الله عنه فأتني به على حمار عليه إكاف من ليف قد حُمل عليه وحَفَّ به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل الكتاب ومن قد علمت قالت فلا يَرْجِعُ إليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم. قالت قال أبو سعيد فلما طلع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قوموا إلى سيدكم فأنزلوه) فقال عمر رضي الله عنه سيدنا الله قال: (أنزلوه) فأنزلوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (احكم فيهم) قال سعد رضي الله عنه فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله) ثم دعا سعد رضي الله عنه قال اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك قال فانفجر كلمه وكان قد برئ منه إلا مثل الخرص ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُؤُا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ بَكَاءَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ بَكَاءِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنَا فِي حَجْرَتِي وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " قَالَ عَلْقَمَةُ فَقُلْتُ أَيُّ أُمَّه فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ؟ قَالَتْ

كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن نمير عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها نحواً من هذا ولكنه أخصر منه وفيه دعا سعد رضي الله عنه. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٩]. ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخاديد والخنادق في الأرض وجيء بهم مكتفين فضرب أعناقهم وكانوا ما بين السبعمئة أو الثمانمئة وسبى من لم ينبت شعر عانته مع النساء (كعطية القرظي). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٨].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتِعْكُمْ وَأَسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۗ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} يخاطب الله تعالى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى يا أيها النبي ولم يقل له يا محمد تكريماً وتعظيماً لشأنه {قُلْ لِأَزْوَاجِكَ} أسأل زوجاتك وخيرهم وقل لهم (وزوجاته صلى الله عليه وسلم المتفق عليهن بلا خلاف ستة من قريش: خديجة - عائشة - حفصة - أم حبيبة - أم سلمة - سودة بنت زمعة، وأربعة عربيات وهن: زينب بنت جحش - وزينب بنت خزيمة - وميمونة بنت الحارث - وجويرية بنت الحارث، وواحدة من بني إسرائيل وهي صفية بنت حيي بن أخطب اليهودي وقد قتل زوجها وأبوها



وأخوها في خيبر فخيّرهما صلى الله عليه وسلم أن يعتقها وترجع إلى من تبقى من أهلها أو تسلم ويتخذها لنفسه فاخترت الله ورسوله. [نزهة المجالس ص ٤٣٧].

وجارية هي مارية القبطية أم إبراهيم أهداها له المقوقس ملك مصر { **إِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا** } إن كانت إحداكن تريد الدنيا ومتعتها وزخرفتها { **فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ** } أمتعنك بالدنيا { **وَأَسْرَحْكُنَّ** } وأطلقكن { **سَرَاحًا جَمِيلًا** } بدون تعنت ولا مشقة ولا ضرر ولا عذاب { **وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهَ** } وأما إن أردتن رضا الله تعالى وطاعته { **وَرَسُولَهُ** } وأردتن البقاء زوجات للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأردتموه أن يبقى لكن زوجاً { **وَالدَّارَ الْآخِرَةَ** } وأردتن ثواب يوم القيامة واخترتم الآخرة على الدنيا { **فَإِنَّ اللَّهَ** } فإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { **أَعَدَّ** } حضرّ وجهّ { **لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ** } للطائعات منكن وللمحسنة طاعتها لله تعالى ولرسوله { **أَجْرًا عَظِيمًا** } ثواباً عظيماً وكبيراً يوم القيامة وهو دخول الجنة. قال البخاري: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه قالت فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك) - وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال: إن الله تعالى قال: " يا أيها النبي قل لأزواجك " إلى تمام الآيتين فقلت له ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وكذا رواه معلقاً عن الليث حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها فذكره وزاد قالت ثم فعل أزواج النبي صلى

الله عليه وسلم مثل ما فعلت. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٠]. قال ابن جرير: وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشير عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت آية التخيير بدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا عائشة إني عارض عليك أمراً فلا تفتاتي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان رضي الله عنهما فقلت يا رسول الله وما هو؟ قال صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكَ إِن كُنْتَن تَرْضَن الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْن أُمْتَعَنَّ وَأَسْرَحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنْتَن تَرْضَن اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ") قالت فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أوامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان رضي الله عنهما. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال: (إن عائشة رضي الله عنها قالت كذا وكذا) فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن كلهن. [ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن محمد بن عمرو به - ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٠]. {يَنسَاءَ النَّبِيِّ} يخاطب الله عز وجل في كتابه العزيز في القرآن الكريم زوجات النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم محذرا لهن {مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ} من يأت ويعمل منكن فاحشة من الفواحش العلنية والمعلنة سواء فاحشة الزنا أو النشوز أو معصية الرسول عليه الصلاة والسلام {مُيِّنَةٍ} علناً ويثبت عليها ذلك بوضوح أمام الناس {يُضَعَفُ} يُشَدُّ {لَهَا الْعَذَابُ} لها العقاب {ضِعْفَيْنِ} أي مرتين زيادة عن باقي النساء وتعذب في الدنيا بالخزي والعار وإن كان فاحشة الزنا فالرجم وفي يوم القيامة العذاب في جهنم أشدَّ مرتين من باقي النساء {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} وكان ذلك العذاب ومضاعفته لهن إذا فعن فاحشة يكون على الله عذابهن يسيراً وسهلاً

ولا يتعبه ولا يرهقه ذلك {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} ومن تطع منكن الله تعالى ورسوله في أوامرهما. قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل حرف في القرآن فيه القنوت فهو الطاعة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٣]. {وَتَعْمَلْ صَالِحًا} وتعمل عملاً صالحاً من عبادة الله تعالى وطاعته وأعمال البر والخير والصدقات {نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ} مرة بالشكر والتقدير من الناس وفي الآخرة بالجنة وكذلك يحبها الله ورسوله زيادة على الجنة يوم القيامة {وَأَعْتَدْنَا لَهَا} وأعد الله وحضر لها {رِزْقًا كَرِيمًا} رزقاً وهو رغد العيش وطيبه في الدنيا وفي الآخرة بدخول الجنة {يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ} يا زوجات النبي والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ} لستن كباقي النساء لأنكن قدوة لغيركن من نساء المسلمين ولأنكن أعلم بحكم الله تعالى وشرعه أكثر من باقي نساء المسلمين لوجودكن مع النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتعلمون أكثر من مدخله ومخرجه ونومه ويقظته وأكله وشربه وعلمه وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (خذوا شطر دينكم عن الحميراء [عائشة رضي الله عنها]). [السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٧]. {إِنِ اتَّقَيْتُنَّ} إن خفتن الله تعالى وأطعتموه {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ} أي لا يكون كلامكن للأجانب فيه لين أو استرخاء أو ميوعة يفهم منه أنكن تردن الفاحشة {فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} فيطمع ويتجاسر من يكون في قلبه مرض الزنا والبحث عنه {وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا} وقلن للرجال الأجانب قولاً عفيفاً وشريفاً وبعيداً عن الكلام الساقط والذي فيه فتنة أو يدل عليها أي كلام فيه أدب وجد

وليس هزلاً وليس فيه مزاح يدل على الرذيلة والفتنة وذلك مع أنهن أمهات المؤمنين كما قال تعالى: " النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ " ٦ الأحزاب. { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ } والزَّمن وامكثن وابقين في بيوتكن إلا لحاجة وضرورة كزيارة الوالدين أو الخروج للصلاة أو السفر للحج أو في رحلات النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للجهاد أو خلافه { وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ } وعدم التزين الزائد عن الحد الذي فيه فتنة كما كانت تفعل النساء في الجاهلية من التبرج ومن السفور والزينة وذلك لاقتداء النساء المسلمات بكن وكما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه: حدثنا يعقوب بن كعب الانطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني قالا: حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها وقال: (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا). وأشار إلى وجهه وكفيه. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٣]. ولقوله صلى الله عليه وسلم: (المرأة عورة). وجميع بدن الحرة عورة إلا وجهها وكفيهما وقدميها في مذهب الإمام أبي حنيفة. [متن نور الإيضاح في فقه الإمام أبي حنيفة للشرنبلالي ص ٢٥]. وقال البزار: حدثنا محمد بن المثني حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورك عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: (إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٢]. { وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ } وأدّين الصلوات الخمس في أوقاتها في اليوم والليله { وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ } وأدين زكاة أموالكم { وَأَطِعْنَ اللَّهَ } وأطعن الله تعالى في أوامره وفرائضه ونواهيه ومحرماته { وَرَسُولَهُ } وأطيعوا سيدنا محمداً صلى الله

عليه وسلم وهو نبي الله ورسوله {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ} ليصرف عنكم الذنوب والإثم والمعصية والفاحشة والرذيلة {أَهْلَ الْبَيْتِ} يا أهل بيت النبوة يا زوجات النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَيُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيرًا} ويطهركم وينقيكم من المعاصي والذنوب والآثام والفواحش والرذائل {وَأَذْكُرَنَّ} واقرأن {مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} ما يقرأ في بيوتكن من آيات القرآن الكريم {وَأَلْحِكْمَةَ} أي السنة لتزدادوا إيماناً وبقيناً وتتحصن من المعاصي والآثام {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ لَطِيفًا} إن الله تعالى يلفظ بكم ويرحمكم ويحفظكم بوعظكم ونصحكم رحمة بكم وبالنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليبعد عنكم السوء والفحشاء {خَيْرًا} كان خبيراً بكم وعليماً وذا خبرة بأفعالكم وأعمالكم وحياتكم وموتكم.

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالحَفِظِينَ وَالحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿١٦﴾ ﴾

{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} أي من حسن إسلامهم من الرجال والنساء {وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} ومن حسن إيمانهم من الرجال والنساء وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر. أي أن الله تعالى فرق بين الإسلام والإيمان في

الدرجة حيث أن الإيمان هو زيادة على الإسلام كما قال تعالى: " قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ " ١٤ الحجرات. وكما جاء في حديث عبد الله بن عمر عن أبيه عمر الخطاب رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قال فأخبرني عن الساعة قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) قال فأخبرني عن أماراتها قال: (أن تلد الأمة ربثها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) قال ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال صلى الله عليه وسلم: (يا عمر أتدري من السائل؟) قلت الله ورسوله أعلم قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم). [صحيح مسلم ج ١ ص ٢٩]. وجاء في الحديث الذي رواه أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر ابن عياش عن الأعمش عن سعيد بن سعيد بن عبيد الله بن جريج عن أبي بردة البلوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله

عورته يفضحه في بيته). [تفرد به أبو داود وقد رُوي من حديث البراء بن عازب - ابن كثير ج ٤ ص ٢١٤]. وسبب النزول لهذه الآية هو كما قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن ابن شيبه قال سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: ما لنا لا نُذَكَّرُ في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أسرَّح شعري فلففت شعري ثم خرجت إلى حُجرتي حُجرة بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر: (يا أيها الناس إن الله تعالى يقول: إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إلى آخر الآية). [وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله - ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٧]. وكما جاء في حديث البخاري الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه). {وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ} والطائعين من الرجال والطائعات من النساء في طاعة الله تعالى وفي عبادته وفي مرضاته. وكما جاء في الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو ابن الحارث أن دراجاً أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل حرف في القرآن فيه القنوت فهو الطاعة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٣]. {وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ} والصادقين من الرجال والصادقات من النساء في إيمانهم وعقيدتهم وعبادتهم لله تعالى وحده لا شريك له وفي معاملاتهم مع الناس ومع الله تعالى وعدم الكذب. وكما جاء في حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن

البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً). [صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٩]. {وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ} والصابرين من الرجال والصابرات من النساء عن محارم الله تعالى والصابرين على طاعته. وفي الصحيحين: (والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له وإن أصابته ضراء فصر كان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٨]. {وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ} والخاصعين من الرجال والخاصعات من النساء وهم المخلصون في عبادتهم مع السكينة والوقار والتفكير والاطمئنان في أداء فرائضهم وخاصة في الصلاة لقوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ {٢} " ٢، ١ المؤمنون. {وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ} وهم الذين يتبرعون للفقراء بجزء من أموالهم وفي أعمال الخير. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أنواع البلاء بالدعاء). [تنبيه الغافلين ص ١١٣]. وفي كتاب شرعة الإسلام عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لكل شيء زكاة وزكاة الدار بيت الضيافة). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٧٧]. {وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ} وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور وعمله مضاعف). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٢٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: (للصائم فرحتان فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء ربه). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٣١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من



باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة) فقال أبو بكر رضي الله عنه بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها قال: (نعم وأرجو أن تكون منهم). [صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٢]. والصيام هو الامتناع عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وهناك الفرض وهو صيام شهر رمضان وهناك صوم النفل وهو تطوع كيوم عرفة ويوم عاشوراء وهو العاشر من محرم ويوم الاثنين والخميس والثلاثة أيام البيض من كل شهر وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر. قال ابن عيينة: إن المظالم تؤدي من سائر الأعمال إلا الصوم فيتحمل الله عنه ما بقي من المظالم ويدخله بالصوم الجنة. [نزهة المجالس ج ١ ص ١٣٦]. وشاهد على ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه). [صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٤]. والصوم أحفظ للفرج للأعزب فعن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء [أي وقاية]). [صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٤].

{وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ} والحافظين فروجهم من الرجال والنساء بعدم الزنا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم). [أخرجه البخاري - سبل السلام ج ٣ ص ٢٠٩]. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم). [رواه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٤]. {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ} والذاكرين الله تعالى من الرجال والنساء بأسمائه. والذكر هو توحيد وإقرار واعتراف بالوحدانية وترديد اسم من أسماء الله تعالى صباحاً ومساءً وبعد الصلوات الخمس وفي أوقات فراغه يداوم عليه وهو أفضل العبادات فعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله). [أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وأخرج البخاري: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وأخرج الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث جابر مرفوعاً: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد والإخلاص وهي اسم الله الأعظم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً} جميع من ذكروا في هذه الآية من المسلمين والمسلمات إلى والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله تعالى لهم يوم القيامة مغفرة وعفواً على ذنوبهم في الدنيا {وَأَجْرًا عَظِيمًا} وهو أنه يدخلهم الجنة يوم القيامة مكافأةً وثواباً

على إخلاصهم في العبادة والطاعة والصدقات وحفظ الفروج والمداومة على ذكر الله تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ} لا يجوز ولا يحق لأي مؤمن من الرجال أو النساء المؤمنات من آمن وصدق منهم بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {إِذَا قَضَىٰ} إذا حكم وأمر {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَرَسُولُهُ} ورسوله ونبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَمْرًا} حكماً وقضاً وأمرًا بالتنفيذ سواء للرجال أو النساء المؤمنات {أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} أن يكون لهم الخيار في الرفض أي لا يجوز لهم الرفض {وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ومن يرفض ولا يقبل حكم وأمر الله ورسوله {فَقَدْ ضَلَّ} فقد ابتعد {ضَلَالًا مُّبِينًا} بعداً عن الهدى كبيراً وعظيماً أي أنه يخشى عليه عذاب الله تعالى وعقابه لمخالفة أمر الله ورسوله كما جاء في قوله تعالى: " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " ٦٣ النور. وقد نزلت هذه الآية " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا " في زينب بنت جحش عندما خطبها صلى الله عليه وسلم زوجة إلى زيد بن حارثة فرفضت ثم بعد نزول القرآن وهذه الآية عليها وافقت.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ  
 وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ  
 مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا  
 قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا  
 فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾  
 الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا  
 ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ  
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

{وَإِذْ تَقُولُ} وإذ تقول يا محمد يا رسول الله {لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ} لزيد ابن  
 حارثة الذي أنعم الله عليه بالإسلام {وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} وأنعمت عليه يا محمد  
 بالعتق من الرق وقد اتخذته بالتبني لك ولدًا وابنًا وأنعمت عليه بأن زوجته بابنة  
 عمك زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها وأمها أميمة بنت عبد المطلب  
 فمكثت عنده قريباً من عام ثم وقع بينهما خلاف {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ} فلما  
 جاءه زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أمسك عليك زوجك أي أبقها عندك وتمسك بها {وَاتَّقِ اللَّهَ} أي لا  
 تفارقها ولا تطلقها لسوء معاملتها لك وعاملها معاملة حسنة ولا تطلقها {وَتُخْفَى فِي  
 نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} وتكتم في صدرك وداخل نفسك يا محمد ما الله تعالى  
 سيبيديه ويبينه ويظهره بأنها ستكون زوجة لك بعد طلاقها من زيد بن حارثة  
 وذلك لأن جبريل عليه السلام أخبرك بذلك وقد رأى سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم ليلة الإسراء والمعراج صورة زينب بنت جحش في الجنة مع زوجاته وهي إحداهن [نزهة المجالس ص ٤٣٤]. فلذلك علم أنها ستكون زوجته فيما بعد ولكنه أخفى ذلك {وَتَخَشَى النَّاسَ} وأخفى صلى الله عليه وسلم ذلك في نفسه خشية من ألسنة الناس {وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} والله تعالى أولى بالخشية ولذلك قال الله تعالى معاتباً لنبيه صلى الله عليه وسلم " وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ " لأنه هو المقدر من الأزل وإرادة الله تعالى ومشيئته فوق كل شيء وفوق خشية الناس {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا} فلما تزوجها زيد بن حارثة وقضى وطره منها ثم طلقها {زَوْجَنكِهَا} أي دخل عليها صلى الله عليه وسلم بالزواج منها {لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ} والحكمة في زواجك يا محمد يا رسول الله من زينب بنت جحش بعد أن طلقها مولاك زيد بن حارثة حتى لا يكون حرج ومنع للمؤمنين من الزواج من زوجات أبنائهم المتبنين لأن زوجة الدعي وهو الابن بالتبني غير محرمة كزوجة الابن الشرعي والحقيقي من الصلب إذا طلقها الابن بالتبني بعكس زوجة الابن من الصلب فلا تحل لوالده حتى ولو مات زوجها عنها أما إذا تبناه ولم يكن من صلبه وطلق زوجته فلا حرج في أن يتزوجها والده بالتبني حيث أنه فيما بعد نزل نص قرآن بعدم التبني لقوله تعالى: " وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ {؛} ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ " ٤، ٥ الأحزاب. {إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} إذا تزوجوهن بزواج شرعي وجامعوهن و(وطراً) أي جماعاً حقيقياً كما يدخل المرود في المكحلة أو كما عبر الحديث: (حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها) وهو تمام الجماع {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} وكان أمر الله وقضاؤه

مُنْفَذٌ ووَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ لِأَنَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ الْمَبْرَمِ وَالْمَثْبُوتِ وَكَالْمَوْتِ لَا مَفْرَمَ مِنْهُ {مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ} لَيْسَ عَلَى النَّبِيِّ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ مِنْ مَنَعٍ {فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ} فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الزَّوْجِ مِنْ مَطْلُوقَةٍ مِنْ كَانَ ابْنُهُ بِالتَّبْنِيِّ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَفِيمَا أَحَلَّ لَهُ مِنْ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ فَوْقَ الْأَرْبَعِ بِعَكْسِ أُمَّتِهِ لِأَنَّهُ تَزَوَّجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ زَوْجَةً وَتُوفِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ تَحْتَهُ تِسْعَ زَوْجَاتٍ وَبِهَذَا الْعَدَدِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ حَرَجٍ أَوْ مَنَعٍ مِنْ تَعَدُّدِ زَوْجَاتِهِ اللَّاتِي كُنَّ تَحْتَهُ. وَزَوْجَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشْهُورَاتُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِنَ بِلَا خِلَافٍ هُنَّ سِتَّةٌ مِنْ قَرِيْشٍ هُنَّ: خَدِيْجَةُ - وَعَائِشَةُ - وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ - وَأُمُّ حَبِيْبَةَ - وَأُمُّ سَلْمَةَ - وَسُوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ ، وَأَرْبَعُ عَرَبِيَّاتٍ هُنَّ: زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ الْأَسَدِيَّةِ - وَزَيْنَبُ بِنْتُ خَزِيْمَةَ - وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ - وَجُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُصْطَلِقِ ، وَوَاحِدَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيِّي بْنِ أَخْطَبِ الْيَهُودِيِّ. وَجَارِيَّةٌ هِيَ مَارِيَةُ الْقُبْطِيَّةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوْقِسُ مَلِكُ مِصْرَ وَمِمَّنْ تَزَوَّجَهُنَّ عَمْرَةَ بِنْتُ الْجَوْنِ تَعُوذَتْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهَا لَقَدْ أَعَدْتِ بَعْضِيْمٍ أَوْ بِمَعَاذِ الْحَقِّي بَأَهْلِكَ. {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} وَهَذَا الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَحَلَّهُ لِرَسُولِهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ هَذَا كَانَ سَنَةً وَشَرِيْعَةً لِلَّهِ تَعَالَى فَيَمُنُّ سَبْقَهُ مِنْ قَبْلِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَهُ مِائَةٌ زَوْجَةً وَسَلِيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَبِتَ فِي الصَّحِيْحِيْنَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ سَلِيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِأَطُوْفِنَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِيْنَ امْرَأَةً - وَفِي رَوَايَةٍ تَسْعِيْنَ امْرَأَةً وَفِي رَوَايَةٍ مِائَةَ امْرَأَةٍ تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يِقَاتِلُ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ فَقِيْلَ لَهُ -

وفي رواية قال له الملك- قل إن شاء الله فلم يقل فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته). [ابن كثير ج ٣ ص ٧٨]. {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَّقْدُورًا} وكان أمر الله وقضائه أمراً منفذاً مفعولاً وكائناً لا محالة ومقدراً عليه من الأزل بتعداد زوجاته {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ} وهم أي الذين خلوا من قبل هم رسل الله تعالى وأنبيأؤه الذين يبلغون ما أرسلوا به للناس من الأوامر والنواهي والكتب من قبل الله تعالى {وَسَخَّشُونَهُ} ويخافون الله تعالى وعقابه {وَلَا سَخَّشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ} ولا يخافون من أحد غير الله تعالى في تبليغ رسالتهم للناس {وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} ويكفي أن الله تعالى هو الذي يحاسب الناس على أعمالهم وأفعالهم فهو الحكم العدل وكما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " ٦٧ المائدة. {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ} لم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله أباً لأحد من رجال أمته ولكن أبناءه من أمته كانوا من النساء وهن فاطمة الزهراء ورقية وأم كلثوم وزينب وكلهن من خديجة بنت خويلد رضي الله عنهن جميعاً أما الأبناء الذكور وهم أولاده القاسم وعبد الله ويلقب (الطيب والطاهر) من خديجة بنت خويلد وولده إبراهيم من مارية القبطية التي أهداها له المقوقس ملك مصر قد ماتوا جميعاً قبل بلوغهم سن الرشد أو الحلم ولم يتزوج أحد منهم حتى تكون له ذرية ولذلك لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً أحد من رجال هذه الأمة وذلك حتى لا يدعي أحد توارث النبوة والرسالة منه صلى الله عليه وسلم {وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ} ولكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو نبي الله ورسوله

أرسله للناس برسالة الإسلام وبالقرآن الكريم {وَحَاتَمَ النَّبِيِّنَ} وهو آخر الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام وختم الله به جميع الرسل والأنبياء ولا نبي بعده {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} والله تعالى عليم بكل شيء وبكل أمر من الأمور وعليم بكونه وخلقه ورسله وأنبيائه "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ". قال الزهري: أخبرني محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي). [أخرجاه في الصحيحين - ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٤].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ؕ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَنَذِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَا أَذْنُهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} الذكر هو توحيد وإقرار واعتراف بالوحدانية وهو ترديد اسم من أسماء الله تعالى الحسنی وترديده والدوام عليه وأما التسبيح فهو تنزيه وتقديس وتبجيل الله تعالى بأسمائه وصفاته الحسنی والعليا ويحث الله تعالى المؤمنين على دوام ذكر الله تعالى والإكثار منه وترديده على الدوام كما قال تعالى: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ



وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " ١٩١ آل عمران.  
والذكر هو أفضل الأعمال والعبادات بعد الفرائض فقد أخرج الترمذي وابن ماجه  
وصححه الحاكم من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: (ألا أخبركم بخير أعمالكم  
وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير  
لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟) قالوا: بلى قال: (ذكر  
الله). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٤]. وأخرج الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان  
والحاكم من حديث جابر مرفوعاً: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل ما قلت أنا  
والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد والإخلاص وهي اسم الله  
الأعظم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. وفي البخاري قال النبي صلى الله عليه  
وسلم: (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني  
في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي  
شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي  
أتيته هرولة). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وقال الإمام أحمد: حدثنا شريح حدثنا  
ابن وهب عن عمرو بن الحارث قال: إن دَرَجَاتِ أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم  
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:  
(أكثرُوا ذكرَ الله تعالى حتى يقولوا مجنون). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٥]. وكما قال  
تعالى: " الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " ٢٨  
الرعد. وقال تعالى: " فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ " ١٥٢ البقرة.  
وقال تعالى: " وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " ٣٥  
الأحزاب. {وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} وكما ذكرنا آنفاً أن التسبيح هو تنزيه  
وتقديس وتبجيل الله تعالى بأسمائه وصفاته الحسنی والعلیاء وقد حثنا الله تعالى

على تسبيحه وتنزيهه صباحاً ومساءً وكما قال تعالى: " فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ " ١٣٠ طه. وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [ابن كثير ج ٣ ص ١٨٠]. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٧]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حُطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. {هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ} فالصلاة من الله تعالى رحمة. وقيل الصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة. [حكاه البخاري عن أبي العالبيه ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عنه - ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٥]. وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٥]. والصلاة من الملائكة دعاء واستغفار كما قال تعالى: " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ " ٧ غافر. وكما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " ٥٦ الأحزاب. {لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} ورحمة الله بكم أيها الناس هو أنه يخرجكم من ظلمات الجهل والكفر والشرك إلى نور الهداية والإسلام وإرسال الرسل

لكم وإنزال الكتب السماوية والقرآن الكريم لهدايتكم لطاعته وعبادته وذلك بصلاته عليكم هو وملائكته وهي رحمته ودعاء واستغفار ملائكته لكم {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} والله تعالى يرحم عباده المؤمنين بإدخالهم الجنة يوم القيامة لتوبتهم وعبادتهم وطاعتهم لله تعالى. وفي صحيح الإمام البخاري عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد أخذت صبياً لها فألصقته إلى صدرها وأرضعته فقال صلى الله عليه وسلم: (أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك؟) قالوا: لا. قال صلى الله عليه وسلم: (فوالله لأرحم بعباده من هذه بولدها). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٦]. {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْتُهُمْ سَلَامٌ} تحية المسلمين من الله تعالى ومن الملائكة لهم كلمة سلام والناس تحيتهم بينهم في الجنة سلام كما قال تعالى: " سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ " ٥٨ يس. وقال تعالى: " دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " ١٠ يونس. وقال تعالى: " وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ " ٢٣ إبراهيم. وكما قال تعالى: " جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ {٢٣} سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ {٢٤} " ٢٣، ٢٤ الرعد. {وَأَعَدَّ لَهُمْ} وقد حضر الله تعالى وأعدّ وجهز للمؤمنين يوم القيامة في الجنة {أَجْرًا كَرِيمًا} أجراً حسناً وطيباً لا نل فيه ولا إهانة ولا تعب فيه ولا نصب ولا فيه حراً ولا شمساً ولا زمهريراً. وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن مجاهد الطائي عن أبي المدله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: (لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها

الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٠]. {يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ} يا أيها النبي محمد يا رسول الله {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ} إن الله تعالى بعثك رسولا للناس {شَاهِدًا} أي يشهد عليهم بأنه بلغ رسالة ربه لهم فمن أطاعه فقد آمن ومن عصاه فقد كفر كما تشهد عليهم من يسلم ومن يكفر ويجحد ويعصي الله تعالى {وَمُبَشِّرًا} ومبشرا المؤمنين بدخول الجنة يوم القيامة وهم من آمن وصدق بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره وأدى الفرائض وابتعد عن المعاصي والمحرمات فهؤلاء لهم الجنة {وَنَذِيرًا} ومحذرا ومنذرا الكفار والمشركين وأهل المعاصي من عذاب يوم أليم ومن نار جهنم يوم القيامة {وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ} وداعيا إلى طاعة الله تعالى ومرضاته وعبادته {بِإِذْنِهِ} بإذن الله تعالى وبأمر منه لأنه أذن لك بالرسالة إلى الناس لقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " ٦٧ المائدة. {وَسِرَاجًا مُنِيرًا} أي نورا ساطعا والسراج هو المصباح الذي يوقد ويضيء بالليل للناس لترى فيه الأشياء في الظلمة أي أرسلناك يا نبي الله يا محمد يا رسول الله لترشد الناس في الظلمات من ظلمات الجهل والكفر إلى نور وطريق الإسلام والحق والعدل والصواب وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وطاعته {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} وبلغهم البشري بأن للمؤمنين يوم القيامة {بِأَنَّ هُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا} بأن لهم يوم القيامة ثوابا وجزاء ورزقا واسعا كبيرا وكثيرا وعظيما {وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ} ولا تطع الكافرين يا محمد يا رسول الله وهم الجاحدون والمنكرون والمكذبون برسالتك فلا يثنوك ويبعدوك ويمنعوك من تبليغ الرسالة للناس {وَالْمُنْفِقِينَ} ولا تطع كذلك المنافقين الذين يُظهرون ما لا يُبطنون

وهم الخدّاعون للمسلمين {وَدَعَّ أَذْنُهُمْ} واترك عنك أذاهم ولا تكثر بهم وبقولهم ولا بأذاهم {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} واعتمد على الله تعالى في أمورك وتبليغ رسالتك {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} وكفى بالله وكيلاً وهو الكافي والوكيل والمعتمد عليه والحافظ والمساعد والمعين في جميع الأمور لك يا محمد يا رسول الله.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ۚ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ۖ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤١﴾﴾ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ ۚ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿تُرْجَىٰ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُعْوَىٰ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ ۖ وَمَنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۗ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عَيْنَهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٤٣﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون جميعاً يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره وحلوه ومره {إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} إذا عقدتم وكتبتم الكتاب الشرعي أمام قاضي الشرع أو المأذون بكتابة عقد الزواج والشهود والولي وتم الكتاب بذلك على الكتاب والسنة {ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ} ثم طلقتموهن بعد كتابة عقد الزواج قبل أن تمسوهن بجماع وقبل

الدخول بهن {فَمَا لَكُمْ} ليس لكم {عَلَيْهِنَّ} على من طلقتموهن على ذلك {مِنْ} عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا} من عدة الطلاق وهي ثلاثة قروء أي ثلاث حيضات أو ثلاثة أشهر لمن ليست تحيض سواء لصغر سنها أو لانقطاع الطمث عليهن لكبر سنهن أي أنه يجوز لها أن تنكح زوجاً غيره بدون عدة بل تتزوج غيره فوراً {فَمَتَّعُوهُنَّ} فمتعوا المطلقات عند ذلك بنصف المهر أو الصداق المتفق عليه كما قال تعالى: " وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " ٢٣٧ البقرة. وإن لم يكن قد حُدد المهر أو الصداق لهن فمتعوهن أي بالنفقة على قدر طاقة المطلق لقوله تعالى: " لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَاعَدَةِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ " ٢٣٦ البقرة. {وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا} أي اتركوهن وأطلقوا سراجهن بالحسنى فلا يضيق عليها بعدم طلاقها وذلك بطلاقها لفظاً ودون الذهاب إلى المحكمة الشرعية ليطلقها رسمياً وذلك لتبقى معلقة ممنوعة من الزواج بآخر {يَأْتِيهَا النَّبِيُّ} يا أيها الرسول والنبي محمد صلى الله عليه وسلم تبجيلاً له وتعظيماً بعدم ذكر اسمه بل ناداه: يا أيها النبي {إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ} إن الله تعالى أحل لك وجعله لك حلالاً الزواج من {أَزْوَاجِكَ} زوجاتك {الَّتِي آتَيْتِ} اللاتي آتيتهن وأعطيتهن {أُجُورَهُنَّ} مهورهن وصداقهن {وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ} من الإماء والجواري {مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ} مما أعطاك الله وتفضل عليك سواء بالهدية كما أهدى المقوقس ملك مصر مارية القبطية لك يا محمد يا رسول الله أو في الحرب بالسبي مثل صفية بنت

حيي بن أخطب اليهودي من معركة خيبر وقد قُتل أبوها وزوجها وأخوها في معركة خيبر فأعتقها وتزوجها صلى الله عليه وسلم وكذلك جويرية بنت الحارث من بني المصطلق فلما غزاهم صلى الله عليه وسلم وأخذ سباياهم وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على نفسها تسع أواق ذهب فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم قال لها أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك فقالت نعم فتزوجها صلى الله عليه وسلم {وَبَنَاتِ عَمِّكَ} وكذلك أحلّ الله لك الزواج من بنات عمك وكذلك {وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ} وكذلك {وَبَنَاتِ خَالِكَ} وكذلك {وَبَنَاتِ خَالَتِكَ} {الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ} ممن هاجرن معك من مكة إلى المدينة {وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً} وكذلك أحلّ الله له الزواج من امرأة من المؤمنات والمسلمات {إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ} إن عرضت نفسها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم {إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا} إن أراد النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها {خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} وهذه الزوجة التي وهبت نفسها لك بدون صداق هي حلال لك وليس ذلك للمؤمنين ولا المسلمين أن يتزوجوا بدون صداق. قال الإمام أحمد: حدثنا محمد ابن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تغيّر من النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألا تستحي المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق؟ فأنزل الله عز وجل: " تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ " الآية قالت إني أرى ربك يسارع لك في هواك. [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠١]. {قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ} قد علم الله تعالى ما فرض على المؤمنين من الصداق (المهر) وعدل الزوجات وأن لا تزيد الزوجات في العصمة للرجل من المؤمنين عن أربع زوجات في وقت واحد {وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} ومن

ملك اليمين من الإماء بدون عدد قد علم الله تعالى ذلك وهو علام الغيوب وهو  
المشرع بذلك والامر بذلك {لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ} وهذه الرخصة وما أحل الله  
لك يا محمد يا رسول الله حتى لا يكون عليك منع من كثرة عدد النساء والزيادة  
عن الأربع بخلاف المؤمنين من أمتك فهي رخصة لك من دونهم {وَكَانَ اللَّهُ  
غَفُورًا} والله تعالى غفر لك وتجاوز لك عن تعداد الزوجات فوق الأربع {رَحِيمًا}  
ويرحمك بعدم طلاقهن ممن يزدن عن الأربع ورحمةً بزوجاتك لأنهن لا يحلن  
لغيرك {تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ} تُبْعَد وتترك فراش من أردت منهن أي من زوجاتك  
كعمرة بنت الجون التي تعوذت منه {وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} وتضم وتُتَقَرَّب إليك  
يا محمد يا رسول الله من تريد من زوجاتك {وَمَنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ} وتجامع  
من أردت ممن عزلت من زوجاتك مثل سودة بنت زمعة التي وهبت ليلتها لعائشة  
لكبر سنها حتى تبقى في زمرة نساءه صلى الله عليه وسلم {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ}  
فلا منع ولا حرج ولا إثم عليك يا محمد يا رسول الله في جماعهن أو إتيان  
فراشهن فهن كباقي زوجاتك حلال لك {ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأُ عَيْنِيهِنَّ} وذلك أقرب  
لأن ترضى كل واحدة بمصيرها {وَلَا تَحْزَنْ} ولا يغضبن باعتزالك لهن  
{وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ} ويقبلن ويرضين بالقسمة كل واحدة منهن لها  
ليلة خاصة بها ينام معها صلى الله عليه وسلم {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ} والله  
تعالى يعلم ما في قلبك يا محمد يا رسول الله أنت وزوجاتك ومن تحب منهن أكثر  
من الأخرى. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن  
أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقسم بين نساءه فيعدل ثم يقول: (اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما



تملك ولا أملك). [ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد ابن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله : (فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) يعني القلب. وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات - ابن كثير ج ٣ ص ٥٠١]. {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا} والله عليم بما في قلوبكم من ميل وعليم بأحوالكم ورغباتكم {حَلِيمًا} فهو ذو حلم ورحمة بكم لأنه يأمركم بالعدل في القسمة بين النساء حتى تفر أعينهن ولا يحزن ويرضين بتلك القسمة فيغفر لكم ذلك الميل في القلب.

﴿لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾

{لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ} ليس حلالاً لك يا محمد يا رسول الله الزواج من النساء من بعد زوجاتك الحاليات وهن خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب ورملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة) أخت معاوية وأم سلمة (هند بنت أبي أمية بنت عمته عاتكة) وسودة بنت زمعة التي وهبت يومها إلى عائشة وزينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب وزينب بنت خزيمة وميمونة بنت الحارث وكان اسمها بره فسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق وصفية بنت حيي ابن أخطب من بني إسرائيل وأمها بره بنت سموأل فبعد نزول هذه الآية حرم الله تعالى عليه الزواج من غيرهن إطلاقاً {وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ} ولا أن يبدل واحدة محل واحدة بعد طلاقها أو موتها {وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} ولو أردت وأعجبت بشدة جمالهن وحسنهن {إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ} ما عدا ما ملكت من الإماء فهن حلال لك {وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا} وكان الله تعالى ومن الأزل

وإلى يوم القيامة مراقباً وشاهداً على عبده ومحاسباً ومعاقباً على فعله أو تركه حسب ما أمر ونهى وزجر.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبْظِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٣٤﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءِآبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٦﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ} لا يُسمح لكم أيها المؤمنون بدخول بيوت النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا إذا أُذنَ وسُمحَ لكم بالدخول ونزلت هذه الآية في صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم على زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد بن حارثة وانتهاء مدة عدة الطلاق من زيد. روى البخاري قال: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز ابن صهيب عن أنس بن مالك قال: بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلتُ على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوتُ حتى ما أجد أحداً أدعوه فقلت يا رسول

الله ما أجد أحداً أدعوه قال: (ارفعوا طعامكم) وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال: (السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته) قالت وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك يا رسول الله بارك الله لك؟ فتقرى حجر نساءه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله والأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب. [انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم واللييلة من حديث عبد الوارث - ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٤]. {إِلَى طَعَامٍ} إذا أذن لكم بدعوة إلى طعام يقدمه لكم {غَيْرَ نَظْرِينَ} غير منتظرين {إِنَّهُ} أي استواءه ونضجه أي لا تنتظروا وتراقبوا وقت نضوج الطعام فتدخلوا بدون إذن متطفلين وهذه عادة سيئة وقبيحة تؤذي صاحب البيت وصاحب الطعام وخاصة التطفل بدون دعوة وإذن فنهى الله تعالى عن ذلك {وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا} ولكن إذا دعيتم إلى طعام فلبوا الدعوة. وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرساً كان أو غيره). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٥]. {فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا} فإذا انتهيتم من الطعام فاخرجوا إلى شؤونكم وانصرفوا إلى حال سبيلكم {وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ} ولا منسجمين في الحديث {إِنَّ ذَالِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ} إن ذلك التأخير وطول البقاء يثقل على النبي صلى الله عليه

وسلم ويؤذيه ويضايقه ويستحي أن يطلب منكم الانصراف وهو حكم عام لمن يلبي دعوة الطعام لأي شخص بعد وكما جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو دُعيتُ إلى ذراع لأجبتُ ولو أُهدي إليّ كراع لقبلتُ فإذا فرغتم من الذي دُعيتُم إليه فخففوا عن أهل المنزل وانتشروا في الأرض). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٥].

{وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يَسْتَحْيِي} لا يمتنع {مِنْ الْحَقِّ} أن يقول الحق مهما صغر أو قل لأنه عادل في حكمه وأمره ونهيه وكما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ٩٠ النحل. {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ} وكذلك أيها المؤمنون إذا سألتن نساء النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ} غرضاً من الأغراض أو أي شيء فاطلبوه {مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} من خلف ساتر أو من خلف الباب {ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} وذلك أطهر وأحسن وأفضل لقلوبكم من الافتتان بنسائه لجمالهن وحسنهن وكذلك أطهر لقلوب نسائه حتى لا تفتتن بالرجال {وَمَا كَانَ لَكُمْ} ولا يحق لكم {أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ} أن تضايقوا وتؤلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال من الأحوال. روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وإنه ليتعشى، وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله إليه ثم رفع

عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال: (إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن).  
 [لفظ البخاري - ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٥]. {وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ} ولا يجوز لكم ولا يحل لكم أن تتزوجوا نساءه من بعد موته أو طلاقها {أَبْدًا} قطعياً {إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ} إن ذلك النكاح لزوجات النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من بعد وفاته عند الله تعالى {عَظِيمًا} كبيرة من الكبائر وعظيمة من العظائم فهو محرم شرعاً لأنهن في حكم أمهات المؤمنين لقوله سبحانه وتعالى: " النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ " ٦ الأحزاب. وبهذه الآية حرمت زوجاته صلى الله عليه وسلم على المؤمنين حياً أو ميتاً لأنهن أصبحن أمهات المؤمنين {إِنْ تُبْدُوا شَيْعًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} وإن تبدوا أيها الناس شيئاً من محبة أزواج النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسواء تظهروه أو تخفوه وتكتموه كمثل حب زيد بن حارثة لزینب بنت جحش بعد أن طلقها وتزوجها من بعده صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى يعلم ذلك وكرامة له صلى الله عليه وسلم حرم الله تعالى زوجاته على أحد من المؤمنين من بعده {لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ} بعد أن ذكر الله تعالى الحجاب للنساء استثنى من ذلك الحجاب: {فِي ءَابَائِهِنَّ} في الآباء {وَلَا أَبْنَائِهِنَّ} واستثنى الأبناء {وَلَا إِخْوَانِهِنَّ} واستثنى الإخوان {وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ} واستثنى كذلك أبناء الأخوة {وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ} واستثنى من ذلك أبناء الأخوات {وَلَا نِسَائِهِنَّ} واستثنى من ذلك نساء المؤمنات والمسلمات بعكس الكافرات والمشركات {وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} من الإماء والرقيق الذكور أو الإناث استثناء آخر {وَأَتَّقِينَ اللَّهَ} وخافوا الله تعالى أيها النساء في الحجاب عن جميع الرجال إلا ما استثنى الله تعالى في هذه الآية

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه على كل شيء شاهداً ومراقباً ومحاسباً. وقيل لماذا لم يذكر الله تعالى العم والخال في هذه الآية فليل لأنهما يذكرانهن وينعتانهن لأبنائهما كما قاله الشعبي وعكرمة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا ﴿٥١﴾

{إِنَّ} حرف لتوكيد الخبر {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو {وَمَلَائِكَتُهُ} وجميع الملائكة {يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} فصلاة الله تعالى على النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي رحمة له ويذكره بخير في الملأ الأعلى ويُنزل محبته بين الناس وخاصة المسلمين منهم وصلاة الملائكة هي أن تستغفر له وتدعو له بالخير والتأييد {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} أي ادعوا له وقولوا اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أي أن الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء كما قال تعالى: "هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا" ٤٣ الأحزاب. قال البخاري: قال أبو العالية صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء وقال ابن عباس يصلون يبركون هكذا علقه البخاري عنهما وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كذلك وروي مثله عن الربيع أيضاً وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كما قاله سواء. [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٦]. وقال أبو عيسى الترمذي وروي عن سفيان

الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار. [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٦]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال قال الأعمش أراه عن عطاء ابن أبي رباح: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ " قال: صلاته تبارك وتعالى: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي. [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٦]. وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق عن جعفر يعني ابن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلي ربك؟ فناداه ربه عز وجل: يا موسى سألوكم: هل يصلي ربك؟ فقل نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ". [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٧]. والصلاة من الله تعالى على الناس هي كما قال تعالى: " هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا " ٤٣ الأحزاب. وقال تعالى: " الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ {١٥٦} أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ {١٥٧} " ١٥٦، ١٥٧ البقرة. وفي الحديث: (إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٧]. وفي الحديث الآخر: (اللهم صلّ على آل أبي أوفى). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٧]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة جابر وقد سألته أن يصلي عليها وعلى زوجها: (صلى الله عليك وعلى زوجك). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٧]. والصلاة من الملائكة على الناس هو استغفار كما قال تعالى: " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ " ٧ غافر. وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الناس فقد قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة؟ قال: (قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٧]. وقال مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال: قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجرم أخبرني محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري قال وعبد الله ابن زيد هو الذي كان أُرِيَ النداء بالصلاة أخبره عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ونحن في مجلس سعد ابن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٨]. وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل ابن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلى عَلَيَّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً).

[قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح - ابن كثير ج ٣ ص ٥١١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا شريك عن ليث عن كعب عن أبي هريرة



عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلوا عليّ فإنها زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في أعلى الجنة ولا ينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا هو). [تفرد به أحمد وقد رواه البزار من طريق مجاهد عن أبي هريرة بنحوه - ابن كثير ج ٣ ص ٥١١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا كعب ابن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول إنه سمع عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة). [وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة - ابن كثير ج ٣ ص ٥١١]. قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ) قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرميت؟ يعني وقد بليت قال: (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء). [ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والنووي في الأذكار - ابن كثير ج ٣ ص ٥١٤]. وقال أبو داود: حدثنا ابن عوف هو محمد بن المقري حدثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما منكم من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أرد

عليه السلام). [تفرد به أبو داود وصححه النووي في الأذكار - ابن كثير ج ٣ ص ٥١٤]. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين). [هكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك - ابن كثير ج ٤ ص ٢٥].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٥٨﴾

{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ} هذه الآية عامة أي الذين يعصون الله تعالى ويخالفونه بالشرك والكفر والمعاصي والذنوب وشرب الخمر وسباب الدين {وَرَسُولُهُ} وتكذيبهم للرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والاعتداء عليه باليد أو اللسان أو الحروب له وللمؤمنين {لَعَنَهُمُ اللَّهُ} سخط الله تعالى عليهم {فِي الدُّنْيَا} بالحرب والأسر وتسليط المصائب عليهم والهموم والأحزان والأمراض والهزيمة في المعارك مع النبي صلى الله عليه وسلم {وَالْآخِرَةِ} بأن يعذبهم الله تعالى في نار جهنم {وَأَعَدَّ لَهُمْ} وحضر وأعدّ وجهز لهم {عَذَابًا} عقاباً {مُهِينًا} مُذِلًّا وقاسياً وشديداً في نار جهنم يوم القيامة {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} والذين يوقعون الشر والعذاب بمن آمن وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات {بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا} ويتهمونهم بغير ما عملوا ولا ارتكبوا من ذنب ولا اقترفوه أبداً بل اتهموهم كذباً وبهتاناً كأصحاب الإفك الذين اتهموا عائشة رضي الله عنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم بأنها زنت وكذلك

كل من يتهم عرض المؤمنين والمحصنات الغافلات كذباً وبهتاناً وظناً {فَقَدْ أَحْتَمَلُوا} فقد ارتكبوا {بُهْتَانًا} كذباً {وَإِثْمًا مُّبِينًا} فقد تحملوا وزراً عظيماً وكبيراً.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١٣﴾﴾

{يَأَيُّهَا النَّبِيُّ} يا أيها النبي والرسول محمد صلى الله عليه وسلم {قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ} قل وأمر يا محمد يا رسول الله زوجاتك جميعاً وبناتك جميعاً ونساء المؤمنين عامة {يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ} أي يزدن في ثيابهن طولاً وملاءتهن حتى تغطي جميع جسدها لأن المرأة عورة كما جاء في الحديث ما عدا الوجه والكفين وظاهر القدمين كما هو في مذهب الإمام أبي حنيفة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطهراني فيما كتب إليّ حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خيثم عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية: "يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ" خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها. [ابن كثير ج ٣ ص ٥١٨]. وهذه الآية عامة للحجاب للمسلمات {ذَلِكَ أَدْنَى} ذلك الحجاب هو أقل شيء لحفظ عرض المسلمات وأقرب لصونه {أَنْ يُعْرَفْنَ} حتى لا يُعرفن بأنهن إماء أو عاهرات بدون حجاب بل يُعرفن بأنهن حرائر لأنهن محتشمات في ملابسهن فيسلمن من الفساق أما اللواتي غير متحجبات ويلبسن القصير من الثياب أو في لباسهن خلاعة وغير متحجبات يطمع فيهن الطامعون والفساق فيؤذونهن بالفعل أو باللسان من الكلام البذيء أما المتحجبات {فَلَا يُؤْذِينَ} فلا يؤذيهم أحد لأنهن يعرفن بأنهن حرائر

وليسوا إماء ولا عاهرات ولا بنات هوى {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا} وكان الله تعالى غفوراً لما سبق من السفور {رَحِيمًا} ورحيماً بالمؤمنات لأمره لهن بالحجاب حفاظاً وصوناً لهن ولأعراضهن ممن في قلوبهم مرض.

﴿ لِّئَلَّا يَمُنُّوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أَخَذُوا وَوَقْتُلُوا تَقْتِيلًا ﴿٧﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٨﴾ ﴾

{لِّئَلَّا يَمُنُّوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} إنذار من الله تعالى وتهديد ووعيد للمنافقين لئن لم ينتهوا ولم يتراجعوا عن إيذائهم للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - والمنافقون هم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والعداء لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين {وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} وهو مرض النفاق والكذب والخداع {وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ} أصحاب الدعايات والإشاعات وأصحاب المبادئ الهدامة والمثبطون بقولهم أن الأعداء سيتخطفون محمداً ومن معه من المؤمنين {لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ} لنسلطنك عليهم فتذلهم وهم في مدينة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي المدينة المنورة {ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ} ثم لا يقيمون {فِيهَا} في المدينة المنورة {إِلَّا قَلِيلًا} إلا قليلاً من الوقت ثم يموتون أو يهربون من المدينة ويقتلون ويؤسرون {مَلْعُونِينَ} عليهم لعنة الله تعالى وغضبه وسخطه {أَيْنَمَا ثُقُفُوا} أينما وجدوا وأينما حلوا {أَخَذُوا} أسروا {وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا} ويُقتلون قتلاً شنيعاً عذاباً لهم وكان ذلك في يهود خيبر الذين أعطوا العهد لرسول الله

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن لا يعينون عليه أحداً ولكنهم بنفاقهم غدروا بالعهد وانضموا إلى جيش قريش ضد الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقتل رجالهم وأخذ نساءهم وذراريهم سبايا نكالا لهم وصدق الله تعالى: " لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا " وكما قال تعالى: " وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا " ٢٦ الأحزاب. {سُنَّةَ اللَّهِ} شريعة الله تعالى وحكمه {فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} في الذين سبقوا من الأمم السابقة عذبهم الله تعالى وهزمهم وقتلهم لما خالفوا وعصوا رسلهم {وَلَنْ تَجِدَ} ولن تجد يا محمد يا رسول الله {لِسُنَّةِ اللَّهِ} لشريعته وحكمه وقوانينه السماوية {تَبْدِيلًا} تغييراً ولا تحويلاً.

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۗ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ

تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٣٣﴾

{يَسْأَلُكَ النَّاسُ} يسألك الناس يا محمد يا رسول الله {عَنِ السَّاعَةِ} عن ساعة قيام القيامة ومتى تقوم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله مجيباً عنها {إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ} إنما علمها وخبرها ومتى تقوم هو في علم الله تعالى وحده ولا أحد من الناس أو الخلق يعلمها غيره ولا حتى الملائكة المقربون {وَمَا يُدْرِيكَ} وما يعلمك يا محمد يا رسول الله {لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} لعل قيام القيامة يكون قريباً جداً وإذا جاءت يكون مجيئها أقرب من لمح البصر كما قال تعالى: " وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ " ٧٧ النحل.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنآ أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنآ إِنآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

{إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَعَنَ} سخط وعذب {الْكَافِرِينَ} وهم من أنكر وجحد رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تتجلى لعنة الله عليهم في الدنيا بالمصائب والهموم والأحزان {وَأَعَدَّ لَهُمْ} وحضر وجهز للكافرين {سَعِيرًا} وهي نار جهنم تسعر وتوقد النار فيها كلما خبت عادت وزادت اشتعالاً {خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} دائمين في نار جهنم دائماً لا يموتون {لَا يَجِدُونَ} لا يجد الكفار {وَلِيًّا} من يتولى أمر الدفاع عنهم {وَلَا نَصِيرًا} ولا من ينصرهم وينقذهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة من عذاب جهنم {يَوْمَ تُقَلَّبُ} يوم تحول وتقلب وتدور {وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ} وجوه الكفار في نار جهنم يوم القيامة {يَقُولُونَ} يقول الكفار {يٰلَيْتَنآ} يتمنون ويندمون ويقولون {أَطَعْنَا اللَّهَ} لو أطعنا الله تعالى باتتباع أوامره واجتناب نواهيه {وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ} بأن اتبعنا الرسول والنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصدقناه فيما أرسل إلينا به في الدنيا {وَقَالُوا} وقال الكفار يوم القيامة عند الحساب والعذاب {رَبَّنآ} ربنا وإلها وخالقنا {إِنآ أَطَعْنَا} إنا نحن الكفار قد أطعنا في الدنيا {سَادَتَنَا} عظماءنا وحكامنا وأمرائنا {وَكُبْرَاءَنَا} ووجهاءنا وملوكنا ورؤساءنا وقادتنا {فَأَضَلُّنَا} السَّبِيلَ} فجعلونا نضل عن الهدى وعن الإسلام وعن طاعة الله تعالى ورسوله

واتباع أوامره ونواهيه {رَبَّنَا} إلهنا وخالقنا {ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ} ضاعف لهم العذاب لإضلالهم لنا {وَأَلْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} واسخط عليهم وعذبهم عذاباً عظيماً.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۗ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٩﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٨٠﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ} لا تكونوا كبني إسرائيل آذوا موسى عليه السلام وهو نبي الله ورسوله وقالوا عنه في جسده مرض أو برص لأنه كان كثير الحياء لا يرى من عورته شيء {فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا} ولكن الله تعالى برأه من تلك التهمة وهي وجود آفة أو برص في جسده حيث رأوه يوماً عارياً وهو أجمل ما يكون فبرأه الله من كلامهم أن بجسمه أذى أو عاهة أو مرضاً {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} وكان موسى عليه السلام له منزلة عند الله تعالى بأن يكون نبياً ورسولاً. قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا روح ابن عباد حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

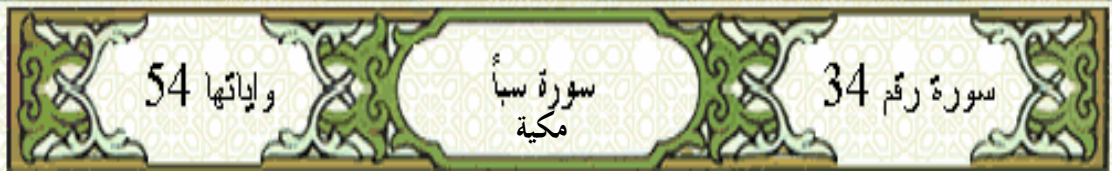
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن موسى كان رجلاً حَيِّياً، وذلك قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا " هكذا أورد هذا الحديث هاهنا مختصراً جداً وقد رواه في أحاديث الأنبياء بهذا السند بعينه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن موسى عليه السلام كان رجلاً حَيِّياً سَتِيراً لا يُرَى من جلده شيء استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله عز وجل أراد أن يُبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلاً يوماً وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حَجَرٌ ثوبي حَجَرٌ حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل وأبراه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً - قال - فذلك قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ". وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم. [ابن كثير ج ٣ ص ٥٢٠]. {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {اتَّقُوا اللَّهَ} اعبدوا الله وخافوه واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه {وقولوا قولاً سديداً} وقولوا قولاً طيباً ومستقيماً وصالحاً وعادلاً لا انحرف فيه ولا تهكم ولا سخرية ولا إفساد ولا فتنة بين الناس {يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} يوفقكم ويرشدكم ويهديكم لصلاح أعمالكم في الدنيا ويسهل عليكم أعمالكم ووظائفكم ومصانعكم ومشاغلكم ويسهل عليكم جميع أموركم في الدنيا



{ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } ويكافئكم بمغفرة ذنوبكم { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } ومن يطع الله تعالى في أوامره واجتناب نواهيه وفي طاعة رسوله في سننه وأوامره { فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } فقد فاز ونجح نجاحاً عظيماً وكبيراً وباهراً بدخوله الجنة يوم القيامة { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ } لقد عرض الله تعالى الأمانة وقد خلق الله الأمانة على صورة صخرة فعرضنها على السموات والأرض عرض تخيير لا عرض إلزام فأشفقن منها فقال آدم لو أمرت بحملها لحملتها فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها ثم إلى وركيه وهما عظام الورك ثم وضعها ثم حملها على عاتقه فلما أراد وضعها قيل له مكانك فهي في عنقك وعنق أولادك إلى يوم القيامة لأنك حملتها باختيارك وقال ابن عباس رضي الله عنهما الأمانة هي الصلاة والزكاة والحج والكيل والميزان وزاد غيره غسل الجنابة لأن التستر عن غير الله تعالى في الجميع ممكن وقيل الأمانة هي الفرج لأنه أول مخلوق من الإنسان والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة وقال بعض الصحابة جاء أعرابي إلى باب المسجد فنزل عن ناقته ودخل صلى صلاة كاملة ودعا دعاءً حسناً ثم خرج فلم يجد الناقة فقال يا رب أديت أمانتك فأين أمانتي فلم يمكث حتى جاء رجل وقد قطعت يده فسلم إليه الناقة فتعجبنا من ذلك ذكره النيسابوري في سورة البقرة وحكاة العلاءي في آل عمران عن طاوس اليماني التابعي وأنه قال يا رب في ضمانك فلما خرج من حرم الكعبة ولم يجدها قال يا رب إنه ما سرق إلا منك وإذا برجل نزل من جبل أبي قبيس قد قطعت يده وهو يقود الناقة قال طاوس فسألناه ما سبب ذلك فقال جاءني رجل على فرس أشهب فقطع يدي وقال لي رد الناقة. [نزهة المجالس ص ٢٩١]. { عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ } فلما عرض الله تعالى الأمانة عرض تخيير على السموات السبع وعلى الأرض وعلى الجبال { فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا } رفض حملها { وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا } وخفن من حملها

وعقاب تركها {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ} وحملها آدم عليه السلام. قال القرطبي في تفسيره: روى الترمذي الحكيم أبو عبد الله: حدثنا إسماعيل بن نصر عن صالح ابن عبد الله عن محمد بن يزيد بن جوهر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى لآدم يا آدم إنني عرضت الأمانة على السموات والأرض فلم تطعها فهل أنت حاملها بما فيها فقال وما فيها يا رب قال إن حملتها أُجرت وإن ضيعتها عُدِّبت فاحتملها بما فيها فلم يلبث في الجنة إلا قدر ما بين صلاة الأولى إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها). {إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا} كان ظالماً لنفسه وذريته بحمل الأمانة {جَهُولًا} وكان جاهلاً بحملها لعقاب وعذاب من لم يستطع حملها سواء هو أو ذريته والأمانة كما قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" ٥٨ النساء. وقال تعالى: " وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ " ٩١ النحل. وقال تعالى: " وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا " ٣٤ الإسراء. {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ} لعدم حملهم الأمانة وأدائها على وجهها والمنافق هو الذي يظهر ما لا يبطن من الكفر والنفاق ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم هو والمؤمنين {وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ} وكذلك يعذب الله تعالى المشركين والمشركات الذين يتخذون مع الله إلهاً آخر بعبادة الأصنام والأوثان والأنداد وذلك عقاباً لهم وعذاباً عن بينة ودليل وحجة عليهم {وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} ويقبل الله تعالى توبة وندم المؤمنين والمؤمنات لتوبتهم واستغفارهم له على ذنوبهم السابقة {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا} والله تعالى كان من الأزل ولا يزال إلى يوم القيامة يغفر

الذنوب لمن تاب وندم ورجع إليه {رَّحِيمًا} يرحمهم يوم القيامة ولا يعذبهم بعد  
توبتهم وندمهم ورجوعهم إليه ويرحمهم ويدخلهم الجنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ  
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا  
يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ } الحمد والشكر والثناء لله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الَّذِي }  
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ } وهو الله الذي له ما في السموات السبع من الملائكة وله ما  
فيها من شمس وقمر ونجوم وكواكب { وَمَا فِي الْأَرْضِ } والله تعالى كل ما في الأرض  
من إنس وجن وحيوانات وطيور ودواب وجبال ووديان وبراري وقفار وبحار وأنهار  
وعيون وآبار ونباتات وأشجار ورمال وصخور { وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ } والله تعالى  
الحمد والشكر والثناء في يوم القيامة لإحياء الموتى والحساب والجزاء والثواب ولمن  
آمن واتقى فله الجنة ومن كفر وعصى فله النار وله الحمد على عدله بين الناس  
يوم القيامة فهو أحكم الحاكمين { وَهُوَ الْخَبِيرُ } والله تعالى جل جلاله وعظم قدره  
وعلا شأنه فهو ذو حكمة في خلقه وصنعه وتقديره وفي ملكه فلا يخطئ أبداً  
{ الْخَبِيرُ } فهو خبير عليم بخلقهم بما ينفعهم وما يضرهم وهو خبير بأفعالهم  
وأعمالهم { يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ } والله تعالى يعلم ويعرف ويدري ما يدخل وما  
ينزل في الأرض من الحبوب والبدور وماء المطر وما يدخل فيها من الأموات وما  
يدخلها من الهوام والحشرات والزواحف وما يلج فيها من الجن والإنس والشياطين

{وَمَا تَخْرُجُ مِنْهَا} وما يخرج منها من الثمار والنباتات والأشجار ومن الكنوز والبتروال والماء والعيون والمعادن وما يخرج منها من الهوام والزواحف والحشرات والحيوانات والطيور {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} وكل ما ينزل من السماء من ماء المطر ومن الملائكة ومن الرحمات والبركات وما ينزل من الملائكة الذين يتبادلون على ابن آدم بالليل والنهار وملائكة الأرزاق وملائكة الموت وملائكة الصواعق والزلازل والملائكة التي تنزل ليلة القدر لقوله تعالى: " تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ " ٤ القدر. {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} وما يصعد في السماء من الملائكة ومن أعمال بني آدم الصالحة والأرواح الطاهرة والصالحة من الناس بعد موتها وما يعرج ويصعد إليها من الجن والشياطين المسترقين السمع إلى الملأ الأعلى قال تعالى: " إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ {٦} وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ {٧} لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ {٨} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ {٩} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِبٌ {١٠} " ٦-١٠ الصافات. وقال تعالى: " وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا {٨} وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا {٩} " ٨، ٩ الجن. {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الرَّحِيمُ} فهو يرحم كل من تاب وندم ورجع عن المخالفة والمعاصي ولا يعذبه ويدخله الجنة يوم القيامة {الْغُفُورُ} فالله تعالى يغفر ويعفو ويتجاوز عمّن تاب ويدخله الجنة يوم القيامة.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَنِ الْغَيْبِ لَا  
يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ  
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ  
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن  
رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿٤﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ  
وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ  
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مَزْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي حَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٦﴾ أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ  
جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٧﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا  
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ  
نَسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } قال الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا برسالة سيدنا محمد صلى  
الله عليه وسلم وكذبوا بالقرآن الكريم { لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ } لا تقوم علينا القيامة  
{ قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ } أقسم لهم يا محمد  
يا رسول الله بربك وخالقك وإلهك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه  
لتأتينكم وتقوم القيامة وتبعثن يوم القيامة للحساب والعقاب والعذاب والجزاء  
والثواب وقال تبارك وتعالى: " وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ  
فِي الْقُبُورِ " ٧ الحج. وقال تعالى: " يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا  
أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " ٦ المجادلة. وكما قال تبارك  
وتعالى: " أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى " ٣٦ القيامة. وقال تعالى: " وَيَوْمَ تَقُومُ

السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ " ٥٥ الروم. {عَلِمِ  
 الْغَيْبِ} الله تعالى هو وحده عالم بكل الغيب وكل ما غاب واستتر عن خلقه في  
 الماضي والحاضر والمستقبل {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ} لا يغيب ولا يتوارى ولا يختفي عنه  
 سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مِثْقَالُ ذَرَّةٍ} مقدار ذرة في  
 الصغر أو الحجم أو الوزن {فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} سواء كانت في السموات  
 السبع تلك الذرة أو في الأرض {وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ} ولا أصغر من  
 الذرة ومن جزيئاتها ونواتها ولا أكبر من ذلك {إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} إلا ومسجل  
 علمها وخبرها وكل ما يدور ويحيط بها فهو مكتوب في اللوح المحفوظ {لِيَجْزِيَ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ليكافئ الله تعالى المؤمنين الذين يعملون  
 الصالحات {أُولَئِكَ} هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات {هُم مَّغْفِرَةٌ} لهم من  
 الله تعالى مغفرة وعفو عن جميع ذنوبهم لتوبتهم وإيمانهم وأعمالهم الصالحة  
 {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ولهم في الدنيا معيشة طيبة وهنيئة وسعيدة ويوم القيامة يدخلون  
 الجنة ويأكلون مما طاب منها. وسأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم وناداه  
 بصوت جهوري فقال: يا محمد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هاؤم)  
 على نحو من صوته قال يا محمد متى الساعة؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم: (ويحك إن الساعة آتية فما أعددت لها؟) قال ما أعددت لها كبير صلاة  
 ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرء  
 مع من أحب). فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث وهذا له طرق متعددة  
 في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم أنه قال: (المرء مع من أحب) وهي متواترة عند كثير من الحفاظ المتقنين.

[ابن كثير ج ٢ ص ٢٧٢]. {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا} والذين استمروا في الاعتراض والجحود والتكذيب {مُعْجِزِينَ} مكذابين ومكابرين وناكرين لآيات القرآن الكريم {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ} هؤلاء لهم عذاب من الله تعالى {مَنْ رَجَزَ أَلِيمٌ} من عذاب من نوع أليم وموجع وشديد وقاس {وَوَيْرَى} ويرى ويشاهد ببصيرتهم ويعلم {الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} وهم العلماء والأولياء والصالحون وذوو البصائر {الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} وهو القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى عليك بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {هُوَ الْحَقُّ} هو الصدق والصحيح واليقين {وَيَهْدِي} ويرشد ويدل {إِلَى صِرَاطٍ} إلى طريق الله المستقيم {الْعَزِيزِ} العزيز في ملكه والقوي في حكمه وإرادته وفعله وأمره {الْحَمِيدِ} حميد الصفات والأفعال والأقوال ويحمد ويكافئ من حمده وشكره وأطاعه {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} وقال الكفار ممن جحد وأنكر وكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {هَلْ نَدُلُّكُمْ} هل نرشدكم {عَلَى رَجُلٍ يَنْبِئُكُمْ} على رجل وهم يستهزئون برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويستهزئون به ويقولون سنرشدكم عليه ليخبركم {إِذَا مَرِئْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ} إذا متم وأرمتم وشئتمت أجسامكم وعظامكم وأشلائكم وأصبحت أجسادكم بالية {إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} إنكم تبعثون يوم القيامة أحياء من جديد {أَفْتَرَى} هل كذب واختلق وهو سؤال استنكاري {عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} وكذب على الله تعالى {أَمْ بِهِ جِنَّةٌ} أم أصبح مجنوناً ومعتوهاً {بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} ولكن الذين لا يصدقون بيوم القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار {فِي الْعَذَابِ} فسيعذبون عذاباً شديداً {وَالضَّلَالِ} البعيد في الغي والجهل العظيم {أَفَلَمْ يَرَوْا} أفلم يعلموا أو يشاهدوا بأعينهم



{إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} ما بين أيديهم من الأحياء من المخلوقات وما خلفهم من الأموات من المخلوقات وموت النجوم والكواكب واندثارها وذهابها أو الشهب المحترقة التي تقذف بها الشياطين في السماء أو ما بين أيديهم مما يروه بأعينهم من السماء والأرض وما خلفهم مما لا يروه من الكون لكبره وعظمه وكذلك أفلا ينظرون في الأرض أمامهم كيف تكون خضرة وحلوة في موسم الربيع مثلاً وفي موسم الثمار والخضار وما فيها من الطيور والحيوانات ثم ينظرون إلى خلفهم كيف كانت الأرض مجدبة وأين آباؤهم وأجدادهم الأولون كيف ماتوا وأصبحوا رميماً في الأرض وينظرون في السماء نظرة تأمل كيف رفعها الله وكيف جعل بها الشمس تسير في اليوم من المشرق إلى المغرب وما بها من الكواكب والنجوم وينظرون أمامهم ما طول هذه السماء التي ليس لها نهاية وبدون عمد ترونها ونظرة إلى الأرض ما طولها هي وسهولها وجبالها وبحارها وأنهارها وصخورها ووديانها وبترونها ومعادنها ومائها وثمارها {إِنْ نَّشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ} وبعد كل ذلك من المشاهدات إن يرد الله تعالى يخسف بالكفار ومن عصى يخسف بهم الأرض بالزلازل والبراكين والخسف وطوفان البحار والأنهار وبالاعاصير والعواصف {أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ} أو يسقط الله تعالى عليهم صواعق من السماء تنزل عليهم وتصعقهم وتحرقهم أو قطعاً من البرد أو الثلج الذي يقتل محاصيلهم الزراعية وحيواناتهم وأنفسهم لعنادهم وكفرهم وعدم تصديقهم لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {إِنَّ فِي ذَلِكَ} أي في خلق السموات والأرض {لَآيَةً} لمعجزة {لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} لكل عبد طائع تائب ونادم وراجع إلى الله تعالى وكما قال تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ " ١٩٠ آل عمران.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَجِبَالٌ أُوْبَىٰ مَعَهُ ۖ وَالطَّيْرَ ۖ وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١﴾ أَنْ  
 أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ۖ وَأَعْمَلُوا صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾  
 وَلَسَلِّمَنَّ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ  
 يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾  
 يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ ۖ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ ۖ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ۖ أَعْمَلُوا  
 ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ۖ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿٤﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ  
 عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَّوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٥﴾

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ} لقد آتى وأعطى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه داوود عليه السلام {مِنَّا فَضْلًا} من الله تعالى فضلاً وخيراً وهذا الفضل والكرم والخير هو {يَجِبَالٌ} والفضل هو: يا جبال ويا أيتها الجبال الراسيات {أُوبَىٰ مَعَهُ} مطيعي معه وسبحي {وَالطَّيْرَ} والطيور في السماء تطيعه وتظله وتسبح معه وذلك عند سماع صوته العذب والجميل في قراءة الزبور وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يقرأ من الليل فوق فاستمع لقراءته ثم قال صلى الله عليه وسلم: (لقد أوتي هذا زمماراً من مزامير آل داود) [ابن كثير ج ٣ ص ٥٢٦]. {وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} أي صار يصهره ويحوله كيف يشاء بتعليم الله تعالى له وفي سبب تعليمه هذه الصنعة قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا حمزة بن محمد حدثنا أبو القاسم أحمد ابن حم عن نصير بن يحيى قال حدثنا بعض أصحابنا أن داود النبي صلوات الله تعالى عليه وسلامه كان يخرج متنكراً فيسأل عن سيرته من يراه من أهل مملكته فتعرض له

جبريل عليه السلام على صورة آدمي فقال له داود عليه السلام يا فتى ما تقول في داود فقال نعم العبد هو غير أن فيه خصلة قال وما هي قال يأكل من بيت مال المسلمين وما في العباد أحب إلى الله من عبد يأكل من كدّ يده فعاد إلى محرابه باكياً متضرعاً يقول يا رب علمني صنعة أعملها بيدي تغنيني بها عن مال المسلمين فعلمه الله تعالى صنعة الدروع وألان له الحديد حتى كان في يده بمنزلة العجين وكان إذا تفرغ من القضاء وحوائج أهله عمل درعاً فباعها وعاش هو وعياله بئمنها وذلك في قوله تعالى: " وَاللّٰٓءِ لَهٗ الْحَدِيْدَ " " وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ". [تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ١٦٨]. {أَنْ أَعْمَلَ سَبِغْتِ} أي اعمل دروعاً تحيط بالجسم {وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} أي حدد وسع حلقاتها وعددها حسب طلب كل إنسان وعلى قدر طوله وعرضه أي قدرها بالضبط في سردها أي في عددها ومنه يقال اسرد لنا القصة كاملة أو اسرد الواقعة الفلانية أي أن معناه حدد بالضبط وقدر كم حلقة يحتاج الدرع بالنسبة لاختلاف أطوال وأحجام الرجال {وَأَعْمَلُوا صَالِحًا} واعملوا آل داود صالحاً في عبادتكم وفي دينكم وفي صناعتكم وفي أعمالكم واعملوا أيضاً أنتم أيها المؤمنون صالح الأعمال من العبادات والطاعات {إِنِّي} إني أنا الله تعالى {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما تفعلون {بَصِيرٌ} مطلع وأعلم وأدري بجميع أعمالكم من خير أو شر وستحاسبون عليها يوم القيامة {وَلِسُلَيْمَانَ} وسخر الله تعالى لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وهو نبي الله ورسوله {الرِّيحَ} هبوب الريح الطيبة رخاء حيث وجد {عُدُوَّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ} سرعة ذهابها في العُدُوّ وهي تحمل بساطه مسيرة شهر للراكب وسرعة إيابها في الرواح مسيرة شهر للراكب كما قال تعالى: " فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ

أَصَابَ " ٣٦ ص. {وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ} وأسأل الله لسيدنا سليمان عليه السلام نبي الله ورسوله عيناً من النحاس المصهور لمدة ثلاثة أيام كما قاله السدي وقال قتادة كانت باليمن فكل ما يصنع الناس مما أخرجه الله تعالى لسيدنا سليمان ابن داود عليهما السلام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر النحاس. [ابن كثير ج ٣ ص ٥٢٨]. {وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ} وقسم من الجن مسخر لسيدنا سليمان للعمل ويعمل بأمر سيدنا سليمان عليه السلام {بِإِذْنِ رَبِّهِ} بأمر الله تعالى وإرادته والاستعانة بالجن هي لقوتهم الخارقة وهي كمن يستعين الآن بالآلات الحديثة وليس في ذلك منع وذلك ما دام أنه لم يدخل في المحرمات أو في ضرر الناس {وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا} ومن ينحرف أو يعصي أمر الله تعالى وهو طاعة سيدنا سليمان عليه السلام نبي الله ورسوله {نُذِقْهُ} نعذبه {مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ} من عذاب الحرق وهو عذاب نار جهنم يوم القيامة {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ} وكانت الجن في عهد سيدنا سليمان يعملون له ما يطلب منهم وما يريد {مِنَ مَّحْرِبٍ} وهي جمع محراب وهو المسجد الصغير {وَتَمَثِيلٍ} والتماثيل هي على صورة الأشياء للزينة وإظهار المعالم للأشياء وتماثيل سليمان عليه السلام لم تكن أصناماً ولم تُعدّ للعبادة فلا شيء فيها وبناءً على ذلك لا بأس بعمل بناء أو تمثال للشهداء والزعماء ولا يُطلق عليه نُصَب بل يُطلق عليه صرح كما لا يُطلق على العنب خمراً فهي ليست نُصَباً ولا أصناماً بل هي كما قال تعالى: " إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ " ٤٤ النمل. وكما قال تبارك وتعالى: " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ " ٣٦ غافر.

وهذا الصرح الذي يُبنى للشهداء والزعماء هو مكافأة لهم وإعلاءً لشأنهم في الدنيا وهو من الأشياء المباحة ما دامت لم تُعبد من دون الله {وَجِفَانٍ} وقدور وأحواض {كَالْجُؤَابِ} جمع جابية وهي الحوض الكبير الذي يُجمع فيه الماء تستعمل كأحواض للطعام وللمياه لشرب الخيل وغيرها {وَقُدُورٍ} وقدور كبيرة جداً {رَاسِيَتٍ} ثابِتات تُملأ للجيش والجنود الكثيرة بالطعام {أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا} اعملوا يا أهل داوود أي يا سليمان بن داوود أنت وأهلك وجندك أعمالاً صالحة تشكروا الله تعالى بها على ما تفضل بها عليكم وما أعطاكم وأنعم عليكم {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ} ولأنه قليل من عباد الله تعالى من الناس من يشكر الله تعالى على النعمة التي أعطاه الله تعالى إياها لأن قارون لما طلب منه موسى عليه السلام إخراج الزكاة عن أمواله " قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي " ٧٨ القصص وكما قال تعالى: " كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ " {٧} " ٧٠، ٦٠ العلق. {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ} فلما قدّر الله تعالى بإرادته على سيدنا سليمان الموت ومات {مَا دَهَّمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا} وكانت الجن تبني في المسجد الأقصى فلم يعلموا بموته ولم تدلهم على موته إلا {دَابَّةُ الْأَرْضِ} وهي الأرضة أي السوس {تَأْكُلُ مِنْسَأَتُهُ} أي نخرت عصاه التي كان يقف ويرتكز عليها أمام الجن وهم يبنون المسجد الأقصى {فَلَمَّا خَرَّ} فلما كسرت عصاه من أكل الأرضة ووقع ساقطاً على الأرض {تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ} عَلِمَتِ الْجِنُّ {أَن لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ} أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ويعلمون عن موت سيدنا سليمان في نفس اللحظة التي مات فيها {مَا لَبِثُوا} ما مكثوا {فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} في العذاب المذل والقاسي والشديد في البناء. ورُب سائل يسأل كيف تجرؤ دابة الأرض هذه أن تأكل منسأة سيدنا

سليمان عليه السلام وهو حاكم الإنس والجن والطيور؟! ونجيب بأن الله تعالى هو الذي سَخَّرَهَا لتأكل منسأته حتى يعلم الجن والإنس أن سيدنا سليمان عليه السلام قد مات. وأما ما يخبر به الجن صاحبه الكاهن ببعض الغيب فقد جاء في صحيح البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان فإذا فُزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض - وصفه سفيان بيده فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى مَنْ تحته ثم يُلقِيها الآخِر إلى مَنْ تحته حتى يُلقِيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقِيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا فَيُصَدِّقُ بتلك الكلمة التي سُمِعَتْ من السماء). [تفرد به البخاري - ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٣].

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ  
 وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ  
 وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿٦﴾ ذَلِكَ  
 جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۗ وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرَىٰ الَّتِي  
 بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةَ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿٨﴾  
 فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ  
 مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ  
 فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن  
 يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿١١﴾ ﴾

{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ} لقد كان لأهل سبأ بأرض اليمن {فِي مَسْكِنِهِمْ} في بلدهم ومحل  
 إقامتهم {آيَةٌ} معجزة وبينة ودليل {جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ} بستانان عن  
 يمين سد مأرب وشماله من أول السد إلى آخره على جانبيه وسبأ اسم عبد شمس  
 ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبى في العرب  
 وأول من غنم. قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن  
 لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن وعله قال سمعت ابن عباس  
 يقول: إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو رجل أم امرأة  
 أم أرض؟ قال صلى الله عليه وسلم: (بل هو رجل وُلد له عشرة فسكن اليمن منهم  
 ستة وبالشام منهم أربعة فأما اليمانيون فمدحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار  
 وحمير وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان). [ورواه عبد عن الحسن ابن  
 موسى عن ابن لهيعة به وهذا إسناد حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو عمر

ابن عبد البر في كتاب (القصص والأمم بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم) من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعله عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه - ابن كثير ج ٣ ص ٥٣٠]. وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليهم سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الأقدام فبنوا بينهما سداً عميقاً عظيماً محكماً حتى ارتفع الماء على حافته فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار {كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ} فقال لهم الله تعالى كلوا من رزق الله تعالى الذي أعطاه لكم {وَأَشْكُرُوا لَهُ} واشكروا له فضله وأنعمه عليكم {بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ} لأنه جعل أرضكم طيبة تخرج لكم ما طاب من الثمار {وَرَبُّ غَفُورٌ} والله تعالى يغفر لمن تاب وندم ورجع إليه {فَاعْرَضُوا} فابتعدوا وانحرفوا عن عبادته وعصوه وعبدوا الشمس كما أخبر الهدهد سيدنا سليمان عليه السلام {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ} فقد أرسل الله تعالى على أصل سد مأرب الجرد وهو نوع من الفئران ويقال له الخلد فلما فطنوا لذلك أرسدوا له الصنانير فسلط الله عليهم {سَيْلَ الْعَرِمِ} أي أمطاراً غزيرة جداً وشديدة فسالت الأودية بقوة واندفاع شديد على شكل طوفان فوق السد وسقط وأنهار فلم يرتفع الماء بعد ذلك ليسقي الأشجار على جانبي السد فماتت الأشجار المثمرة {وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ} وبدلهم الله تعالى لكفرهم وعصيانهم بدل جنتيهم المثمرتين واللتين تطعماهم من طيب الثمار {جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ} جنتين ثمارهما {خَمَطٍ} وهو السمر (الحلفاء) ويشبه الطرفاء {وَأَثَلٍ} وشجر الأثل لا يثمر {وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ} وقليل من شجر السدر وهو ما يسمى بالنبق {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ} ذلك ما عاقبناهم به من قلة الثمار والسدر القليل {بِمَا كَفَرُوا} بسبب كفرهم {وَهَلْ جُنَزِي} وهل نعاقب {إِلَّا الْكَافِرِينَ} إلا الكافر والعاصي الذي يعبد غير الله تعالى



ويكفر بنعمة الله عليه {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ} وقد جعل الله تعالى بين أهل سبأ باليمن  
{وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا} أي قرى الشام وهي أرض فلسطين كما قال  
تعالى: " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى  
الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " ١ الإسراء. {قُرَى  
ظَهْرَةَ} قرى كثيرة ظاهرة تُشاهد من بعيد يراها كل من سافر من اليمن إلى الشام  
{وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} وقدر الله تعالى لهم أن تكون المسافة بين القرى في سيرهم أثناء  
سفرهم قريبة {سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا} سيروا في سفركم بينها عددًا قليلًا من الأيام  
والليالي {ءَامِنِينَ} آمنين من الأعداء ومطمئنين على متاعكم من السلب والنهب  
لكثرة القرى ولقربها عن بعضها وانتشارها في طريق سفركم {فَقَالُوا} فقال أهل سبأ  
داعين الله تعالى {رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا} بعد مسافات سفرنا {وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ}  
وذلك ظلمًا وبطراً وكفراً و عناداً {فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ} فجعلهم الله تعالى عبرة  
وأحاديث يلوكها الناس بألسنتهم وقصص يتناقلها الناس وجعلناهم مثلاً يُضرب  
لمن بطر معيشته ووجد نعمه الله تعالى كيف يكون مصيره {وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ}  
فلما ضاقت عليهم معيشتهم تشتتوا في البلاد لِمْحَلِّ بِلَادِهِمْ وَقَحَطَهَا وَذَلِكَ طَلِبًا  
لِلْعَيْشِ {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} لدلائل وحجج وبراهين وبيان {لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}  
لكل عبد أن يصبر على المشاق وطلب الرزق الحلال دون ضجر ولا ملل ولا كسل  
{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} ولقد ثبت صدق ظن إبليس في الإغواء حيث  
أغوى أهل سبأ بالكفر والشرك والعصيان فقد عبدوا الشمس وأشركوا بالله تعالى  
{فَاتَّبَعُوهُ} فاطاعوه {إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} ما عدا قسم وجماعة ممن آمن بالله

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَمَا كَانَ لَهُ} ولم يكن للشيطان {عَلَيْهِمْ} على أهل سبأ {مِّنْ سُلْطٰنٍ} ما كان له من سيطرة ولا غلبة ولا قوة ولا إرغام بل يزين ويزخرف لهم ويغريهم بالكفر والشرك والمعاصي {إِلَّا لِنَعْلَمَ} والله تعالى يعلم ولكنه يريد إقامة الحجة عليهم بارتكابهم الكفر والشرك والمعاصي {مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ} بمن يؤمن بيوم القيامة والحساب والجزاء والبعث والنشور والجنة والنار {مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ} ويقيم الحجة على من شك وظن في البعث والنشور والحساب يوم القيامة {وَرَبُّكَ} وربك وخالقك وإلهك يا محمد يا رسول الله {عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ} على كل عمل وفعل يقوم به الإنسان {حَفِيظٌ} يحفظه ويسجله عليه ويخرجه له يوم القيامة في كتاب كما قال تبارك وتعالى: " وَكُلُّ إِنسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا {١٣} اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا {١٤} " ١٣، ١٤ الإسراء.

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٤﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

{ قُلِ } قل يا محمد يا رسول الله للكفار والمشركين { ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ } ادعوا واطلبوا واسألوا الذين أشركتم من الأصنام والأوثان والأنداد غير الله تعالى { لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } لا يملكون ولا حتى مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض أي لا يملكون نفعاً لكم ولا ضراً { وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ } وليس لهؤلاء الشركاء المزعومين شراكة في ملك السموات والأرض { وَمَا لَهُ مِنْهُمْ } وليس له من أحد منهم { مِّنْ ظَهِيرٍ } من معين أو مساعد { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ } ولا تنفع شفاعة أحد عند الله تعالى { إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } إلا لمن سمح له بالشفاعة سواء الرسل أو الملائكة أو الصالحين

{حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ} في هذه الآية ما يسمى الالتفات في اللغة للقرآن الكريم وهو انتقاله إلى موضوع آخر والله تعالى يذكر هنا عظمته بين الملائكة وأنه إذا ما فزع عن قلوبهم أي ذهب الخوف والرعب خشية أن يأمر الله تعالى في كلامه بقيام القيامة وبعد الانتهاء من كلامه تعالى {قَالُوا} قالت الملائكة بعضها لبعض {مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} ماذا قال وأمر الله تعالى آنفاً الآن {قَالُوا الْحَقُّ} قالت الملائكة هو الحق والعدل والصدق كما قال تعالى: " قَوْلُهُ الْحَقُّ " ٧٣ الأنعام. أي لا كذب فيه {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَلِيُّ} العالي والمترفع عن الشرك وعن الظلم {الْكَبِيرُ} العظيم الذي ليس شيء أكبر منه ولا أعظم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {مَنْ يَرْزُقُكُمْ} من يهب لكم الرزق ويعطيكم {مَنْ أَلْسَمَوتِ} من المطر ومن الغيث ومن الماء المبارك {وَالْأَرْضِ} ويرزقكم من ثمار الأرض من الفواكه والخضروات والحبوب واللحوم والأسماك وغيرها ومن ماء الآبار والعيون والأنهار {قُلِ اللَّهُ} قل يا محمد يا رسول الله وأجب عنهم بأنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَأِنَّا} ونحن أي رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون {أَوْ إِيَّاكُمْ} أو إياكم أيها الكفار {لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ} إما على هدى أو في غيٍّ وجهل وضلال وبعد عن الهدى وعلى خطأ {مُتَّبِعِينَ} عظيم. والمقصود أنه يهددهم ويتوعددهم يوم القيامة بمعرفة من هو على حق ومن هو على باطل ويتوعددهم لأنهم على باطل {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا} لا تسألون ولا تحاسبون على ذنوبنا {وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ} ولا نحاسب على أفعالكم وأعمالكم كما قال تعالى:

” وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ” ١٦٤ الأنعام. {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {تَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا} سيجمع الله تعالى بيننا وبينكم يوم القيامة للحساب {ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ} ثم يحكم الله تعالى بيننا وبينكم بالحق والعدل يوم القيامة ويرى كل منا حقيقة الأمر {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْفَتْاحُ} وهو الذي يفتح الأمر ويكشفه لنا ولكم يوم القيامة {الْعَلِيمُ} العالم بالأسرار والنوايا وما تخفي الصدور {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار {أُرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ} أروني من هو الشريك لله في خلق السموات والأرض {كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ} لا ليس له شريك في ملكه ولكنه حقيقة هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَزِيزُ} العزيز في ملكه والقوي في حكمه وإرادته وفعله {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة في أوامره ونواهيته وفي ملكه ولا يخطئ أبداً {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ} ولم نرسلك يا محمد يا رسول الله {إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ} إلا لجميع الناس. وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٤٠]. {بَشِيرًا} مبشراً لمن آمن وصدق بالقرآن وما أنزل فيه وصدق بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعمل الصالحات وتاب أنه يدخله الله الجنة يوم القيامة {وَنَذِيرًا} لتنذر الناس وتحذرهم من عقاب وعذاب الله تعالى لمن جحد وأنكر وكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ولكن أغلب الناس لا

يعلمون أن النجاة يوم القيامة في اتباعك يا محمد يا رسول الله في الدنيا وغالباً أكثر الناس هم العصاة والكفار لقوله تعالى: " وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ " ١٠٣ يوسف. {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ويقول لك الكفار يا محمد يا رسول الله أنت والمؤمنين متى سيكون هذا الوعد وهو قيام القيامة والحساب {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ} الموت وهو يوم محدد وهو مقدمة لقيام القيامة {لَا تَسْتَعْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً} لا تؤجلون ولا تتأخرون عنه ولو ساعة {وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ} ولا تتقدمون عن ميعاده ولا ساعة.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا أَخْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } وقال الكفار وهم من جحد وأنكر وكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ } لن نصدق بهذا القرآن وما أنزل فيه { وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } ولا بالذي أنزل إليه وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { وَلَوْ تَرَى } ولو تشاهد { إِذِ الظَّالِمُونَ } إذ الكفار والمشركون كما قال تبارك وتعالى عنهم: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. { مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ } محجوزون وموقوفون عند الله تعالى في المحشر للحساب وهم أذلة { يَرْجِعُ } يرد

{بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ} يَتَّهَمُ بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ بِالْقَوْلِ {يَقُولُ الَّذِينَ} {أَسْتُضْعَفُوا} يَقُولُ الضَّعْفَاءُ وَهُمْ مِنَ الرَّقِيقِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْعَبِيدِ {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} لِلسَّادَةِ وَالْعِظْمَاءِ وَالْكَبْرَاءِ وَالْحُكَّامِ وَالْأَمْرَاءِ {لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} يَتَخَاصِمُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْتُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ مَنْعْتُمُونَا مِنَ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ وَلَوْلَا خِدْمَتِكُمْ لَكُنَّا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ نَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ وَنَطِيعُهُ {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} رَدِّ عَلَيْهِمُ السَّادَةَ وَالْكَبْرَاءَ وَالْعِظْمَاءَ {لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا} لِلضَّعْفَاءِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالرَّقِيقِ وَالْعَبِيدِ {أَخْنُ صَدَدْتِكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ} هَلْ نَحْنُ السَّادَةُ مَنْعْنَاكَ عَنْ اتِّبَاعِ الْهُدَى وَالْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ جَاءَكُمْ وَعَرَفْتُمُوهُ {بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ} بَلْ كُنْتُمْ عَصَاةً وَمُذْنِبِينَ وَبِذَلِكَ كَذَّبْتُمْ فِي دَعْوَاهُمْ {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا} وَقَالَ الضَّعْفَاءُ {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} لِلْعِظْمَاءِ وَالسَّادَةِ {بَلْ مَكْرُ الْإِلِيلِ وَالنَّهَارِ} بَلْ ظَلَمْتُمْ لَنَا وَحَكَمْتُمْ وَأَمَرْتُمْ لَنَا لَيْلًا وَنَهَارًا بَارْتَكَابِ الْمَعَاصِي وَالْمَحْرَمَاتِ {إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ} إِذْ كُنْتُمْ تَأْمُرُونَنَا بِالْجُحُودِ وَالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ {وَنَجْعَلُ لَهُ أَنْدَادًا} وَتَأْمُرُونَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَنَجْعَلُ لَهُ شُرَكَاءَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ {وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ} وَأَخْفُوا نَدَمَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَيْثُ نَدَمُوا نَدْمًا شَدِيدًا {لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ} وَذَلِكَ النَّدَمُ لِأَنَّهُمْ شَاهَدُوا بِأَعْيُنِهِمْ نَارَ جَهَنَّمَ وَعَذَابَهَا وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ وَاقِعُونَ فِيهَا لَا مَحَالَةَ {وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا} وَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَ الْقِيُودَ وَالسَّلَاسِلَ فِي أَعْنَاقِ الْكُفَّارِ {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فَهَلْ يَـعَاقَبُ الْكُفَّارَ إِلَّا بِمَا عَمَلُوا مِنَ الْمَعَاصِي وَالْكَفْرِ وَالشُّرْكِ {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ} يُوَاسِي اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ حَبِيبَهُ نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ



عليه وسلم ويخبره بأنه تعالى لم يرسل رسولاً إلى أي قرية أو مدينة لينذرهم ويحذرهم من عذاب الله تعالى {إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهاً} إلا قال أغنياؤها وساداتها {إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ} إنا بما قد أرسلتم وبعثتم به من الرسائل والكتب {كُفِرُونَ} جاحدون ومنكرون ومكذبون {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً} وقال المترفون والأغنياء والسادة في تلك القرية لرسلم السابقين نحن عندنا أكثر أموالاً وغنى وأولاداً وذرية وعزوة {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ} ولن نعذب ولا نعاقب يوم القيامة {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله لهؤلاء الكفار {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ} إن الله ربي يوسع الرزق ويسهله ويكثره {لِمَنْ يَشَاءُ} لمن يريد {وَيَقْدِرُ} ويقلله لمن يشاء ويريد {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الغنى والفقر من عند الله تعالى وليس من عند أنفسهم كما ادعى قارون "قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي" ٧٨ القصص. وهذا الفخر من شيمة المترفين دائماً يفتخرون بالأولاد والأموال كما قال صاحب الجنتين الذي أشرك وقال لصاحبه كما قال تعالى: "وَكَانَ لَهُ تَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا" {٣٤} وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا {٣٥} وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا {٣٦} "٣٤-٣٦ الكهف. {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى} ويرد الله تعالى على المترفين والمعاندين قائلاً ليس أموالكم الكثيرة ولا كثرة أولادكم هي التي تقربكم إلى الله تعالى درجة ومنزلة {إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} ولكن الذي يقربكم من طاعة الله تعالى ورضوانه هو الإيمان بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعمل الأعمال الصالحة وكما قيل: الإيمان هو ما وفر في القلب وصدقه العمل {فَأُولَئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعْفِ

بِمَا عَمِلُوا} وهؤلاء تضاعف لهم الحسنات الحسنة بعشر أمثالها وتضاعف إلى سبعمائة ضعف ويضاعف الله لمن يشاء على قدر عمله {وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ} وهم يوم القيامة ينتعمون في الجنة ويسكنون في قصورها وهم مطمئنون من الخوف ومن عذاب جهنم ولا يصيبهم فيها هم ولا غم ولا نصب ولا وصب {وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ} المفسدين والمحرفين والمشككين والمانعين للناس من تصديقها {أُولَئِكَ} هؤلاء {فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} في عذاب جهنم يوم القيامة داخلون وواقعون ومعذبون.

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٦﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ ؕ إِنِّي كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ ۗ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرٍ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٠﴾ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤١﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٢﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للناس جميعاً {إِنَّ رَبِّي} إن ربي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَبْسُطُ الرِّزْقَ} يوسعها ويكثره {لِمَن يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ} لمن يريد من عباده {وَيَقْدِرُ لَهُ} ويقلله ويضيقه ويجعله كفافاً على قدر الحاجة لحكمة يعلمها {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ} وما تصدقتم وأنفقتم في سبيل الله تعالى من الخير أو المال أو الثمار وحتى العلم {فَهُوَ يُخْلِفُهُ} فإن الله تعالى يرد إليكم ويزيدكم أفضل منه ويزيد لكم في رزقه ويبارك لكم فيه في الدنيا وفي الآخرة يخلفه لكم بدخول الجنة {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {خَيْرٌ} أفضل {الرَّزْقِينَ} الواهبين الرزق بدون منة للكافر والمسلم والحيوان والطير لأنه لا يحتاج إلى ثمن أو رد جميل أو مساعدة فهم جميعاً خلقه ويرزقهم بدون استثناء {وَيَوْمَ} يوم القيامة {تَحْشُرُهُمْ} يحشرهم في المحشر {جَمِيعًا} جميع الخلق بلا استثناء للحساب {ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ} ثم في المحشر يوم القيامة يسأل الله تعالى الملائكة سؤال إقامة الحجة على الكفار ويقول للملائكة {أَهْتُمُؤَلَاءَ} هل هؤلاء الكفار {إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} هل أنتم يا معشر الملائكة طلبتم منهم أن يعبدوكم أو هل هم طلبوا منكم أن يعبدوكم فوافقتم وهو سؤال استنكاري وإقامة الحجة على الكفار وهو يعلم بأنهم لم يطلبوا من الكفار عبادتهم {قَالُوا} قالت الملائكة {سُبْحَانَكَ} تنزهت وتعاليت أنت عن ذلك {أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ} أنت متولي أمرنا وحدك ولم نخرج عن طاعتك وليس لنا بهم صلة لأنه في الحقيقة لا يراهم أحد وهم عباد مكرمون لا يعصون الله طرفة عين كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوُّدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " ٦ التحريم. فالملائكة مخلوقون للطاعة ولا يفترون عنها طرفة عين فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون إلى يوم القيامة فمنهم الساجد ومنهم الراكع إلى يوم القيامة وهم خُلِقُوا من النور ولذلك قالوا

” أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ” أي لا شأن لنا بهم {بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلَ الْجِنِّ} ولكنهم كانوا يعبدون الجن في الدنيا من دونك {أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} أغلبهم مصدقون أن الجن هم آلهة أو بيدهم فعل كل شيء، ولذلك عبدوهم من دون الله {فَالْيَوْمَ} ففي هذا اليوم وهو يوم القيامة {لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} لا يستطيعون نفع بعضهم البعض ولا نصرة بعضهم البعض فلا الجن ولا الأصنام ولا الأنداد ولا الشركاء تنفع من عبدَهم من الناس ولا بالعكس لا نفعاً ولا ضراً {وَنَقُولُ} ويقول الله تعالى يوم القيامة {لِلَّذِينَ ظَلَمُوا} وهم الكفار والمشركين حيث ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك وكما قال تعالى: ” وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ” ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: ” إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ” ١٣ لقمان. {ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ} أي تعذبوا في نار جهنم وحسّوا بعذابها كما أن الذوق بالفم هو حس الطعام والشعور بلذته ولكن ذوق العذاب كما يقول المثل ذق مر الهزيمة أي اشعر بها شعوراً وهنا الحس والشعور بالألم في النار وكيف يكون العذاب قاسي وشديد ومؤلم في نار جهنم {الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} التي كذبتُم بها في الدنيا ولم تصدقوها {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} وعندما تقرأ على كفار مكة آيات القرآن الواضحات المعنى والحجة بأن يعبدوا الله وحده لا شريك له {قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ} قال كفار مكة ما هذا محمد إلا رجل {يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ} يريد أن يمنعكم ويبعدكم {عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاءَهُمْ} عن ما عبد آباؤكم وأجدادكم السابقون {وَقَالُوا} وقال كفار مكة {مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَى} ما هذا كذب مختلق من عند محمد {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} وقال الكفار وهم كفار مكة {لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ} لسيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم والقرآن ورسالته لما أتاهم {إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} فالقرآن وعمل محمد هو سحر عظيم وليس رسالة من عند الله تعالى {وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا} ولم نرسل إليهم كتباً يدرسونها {وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ} ولم نرسل إليهم قبلك يا محمد يا رسول الله من نبي ولا رسول يحذرهم بأن ما جاء به القرآن وما قاله محمد فهو سحر بل هذا ادعاء من تلقاء أنفسهم بأن هذا سحر من محمد {وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} وكذب كذلك وجحد وأنكر من سبقهم من الأمم السابقة برسلمهم {وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ} وما بلغ كفار مكة وكفار قريش عشر ما أعطى الله تعالى من قبلهم من القوة والمال وطول العمر ومع ذلك انظر كيف كان عاقبتهم فكيف بكفار مكة كيف تكون عاقبتهم إذا {فَكَذَّبُوا رُسُلِي} فقد كذب الكفار الذين من قبلهم وجحدوا وأنكروا رسل الله السابقين {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} فكيف كان مصير وعاقبة من أنكر رسالة رسلي السابقين أي أنه كان عاقبتهم الهلاك والصعق والتدمير كقوم لوط وهود وصالح وبالغرق قوم نوح وفرعون وهكذا باقي من كذب من الأمم السابقة برسل الله تعالى.

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِيءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار والمشركين {إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ} إنما أنصحكم بنصيحة واحدة تبين لكم الصواب {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ} أن تتجهوا إلى الله تعالى اثنين اثنين وفردا {ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ} ثم يختلي كل واحد بنفسه ويتفكر وينظر {مَا بِصَاحِبِكُمْ} من أمر صاحبكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِنْ جِنَّةٍ} هل به جنون أي مسه الجن بخبل في عقله أي أنه يعلمهم سبحانه وتعالى بأن المجنون لا يأتي ولا يأمر بخير بل يقول البذيء من القول وليس أحسنه {إِنْ هُوَ} إن هو محمد رسول الله {إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ} إلا مرسل يحذركم {بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} أمام عذاب يوم القيامة والحساب الشديد والشاق وعذاب نار جهنم لمن كذب وجحد وأنكر رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} فإذا سألتكم أجراً على رسالتي هذه فخذوه لكم ولا تعطوني أجراً عليه {إِنْ أَجْرِيَ} إن ثوابي {إِلَّا عَلَى اللَّهِ} إلا من الله تعالى آخذه يوم القيامة {وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه على كل عمل وقول فهو

{شَهِيدٌ} فهو مطلع وعالم به ويراه ويشاهده وسيجازي عليه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّ رَبِّي} إن ربي وخالقي وإلهي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَقْذِفُ بِالْحَقِّ} أي يعلن ويظهر ويعلي الحق وهو القرآن ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {عَلَّمُ الْغُيُوبِ} فهو يعلم الغيب كله وهو مطلع على الخفايا والنوايا وعلى دقائق الأمور {قُلْ} قل لهم يا محمد {جَاءَ الْحَقُّ} جاء الحق والعدل والصدق والهدى والنور فهو الإسلام {وَمَا يُبَدِيهِ أَلْبَابُ وَمَا يُعِيدُهُ} فلا يغير الباطل من الحق شيئاً. ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم بسية قوسه ويقول: " وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا " " قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِيهِ أَلْبَابُ وَمَا يُعِيدُهُ ". [رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وحده عند هذه الآية كلهم من حديث الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سحيرة عن ابن مسعود رضي الله عنه - ابن كثير ج ٣ ص ٥٤٤]. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إن الذي تدعون سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٨١]. {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي} إن غويت أو تهت أو ابتعدت عن الطريق المستقيم فإنما ضلالي وغوايتي مرجعها وعقابها يقع على نفسه {وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ} وإن اهتديت للحق والصدق والعدل ودين الإسلام {فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ}

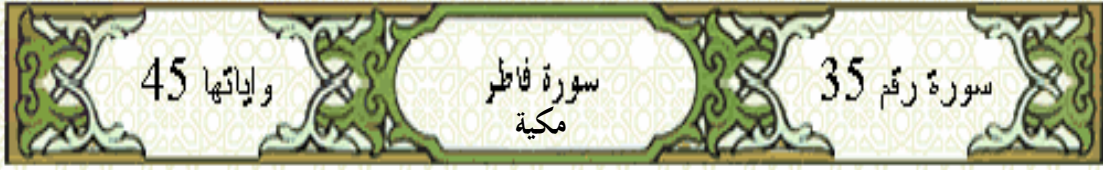
رَبِّيَ { فَهُوَ بُوْحِي مِّنَ اللّٰهِ تَعَالٰى لِيْ بِتَبْلِيْغِ الرِّسَالَةِ اِلَيْكُمْ } { اِنَّهُ سَمِيْعٌ } اِنَّهٗ يَسْمَعُ  
قَوْلِيْ لَكُمْ { قَرِيْبٌ } وَقَرِيْبٌ لَا تَخْفٰى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِى الْاَرْضِ وَلَا فِى السَّمٰوٰتِ .

﴿ وَلَوْ تَرٰى اِذْ فَرَعُوْا فَلَا قُوَّةَ وَاَخَذُوْا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيْبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوْا ءَاَمَنَّا بِهِۦ وَاَنْتَ  
لَهُمْ اَلْتَنٰوَشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوْا بِهِۦ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُوْنَ بِالْغَيْبِ  
مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيْلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُوْنَ كَمَا فَعَلَ بِاَشْيَاعِهِمْ مِّنْ قَبْلُ اِنَّهُمْ  
كَانُوْا فِىْ شَكٍّ مُّرِيْبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

{ وَلَوْ تَرٰى } ولو تشاهد يا محمد يا رسول الله حال المشركين يوم القيامة { اِذْ  
فَرَعُوْا } اِذَا ارْتَعَدُوْا خَوْفًا وَّرَعْبًا مِّنَ الْعَذَابِ { فَلَا قُوَّةَ } فلا هرب ولا مفر ولا  
نِجَاةَ مِنَ الْعَذَابِ { وَاَخَذُوْا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيْبٍ } فقد قربت اِليْهِمْ جَهَنَّمَ وَاَخَذُوْا فِىْهَا  
فَهِيَ تَتَخَفْتُهُمْ وَتَأْخِذُهُمْ بِلَهِيْبِهَا { وَقَالُوْا } وقال الكفار عندها { ءَاَمَنَّا بِهِۦ } آمنا  
بِاللّٰهِ وَبِرَسُوْلِهِ { وَاَنْتَ لَهُمُ اَلْتَنٰوَشُ } هِيْهَاتَ وَاَيْنَ الْمَفْرَ فَلَا يَنْفَعُهُمُ الْكَلَامُ غَيْرَ  
الْمَسْمُوعِ حَيْثُ قَذَفُوْا فِى نَارِ جَهَنَّمَ { مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ } اِىْ دَاخِلِ نَارِ جَهَنَّمَ فَكَلَامُهُمْ  
غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَلَا يَلْتَفِتُ اِلَيْهِ فَقَدْ بَعَدُوْا عَنِ النِّجَاةِ { وَقَدْ كَفَرُوْا بِهِۦ } فَكَيْفَ يَسْمَعُ  
كَلَامَهُمْ وَقَدْ كَفَرُوْا بِاللّٰهِ تَعَالٰى { مِنْ قَبْلُ } مِنْ قَبْلِ فِى الدُّنْيَا وَهُمْ اَحْيَاءُ  
{ وَيَقْذِفُوْنَ بِالْغَيْبِ } وَكَانُوْا يَكْذِبُوْنَ بِالْبَعْثِ وَبِيَوْمِ الْقِيَامَةِ { مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ } مِنْ  
مَكَانِهِمْ وَهُمْ فِى الدُّنْيَا الْبَعِيْدِ فِى نَظَرِهِمْ عَنِ الْاٰخِرَةِ وَكَانَتِ الْقِيَامَةُ فِى نَظَرِهِمْ بَعِيْدَةً  
لَّأَنَّهُمْ يَنْكُرُوْنَ قِيَامَهَا { وَحِيْلَ بَيْنَهُمْ } وَحَالٍ وَفَصْلٍ وَحُجْزٍ وَمَنْعٍ بَيْنَ الْكُفَّارِ { وَبَيْنَ  
مَا يَشْتَهُوْنَ } مَا يَتَمَنُّوْنَ مِنَ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالنُّصْرَةِ وَالنِّجَاةِ مِنَ عَذَابِ اللّٰهِ تَعَالٰى { كَمَا  
فَعَلَ بِاَشْيَاعِهِمْ مِّنْ قَبْلُ } كَمَا لَمْ تَقْبَلْ تَوْبَةَ مَنْ هُمْ عَلٰى شَاكِلَتِهِمْ مِنَ الْاُمَّمِ السَّابِقَةِ



{إِنَّهُمْ} أي الكفار {كَانُوا فِي شَكٍّ} كانوا في شك وظن وتكذيب بالله وملائكته  
وكتبه ورسله واليوم الآخر {مُرِيبٍ} شك عظيم وتكذيب عظيم وقوي وبعيد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ  
وَتَلَثَ وَرُبَعٌ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ  
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَذُكُرًا نِعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ فَآَنِي ۚ تَتَوَفَّكُونَ ﴿٣﴾

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ } الحمد والشكر والثناء لله تعالى وحده { فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } فهو  
خالق السموات السبع وما فيهن والأرض وما فيها من بحار وأنهار وسهول وجبال  
ووديان وأشجار وحيوانات وطيور ووحوش وهوام وإنس وجان وجميع المخلوقات  
في السموات أو في الأرض { جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا } وخلق الله تعالى الملائكة سكاناً  
للسموات السبع وجعل منهم رسلاً إلى الناس يبلغوهم رسالات ربهم { أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ  
مَّثْنَىٰ وَتَلَثَ وَرُبَعٌ } وخلق الله تعالى للملائكة أجنحة يطيرون بها اثنان أو ثلاثة أو  
أربعة { يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ } فيزيد الله تعالى في الأجنحة للسرعة والتنقل فمثلاً  
لجبريل عليه السلام ستمائة جناح كما جاء في الحديث كل جناح سد ما بين  
المشرق والمغرب كما رآه صلى الله عليه وسلم عندما قال زملوني زملوني كما قال  
تعالى: " وَلَقَدْ رَأَىٰ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ " ٢٣ التكوير. والأجنحة هي من نواميس وقوانين  
الله تعالى التي سنّها في كونه وكما جعل للطيور أجنحة تطير بها جعل الله كذلك

للملائكة أجنحة مختلفة {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} إن الله تعالى وحده جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه على كل شيء يريد به فهو قدير على خلقه وتكوينه كما قال تعالى: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " ٨٢ يس. {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ} ما يفتح الله تعالى للناس من باب رزق ومن الخير {فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} فلا مانع لها ولا يستطيع أحد أن يمنع هذا الرزق أو الخير أو الرحمة {وَمَا يُمَسِّكُ} وما يمنع ويحجز من خير {فَلَا مُرْسَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} فلا أحد يستطيع أن يطلقه من بعد ما منعه الله تعالى عنه {وَهُوَ} وهو الله تعالى جلا جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَزِيزُ} القوي والمنيع في ملكه وسلطانه وحكمه وأمره {الْحَكِيمُ} الحكيم في صنعه وقدرته وإرادته وخلقه وأوامره ونواهيها فلا يخطئ أبداً {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} يا أيها الناس كافة {أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} تفكروا ولا تنسوا نعمت الله عليكم والتي وهبها ورزقها لكم واشكروا نعمت الله عليكم بالصحة والعافية والمال والأولاد وغير ذلك من النعم {هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ} هل من خالق لكم غير الله تعالى {يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ} يرزقكم بالمطر من السماء {وَالْأَرْضِ} ويرزقكم بالأشجار والثمار والخضروات والفواكه والحيوانات والطيور وغيرها {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله ولا معبود إلا هو الله تعالى وحده لا شريك له خالق كل شيء ورازقه {فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} فمتى تصرفون عن عبادة الأصنام والأوثان والأنداد وعن الكفر وعن الشرك.

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ} يواسي الله تعالى رسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ويقول له اصبر على أذى الكفار فإن كذبوك ولم يصدقوك فهذا هو عملهم لأنهم كذبوا الرسل السابقين مثلما كذبوك {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} وإلى الله مصيرهم ونهايتهم فسيجازيهم ويعاقبهم على أعمالهم وعلى جحودهم وإنكارهم وتكذيبهم لك.

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ

الْغُرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۝ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴾

{يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} يا أيها الناس جميعاً ويا كفار مكة خاصة {إِنْ وَعَدَ اللَّهُ} إن وعد الله تعالى لكم بالبعث والجزاء والحساب يوم القيامة {حَقًّا} صدق ويقين محقق {فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ} فلا تفتننكم ولا تلهينكم ولا تضلنكم {الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} معيشتكم في الدنيا ونعيمها وزخرفها وملذاتها ومحرماتها {وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ} ولا يفتننكم ولا

يضلنكم عن عبادة الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْغُرُورُ} الذي يغريكم ويفتنكم ويضلكم عن عبادة الله تعالى من أحد من شياطين الإنس والجن وإبليس وأعوانه {إِنَّ الشَّيْطَانَ} إن إبليس وأعوانه وذريته. ومعنى شيطان هو ما شاط وابتعد عن الحق والهدى ودين الإسلام وعن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {لَكُمْ عَدُوٌّ} فهو عدو لكم ومبغض وأخرج أبويكم من الجنة وأنزلهم إلى دار الدنيا ونكد العيش ومرارته {فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} أي خذوه عدواً لكم واحذروه أن يغويكم بالكفر والشرك والشهوات والمعاصي ويدخلكم نار جهنم {إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ} إنما يدعوا أعوانه وأتباعه بالكفر والشرك والمعاصي والمخالفة {لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} ليصبحوا من أهل وسكان النار {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار ممن جحد وأنكر وكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {هُمْ عَذَابٌ} لهم عقاب {شَدِيدٌ} قاسي وموجع ومؤلم {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} والمؤمنون من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الصالحات من الطاعات في عبادة الله تعالى وحده ومن أعمال الخير {هُمْ مَغْفِرَةٌ} يغفر الله تعالى لهم ذنوبهم الماضية {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} ولهم عند الله تعالى يوم القيامة ثواب كثير وعظيم وهو دخول الجنة يوم القيامة {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} فهل يا محمد يا رسول الله من زخرف له قبح عمله من الشرك والكفر وعبادة الأوثان والأصنام والأنداد {فَرَأَاهُ حَسَنًا} فظن أنه حسناً في عينيه {فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ} فإن الله تعالى يسهل للضال طريقه حتى يزداد في المعاصي والآثام لمن يريد {وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} فالله تعالى يهدي ويرشد من اتبع رضوانه لاتباع الإسلام وعبادة الله تعالى وحده لا

شريك له ويسهل طريق الهدى والرشاد لمن يريد لأن الله تعالى لا يأمر بالضلال كما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ٩٠ النحل. وقال تبارك وتعالى: " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ " ١٢٥ الأنعام. فيضل الله تعالى ويغوي من ارتكب المعاصي فيزيده طغياناً وكفراً على طغيانه واستدراجاً له { فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ } فلا تضع نفسك بالغضب والتأسف عليهم { إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ } إن الله تعالى يعلم { بِمَا يَصْنَعُونَ } بما يفعلون وبما يعملون من أعمال الخير أو الشر فهو علام الغيوب ولا يعزب عنه ولا يغيب مثقال ذرة في السموات أو في الأرض { وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ } والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الذي يرسل ويبعث ويسخر الرياح { فَتَثِيرُ سَحَابًا } فتتحمل الرياح بخار الماء من البحار والمحيطات والأنهار وتجعله سحاباً أي مطراً غزيراً { فَسُقْنَاهُ } فبعثناه { إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ } إلى بلد جاف مجذب ومقحط فلا شجر ولا نبات فيه { فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ } فيجعل الله تعالى الأرض تحياً من جديد بإخراج النبات وخضرة الأرض بالأشجار والنباتات { بَعْدَ مَوْتِهَا } بعد قحطها وجدبها { كَذَلِكَ النُّشُورُ } كذلك يكون النشور والبعث للمخلوقات بعد الموت في الدنيا وكيفيةه بأن يأمر الله تعالى السماء أن تمطر فتمطر السماء كمني الرجل أربعين يوماً حتى يكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعاً فينبت الله الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل أجسامهم فتعود كما كانت ثم يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد

ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد في الخياشيم فتنبثق الأرض عنهم. وجاء في الحديث الصحيح: (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يُركب). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٤٨]. وفي حديث أبي رزين قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال صلى الله عليه وسلم: (يا أبا رزين أما مررت بوادي قومك ممحلاً ثم مررت به يهتز خضراً؟) قلت بلى قال صلى الله عليه وسلم (فكذلك يحيي الله الموتى). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٤٨].

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ} أيها الناس من كان يريد القوة والمنعة والعزة والسلطان والجاه والنصرة {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} فهي ملك لله تعالى وحده يهبها لمن يشاء من عباده من المؤمنين ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تبارك وتعالى: " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " ٨ المنافقون.

{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} أي يتقبل الله تعالى ما طاب من الكلام من قراءة القرآن والذكر والتسبيح وقول الحق فجميعه طيب ويصعد إلى الله تعالى في صحيفته أي يقبله ويرضى عنه {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ} وكذلك العمل الصالح يتقبله الله ويرضى عنه {يَرْفَعُهُ} أي يزيده ويزيده له كما يربي أحدكم فلوه {وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ} والذين يعملون المعاصي والذنوب {هُمَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ} لهم عذاب قوي وأليم في نار جهنم يوم القيامة {وَمَكْرٌ} وعمل {أُولَئِكَ} هؤلاء الكفار والعصاة والمذنبين {هُوَ يَبُورُ} هو يذهب ويزول ويندثر ويخسر ويبطل ولا فائدة منه يوم القيامة كما قال تعالى: " وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا " ٣٩ النور.

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} واللّه تعالى جلا جلاله وعظم قدره وعلا شأنه خلقكم يا بني آدم من تراب وهو أنه لما أراد الله تعالى خلق آدم عليه السلام بعث جبريل عليه السلام ليأتيه بطين من الأرض فلما جاءها جبريل عليه السلام قالت له: إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني. فلم يأخذ منها شيئاً وقال يا رب إنها عازت بك فأعذتها فبعث ميكائيل عليه السلام فعازت منه فأعازها فرجع وقال كما قال جبريل عليه السلام فبعث الله تعالى ملك الموت عزرائيل عليه السلام فعازت منه فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره. فأخذ من وجه الأرض وخلط ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين وهذا هو أصل آدم عليه السلام ثم خلق الله تعالى حواء عليها السلام من ضلعه الأيسر من غير أن يجد المأثم خلق الله تعالى ذريتهما وهكذا تستمر الأطوار {ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} ثم من نطفة الرجل والمرأة {ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا} ثم جعلكم ذكورا وإناثا {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ} وما من أنثى وهي تحمل جنينها في بطنها {وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} ولا تلد إلا ويعلم الله تعالى بمولودها وماذا أنجبت فهو الخالق سبحانه وتعالى {وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ} ولا تطول حياة أحد {وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ} ولا يموت في صغره {إِلَّا فِي كِتَابٍ} إلا مسجل ذلك في اللوح المحفوظ {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} إن ذلك العلم وخلق الإنسان وحياته وكتابته في اللوح المحفوظ فهو سهل وليس صعباً على الله تعالى الذي يقول للشيء كن فيكون.



﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿٢٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۗ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

{ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ } ولا يتساوى البحرين لأن هذا البحر العذب الماء { فُرَاتٌ } شديد الحلاوة { سَائِغٌ شْرَابُهُ } طيب شرابه وحلو ومقبول عند شربه { وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ } وهذا البحر الثاني فهو عكس الأول فهو شديد الملوحة وهو كبير وواسع مثل المحيطات { وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا } وتستخرجون من ماء البحار ومن ماء الأنهار سمكاً من كل الأصناف والأنواع فلحمه طري ليس به ألياف كالحوم الإبل والبقر وغيرها { وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا } وكذلك تستخرجون من قاع البحار حلية للنساء تلبسونها من اللؤلؤ والمرجان { وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ } وتشاهد يا محمد يا رسول الله السفن وهي تخترق وتشق البحار والأنهار إلى الجانب الآخر أو إلى المكان الذي تريدونه في سفركم { لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ } لتنالوا رغباتكم وتجارتكم من سفركم { وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } ولعلكم بهذا تشكرون الله تعالى وتحمدونه وتثنون عليه بأنه هو الخالق والمسير والمسبب والمسهل لكم صيد الأسماك والسفر داخل البحار إلى بلاد بعيدة أخرى تقطعونها

بإرادته {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ} يُدْخِلُ وَيُعَاقِبُ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ {وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي  
 اللَّيْلِ} وَيُدْخِلُ النَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ وَيُعَاقِبُهُ بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}  
 وَوَهَبَ وَسَيَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ {كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} كُلٌّ مِنَ الشَّمْسِ  
 وَالْقَمَرِ يَجْرِي مِنْ مَسَارِهِ حَوْلَ الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ {ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ} ذَٰلِكَ  
 الْخَالِقُ هُوَ رَبُّكُمْ وَخَالِقُكُمْ وَإِلَهُكُمْ وَمَعْبُودُكُمْ {لَهُ الْمُلْكُ} لَهُ وَحْدَهُ مَلِكُ الْكَوْنِ  
 جَمِيعِهِ {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} وَالَّذِينَ تَعْبُدُونَ وَتَطْلُبُونَ مِنْهُمْ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ  
 غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ {مَا يَمْلِكُونَ مِنْ  
 قِطْمِيرٍ} لَا يَمْلِكُونَ حَتَّى مِقْدَارِ الْقَشْرَةِ الرَّقِيقَةِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي تَحِيطُ حَوْلَ نَوَاطِئِ التَّمْرِ  
 أَوْ الْبَلْحِ أَيْ أَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً حَتَّى قَشْرَةَ نَوَاطِئِ الْبَلْحِ {إِنْ تَدْعُوهُمْ} إِنْ تَطْلُبُوا  
 مِنْهُمْ شَيْئاً أَوْ تَسْأَلُوهُمْ شَيْئاً {لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ} لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَكُمْ وَلَا سَأَلَكُمْ  
 وَلَا طَلِبَكُمْ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ جَمَادَاتُ نَحْتَتِ مِنَ الصَّخُورِ {وَلَوْ سَمِعُوا} وَلَوْ فَرَضَ حَتَّى  
 سَمِعُوا {مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ} مَا لَبُوا طَلِبَكُمْ لِأَنَّهُمْ جَمَادَاتُ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً  
 وَلَا ضَرراً {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ {يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} يَنْكُرُونَ وَيَجْحَدُونَ  
 وَيَكْذِبُونَ بِشِرْكِكُمْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَطْلُبُوا مِنْكُمْ ذَٰلِكَ {وَلَا يُنَبِّئُكَ} وَلَا يُخْبِرُكَ يَا  
 مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ مِثْلَ {خَبِيرٍ} عَالِمِ الْأُمُورِ وَمَغِيبَاتِهَا وَهُوَ  
 اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ قَدْرُهُ وَعَلَا شَأْنُهُ.

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٥﴾ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٨﴾ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا تُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿٩﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكْنَا فَاِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ ﴿١٠﴾ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٢﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٣﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿١٤﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿١٥﴾ إِنْ اللَّهُ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ﴿١٦﴾ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿١٧﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢٢﴾ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٣﴾ ﴾

{ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ } يا أيها الناس جميعاً كافرهم ومسلمهم { أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ } أنتم المحتاجون إلى الله في جميع أموركم وشؤونكم وأحوالكم وأرزاقكم وحياتكم { وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ } والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه غني عن جميع خلقه ولا يحتاج لهم ليعينوه أو يساعده { الْحَمِيدُ } المحمود الصفات والأفعال والأقوال { إِنْ يَشَاءُ } إن يُرد { يُذْهِبْكُمْ } يُمتكم { وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ } ويخلق خلقاً آخر جديداً غيركم ويبدلكم به { وَمَا ذَلِكَ } وليس ذلك { عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } لا صعب ولا شاق فهو هين عليه { وَلَا تَزِرُ } ولا تحمل { وَازِرَةٌ } آثمة مذنبة { وَازِرَةٌ } ذنب { أُخْرَى } نفساً أخرى { وَإِنْ تَدْعُ } وإن تطلب نفس { مُثْقَلَةٌ } محملة بالذنوب والمعاصي والآثام { إِلَى جَمَلِهَا } أن تتحمل الذنوب عنها { لَا تُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ } لا

يحمل أحد عنها من ذنبها شيئاً {وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} ولو كان أقرب الناس إليه من الولد أو الزوجة أو الوالد أو الأخ لأنه كما قال تعالى: "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ {٣٤} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ {٣٥} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ {٣٦} لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ {٣٧}" ٣٧-٣٤ عبس. {إِنَّمَا تُنذِرُ} إنما تحذر يا محمد يا رسول الله {الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ} الذين يخافون ربهم وخالقهم وإلههم الله تعالى ويخافون عذابه يوم القيامة يوم الحساب والعقاب والعذاب ويعلمون أن الله معهم يراقبهم دائماً في جميع أعمالهم {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} وأدوا الصلاة المفروضة عليهم في أوقاتها الخمس {وَمَنْ تَزَكَّى} ومن تطهر من الكفر والشرك والذنوب والمعاصي {فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ} فإنما يتطهر من ذلك لحماية نفسه من العذاب يوم القيامة {وَالِى اللَّهِ الْمَصِيرُ} وإلى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه نهاية المطاف وعاقبة الأمور ويرجعون إليه يوم القيامة في المحشر للحساب والعقاب والعذاب {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى} ولا يتساوى فاقد البصر {وَالْبَصِيرُ} مع الذي يبصر ويرى الأشياء {وَلَا الظُّلْمَتُ} ولا تستوي الظلمة من الليل {وَلَا النُّورُ} ولا نور الشمس ووضوح النهار {وَلَا الظِّلُّ} ولا الظل من الشمس {وَلَا الْحَرُّ} ولا شدة الحر تحت الشمس المحرقة {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ} ولا يستوي من هم أحياء سواء في النصرة أو الإعانة والمساعدة ولا الأموات لأنهم لا يستطيعون النصرة ولا المساعدة ولا الإعانة ولا الحركة لأنهم جيفوا وأصبحوا عظاماً نخرة {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ} يهدي ويرشد وإن الله تعالى يُسمع قول الحق والقرآن الكريم ليعمل به {مَنْ يَشَاءُ} من يريد من عباده الذين يتبعون رضوانه كما قال تعالى: "يَهْدِي بِهِ

اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " ١٦ المائدة. {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ} ولا أنت يا محمد يا رسول الله بهادي {مَنْ فِي الْقُبُورِ} الموتى أصحاب القبور وهي كناية عن الكفار أنهم موتى لا فائدة من إسماعهم ونصحهم وإرشادهم للهدى والحق {إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ} وما أنت يا محمد يا رسول الله إلا منذر لتنذر وتحذر الناس والكفار من عذاب الله تعالى يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى: " لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " ٢٢ الغاشية. {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ} إن الله تعالى بعثك يا محمد يا رسول الله بالحق والصدق وبالقرآن الكريم {بَشِيرًا} تبشر من اتبع رضوان الله تعالى بالفوز بالجنة يوم القيامة {وَنَذِيرًا} وتحذر من كفر وأشرك وعصى الله تعالى بأن الله تعالى يوم القيامة يعذبه في نار جهنم {وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ} وما من أمة ولا قوم من الأمم السابقة {إِلَّا خَلَا فِيهَا} إلا بُعث ومرّ بها وتخللها {نَذِيرٌ} بُعث إليها رسول يحذرها وينذرها من عذاب الله تعالى يوم القيامة {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ} وإن يكذبوك ويجحدوا وينكروا رسالتك إليهم يا محمد يا رسول الله {فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} فلقد كذب الذين سبقوهم من الأمم السابقة برسولهم {جَاءَتْهُمْ} أتتهم {رُسُلُهُمْ} رسلهم وأنبيأؤهم {بِالْبَيِّنَاتِ} بالبراهين والحجج الواضحة والمعجزات الباهرة والبيينة {وَبِالزُّبُرِ} وهي الكتب السماوية ومفردها زبور مثل زبور داود عليه السلام {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} وبالكتاب المنزل من الله تعالى الذي ينير لهم طريق الحق والصواب والعدل كالنور والإنجيل {ثُمَّ أَخَذَتْ} ثم أهلكت وانتقمت من {الَّذِينَ كَفَرُوا} الذين كفروا وأنكروا وكذبوا برسولهم {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} فكيف كان مصير ونهاية وعاقبة من

أنكر وكذب بجلالي وعظمتي وبرسلي كيف دمرتهم وأهلكتهم وانتقمت منهم أشد الانتقام والعذاب.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٠﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾ ﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تشاهد يا محمد يا رسول الله { أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه أنزل ماء المطر من السماء على الأرض { فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا } فأخرج الله تعالى به ثمرات شتى ومتعددة الألوان كالبلح الأحمر والأصفر والرطب الأسود وبعضها أخضر كالخيار وبعضها أبيض كالرز وغير ذلك من الأصناف والألوان { وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ } ومن الجبال طرق أي جعل الله تعالى طرقاً ومسارات { بَيْضٌ وَحُمْرٌ } أي ألوان الطرق أبيض وأحمر { مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا } واختلاف ألوانها لتعريف الطرق بعضها عن بعض { وَغَرَابِيبُ } صخور { سُودٌ } أي لونها أسود وسميت غرابيب لأنها أعلى الجبال أو على سفحه وتشبه الغربان السود { وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ } فمن الناس من يكون أشقر أو أبيض اللون أو أسمر أو أحمر والدواب كذلك منها الأسمر والأبيض والأحمر وكذلك الأنعام مختلفة الألوان وهذه الألوان تدل على

عظمة الخالق وقدرته على تشكيل تلك الألوان {كَذَلِكَ} هكذا خلقها الله تعالى مختلفة الألوان {إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ} إنما يخاف ويخشى الله تعالى {مِنْ عِبَادِهِ} من خلقه ومن الناس عموماً {الْعَلَمَتُوا} هم العلماء الذين يخافون الله تعالى لعلمهم بوحداية الله تعالى وقدرته وعظمته {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَزِيزٌ} العزيز في ملكه والقوي في حكمه وإرادته وفعله {غَفُورٌ} يغفر ذنوب عباده ويعفو عنهم ويتجاوز لمن تاب وندم ورجع إليه وعبده وحده {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ} إن المؤمنين الذين يقرؤون القرآن الكريم ليلاً ونهاراً {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} وأدوا الصلوات الخمس في أوقاتها ومعها النوافل الراجعة معها {وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} وتصدقوا مما وهبهم الله تعالى من المال والفواكه والثمرات والحبوب وغير ذلك {سِرًّا} خفاءً {وَعَلَانِيَةً} جهراً {يَرْجُونَ} يتمنون {تِجْرَةً} لَنْ تَبُورَ} يتمنون من الله تعالى تجارة لا تخسر وهي الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والله يزيده لمن يشاء {لِيُؤَفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ} ليثيبهم الله على أعمالهم وعبادتهم في الدنيا {وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} ويضاعف لهم الثواب الحسنة بعشر أمثالها ويزيدهم الله تعالى على ذلك {إِنَّهُ} إنه هو الله تعالى {غَفُورٌ} يغفر الذنوب لمن تاب وعمل صالحاً واتبع سبيله ورضوانه {شَكُورٌ} والله تعالى يشكر لعباده بالتوبة عليهم ويثيبهم على أعمالهم الصالحة وعلى طاعتهم وعبادتهم لله تعالى وحده وعلى أعمال الخير كلها التي عملوها ويثني عليهم أمام ملائكته لطاعتهم وعبادتهم له.

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۗ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۗ إِنَّ اللَّهَ ذَلِكُ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٧﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۗ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۗ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٩﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

{ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ } وآيات القرآن الكريم التي أنزلناها إليك يا محمد يا رسول الله وما فيها من الأوامر والنواهي والحكم والشرع { هُوَ الْحَقُّ } هو الحق والصدق فقد أوحاه الله تعالى بواسطة الوحي جبريل عليه السلام { مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } مصدقاً لما سبقه من الكتب السماوية السابقة وقد أوحاه الله تعالى وبعثه كما بعث الكتب السماوية السابقة { إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ } إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بعباده وخلقهم { الْخَبِيرُ } عليم ومطلع على أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم وجميع شؤونهم وذو خبرة بهم ولا يغيب عنه شيء من أحوالهم { بَصِيرٌ } يبصر ويرى جميع أعمالهم سواء خيراً أو شراً ولا يغيب عنه شيء { ثُمَّ أَوْرَثْنَا } فقد ورث الله تعالى { الْكِتَابَ } القرآن الكريم { الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا } الذين اختارهم الله تعالى لحمل ومؤازرة واتباع رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهم أمته من المسلمين والمؤمنين { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } فمنهم من يظلم نفسه بارتكاب الكبائر والمعاصي والذنوب { وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ } ومنهم من يؤدي



الفرائض ويمتنع عن المحرمات { وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } ومنهم من يزيد على الفرائض بعمل الطاعات من النوافل والصدقات والذكر والتسبيح وهم الأولياء والصالحون والشهداء والصديقون والمتقون والأبرار والعلماء العاملون وعن عبد الله ابن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) قال صدقت قال فتعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قال فأخبرني عن الساعة؟ قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) قال فأخبرني عن أماراتها؟ قال: (أن تلد الأمة رببتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) قال ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال صلى الله عليه وسلم: (يا عمر أتدري من السائل؟) قلت الله ورسوله أعلم قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم). [صحيح مسلم ج ١ ص ٢٩]. { بِإِذْنِ اللَّهِ } بفضل الله تعالى وإرادته فمثلاً ميراث الكتاب وهو القرآن الكريم بأن حفظه الله تعالى من التغيير والتبديل إلى يوم القيامة كما قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" ٩ الحجر. { ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } فعدم تغيير ولا تبديل القرآن الكريم بعد موت النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وحفظه وتوريثه لأمته هو الفضل والخير الكبير والعميم والعظيم {جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} وجنة عدن هي إحدى الجنان الثمانية ولا يدخلها البخلاء فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك حشيشها زعفران حصباؤها اللؤلؤ ترابها العنبر ثم قال انطقي قالت: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " فقال وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل). ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ". [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٨]. {تُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ} ويحلى أهل الجنة في عدن بأساور مصنوعة من ذهب {وَلَوْلُؤَا} وأيضا من حلي أهل الجنة اللؤلؤ {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} وملابسهم وثيابهم مصنوعة من الحرير وذلك لنعمته وحلاوته وزينته {وَقَالُوا} وقال الذين يدخلون جنات عدن {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا} الشكر والحمد والثناء لله تعالى على فضله بدخولنا الجنة وأذهب عنا {الْحَزْنَ} الهم والغم وهو دخول نار جهنم أعادنا الله تعالى منها {إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ} إن ربنا الله تعالى ليغفر الذنوب لمن تاب وندم وأتاب ورجع إليه {شَكُورٌ} يشكر من يتوب ويعبده ويطيعه ويدخله الجنة {الَّذِي أَحَلَّنَا} الذي أدخلنا {دَارَ الْمَقَامَةِ} دار النهاية والعاقبة يوم القيامة وهي الجنة حيث الإقامة فيها دائمة {مِنْ فَضْلِهِ} من فضله وكرمه {لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ} لا يصيبنا في الجنة تعب {وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} أي لا يصيبنا في الجنة إعياء ولا إزعاج ولا لغو ولا تكذيب وكما قال تعالى: " لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا " ٣٥ النبأ.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا} وهم الكفار الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ} لهم عقاب وعذاب نار جهنم يوم القيامة على كرههم وتكذيبهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا} لا يحكم عليهم بالموت في نار جهنم فيموتوا يوم القيامة {وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا} ولا يُرفع عنهم أو يقلل العذاب حتى يستريحوا من عذاب جهنم أي أن العذاب دائم عليهم فلا يموتوا ولا يخفف عنهم العذاب {كَذَٰلِكَ} وهكذا {نَجْزِي} نعاقب {كُلَّ كَافِرٍ} كل كافر ومذنب وعاص وجاحد ومنكر ومكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا} باكون صائحون {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} يستغيثون ربهم ويقولون يا ربنا ويا خالقنا ويا الله أخرجنا من عذاب نار جهنم حتى نعمل عملاً

صالحاً ترضاه وهو الإيمان بك وبرسولك وباليوم الآخر ونؤدي الفرائض ولا نعصيك ولا نرجع إلى أعمالنا السابقة من الكفر والشرك والمعاصي والذنوب التي كنا نعمل {أَوْلَمَ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ} ألم نُطِلْ أعماركم ونمنحكم العمر الكافي الذي يتعظ فيه مَنْ اتعظ {مَنْ تَذَكَّرْ} من أرسل إليه ووعظ وأنذر {وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ} وجاء إليكم الرسول يحذركم من الكفر ومعصية الله تعالى ولم تتعظوا {فَذُوقُوا} فذوقوا طعم العذاب على تكذيبكم وجحودكم وإنكاركم للحساب يوم القيامة {فَمَا لِلظَّالِمِينَ} فما للكافرين والمنكرين والمكذبين والعاصين والظالمين لأنفسهم بمخالفة رسولهم ونبیهم {مِنْ نَّصِيرٍ} من منقذ ينصرهم ويمنعهم عذاب الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو عالم ومطلع على ما غاب في السموات وما في الأرض ولا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء فيهما {إِنَّهُ} إنه الله تعالى جل جلاله {عَلِيمٌ} مطلع ويعلم ويدري {بِدَاتِ الصُّدُورِ} بما في الصدور وما تخفيه من خير أو شر {هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} الذي جعلكم ورثة في الأرض يخلف بعضكم بعضاً جيلاً بعد جيل {فَمَنْ كَفَرَ مِنْكُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَجحدَ وَأَنكرَ بكتبه ورسله {فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} فعليه يقع تحمل ذلك وعليه يقع عذاب ذلك {وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} ولا يزيد كفر الكفار وعنادهم وتكذيبهم عند الله تعالى يوم القيامة {إِلَّا مَقْتًا} إلا غضباً ومقتاً وكرهاً {وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ} ولا يزيد الكافرين بكفرهم {إِلَّا خَسَارًا} إلا هلاكاً في نار جهنم يوم القيامة يخسرون فيها أنفسهم وأهليهم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا

رسول الله {أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} هل شاهدتم شركاءكم من الأصنام والأوثان والأنداد وهم الذين تعبدونهم وتدعونهم وتطلبون منهم أن يقضوا حوائجكم بدلاً من الله تعالى {أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} يتحداهم ويسألهم ماذا خلق الشركاء لله تعالى من الأصنام والأوثان أي شيء في الأرض {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ} أم هل لهم شراكة في السموات السبع أو أنهم خلقوا جزءاً منها أو من سكانها من الملائكة {أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ} أو هل أعطيناهم وأرسلنا لهم كتاباً أو قرآناً موضح به ذلك فهم على بينة ودليل قاطع على ذلك وهذا سؤال استنكاري يتحداهم بخلق شيء في الأرض أو في السماء {بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا} بل لا يعد المشركون لقوله تعالى: " إِنْ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. لا يعد بعضهم بعضاً {إِلَّا غُرُورًا} إلا تغريراً وإغواءً وضلالاً وظناً ووهماً وكذباً.

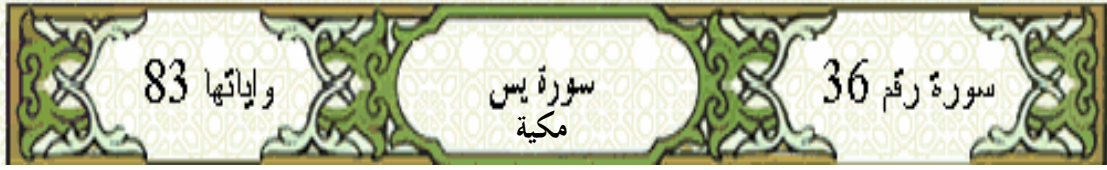
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۗ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۗ وَلَا تَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۗ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۗ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أُولَٰئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

{إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} يمسك الله تعالى بقدرته وإرادته السموات السبع والأرضين السبع {أَنْ تَزُولَا} أن تذهبا في الدنيا ومنعها من الاندثار أو السقوط {وَلَئِن زَالَتَا} ولئن اندثرتا وتغيرتا يوم القيامة بأخرى غيرها {إِنَّ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ} ما يستطيع من إمساكهما بعد أن أذهبهما الله تعالى يوم القيامة أحد ولا يستطيع غيره إرجاعهما من جديد {إِنَّهُ} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ حَلِيمًا} كان من الأزل ولا يزال حلِيمًا بخلقه فيمهل الكفار والعصاة لعلهم يتوبون ويؤجلهم إلى أجل هم بالغوه {غَفُورًا} يغفر لمن تاب وندم ورجع إليه وأطاعه وعبده وحده لا شريك له {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} وأقسم الكفار أيماناً مغلظة

ومؤكدة {لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} لئن أتاهم رسول من الله تعالى يحذرهم عذابه ومعصيته وعبادة غيره {لَيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} ليصبحن أهدى من الأمم السابقة {فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} فلما جاءهم رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو المقصود وحذرهم من الشرك وعبادة الأصنام وهم أهل قريش {مَا زَادَهُمْ} لم يزدهم ببعثه ورسالته لهم {إِلَّا تَفُورًا} إلا طغياناً وكفراً وبعداً عن الهدى وعن الحق وعن دين الإسلام {أَسْتَكْبَرًا} كبرياءً وعظمةً {فِي الْأَرْضِ} في أرض مكة {وَمَكْرَ السَّيِّئِ} وزيادة على الاستكبار والتعالي هو العمل السيئ الذي يرتكبه {وَلَا تَحِيْقُ} ولا يترد {الْمَكْرُ السَّيِّئِ} العمل السيئ والمعاصي والذنوب {إِلَّا بِأَهْلِهِ} إلا على أهله يترد العقاب والعذاب والهلاك {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ} فهل ينتظرون إلا سنت الله تعالى في السابقين بالهلاك والصعق والدمار والزلازل والموت {فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} فلن تجد يا محمد يا رسول الله لشريعة الله تعالى وقانونه وسنته في الكفار وهو هلاكهم وعذابهم فلا تبديل ولا تغيير لذلك ولا نسخ فسنته ثابتة ومستمرة إلى يوم القيامة وهي الانتقام من الكفار والمشركين وإرسال الصواعق والزلازل والقحط والبلاء والأمراض والهلاك عليهم ما داموا على شركهم وكفرهم وعصيانهم وجحودهم وتكذيبهم لرسولهم وأنبيائهم {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ} ولا تجد يا محمد يا رسول الله لقانون الله تعالى وسنته في خلقه {تَحْوِيلًا} تغييراً ولن تُصرف عنهم إلى مكان آخر أو أشخاص آخرين فلا يتحول العذاب من الكفار إلى الصالحين {أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} أولم يسير الكفار في سياحة في الأرض {فَيَنْظُرُوا} فيشاهدوا {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} كيف كان مصير

ونهاية {الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} الذين سبقوهم من الأمم السابقة من القرون ومن الأقسام الذين سبقوهم {وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} وقد عذبهم الله تعالى بالخسف والمسح والزلازل والصواعق التي أرسلها عليهم وكانوا أكثر منهم في القوة والجسم والخلقة {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ} ولا يعجز الله تعالى شيء ولا يمنعه من أخذهم وعذابهم {فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} سواءً كان في السماوات أو في الأرض لأنهما ملكاً له وحده سبحانه وتعالى {إِنَّهُ} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ عَلِيمًا} كان ومن الأزل وإلى يوم القيامة يعلم بخلقه وبأفعالهم وأقوالهم {قَدِيرًا} قادراً على فعل كل شيء بقوله تعالى كن فيكون {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ} ولو يحاسب الله تعالى الناس {بِمَا كَسَبُوا} بما عملوا في الدنيا من المعاصي والذنوب والكفر والشرك {مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرهَا} ما أبقى على ظهر الأرض {مِنْ دَابَّةٍ} من دابة تدب على الأرض بقدميها أي لم يبق من خلقه أحداً لأن الجميع يخطئ ويظلم ويعتدي على الغير {وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ} ولكن يؤجلهم {إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} إلى عمر ومدة معلومة ومعينة وهي الموت {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ} فإذا حضر أجلهم أي وقت موتهم والحساب {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ} فإن الله تعالى كان بعباده من الأزل وإلى حين موتهم وإلى يوم القيامة وإلى الأزل {بَصِيرًا} مطلعاً على أعمالهم وأفعالهم وسيحاسبهم عليها يوم القيامة.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾  
 تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ  
 الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي آعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى  
 الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا  
 فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾

{يس} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وباللغة التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة طه فإنه ليس (يس) معناها اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما يظن البعض لأن القرآن الكريم كله موجه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الأصل مثل: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ - قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ - قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ - يَسْأَلُونَكَ - يَسْتَفْتُونَكَ - أَقِمِ الصَّلَاةَ ... الخ) وإلا لما كانت حروف أوائل سور القرآن معجزة ولما حيرت عقول كثير من الناس والعلماء في جميع

العصور ولكنها كباقي حروف أوائل سور القرآن الكريم مثل: (الم - حم - كهيعص - حم \* عسق - طس - طسم - ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ - ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ - ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ). وكذلك هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسمة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جُعِلَتْ في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تكون القرآن من هذه الحروف العربية لذكرت في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي مجمل آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وقال تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢٠١ القصص. وقال تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢٠١ لقمان.

وعليه فإن معنى (يس) هو قوله تعالى: " وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبِ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ " ٥٣ يونس. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {وَالْقُرْآنِ} يقسم الله تعالى بالقرآن وهو كتاب

الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {الْحَكِيمِ} الذي يأتي بالحكمة في الأوامر والنواهي والأحكام وهو لا يخطئ أبداً {إِنَّكَ} إنك يا محمد يا رسول الله {لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} لمن ضمن الرسل المرسلين إلى أقوامهم {عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} وأنت يا محمد يا رسول الله على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام {تَنْزِيلٍ} وإن رسالتك يا محمد يا رسول الله هي تنزيل وأمر من الله تعالى {الْعَزِيزِ} القوي والمنيع في ملكه وفي سلطانه وفي حكمه وفي أوامره ونواهيته {الرَّحِيمِ} الرحيم على خلقه فهو يرحم من تاب وندم ورجع إلى الله تعالى وأطاعه وعبده وحده لا شريك له فهو يرحمه يوم القيامة ويدخله الجنة {لِتُنذِرَ قَوْمًا} لتنذر قوماً وتحذرهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة من الإشراك به والكفر والعصيان ومخالفة أوامره ونواهيته {مَا أَنْذِرَ} ما حذر {ءَأَبَاؤُهُمْ} آباؤهم وأجدادهم السابقون من أصحاب الفترة وهم ما بين عيسى عليه السلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهم أهل الجاهلية قبل الإسلام {فَهُمْ غَافِلُونَ} فهم لاهون عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ} لقد وجب العذاب {عَلَى أَكْثَرِهِمْ} على أغلبهم {فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} لأنهم لا يؤمنون ولا يصدقون بالله ولا بملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا اليوم الآخر {إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ} جعل الله تعالى في أعناق ورقاب الكفار والمشركين {أَغْلَالًا} قيوداً وهي قيود الشرك والكفر وعبادة الأصنام والأوثان جعلها الله تعالى في أعناق ورقاب الكفار والمشركين استدراجاً لهم وكما قال تعالى: " اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ " ١٥ البقرة. {فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ} فالقيود تبلغ جميع الرقبة من أول الرقبة حتى

الذقن أي سُمك جميع الرقبة {فَهُمْ مُقَمَّحُونَ} فهم أي الكفار والمشركون لا يستطيعون الخلاص من قيود الشرك وعبادة الأصنام والأوثان فهم ممسوكون ومربوطون بشدة وبقوة وعنق كما يُشد الحصان باللجام فلا يستطيع الحركة برقبته لا يميناً ولا شمالاً وهكذا عبادتهم للأصنام والأوثان حيث وجدوا آباءهم لها عابدين ولذلك زادهم الله رجساً إلى رجسهم وكما قال تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا " ٧٥ مريم. {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} وجعل الله تعالى أمام الكفار {سَدًّا} حاجزاً لا يستطيعون النظر ولا التفكير في الهدى الذي أُرسِل به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إليهم {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} ومن وراء ظهورهم {سَدًّا} مانعاً وحاجزاً ولا يتفكرون فيما عملوا من الشرك والمعاصي فيما مضى من عمرهم {فَأَغْشَيْنَاهُمْ} فأعميناهم عن الحق والهدى لكفرهم وعنادهم وشركهم وتكذيبهم {فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} فهؤلاء الكفار لا يرون حقاً ولا خيراً ولا هدى أي أينما يذهبوا فهم بعيدون عن الحق والعدل والصواب والخير فلا يرون أمامهم ولا خلفهم فهم عُمي ولا يبصرون شيئاً من الحق والهدى وفي ليلة الهجرة عندما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وأحاط بداره كفار قريش وأعطوا كل رجل منهم سيفاً ليقتلوا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أخذ في يده صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب وقرأ عليها: " يس \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ " حتى انتهى إلى قوله تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ " ثم رش التراب عليهم وخرج فلم يروه وأعمى الله تعالى أبصارهم عنه صلى الله عليه وسلم.

﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ١ ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ  
 الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ ٢ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي  
 الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثِرَهُمْ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ ٣ ﴿  
 وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ٤ ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتِّبَانٍ  
 فَكَذَّبُوهُمَا فَعُزِّرْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ ٥ ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا  
 وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ ٦ ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ  
 لَمُرْسَلُونَ ﴾ ٧ ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ٨ ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ  
 تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٩ ﴿ قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ أَيَّن ذُكِّرْتُمْ  
 بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ ١٠ ﴿

{ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ } وسواء يا محمد أنذرت كفار قريش أو  
 تركتهم بدون تحذير من عذاب يوم القيامة ومن الحساب { لَا يُؤْمِنُونَ } لا يصدقون  
 أبداً { إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ } إنما تحذر يا محمد يا رسول الله من اتبع  
 القرآن وعمل بما فيه { وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ } وخاف الله تعالى فيما أخبر عنه  
 من الغيب من البعث والحساب والعذاب يوم القيامة لمن كفر وأشرك وعصى وجحد  
 وأنكر وكذب { فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ } فبشر يا محمد يا رسول الله من خاف الله تعالى  
 والحساب يوم القيامة بشره بشارة خير وسرور بمغفرة ذنوبه السابقة لتوبته { وَأَجْرٍ  
 كَرِيمٍ } ثواب كثير طيب وهو دخول الجنة كما قال تعالى: " وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ  
 رَبِّهِ جَنَّاتٍ " ٤٦ الرحمن. { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ } إن الله تعالى جل جلاله  
 وعظم قدره وعلا شأنه يحيي يوم القيامة في يوم البعث كل الموتى

{وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا} ويأمر الله تعالى الملكين الموكلين مع كل واحد من بني آدم من الملائكة الكتبة الكرام أن يكتبوا لابن آدم ما قدم من الحسنات والسيئات {وَأَثَرَهُمْ} وما تبقى مما عملوا من آثار تدل على ما عملوه كمن يسرق بيتاً وتبقى من آثاره بصمة يده أو من يزني ويبقى من آثار زناه ابنه من الزنا وكمن يبني مسجداً يبقى من آثار عمله ذلك المسجد {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ} وكل شيء من أعمالهم وأفعالهم أحصاه الله تعالى وجعله {فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} في اللوح المحفوظ وهو كل شيء من أعمال بني آدم وأخبارهم وحياتهم ومعيشتهم وموتهم فهو في كتاب عظيم وهو اللوح المحفوظ {وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا} واضرب لهم يا محمد يا رسول الله قل لهم مثلاً ليكون عبرة لهم وقله لأهل مكة {أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ} عن أصحاب القرية وهي قرية أنطاكية {إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ} إذ أتاهم رسل الله تعالى {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ} حيث أرسل الله تعالى إلى أهل القرية بادئ الأمر اثنين {فَكَذَّبُوهُمَا} فكذبوهما ووجدوا برسالتهما {فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} أيدهما الله تعالى بإرسال رسول ثالث معهما {فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ} فقالوا لهم إنا رسل الله تعالى إليكم وكان ملك القرية يدعى أنطيوخس وكانوا يعبدون الأصنام والأوثان فدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {قَالُوا} قال أهل تلك القرية لرسول الله تعالى {مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا} ليس أنتم إلا بشر مثلنا لا تزيدون عنا لا غنى ولا جاهاً ولا ولداً ولستم بملائكة {وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ} وما أرسل الله تعالى شيئاً من هذا القبيل {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ} إن أنتم إلا تدجلون فكذبوهم {قَالُوا} قال رسل الله تعالى لهم {رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ} ربنا وإلهنا وخالقنا الله

تعالى يعلم ويعرف ويدري أنا رسل الله تعالى إليكم حقيقة لا كذب {وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا  
الْبَلَّغُ الْمُبِينُ} ونحن ما علينا إلا تبليغ رسالة ربنا إليكم بلاغاً واضحاً ذا حجة  
واضحة وبرهان بين وواضح {قَالُوا} قال أهل القرية لهم {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} إنا  
تشاءمنا منكم وبحضوركم علينا من فتننتكم لنا أو تسليط العذاب علينا {لَئِن لَّمْ  
تَنْتَهُوا} فإن لم تنتهوا وترجعوا وتكفوا عما تأمروننا به {لَنَرْجُمَنَّكُمْ} لَنَرْجُمَنَّكُمْ  
بالحجارة ولنقتلنكم وتموتوا {وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} وليصيبنكم منا عذاب  
شديد وقاس ومؤلم {قَالُوا} قال لهم رسل الله {طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ} تشاؤمكم ملازم لكم  
لكفركم وشرككم بالله تعالى {أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ} أهذا التهديد والتحذير لنا لأننا  
ذكرناكم وهديناكم ووعظناكم إلى طريق الله تعالى المستقيم {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ  
مُّسْرِفُونَ} بل أنتم قوم متمادون في الكفر والعصيان والمخالفة.

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا  
 مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ  
 ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا  
 يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذَا لَفَىٰ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ  
 ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۗ قَالَ يَلِيَّتْ قَوْمِي يَعلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ  
 ﴿٢٧﴾

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ ۗ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن  
 كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

{ وَجَاءَ } وأتى رجل يُدعى حبيب النجار { مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ } من آخر  
 مدينة أنطاكية { يَسْعَى } يمشي في عمل الخير وفي نصح قومه كما قال تعالى: " فَإِذَا  
 هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى " ٢٠ طه. { قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ } قال يا قومي ويا أهل  
 مدينتي اتبعوا المرسلين وأطيعوهم { اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا } اتبعوا من لا يطلب  
 منكم أجراً على هدايتكم { وَهُمْ مُهْتَدُونَ } وهم مهتدون لطاعة الله تعالى وعبادته  
 لأنهم رسل الله تعالى { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي } وما يمنعني من أن أعبد الله  
 تعالى وحده لا شريك له الذي خلقني ألا يستحق العبادة { وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } وإليه  
 تعودون يوم القيامة للحساب والعذاب { ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً } فهل أتخذ غير  
 الله تعالى آلهة من الأصنام والأوثان التي لا تنفع ولا تضر { إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ  
 بِضُرٍّ } لو أراد الله تعالى ضري وعذابي { لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا } لا تنفعني  
 شفاعة الأصنام والأوثان شيئاً لأنها جمادات لا تتحرك ولا تنفع ولا تضر



{وَلَا يُنْقِدُونَ} ولا ينجدونني ويمنعوني من عذاب الله تعالى يوم القيامة {إِنِّي إِذَا} إنني أكون إذا إذا عبدت الأصنام {لَفِي ضَلَالٍ} لفي بعد وجهل {مُتَّبِعِينَ} عظيم وكبير {إِنِّي} ءآمنتُ بِرَبِّكُمْ} إنني قد آمنت وصدقت بربكم الله تعالى وحده {فَأَسْمَعُونَ} فاسمعوا نصحي لكم واقبلوه وآمنوا بالله وحده واعبدوه ولا تشركوا به شيئاً {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ} أي قال له أهل القرية ادخل الجنة وحدك ولا نريد اتباعهم وهكذا يقال في عصرنا عناداً وتكذيباً ومخالفة لمن ينصحهم: إن شاء الله نظير على جناحك. وهذا من باب الاستهزاء والسخرية والمخالفة {قَالَ} قال حبيب النجار رداً عليهم {يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ} قال متمنياً لهم علم الحقيقة {بِمَا غَفَرَلِي رَبِّي} بما غفر لي ربي من الذنوب لسعيي ونصحي إليكم وقد جئتمكم من مكان بعيد {وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ} وجعلني الله تعالى بنصحي هذا لكم يوم القيامة ممن يُكرم ويُثاب على عمله ونصحه {وَمَا أَنْزَلْنَا} وما أنزل الله تعالى {عَلَى قَوْمِهِ} على قوم حبيب النجار وهم أهل أنطاكية {مِنْ بَعْدِهِ} من بعد نصحه لهم واستهزائهم به وقيل من بعد قتلهم إياه {مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ} أي جند نزلت من السماء لعذابهم {وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ} وما كان الله ليفعل ذلك التنزيل إلا بعد استهزائهم برسول الله تعالى وبحبيب النجار الذي جاء إليهم من أقصا المدينة ناصحاً ومحذراً {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} وما كان عذابهم إلا صرخة واحدة من جبريل عليه السلام زلزلت الأرض بهم وصعقتهم وأهلكتهم {فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ} فإذا هم لا حراك فيهم وميتون.

﴿ يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ  
 أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا  
 مُحْضَرُونَ ﴿٤﴾ وَعَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ  
 ﴿٥﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا  
 مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ  
 كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ  
 مِنْهُ النَّهَارَ فإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ  
 الْعَلِيمِ ﴿٩﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿١٠﴾ لَا الشَّمْسُ  
 يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١١﴾ ﴾

{ يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ } يا حسرة وندماً وأسفاً على الناس { مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا  
 كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } لا يأتِيهِمْ ولا يُرسل إليهم ولا يُبعث من قبل الله تعالى رسول  
 إلا سخرُوا به ولم يصدقوا رسالته { أَلَمْ يَرَوْا } ألم يعلموا { كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ  
 الْقُرُونِ } كم دمّرنا وأمتنا من قبلهم من القرون والأمم السابقة ولم نبق منهم أحداً  
 { أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ } وأنهم قد ماتوا ولا يرجعون أحياءً بعد موتهم إليهم إلى  
 يوم القيامة أفلم يعتبروا بذلك الموت والهلاك لمن سبقهم من الأمم السابقة { وَإِنْ كُلُّ  
 لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ } وإن كلُّ من الأمم السابقة صغيرهم وكبيرهم وعبدهم  
 وحرهم وأبيضهم وأسودهم وأنتم جميعاً معهم تحيون يوم البعث وتحشرون  
 للحساب أمام الله تعالى { وَعَايَةٌ لَهُمُ } وحجة وبينة ومعجزة ودليل قاطع يقدم لهم  
 { الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ } هو أن الأرض

القاحلة والمجدبة أحيها الله تعالى بنزول المطر عليها فأصبحت مخضرة وأنبت الله منها الزروع والنباتات والحبوب كالقمح والشعير والذرة وغيرها تأكلون منها خبزاً وخلافه {وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} وجعل في الأرض الميتة والمجدبة بعد نزول المطر عليها أحيها الله تعالى وجعلها جنات وبساتين من النخيل والرطب والبلح والتمر وأشجار الأعناب وهي الكروم مختلفة الثمار العنب الأسود والأبيض والأنواع المختلفة اللذيذة الطعم {وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ} وزيادة على المطر من السماء فجر الله فيها عيون الماء تنبع وتجري وتسقي الأشجار والنباتات بفضل الله تعالى وكرمه {لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ} حتى يأكلوا من ثمار النخيل والأعناب والفواكه الشتى {وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ} وما زرعه أيديهم وما صنعه أيديهم من المربى وغيرها {أَفَلَا يَشْكُرُونَ} أفلا يشكرون الله تعالى ويحمدونه على فضله وكرمه عليهم بتلك الفواكه والثمار والحبوب المختلفة التي خلقها لهم كما قال تعالى: " وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " ٦٧ النحل. {سُبْحَانَ} تنزه الله تعالى عن كل سوء وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل سوء (سبحان) هو تنزيهه وتبجيله لله تعالى عن كل ما لا ينبغي له ولا يليق بجلاله {الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ} والله تعالى خلق للناس الأزواج الشتى من الثمار والفواكه والنباتات خلقها من ذكر وأنثى كما قال تعالى: " وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ " ٣ الرعد وكما قال تبارك وتعالى: " وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ٤٩ الذاريات. {وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ} ومن الناس أنفسهم خلق الله تعالى الزوجين الذكر والأنثى

{وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} وقد خلق الله تعالى ما لا يعلمون من المخلوقات المختلفة سواءً منها على سبيل المثال الميكروبات أو الجراثيم التي لا يزال العلم الحديث يكتشف القليل منها ليدل ذلك على قدرة الله تعالى وعلمه وكما قال تعالى: " وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ " ٣١ المدثر. {وَأَيَّةٌ} ومعجزة وحجة ودليل وبيان {لَهُمْ} للناس {الَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ} ودليل على قدرة الله تعالى ووحدانيته أن الليل عندما يذهب عنه النهار وضوء الشمس فإذا الناس قد أصبحوا في ظلمة الليل أي عند زهاب النهار يأتي الله تعالى عليهم بالليل وما فيه من ظلمة {وَالشَّمْسُ تَجْرِي} والشمس في النهار نراها تجري في مدارها من المشرق إلى المغرب {لِمْسْتَقَرِّ لَهَا} حتى نهاية الأمر وهو نهايتها وقيام الساعة {ذَلِكَ تَقْدِيرٌ} وذلك بقدرة الله تعالى وعلمه وإرادته {الْعَزِيزِ} القوي في ملكه وحكمه وقدرته وإرادته {الْعَلِيمِ} الذي يعلم كل شيء بدايته ونهايته ويعلم دقائق الأمور وما في ملكه من شيء {وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ} والقمر يراه الناس بأعينهم قدره الله تعالى بحكمته وقدرته منازل على طول الشهر هلال وبدر {حَتَّىٰ عَادَ} أي بعد ضياء القمر إلى منتصف الشهر يبدأ يتأخر خروجه ليلة بعد ليلة {كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} كعنقود الرطب بعد يبسه يتقوس وينحني ويبس ويعتق وهو تشبيهه من الله تعالى ومثله في ضياء القمر ووصفه في أول الشهر كعنقود البلح زاهياً ثم يبدأ في التقوس والانحناء واليبس وهكذا ضياء القمر بعد منتصف الشهر يتأخر في خروجه وضياؤه للناس {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ} فلا يحق للشمس أن تلمس القمر أو تدخل في مداره ولا تتعداه أي لا تستطيع أن تأخذ جزءاً من الليل أو تسبق بالنهار يومين متتابعين {وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} ولا يستطيع الليل كذلك أن يسبق النهار بليلتين

متتابعين قبل خروج النهار ولا يأخذ شطراً من النهار {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} وكل من الشمس والقمر والليل والنهار في مداره وتعاقبه مستمرين في الطلوع والغياب أي كل يطلع في وقته وفي مكانه وفي دورانه ومداره.

﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾

{وَأَيُّهُمْ} وحجة وبيان ومعجزة ودليل للناس {أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ} أن الله تعالى حمل ذريتهم في ظهور آبائهم وهم في سفينة نوح عليه السلام وهي مشحونة ومملوءة بجميع المخلوقات من كل زوجين ونوعين اثنين ذكر وأنثى ليحفظ الذرية من الانقراض ونجاهم الله تعالى بفضلته من الغرق {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} وخلق الله تعالى وجعل للناس سفناً ومراكب يصنعونها ويركبونها في البحار حتى توصلهم من بلد إلى آخر وينجيهم من الغرق كسفينة نوح عليه السلام التي هي قدوة لهم {وَإِنْ نَشَأْ} وإن يرد الله تعالى {نُغْرِقْهُمْ} إن يرد الله تعالى غرقهم وهم في سفنهم داخل البحر يُغْرِقُهُمْ {فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ} فلا مُغِيث

ولا مُنجد لهم من حُكم الله تعالى عليهم {وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ} ولا هم يُنقذون من الموت المحقق {إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا} إلا رحمة ومِنَّة من الله تعالى يرحمهم وينقذهم من الغرق {وَمَتَّعًا إِلَىٰ حِينٍ} ونجاة وسلامة إلى وقت انتهاء آجالهم وهو موتهم {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ} وإذا قيل للكفار والعصاة اتقوا الله في الدنيا واتقوا شرورها وملذاتها وشهواتها ومحرماتها {وَمَا خَلَقَكُمْ} وهو الآخرة وهو يوم القيامة وحسابها وعذابها {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} لعلكم تنجون من عذاب الله تعالى وترحمون بدخول الجنة يوم القيامة {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ} ولا تأتيهم حجة وبينة ودليل ومعجزة وآية من القرآن تهديهم وتنصحهم وتدلهم على الهدى {إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} إلا كانوا عنها مبتعدين ومكذبين وجاحدين وناكرين {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} وإذا قيل للكفار تصدقوا وأدوا زكاة أموالكم التي رزقكم الله تعالى بها {قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} قال الكفار وهم من جحد وأنكر وكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} للمؤمنين من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَنْطَعِمُ مَن لَّوِيشَاءُ اللَّهِ أَطَعَمَهُر} فهل نطعم من لو أراد الله أطمعه من غير أموالنا {إِن أَنْتُمْ} إن أنتم أيها المؤمنون {إِلَّا فِي ضَلَالٍ} إن أنتم أيها المؤمنون إلا في غي وخرافة وبعد عن الواقع وعن الهدى وعن الحق {مُبينٍ} عظيم وكبير {وَيَقُولُونَ} ويقول الكفار {مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ} يُكذِّب الكفار بيوم القيامة وبالبعث والحساب والجنة والنار ويسألون ساخرين متى يأتي وعدكم أيها المؤمنون لنا بالعذاب {إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم صادقين في دعوكم {مَا يَنْظُرُونَ} ولا ينتظر هؤلاء الكفار بقيام القيامة أو الموت

{إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} إلا صيحة واحدة من إسرائيل عليه السلام في نفخ البوق وهي النفخة الثانية نفخة الصعق كما في الحديث الذي فيه: (ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيَتَنَا، ورفع لِيَتَنَا، قال: وأول من يسمعه رجل يَلُوط حوض إبله، قال: فَيَصَعَقُ وَيَصَعَقُ النَّاسُ..). [ابن كثير ج ١ ص ٥٨٢]. {تَأْخُذُهُمْ} تهلِكهم وتميتهم {وَهُمْ مَخْصِمُونَ} وهم يختصمون فيما بينهم في أمر معيشتهم {فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً} فلا يتمكنون من توصية أحد بأي شيء {وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ} فبموتهم لا يستطيعون أن يحيوا من جديد ويرجعوا إلى أهلهم. وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب أنبأنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٧١].

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بُولَاقًا مِّنْ بَعَثْنَا مِن مَّرْقَدِنَا <sup>س</sup> هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَابِكِ مُتَكِّونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾

{ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ } وينفخ إسرافيل عليه السلام في البوق وهو الصور وهي النفخة الثالثة وهي للقيام { فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ } فإذا جميع الناس من قبورهم { إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ } إلى المحشر يأتون مسرعين للحساب أمام ربهم وهو يوم القيامة وكما قال تعالى: " يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ " ٤٣ المعارج. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن إسرافيل ينفخ في الصور ثلاث نفخات نفخة للفرع ونفخة للصعق ونفخة للبعث فيأمر الله تعالى إسرافيل في النفخة الأولى فينفخ فيه فيفرغ من في السموات ومن في الأرض وهو قوله تعالى: " وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " وتتنزل الأرض وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتصير الولدان



شيباً وتطير الشياطين هاربةً وهو قوله تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " فيمكنون ما شاء الله ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماء وأهل الأرض يعني يموت أهل السماء والأرض إلا من شاء الله وهو قوله تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " والاستثناء يعني به أرواح الشهداء وقيل يعني به جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين فيقول الله عز وجل لملك الموت من بقى من خلقي وهو أعلم فيقول يا رب أنت حي لا تموت بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة عرشك وبقيت أنا فيأمر الله تعالى ملك الموت بقبض أرواحهم هكذا ذكر في رواية الكلبي ورواية مقاتل وقال في رواية محمد بن كعب عن رجل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن الله سبحانه وتعالى يقول ليامت جبريل وميكائيل وإسرافيل وليمت حملة العرش ثم يقول الله عز وجل يا ملك الموت من بقى من خلقي؟ فيقول أنت الحي الذي لا تموت وبقى عبدك الضعيف ملك الموت فيقول يا ملك الموت ألم تسمع قولي " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " وأنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت وروي في خبر آخر أنه يأمره بأن يقبض روح نفسه فيجيء إلى موضع بين الجنة والنار وينزع روحه بنفسه فيصيح صيحة لو كان الخلق كلهم أحياء ماتوا من صيحته ويقول لو كنت علمت أن لنزع الروح مثل هذه الشدة والمرارة لكنت على قبض أرواح المؤمنين أشد شفقة ثم يموت فلا يبقى أحد من الخلق فيقول الله عز وجل للدنيا الدنية أين الملوك وأين أبناء الملوك أين الجبابرة وأين أبناء الجبابرة وأين الذين كانوا يأكلون خيري

ويعبدون غيري؟ ثم يقول الله تعالى " لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ " فلا يجيبه أحد فيجيب سبحانه وتعالى نفسه فيقول لله الواحد القهار ثم يأمر الله تعالى السماء أن تمطر فتمطر السماء كمني الرجال أربعين يوماً حتى يكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعاً فينبت الله الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل أجسامهم فتعود كما كانت ثم يقول الله تعالى ليحيى إسرافيل وحملة العرش فيحيون بأمر الله تعالى ويأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصور ويضعه على فيه ثم يقول الله ليحيى جبريل وميكائيل فيحييان بأمر الله تعالى ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها فيجعلها في الصور ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد في الخياشيم فتنشق الأرض عنهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الأرض وفي خبر آخر ان الله تعالى إذا أحيا جبريل وميكائيل وإسرافيل فينزلون إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومعهم البراق وحل من الجنة فتنشق عنه الأرض فينظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل فيقول يا جبريل ما هذا اليوم؟ فيقول هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة فيقول يا جبريل ما فعل الله بأمتي؟ فيقول جبريل أبشر فإنك أول من تنشق عنه الأرض ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور فإذا هم قيام ينظرون). [تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ١٧، ١٨]. {قَالُوا} قال الكفار يوم القيامة بعد النفخة الثالثة للقيام {يَوَيْلَنَا} يا مصيبتنا ويا عذابنا {مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا} حيث كانوا يعتقدون أنهم لن يُبعثوا من قبورهم بعد موتهم وليس هناك بعث ولا محشر ولا حساب ولكنهم يُفاجئون بالبعث والنشور من قبورهم {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} يقول لهم المؤمنون والملائكة بأن هذا اليوم هو تصديق

لقول رسل الله تعالى لكم وهو ما وعدكم به الله تعالى في كتبه التي أنزلت إليكم مع رسل الله تعالى {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} إن كانت إلا نفخة واحدة في الصور من قبل إسرافيل عليه السلام وهي النفخة الثالثة نفخة البعث {فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ} فعندها يُجمع جميع الناس في المحشر بين يدي الله تعالى للحساب كما قال تعالى: "فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ" ١٣، ١٤ النازعات. {فَالْيَوْمَ} فيوم القيامة {لَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا} لا يظلم الله تعالى فيها أحداً من الخلق {وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} ولا تحاسبون إلا على أعمالكم وأفعالكم في الدنيا سواءً كانت خيراً أو شراً. وروى أبو ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال: (يا أبا ذر أتدري فيما تنتطحان؟) فقلت لا قال: (ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة). [مكاشفة القلوب للإمام الغزالي ص ١٢٨]. {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} إن أهل الجنة وهم من يدخلونها يوم القيامة جزاءً بما عملوا من الطاعات وعبادة الله تعالى وحده {الْيَوْمَ} يوم القيامة {فِي شُغْلٍ} مشغولون بنعيم الجنة وما فيها من الحور والخيرات {فَنِكْهُونَ} مسرورون مع الفكاهة والانبساط والفرح {هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ} الرجال وزوجاتهم في ظلال أشجار الجنة وفي قصورها {عَلَى الْأَرْزَاقِ} على السرر {مُتَّكِنُونَ} متكئون على جنوبهم وهذه الحالة فيها راحة لأهل الجنة بهذا الاتكاء فهم ينعمون بالراحة والسرور {لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ} لأهل الجنة فيها لهم أنواع الفواكه {وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} ولهم كذلك ما يطلبون ويسألون من أنواع الطعام والشراب والحور العين {سَلَامٌ قَوْلًا} يُلقى السلام على أهل

الجنة {مِنْ رَبِّ} من الله تعالى ربهم جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {رَحِيمٍ} رحمهم وتاب عليهم وعفا عنهم وغفر لهم وأدخلهم الجنة. وروى ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً وفي إسناده نظر فإنه قال: حدثنا موسى بن يوسف حدثنا محمد ابن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عاصم العبداني حدثنا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع عليهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرق عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى: "سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ" قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم). [ورواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب به - ابن كثير ج ٣ ص ٥٧٥].

{وَأَمْتَنُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ} يتهكم الله تعالى على الكفار ويسخر بهم لكفرهم ولشركهم ولمعاصيهم وذنوبهم في الدنيا ويقول خذوا امتيازكم وتميزوا عن المؤمنين بدخول جهنم أيها المجرمون وكما قال تعالى: "احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ" {٢٢} مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ {٢٣} " ٢٣، ٢٢ الصافات. {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ} ألم أرسل إليكم وأخبركم بواسطة رسلي وبآياتي يا بني آدم ويا ذرية آدم {أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} أن لا تطيعوا الشيطان {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ} لأنه عدو لكم {مُتَّبِعِينَ} عظيم وواضح العداوة {وَأَنْ أَعْبُدُونِي} وأن اعبدوني وحدي لا شريك لي في ملكي {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} هذا طريق مستقيم لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ} ولقد

أغوى الشيطان منكم أيها الناس {جِبِلًّا كَثِيرًا} أي خلقاً كثيراً {أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} أفلم تعقلون وتوعون وتفهمون ذلك في الدنيا {هَدِيهِ جَهَنَّمَ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} في يوم القيامة يرى الكفار بأعينهم جهنم وعذابها ويقول الله تعالى لهم هذه جهنم التي وعدتم بدخولها إذا أشركتم وكفرتم {أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ} ذوقوا حرقها وانحرقوا بنارها في هذا اليوم وهو يوم القيامة {بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} بسبب كفركم وعصيانكم وتكذيبكم لرسلي في الدنيا.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مَنَّاعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

{الْيَوْمَ} في يوم القيامة {نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ} نقفل أفواههم ونخلي بينهم وبين الكلام فلا يستطيعون الكلام {وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ففي يوم القيامة يختم الله تعالى على الأفواه فلا تنطق وتتكلم الأيدي بما عملت

وتشهد الأرجل على صاحبها بما جرى وبما عمل وبما مشى في المعاصي وما اقتترف واكتسب من إثم أو ذنب في الدنيا. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو شيبه إبراهيم ابن عبد الله بن أبي شيبه حدثنا منجاب بن الحارث التميمي حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا سفيان عن عبيد المكتب عن الفضل بن عمرو عن الشعبي عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال صلى الله عليه وسلم: (أتدرون مم أضحك؟) قلنا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم: (من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول بلى فيقول لا أجز علي إلا شاهداً من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهوداً فيختم على فيه ويُقال لأركانه انطقي بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بُعداً لَكُنَّ وسُحْقاً فعنكُنَّ كنتُ أناضل). [وقد رواه مسلم والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن سفيان هو الثوري به - ابن كثير ج ٣ ص ٥٧٧]. وقال ابن أبي حاتم رحمه الله: حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يُختم على الأفواه فَخَذُّهُ من الرَّجُل اليسرى). [وروى ابن جرير عن محمد بن عوف عن عبد الله بن المبارك عن إسماعيل ابن عياش به مثله - ابن كثير ج ٣ ص ٥٧٧]. {وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ} ولو أراد الله تعالى لأخذ منهم البصر وأعماهم في الدنيا {فَأَسْتَبْقُوا الصِّرَاطَ} فالتمسوا الطريق إلى منازلهم في الدنيا {فَأَنِّي يُبْصِرُونَ} فكيف يبصرون وقد أخذ الله بصرهم أي أنهم لا يرون طريقاً ولا يهتدوا للحق والصواب والهدى {وَلَوْ نَشَاءُ

لَمَسَخْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ} ولو أراد الله لأهلكهم في مكانهم وذلك بمسخهم  
وتحويلهم إلى جمادات {فَمَا اسْتَبَطَعُوا مُضِيًّا} فلا يستطيعون مواصلة السير ذهاباً  
{وَلَا يَرْجِعُونَ} ولا يستطيعون العودة إلى منازلهم وهذا يدل على فضل الله تعالى  
وكرمه ورحمته بعباده في الدنيا بامهالهم وتأخير العذاب عليهم دون أن يهلكهم  
بذنوبهم بل يمد لهم لعلمهم يرجعون إليه بالتوبة والإنابة والطاعة {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ}  
ومن نطل عمره {نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ} أي نرده لا يعقل شيئاً كالطفل الصغير يبول  
على نفسه ولا يعقل شيئاً وهو أرذل العمر كما قال تعالى: " وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ  
أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا " ه الحج. {أَفَلَا يَعْقِلُونَ} أفلا يفهمون  
ذلك ويعتبرون من سوء الخاتمة ومن عذاب الله تعالى لهم على عصيانهم وكفرهم  
{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ} ولم يُعلم الله تعالى رسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم  
قرض الشعر ولا تأليفه بمختلف بحوره {وَمَا يُنْبِئِي لَهُ} ولا يحتاج إلى تعلم الشعر  
لأن الشاعر يؤلف الشعر من قريحته وأفكاره وخياله وفي الغالب يكون للذم في  
الناس أو الهجاء أو المدح للملوك والعظماء بما ليس فيهم أو الغزل في أعراض الناس  
في النساء وهذا ما ينهى عنه الشرع الحكيم {إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ} بل الذي يحتاج له  
هو ذكر لله تعالى ويذكر به الناس ويعظهم وينصحهم بعبادة الله تعالى وحده لا  
شريك له وعمل الطاعات وأعمال البر والخير ويذكر الناس بالجنة والنار {وَقُرْءَانٌ  
مُّبِينٌ} وقرآن عظيم يهدي للتي هي أقوم ويرشد الناس إلى الحق والصواب والعدل  
والطاعات وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وفي القرآن خير الدنيا والآخرة لمن  
عمل به وأطاعه {لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} لينذر ويحذر بالقرآن من عذاب الله تعالى  
الأحياء من الناس لأن الموتى قد انتهت حياتهم في الدنيا وعلموا ما لهم وما عليهم

{وَتَحِقَّ الْقَوْلُ} ويحق العذاب من الله تعالى {عَلَى الْكٰفِرِينَ} على الكفار لعصيانهم وكفرهم وجحودهم وإنكارهم وتكذيبهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَوْلَمَ يَرَوٰ} ألم يشاهدوا بأعينهم {أَنَا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمَلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ} أن الله تعالى خلق للناس مما عملته لهم يد القدرة الربانية من الأنعام من الإبل والبقر والغنم والماعز فهم يملكونها ويربونها في بيوتهم {وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ} وسخرها الله تعالى لهم وهي مذلة مطيعة مقهورة لا تنطق ولا تعصي {فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ} فمن هذه الأنعام من يستعملها الناس ويركبوها في سفرهم وتنقلهم من مكان إلى آخر كالخيل والبغال والحمير {وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} ومن هذه الأنعام يأكلون لحومها مثل الإبل والبقر والغنم والماعز {وَهُمْ فِيهَا مَنفَعٌ} ومن فوائدها أكل لحومها ومن ركوب بعضها في السفر ويحملون عليها أثقالهم ويتخذون من أصوافها وأوبارها أثاثاً و فراشاً ولباساً وتؤخذ للتجارة لإنماء رأس المال فتتكاثر بالولادة فهي تجارة رابحة {وَمَشَارِبٌ} ويشربون من لبنها لبناً سائغاً للشاربين {أَفَلَا يَشْكُرُونَ} أفلا يحمدون الله تعالى ويشكرونه على هذه النعم الجليلة التي وهبها الله تعالى لهم {وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً} واتخذ الكفار والمشركون غير الله تعالى آلهة من الأصنام والأوثان يعبدونها {لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} ويطلبون منها الخير والنصر {لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ} وكيف تنصرهم الأصنام وهي تُنَحَّت من الحجارة وهي عبارة عن جمادات صنعها الإنسان بيده {وَهُمْ هُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ} وهؤلاء المشركون والكفار يظنون أن تلك الأصنام والأوثان ستنصرهم وستكون لهم جنداً يحضرون معهم يوم القيامة فينصرونهم ويدافعون عنهم ويمنعونهم من عذاب الله



تعالى ذلك ظنهم فخاب ظنهم {فَلَا تَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ} فلا يحزنك ولا يؤلك يا محمد يا رسول الله تكذيبهم لك {إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ} إن الله تعالى يعلم ويدري ويعرف ما يخفون من عداوتهم لك {وَمَا يُعْلِنُونَ} وما يظهرون من تكذيبك وتكذيب رسالتك.

﴿أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۗ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۗ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

{أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ} ألا يعلم الإنسان من ذرية آدم عليه السلام {أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ} أن الله تعالى خلقه من أصل نطفة وهي ماء الرجل وماء المرأة كما قال تعالى: " إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا " ٢ الإنسان. {فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} فإذا هو بعد خلقته واشتداد عوده وأصبح شاباً قوياً فإذا هو شديد الخصومة والمعصية والكفر فينكر البعث والحساب والعقاب ويكفر بيوم القيامة {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ} وضرب الكافر مثلاً لخلق الله تعالى ونسي أنه خلق من عدم ولم يكن شيئاً فقال في مثله {قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ} فقال الإنسان الكافر مكذباً بالبعث من يحيي العظام من جديد بعد هلاكها ورميمها وتناثرها وبعد أن أصبحت بالية تذروها الرياح {قُلْ} قل لهم يا

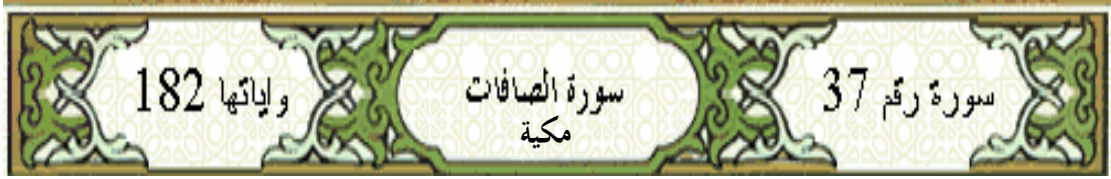
محمد يا رسول الله ورد عليهم {يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} يحييها ثانية من  
العدم بعد موتها الذي خلقها أول مرة وأنشأها من العدم {وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بكل خلق خلقه عليه السلام كيف خلقه  
وكيف أنشأه ويعيده ثانياً متى أراد وكيفما أراد لأن الصانع الذي يصنع شيئاً يعرف كيف يصنع مثله لأنها صنعته فمثلاً الذي يصنع المذياع أو الجهاز الرائي (التلفاز) يستطيع أن يصنع مثله مرات ومرات فكيف بالخالق سبحانه وتعالى  
{الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا} الذي جعل لكم من الشجر الأخضر  
الحي توقدون ناراً للطهي وخلافه {فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ} فإذا الشجر الأخضر  
الحي الذي به ماء كثير ولم يجف إذا أنتم بقدرة الله تعالى تشعلون فيه النار  
وتوقدون به في طهي طعامكم وفي شربكم كالقهوة والشاي مثلاً وهذا يدل على قدرة  
الله تعالى {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} سؤال استنكاري وتعجب يقول  
الله تعالى فيه أليس الذي استطاع خلق السموات السبع وما فيها من شمس وقمر  
وكواكب والأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال وسهول وإنس وجان وحيوان  
وطيور {بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} عنده القدرة أن يخلق مثلهم مرة ثانية من  
جديد {بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ} الجواب والرد هو بلى فإن الله تعالى هو الخلاق لكل  
شيء {الْعَلِيمُ} الذي علم كل شيء بغير تعلم ويخلق مثله بدون تعب وبدون مشقة  
{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} إن أمر الله تعالى وخلقته وحكمه  
هو بقوله تعالى للشيء كن فيكون بإذن الله تعالى. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر  
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث قدسي فيه: (يا عبادي لو أن  
أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان

مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا غمس في البحر) وزاد في الترمذي وغيره (وذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون). [سبل السلام ج ٤ ص ١٧٦].

{فَسُبِّحْنَ} تنزيه وتعظيم وتبجيل لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} الذي بيده ملك وحكم ومفاتيح كل شيء في الأرض وفي السماء في الدنيا وفي الآخرة {وَالِيهِ تُرْجَعُونَ} وإليه تعودون يوم القيامة بالبعث والنشور في المحشر للحساب يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا وسيحاسبكم على أعمالكم سواء كانت خيراً فيدخله الجنة أو كانت شراً فيدخله النار.

ومن فوائد سورة يس أخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لكل شيء قلب وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات). [خزينة الأسرار ص ١٥٢]. وأخرج البخاري في الأدب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له). [كذا في الجامع الصغير - خزينة الأسرار ص ١٥٢]. وقال صلى الله عليه وسلم: (تهرب مردة الشياطين من سورة يس وآخر الحشر والمعوذتين). [خزينة الأسرار ص ١٥٣]. وفي كتاب البركة: من قرأ يس أربع مرات متتاليات من غير أن يتكلم بشيء ثم يقول: سبحان النفس على كل مديون سبحان المفرج على كل محزون سبحان من أمره بين الكاف والنون سبحان من إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون يا مفرج الهموم يا حي يا قيوم صل وسلم على سيدنا محمد وآله واقض حاجتي ويسميتها فإنها تُقضى بإذن الله تعالى وهو مجرب. [نزهة المجالس ص ٤١٢، ٤١٣].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (يُرفع القرآن عن أهل الجنة فلا يقرؤون شيئاً إلا طه ويس). [نزهة المجالس ص ٤١٢].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّلِيَّاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۗ وَهُمْ عَذَابٌ وَّاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَسَدُ خَلْقًا أَمْ مِّنْ خَلْقِنَا ۗ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾

{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا} يقسم الله تعالى بالملائكة بقوله والصفات صفاً لأنها تقف صفوفاً متراصة للصلاة. قال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد ابن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صَفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ لَنَا تَرَابًا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ). [ابن كثير ج ٤ ص ٢]. وقد روى مسلم أيضاً وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر ابن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟) قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال صلى الله عليه وسلم: (يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَيَتْرَاصُونَ فِي الصَّفِّ). [ابن كثير ج ٤ ص ٢]. وكذلك تأتي الملائكة إلى المحشر في صفوف حول الخلق أهل السماء الدنيا ثم

بعدهم الثانية ثم الثالثة حتى السابعة ويحيطون بالخلق كما قال تعالى: " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " ٢٢ الفجر. {فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا} وهي كذلك الملائكة تزجر السحاب وتسوقه إلى بلد جرزميت بأمر الله تعالى {فَاللَّيْلِ ذِكْرًا} وهي أيضاً الملائكة التي تنزل بالقرآن الكريم وبالكتب المنزلة إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام وتقرأها عليهم وقال تعالى: " فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا {٥} عُدْرًا أَوْ نُذْرًا {٦} " ٦٠٥ المرسلات. وقال تعالى: " وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٩٢} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {١٩٣} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ {١٩٤} " ١٩٢-١٩٤ الشعراء. وقال تعالى: " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ {٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ {٤} عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ {٥} " ٣-٥ النجم. {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ} إن إلهكم وربكم وخالقكم ورازقكم ومحبيكم ومميتكم هو واحد لا شريك له في ملكه كما قال تعالى: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " ١ الإخلاص.

{رَبُّ السَّمَوَاتِ} فالله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو رب وإله وخالق السموات السبع وما فيها من الملائكة {وَالْأَرْضِ} والأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال وإنس وجان وحيوان وطير {وَمَا بَيْنَهُمَا} والله تعالى كذلك رب ما بين السماء والأرض من شمس وقمر ونجوم وكواكب وأفلاك وهواء ومطر {وَرَبُّ الْمَشْرِقِ} والله تعالى هو أيضاً رب شروق الشمس والقمر والكواكب والنجوم وغروبها {إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه زين وجمل وحلى وزخرف السماء الدنيا وهي التي نراها ونشاهدها بأعيننا وهي السماء الأولى من السموات السبع التي هي بعضها فوق بعض زينها الله تعالى وجملها وحلاها بجمال ضياء الكواكب والنجوم ليلاً {وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ} وهذه الكواكب والمصابيح هي تحفظ الدخول إلى السموات من قبل الجن

والشياطين حتى لا يتسمعون إلى الملائكة من الملائكة. وشيطان هو ما شاط  
وابتعد وحاد عن الحق والهدى وأعمال الخير وهم الكفرة من الجن {مَارِدٍ} وهو  
الكافر المتمرد والمتكبر والعاتي والمتجبر والخارج عن الطاعة والحكم والذي لا يردعه  
شيء فهو متمرد على حكم وقوانين الجن. وقال تعالى: " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا  
بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ " ه الملك. وكما  
قال تعالى: " وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ {١٦} وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ  
شَيْطَانٍ رَجِيمٍ {١٧} إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ {١٨} " ١٨-١٦  
الحجر. {لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى} فهؤلاء الشياطين لا يستطيعون التسمع  
والتصنت إلى الملائكة في السماء الدنيا وهم أهل الملائكة الأعلى {وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ} وَيُرْمُونَ وَيُرْجَمُونَ بالشهب من جميع الأماكن والجهات ومن كل ناحية  
{دُحُورًا} يُدَحْرُونَ وَيُبْعَدُونَ وَيُطْرَدُونَ من السماء فلا يقربوها {وَهُمْ عَذَابٌ}  
وللشياطين عذاب ينتظرهم {وَاصِبٌ} جاهز ومُعَدٌّ ومحضّر ودائم فهو يرصدهم دائماً  
{إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ} ما عدا من استطاع خَطْفَ وسماع الكلمة بسرعة من  
الملائكة ويلقيها إلى الذي يليه والذي هو تحته {فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ} فيلحقه شهاب  
أي الكوكب ينشطر خلفه ويتبعه وهو عبارة عن شعلة نار فهو {ثَاقِبٌ} فهو  
يخترق جسد الجنى أو الشيطان فيثقبه ويخترقه ويحرقه وهو مثل الصواريخ  
المضادة للطائرات يلحق بها أينما توجهت وهربت وكما قال تعالى: " وَأَنَّا لَمَسْنَا  
السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا {٨} وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ  
فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا {٩} " ٩، ٨ الجن. قال البخاري: حدثنا  
الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة

يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض - وصفه سفيان بيده فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء). [تفرد به البخاري - ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٣]. {فَأَسْتَفْتِهِمْ} استفسر من الكفار يا محمد يا رسول الله واطلب منهم الفتوى وليجيبوك على ذلك {أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا} فهل الكفار المنكرين للبعث والحساب يوم القيامة أشد خلقاً وقوة وعظمة {أَمْ مَنْ خَلَقْنَا} أم ما خلقنا من السموات والأرض والملائكة والجن والشياطين والعفاريت المتمردين ومخلوقات الله تعالى العظيمة من الجبال وغيرها كما قال تعالى: " لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " ٥٧ غافر. {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ} إن الله تعالى خلق أصل الإنسان وهو آدم عليه السلام {مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ} من طين لزج وطري ومائع أي سهل التشكيل أي ليس صلباً كالصخور أو كالحديد.



﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٣٠﴾ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٣١﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿٣٣﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا يَتَوَلَّوْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِء تَكْذِبُونَ ﴿٣٦﴾

﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٣٨﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٣٩﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ﴿٤٠﴾ بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٤١﴾

{بَلْ عَجِبْتَ} بل عجبت ودهشت أنت يا محمد يا رسول الله من قدرة الله تعالى ومن خلقه للكون والمخلوقات وعلى قدرة الله تعالى بإحياء الموتى يوم القيامة {وَيَسْخَرُونَ} والكفار بعكسك يكذبون ويستهزئون بك يا محمد يا رسول الله وبرسالتك {وَإِذَا ذُكِّرُوا} وإذا وعظ الكفار بأن يعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له {لَا يَذْكُرُونَ} لا يتعظون بذلك {وَإِذَا رَأَوْا آيَةً} وإذا شاهد الكفار معجزةً وحجةً ودليلاً على صدق رسالتك {يَسْتَسْخِرُونَ} يستهزئون وينكرون ويكذبون ويجحدون بها ولم يصدقوها {وَقَالُوا} وقال الكفار عند رؤيتها {إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ} إن هذا العمل هو من سحر محمد {مُبِينٌ} عظيم يعمله محمد {أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا} يقول الكفار ساخرين ومكذبين برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هل إذا متنا وأصبحنا تراباً وعظاماً بالية متناثرة {أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} هل سنبعث ثانياً أحياءً يوم القيامة {أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ} وهل آباؤنا وأجدادنا السابقون يبعثون

من جديد أحياء بعد موتهم؟! أي ينكرون ذلك ويستبعدونه {قُلْ} يقول الله تعالى لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد يا رسول الله {نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ} نعم ستبعثون أحياء يوم القيامة وأنتم صاغرون ذليلون حقيرون {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} إنما هي نفخة واحدة وهي نفخة إسرافيل عليه السلام في الصور وهو البوق للبعث وهي النفخة الثالثة نفخة البعث كما في الحديث الذي فيه صفة الصور وأنه: (قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة للفرع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣]. {فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ} ففي المحشر تزجرهم الملائكة وتسوقهم إلى المحشر يوم القيامة فإذا هم يشاهدون ذلك حقيقة بأعينهم عين اليقين وينظرون إلى جهنم {وَقَالُوا يَا نَوِيلَنَا} وقال الكفار عندما رأوا جهنم قالوا عندها يا مصيبتنا ويا هلاكنا هذا المحشر {هَذَا يَوْمُ الدِّينِ} هذا اليوم هو يوم القيامة وكلُّ ينجيه دينه إن عبد الله وأطاعه وحده لا شريك له أدخله الله الجنة وإن عصاه أدخله الله تعالى النار {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ} هذا هو يوم الحساب يوم يفصل الله تعالى فيه ويحكم بين الخلائق بالحق {الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ} الذي كذبتم به وأنكرتم وجحدتم وخالفتم به في الدنيا {أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا} يقول الله تعالى لملائكته احجزوا الكفار واحشروهم لوحدهم وافصلوهم عن المؤمنين {وَأَزْوَاجَهُمْ} وكذلك احشروا معهم زوجاتهم أمثالهم ممن أشركن بالله تعالى وكفرن وعبدن الأصنام والأوثان وعملن المعاصي والذنوب {وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} وما كانوا يعبدون من الشياطين والأصنام والأوثان {مِنْ دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى {فَأَهْدُوهُمْ} فأرسلوهم هدية {إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}

إلى طريق جهنم عقاباً لهم {وَقَفُوهُمْ<sup>ط</sup> إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ} أوقفوا الكفار ولا تدخلوهم الجنة ولا تصرفوهم إنهم سيُسألون عن شركهم وكفرهم وتكذيبهم لرسولهم والسؤال هنا هو للتوبيخ والتقريع والتحقير {مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ} يوبخهم الله تعالى ويقول لهم ألا ينصر بعضكم بعضاً ويمنعكم من عذاب الله تعالى {بَلْ} ولكن {هُمُ الْيَوْمَ} في هذا اليوم يكون الكفار {مُسْتَسْلِمُونَ} قد استسلموا لعذاب الله تعالى لأنه لا نجاة ولا فرار من عذاب الله تعالى ولأنه لا منجأ ولا ملجأ إلا إلى الله تعالى.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا<sup>ط</sup> إِنَّآ لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَنبَأَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ آئِنَّا لَتَارِكُوآءِ الْهَيْئَةِ لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ} عندما رأى الكفار جهنم وعذابها يوم القيامة اتجه بعضهم إلى بعض {يَتَسَاءَلُونَ} يتلاومون في المحشر {قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا} قال الكفار بعضهم لبعض في عتابهم يوم القيامة لرؤسائهم وعظمائهم وساداتهم إنكم كنتم تمنعوننا وتضلونا وتغوونا {عَنِ الْيَمِينِ} عن أعمال أهل اليمين من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ومن طاعته ومن أعمال الخير والبر والأعمال الصالحات {قَالُوا} رد عليهم السادة في المحشر وقالوا لهم وكذبوهم {بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}

بل لم تؤمنوا من الأصل لا بالله ولا بملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا باليوم الآخر بل كنتم جاحدين ومنكرين ومكذبين بالبعث والحساب يوم القيامة {وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ} ولم يكن لنا عليكم من قوة نقهركم بها ونمنعكم من طاعة الله تعالى وعبادته {بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ} بل كنتم قوماً عاصين وظالمين وكافرين {فَحَقَّ عَلَيْنَا} فوجب علينا ووقع علينا {قَوْلُ رَبِّنَا} إِنَّا لَذَٰبِقُونَ {حُكْمُ رَبِّنَا} ربنا بأننا في العذاب محضرون ونشرب كأس العذاب نكالاً لنا على كفرنا وعصياننا {فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ} فضللناكم لأننا كنا ضالين وفاسدين وعاصين ومذنبين فهذه طبيعتنا وعملنا {فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} فإنهم يوم القيامة السادة والأتباع سيعذبون فهم في الذنب شركاء وكذلك العذاب {إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ} وهكذا يفعل الله تعالى بالمذنبين والعصاة من الكفار فيعذبهم ويعاقبهم جميعاً {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} لأنهم كانوا أي الكفار إذ قيل لهم لا إله ولا معبود سوى الله تعالى ولا تعبدوا غيره {يَسْتَكْبِرُونَ} يتعالون ويتعاضمون عن عبادته وحده لا شريك له {وَيَقُولُونَ أَيُّنَا لَتَارِكُوا ءِالِهَتِنَا} ويقول الكفار هل نترك عبادة آلهتنا وأصنامنا {لِشَاعِرٍ} هذا محمد صلى الله عليه وسلم إنه شاعر يقول الشعر ويدّعي أنه قرآن {مَجْنُونٍ} أحمق ومعتوه {بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ} بل أتى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالحق والصدق وهو دين الإسلام {وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ} وما جاء به من القرآن الكريم صدق وأكد ما جاء به من سبقه من إخوانه المرسلين الذي أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم وما جاء في كتبهم السماوية التي أرسلها الله تعالى لهم {إِنَّكُمْ لَذَٰبِقُونَ الْعَذَابِ} إنكم أيها الكفار لمعذبون العذاب {الْأَلِيمِ} الشديد الإيلام

والقاسي والموجع { وَمَا تُجْزَوْنَ } وما تعاقبون { إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } وما تعذبون

إلى على ما عملتم في الدنيا من المعاصي والذنوب والإشراك بالله تعالى .

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ٤٤ ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ٤٥ ﴿ فَوَاكِهُ ﴾ ٤٦ ﴿ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾ ٤٧

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ٤٨ ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ ٤٩ ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴾ ٥٠

بِضَاءٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرِيبِينَ ﴾ ٥١ ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ ٥٢ ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ

الطَّرْفِ عَيْنٍ ﴾ ٥٣ ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ ٥٤ ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ٥٥

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ ٥٦ ﴿ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ ٥٧ ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا

تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ ٥٨ ﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ ٥٩ ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءٍ

الْجَحِيمِ ﴾ ٦٠ ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴾ ٦١ ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَمِيَّتِينَ ﴾ ٦٢ ﴿ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ ٦٣ ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ٦٤ ﴿

{ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ } سيعذب الكفار في نار جهنم يوم القيامة إلا عباد الله

{ الْمُخْلَصِينَ } الصالحين والذين أخلصوا العبادة والطاعة لله تعالى وحده لا شريك

له { أُولَئِكَ لَهُمْ } هؤلاء الصالحون لهم في الجنة { رِزْقٌ } من الطعام والشراب

{ مَّعْلُومٌ } معلوم الطيبة والحسن من الفواكه اللذيذة المختلفة { فَوَاكِهُ } من جميع

الفواكه { وَهُمْ مُكْرَمُونَ } وهم مُبَجَّلُونَ ومحترمون ولا يمسهم فيها نصب ولا وصب

أي لا تعب ولا مشقة ولا مرض ولا هم ولا غم { فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } في الجنات ذات

النعيم الدائم والمستمر والمقيم والذي لا يزول والجنان عددها ثمانية { عَلَى سُرُرٍ

مُتَقَابِلِينَ } ويجلس أصحاب الجنة والمعارف على سرر في مقابلة بعضهم البعض فلا

يُعطي واحد ظهره إلى الآخر لأنه لا عداوة ولا حقد ولا غل في الجنة بل أحياء على سرر متقابلين {يُطَافُ عَلَيْهِمْ} يدور عليهم من الملائكة ومن الولدان الصغار الذين لم يبلغوا الحلم والمخلدون في الجنة {بِكَاسٍ مِّن مَّعِينٍ} بكأس من خمر وهي أنهار من خمر جارية {بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} وهذه الخمر لونها شديد البياض والصفاء وفيها لذة الطعم والحلاوة عند شربها {لَا فِيهَا غَوْلٌ} لا فيها سُكْرٌ ولا ذهاب عقل {وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} ولا هم عن شربها يُبعدون ولا يُمنعون من شربها لأنها لم تحرم عليهم في الآخرة كما كانت في الدنيا ولأنها غير مسكرة ولا تذهب بالعقل {وَعِنْدَهُمْ} وعند أهل الجنة لهم زوجات {قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ} لا ينظرن إلى غير أزواجهن ويغضضن أبصارهن عن غير أزواجهن {عِينٌ} كبيرات العيون مع سوادها {كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَّكْنُونٌ} كأنهن في بياضهن مثل بياض النعام المصون عن الأقدار والأوساخ والتراب والغبار فالزوجات ناصعات البياض وسبب تشبيههن ببياض النعام لشدة بياضه ولأنه يدفن في الأرض حتى يفقس فلا يراه أحد ولا يصيبه سوء ويحفظ من الأوساخ والأقدار {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} فأقبل أهل الجنة على بعضهم يتزاورون ويتساءلون عما كان في الدنيا من شقاء وهم وغم وهم الآن منعمون مكرمون {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ} تكلم واحد من أهل الجنة إلى أصحابه قائلاً {إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ} إنه كان لي صديق من الكفار {يَقُولُ أَأَنْتَ لِمَنْ أَلْمُصَدِّقِينَ} يقول لي منكراً البعث هل أنت مصدق {أَأَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا} هل إذا متنا وتحللت أجسامنا واختلطت بالتراب وتفتتت العظام وانتثر اللحم {أَأَءِذَا لَمَدِينُونَ} يقول الكافر منكراً ومكذباً ومستهزئاً هل نحن حقاً بعد هذا

الموت والفناء سنحاسب ونجازى على معاصينا التي عملناها في الدنيا ونعاقب عليها {قَالَ} قال السائل من أهل الجنة لزواره وأصدقائه وأصحابه {هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ} أفلا تنظرون وتطلعون وتشاهدون ما حلّ بهذا القربين وهذا الصاحب المنكر للبعث {فَاطَّلَعَ} فنظر إلى النار {فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ} فرآه في وسط {الْجَحِيمِ} في وسط نار جهنم يعذب {قَالَ} قال ذلك السائل والرائي من أهل الجنة لذلك المنكر للبعث الذي يعذب في نار جهنم {تَأَلَّهِ} يقسم بالله تعالى {إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ} قاربت على أن تضلني وتهلكني مثلك {وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي} ولولا رحمة ربي بأن هداني لطاعته واتباع دين الإسلام {لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} لكنت الآن من الملقين والمعذبين في نار جهنم مثلك {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ} يقول المسلم لقربنه الكافر بعدما تبينت الحقيقة هل حقاً ما نحن بميتين كما كنت تقول لي في الدنيا؟! {إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى} إلا موتة واحدة {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} ونحن إذا متنا لا نبعث ولا نعذب إطلاقاً؟! أي يردد السائل في الجنة ما كان يقوله صديقه المنكر للبعث الذي رآه يعذب في وسط جهنم يردد قوله بعد أن رأى الحقيقة وأصبحت يقيناً وحقاً عذاب المنكرين للبعث ضحكاً واستهزاءً مما كان منه في الدنيا من تكذيب كما قال تعالى: " فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ " ٣٤ المطففين. {إِنَّ هَذَا} إن تصديقنا هذا بالبعث وتكذيب قرناء السوء في الدنيا {هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} لهو النجاح والفوز والفضل الكبير في إدخالنا الجنة وإدخالهم النار يوم القيامة كما قال تعالى: " وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ " ٧٤ الزمر.

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا  
 جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ  
 رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا كُلُونَ مِنْهَا فَمَا كُونْ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا  
 لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آباءَهُمْ ضَالِّينَ  
 ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يُرْعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ  
 أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٤﴾

{ لِمِثْلِ هَذَا } لمثل هذا الفوز بالجنة والنعيم المقيم { فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ } فليعمل  
 وليجد العاملون الذين يرغبون في دخول الجنة بالعمل الصالح وفي طاعة الله تعالى  
 { أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا } هل ذلك النعيم في الجنة والخلود فيها أفضل منزلاً { أَمْ شَجَرَةُ  
 الزُّقُومِ } أم أفضل من الجنة ونعيمها شجرة الزقوم وهي شجرة في جهنم يأكلها  
 الآثمون والمذنبون { إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً } جعلها الله تعالى عذاباً وعقاباً { لِلظَّالِمِينَ }  
 للظالمين أنفسهم بالكفر والشرك كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤  
 البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. { إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي  
 أَصْلِ الْجَحِيمِ } إن شجرة الزقوم هي عبارة عن شجرة تنبت في وسط نار جهنم  
 { طَلْعُهَا } ثمرها وعنقودها وقنوها { كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ } منظره مرعب كأنه في  
 وصفه كرؤوس الشياطين أي منظرها مفرع فالشياطين شعرها يكون منفوشاً ومنكوشاً  
 ومخيفاً ومفرعاً ومرعباً. فهذا منظرها مفرع ومرعب فما بالك بأكلها وطعمها ومرارها  
 وشوكها وشدة حرها { فَإِنَّهُمْ لَا كُلُونَ مِنْهَا فَمَا كُونْ مِنْهَا الْبُطُونَ } فإن الكفار



سيأكلون من شجرة الزقوم حتى يشبعوا ويملأوا بطونهم وذلك لشدة جوعهم يأكلون شجرة الزقوم بمرارتها وعضاضتها وخصاضتها وقزازتها {ثُمَّ إِنَّ لَهُمَّ عَلَيْهَا} ثم إن لهم زيادة على أكل تلك الشجرة {لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ} شراباً شديداً الحرارة يصهر ما في بطونهم كما قال تعالى: " فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ " ٥٤ الواقعة. {ثُمَّ إِنَّ مَرَجَعَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ} ثم بعد شجرة الزقوم والشراب الحار وشدة الحر بعد كل ذلك مصيرهم جحيم عذاب جهنم الدائم أي أنهم سيستمرون في العذاب في الجحيم وكما قال تبارك وتعالى: " لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ {٦} لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ {٧} " ٧، ٦ الغاشية. وقال ابن أبي حاتم رحمه الله: حدثنا أبي حدثنا عمرو ابن مرزوق حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وقال: (اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معاشهم فكيف بمن يكون طعامه؟). [ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح - ابن كثير ج ٤ ص ١١]. {إِنَّهُمْ أَلْفَوْا} إنهم وجدوا {ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ} آباءهم وأجدادهم ضالين وغاوين وبعيدين عن الحق والهدى والطريق المستقيم وعن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وعن طاعته {فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ} فهم على خطاهم وطريقتهم وعبادتهم {يَهْرَعُونَ} يسارعون وماشون وتابعون وكما قال تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ " ١٠٤ المائدة. {وَلَقَدْ ضَلَّ} ولقد غوى وبعد عن الحق وعن الهدى وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {قَبْلَهُمْ} ممن سبقهم من الأولين {أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ} أغلب

السابقين {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} ولقد بعثنا {فِيهِمْ} في السابقين من الأمم والأقوام السابقة {مُنذِرِينَ} رسل الله تعالى يحذرونهم من الإشراف بالله تعالى وعبادة غيره من الأصنام والأوثان فمن فعل ذلك فله عذاب جهنم يوم القيامة {فَأَنْظُرْ} فشاهد يا محمد يا رسول الله بعينيك {كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ} كيف كان مصير ونهاية {الْمُنذِرِينَ} المحذرين من الإشراف بالله تعالى ومن عقاب الله تعالى لهم يوم القيامة في نار جهنم {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ} إلا عباد الله تعالى الصالحين والمخلصين عبادتهم وطاعتهم لله تعالى وحده لا شريك له فهم أهل الجنة يدخلونها يوم القيامة لإخلاص عملهم وطاعتهم لله تعالى.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

{وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ} ولقد نادى نوح عليه السلام ربه: " أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ " ١٠ القمر. {فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ} فنعم وأفضل وأحسن من يجيب رسوله ونبيه هو الله تعالى فإذا قال العبد يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي فكيف برسوله إذا دعاه وهو نوح عليه السلام {وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ} ونجاه الله تعالى وأنقذه من الغرق بركوبه السفينة هو وذريته ماعدا زوجته وابنه الذي قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء {مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} من تكذيب قومه له وكذلك من الطوفان والغرق {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} وجعل الله تعالى ذرية نوح عليه السلام وهم أبناؤه وهم ثلاثة

أولاد وهم سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم. وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ " قال: (سام وحام ويافث). [ابن كثير ج ٤ ص ١٢]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم). [ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة به - ابن كثير ج ٤ ص ١٢]. والمراد بالروم هم الروم الأول وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ثم روي من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال ولد نوح عليه السلام ثلاثة سام ويافث وحام وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وولد حام القبط والسودان والبربر وروي عن وهب بن منبه نحو هذا والله تعالى أعلم. [ابن كثير ج ٤ ص ١٢]. {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} أي جعل الله له ذرية باقية من الآخرين إلى يوم القيامة أي جعل له خلفاً من الذرية ولم يقطعه منها {سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ} فجميع الأمم تسلم على سيدنا نوح عليه السلام في جميع الأمم اللاحقة ويذكر بالثناء الحسن وبالخير ويسلم عليه ويقال نوح عليه السلام أي لا يذم من الأمم ومن جميع العالم حتى الكفار منهم لأنه الأب الثاني بعد آدم عليه السلام {إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي} والسلام على نوح عليه السلام هو التحية والمديح والثناء الحسن والسيرة الحميدة في جميع الأمم التي جاءت من بعده وهكذا يفعل الله تعالى ويجزي ويثيب أمثاله {الْمُحْسِنِينَ} بالأعمال الصالحة والمخلصين

طاعتهم وعبادتهم لله تعالى {إِنَّهُمْ} إنه نوح عليه السلام {مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} إنه من عباد الله تعالى المصدقين والموحدين بالله تعالى ولا يعبدون غيره {ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ} ثم بعد أن نجى الله تعالى من الغرق نوحاً عليه السلام وذريته أغرق الباقي وهم جميع من كفر بالله تعالى وبرسالة نوح عليه السلام من قومه انتقاماً منهم لكفرهم بالله تعالى وجحودهم برسالة نوح عليه السلام.

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٢﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفِيكَأَ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَتَّكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أتعْبُدُونَ مَا تَنَحْتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبُنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْحِكُ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ ﴿١٠٣﴾ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٤﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٥﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّابِرْهُمَا ﴿١٠٦﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٧﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٨﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٩﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٠﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١١﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٢﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَبَرَكَاتٍ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ وإن من أتباع وورثة ومنهاج ومذهب وسنة واقتفاء أثره ومن حزب نوح عليه السلام ولده إبراهيم عليه السلام ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ﴾ إن توجه إلى ربه وخالقه الله تعالى ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ بقلب مطيع مُعَافَى سليم من الشرك والكفر والمعاصي والذنوب ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ إن قال إبراهيم عليه السلام

لأبيه آزر وقومه وهم قوم النمرود بالعراق {مَاذَا تَعْبُدُونَ} سؤالاً استنكارياً قائلاً ما هي عبادتكم وماذا تعبدون {أَيْفَكًا} أَيْفَاءً وكذباً واختلاقاً تعبدون {ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ} آلهة وأصناماً وأوثاناً من دون الله تريدون وتطلبون عبادتها {فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ} فما هو تخيلكم وما تفكيركم بالخالق الله تعالى رب وإله وخالق {الْعَالَمِينَ} جميع الخلق وجميع العالم {فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ} فنظر إبراهيم عليه السلام إلى السماء في حيلة كأنه يقرأ النجوم والكواكب والأبراج كما يفعل قومه وكانوا يستطلعون أخبارهم من الكوارث والزلازل والقحط والأمراض والحروب من استطلاع النجوم وقراءة الفلك {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ} فقال لهم إني رأيت في النجوم وقرائتها بأنه مريض ولا يستطيع الخروج معهم في الاحتفال بعيدهم السنوي خدعة منه حتى يبقى خلفهم ولا يخرج معهم {فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ} فتركوه وخرجوا حيث أنه من قراءة النجوم سقيم ومريض ومعتل في هذا اليوم. وهذه إحدى الكذبات الثلاثة التي كذبها إبراهيم عليه السلام في طاعة الله تعالى وكما قال صلى الله عليه وسلم: (الحرب خدعة) وهو يريد بهذه الكذبة والخدعة تكسير أصنامهم التي يعبدونها من دون الله تعالى. والكذبات الثلاثة هي كما في الحديث الذي رواه ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثني هشام عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله تعالى قوله: "إِنِّي سَقِيمٌ" وقوله: "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا" وقوله في سارة: هي أختي). [حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق - ابن كثير ج ٤ ص ١٣]. {فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ} فذهب إلى أصنامهم من بعد خروجهم للاحتفال بعيدهم {فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} فقال إبراهيم عليه

السلام للأصنام والطعام موضوع بين أيدي الآلهة وقد قال القوم بعد أن وضعوا الطعام بين يدي الآلهة عندما نرجع تكون الآلهة باركت طعامنا فنأكله وهنا إبراهيم عليه السلام يسخر من الأصنام مستهزئاً فقال لهم ألا تأكلون الطعام الذي بين أيديكم { مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ } ما لكم لا تتكلمون أيتها الجمادات ساخراً بهم { فَرَاغَ عَلَيْهِمْ } فأقبل عليهم بثورة المؤمن وثار عليهم { ضَرْبًا بِالْيَمِينِ } يكسرهم بيده اليمنى لما فيها من قوة وعزم في التكسير { فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ } فأقبل قومه من عيدهم فوجدوا أصنامهم قد كسرت فتجمهروا على إبراهيم عليه السلام { يَزِفُونَ } يسبون ويشتمون ويلعنون والذف يكون غالباً للعريس ليلة عرسه يجتمع عليه أعداد كبيرة من الناس يهللون ويغنون طرباً وفرحاً ولكنهم هنا يزفونه بالسباب والشتائم واللعان { قَالَ } قال إبراهيم عليه السلام { أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ } قال ساخراً منهم هل تعبدون أصناماً تنحتونها بأيديكم وتشكلونها بطريقتكم { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ } والله تعالى هو الذي خلقكم { وَمَا تَعْمَلُونَ } وما تعملون وتنحتون من الأصنام والأوثان لأن الصخور هي من خلق الله تعالى { قَالُوا } قال قومه وهم قوم النمرود أهل العراق { أَبْنَاءُ لَهُ بَنِينًا فَالْقُوهُ } عندها اغتاز قومه منه وقالوا ابنوا له سوراً حول مكان تضعون فيه الحطب والأخشاب وتضرموا فيه النيران ثم ألقوه { فِي الْجَحِيمِ } في شدة النار وحرارتها واشتعالها حتى يحرق ولا يبقى له أثر من شدة غيظهم على إبراهيم عليه السلام { فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا } فأرادوا بإبراهيم عليه السلام انتقاماً وهلاكاً { فَجَعَلْنَاهُمْ أَلسْفَلِينَ } فأحبط الله عملهم وكيدهم وجعلهم مقهورين ومنحطين في أعين الناس في الدنيا وجعلهم في الحضيض لحقارتهم وجهلهم ولفشلهم في حرق إبراهيم عليه السلام وقد نجاه الله تعالى من النار بقوله تعالى: " يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا

وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ " {وَقَالَ} وقال إبراهيم عليه السلام بعد أن ترك قومه ببلاد العراق وذهب وهاجر إلى بلاد الشام بفلسطين {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي} إني ذاهب إلى عبادة ربي {سَيِّدِينَ} سينجيني ويهديني لطاعته ومرضاته ومكان طيب أتوجه إليه {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} ثم دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يهب له الذرية الصالحة {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ} فبشره الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام بأنه سيكون له غلام {حَلِيمٍ} متعقل وليس شرساً ولا صعباً بل سهلاً وهو إسماعيل عليه الصلاة والسلام من أمنا المصرية هاجر عليها السلام {فَأَمَّا بَلَّغُ مَعَهُ السَّعَى} فلما بلغ إسماعيل عليه السلام سن الذهاب مع أبيه ويمشي معه وكبر وترعرع وبدأ يعقل وقيل أنه لما بلغ إبراهيم عليه السلام بإسماعيل عليه السلام مكان السعي لرمي الجمرات بمنى {قَالَ} قال إبراهيم عليه السلام لإسماعيل {يَبْنِيْٓ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ} قال إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل إني قد رأيت رؤيا في المنام أني أذبحك فداءً وقرباناً لله تعالى فما رأيك في ذلك ولذلك جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (أنا ابن الذبيحين) وهما إسماعيل عليه السلام وعبد الله والد الرسول عليه الصلاة والسلام {قَالَ} قال إسماعيل عليه السلام {يَتَأَبَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ} وهنا يتجلى قوله تعالى: " فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ " حيث قال لوالده إبراهيم عليه السلام اعمل ما أمرك الله به {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} أي سأصبر وأحتسب كيف لا وهو نبي ابن نبي {فَلَمَّا أَسْلَمَا} فلما استسما إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل إلى حكم الله تعالى وأرادا تنفيذ حكم وأمر الله تعالى {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} أي أراد ذبحه وتنفيذ



أمر الله تعالى {وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَتَابِرْ إِبْرَاهِيمُ} وناداه الله تعالى بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {قَدْ صَدَقْتَ الرَّءْيَى} إنه قد أردت تنفيذ رؤياك في المنام وتريد فعلاً تطبيقها {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي} وهكذا يثيب ويكافئ الله تعالى {الْمُحْسِنِينَ} المخلصين أعمالهم وطاعتهم لله تعالى {إِنَّ هَذَا} إن هذا الأمر بذبح إبراهيم عليه السلام لولده إسماعيل وهو شيخ كبير {هُوَ الْبَلْتَأُ} لهو المصيبة والاختبار {الْمُبِينُ} العظيم والكبير {وَفَدَيْنَهُ} وفدى الله تعالى إسماعيل عليه السلام {بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} أي بكبش عظيم ليس به سوء فهو أقرن أملح وهو الكبش الذي قدمه هابيل قرباناً لله تعالى لقوله تعالى: " وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ " ٢٧ المائدة. والذبيح هو إسماعيل عليه السلام لقوله تعالى: " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا " ٥٤ مريم. وأن إسماعيل عليه السلام هو الذي كان يسكن بجوار البيت لقوله تعالى: " وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " ١٢٥ البقرة. وقال تعالى: " وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " ١٢٧ البقرة. وهذا ما يؤيد قوله تعالى: " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ " ١٠٢ الصافات. زيادة على قوله صلى الله عليه وسلم: (أنا ابن الذبيحين إسماعيل وعبد الله ابن عبد المطلب - أي والده). {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} وتركنا خلف إبراهيم عليه السلام الذرية الطيبة ومن سلالته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من إسماعيل (أبو العرب) وكذلك ترك خلفه السمعة

الحسنة والطيبة وكذلك بعدم ذبح الأبناء بل الأضاحي كل عام في عيد الأضحى المبارك فداءً لإسماعيل عليه السلام {سَلِّمْ عَلَيَّ إِِبْرَاهِيمَ} السلام والتحية على سيدنا إبراهيم عليه السلام ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى سيدنا إبراهيم في كل صلاة في التشهد الأخير لكل صلاة ونسلم على إبراهيم عليه السلام دائماً عند ذكره {كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} كذلك يثيب الله تعالى ويكافئ المخلصين أعمالهم وطاعتهم وعبادتهم لله تعالى {إِنَّهُم مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} إن إبراهيم عليه السلام من عباد الله تعالى المصدقين بعبادته وطاعته وتوحيده سبحانه وتعالى {وَدَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} وهنا يؤكد سبحانه وتعالى أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام حيث سرد قصته وذبحه ورؤيا إبراهيم ثم الآن يتكلم عن المولود الثاني وهو إسحاق عليه السلام بقوله تعالى: " وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ " أي أن الله تعالى بشر إبراهيم عليه السلام بواسطة الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه السلام عندما أرسلوا لهلاك قوم لوط بشره بإسحاق عليه السلام من سارة فهو نبي الله ورسوله وهو من الصالحين الذين صلحت عبادتهم وطاعتهم في مرضاة الله تعالى {وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ} وجعل الله البركة في إبراهيم عليه السلام {وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ} جعل البركة في إبراهيم عليه السلام بذرية من الأنبياء وهم إسماعيل أبو العرب وأبو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإسحاق نبي الله ورسوله ومن ذرية إسحاق يعقوب نبي ورسول ومن يعقوب يوسف عليهما السلام نبي ورسول كذلك. أي أن البركة المقصودة هي البركة في الذرية ولذلك نبارك في التشهد الأخير في الصلاة الإبراهيمية ونطلب البركة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ذريته وأمته وفي الحسن والحسين ثم في المهدي الذي يأتي آخر الزمان فيصلح الله تعالى الأمة على يديه وذلك مثلما بارك الله تعالى في ذرية إبراهيم عليه

السلام {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا} ومن ذرية إبراهيم وإسحاق عليهما السلام {مُحْسِنٌ} يعمل بطاعة الله تعالى ورضوانه {وَوَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} أي يظلم نفسه بالشرك والكفر {مُؤْمِنٌ} عظيم كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال النصارى المسيح ابن الله.

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَخَجَّيْنَهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

{وَلَقَدْ مَنَّا} ولقد تفضلنا وأجزلنا العطاء وأكثرناه {عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ} على موسى بن عمران وأخيه هارون بالنبوة والرسالة والتأييد لهما {وَوَجَّيْنَهُمَا وَقَوْمَهُمَا} ونجاهم الله تعالى هما وقومهما من بني إسرائيل من كيد فرعون ملك مصر وقومه {مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ} من الهم والغم والمحنة والمصيبة الكبيرة حيث كان فرعون يستحيي نساء بني إسرائيل ويقتل أبناءهم ويستعبدهم ويقهرهم في طاعته ويذلهم {وَنَصَرْنَاهُمْ} فقد نصر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بأن أنجاهما وقومهما من بطش فرعون وقومه {فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ} فكان موسى عليه السلام وقومه هم المنتصرين والغلبة لهم من الله تعالى وذلك بغرق فرعون وقومه ونجاة موسى وقومه {وَآتَيْنَهُمَا} وأعطى الله تعالى لموسى وهارون {الْكِتَابَ} كتاب التوراة {الْمُسْتَبِينَ} البين والواضح في أوامره ونواهيه وهدييه وحكمه {وَهَدَيْنَاهُمَا} وهدى الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}

الطريق المستقيم الواضح وهو الرسالة والنبوة وعبادة الله تعالى وحده {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ} وترك الله تعالى على موسى وهارون في الأمم اللاحقة والمتأخرة سمعة حسنة وطيبة وحميدة وعطرة تفوح كالمسك {سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ} سلام وأمان وتحية واطمئنان ومدح وثناء وسيرة حسنة طيبة على موسى وهارون عليهما السلام {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي} كذلك يثيب ويكافئ الله تعالى {الْمُحْسِنِينَ} المخلصين أعمالهم في طاعة الله تعالى ومرضاته وعبادته وحده لا شريك له {إِنَّهُمَا} إن موسى وأخاه هارون عليهما السلام {مِنَ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} من عباد الله تعالى الموحدين والمصدقين والمؤمنين بعبادة الله تعالى وحده وبوحدانيته سبحانه وتعالى.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٢﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٧٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٧٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٧٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٧٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٧٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّا سِينَ ﴿١٨٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

{وَأَنَّ إِلْيَاسَ} وإن إلياس عليه الصلاة والسلام {لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} هو نبي ورسول أرسله الله تعالى إلى قومه من الأمم السابقة. وكان إلياس نبياً مرسلًا من سبط يوشع بن نون (وكان يوشع بن نون عليه السلام خليفة موسى من بعده) بعثه الله تعالى إلى أهل بعلبك وكان اليسع تلميذ إلياس وخليفته من بعده. [تنبيه الغافلين ج ٢ ص ٦٧]. {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ} قال إلياس عليه السلام لقومه

الذين أرسل إليهم ألا تخافون الله تعالى وتخشونه وتعبدونه وحده {أَتَدْعُونَ} أتعبدون وتطلبون منه قضاء حوائجكم {بَعْلًا} وهو صنمهم الذي اتخذوه رباً يعبدونه {وَتَذَرُونَ} وتَدَعُونَ وتتركون {أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} أفضل الخالقين والصانعين والمبدعين وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو الذي خلق السموات السبع والأرض وما فيهم {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {رَبِّكُمْ وَرَبِّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ} فهو سبحانه وتعالى ربكم وخالقكم ورب آبائكم وأجدادكم السابقين {فَكَذَّبُوهُ} فلم يصدقوه {فَأَنبَتَهُمْ لِمُحَضَّرُونَ} فإنهم يوم القيامة سيُحضرون إلى جهنم وبئس المصير {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ} ما عدا عباد الله {الْمُخْلِصِينَ} الصالحين والمتقين والنقيين والطاهرين من الكفر والشرك وعبادة الأصنام {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ} وتركنا على سيرة وسمعة نبي الله ورسوله إلياس عليه السلام {فِي الْأَخْرِينَ} في المتأخرين أنه نبي الله ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة {سَلَّمَ عَلَيَّ} تحية وأمان واطمئنان ومدح وثناء وسيرة طيبة وحسنة وحميدة وعطرة على {إِلَإِ يَاسِينَ} وهو إلياس عليه السلام وهذا من نوع المدح والمداعبة والتكريم وهي كما يقال لمن اسمه إسماعيل سمعة أو سعيد يقال له السعيد أو من كنيته أبو عبد الرحمن أو أبو عبد الرحيم أو نحو ذلك يقال له أبو العبد {إِنَّا كَذَّالِكُ} نَجَزِي} وهكذا يثيب الله تعالى ويكافئ عباده {الْمُحْسِنِينَ} المخلصين أعمالهم وطاعتهم وعبادتهم لله تعالى وحده لا شريك له {إِنَّهُ مِنَّ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} إن إلياس عليه السلام من عباد الله تعالى المصدقين بعبادة الله تعالى وطاعته وتوحيده سبحانه وتعالى وحده لا شريك له.

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي  
الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنَكْمُرُ لَكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

{ وَإِنَّ لُوطًا } وإن لوطاً عليه السلام وهو ابن عم إبراهيم عليه السلام وهو أخو سارة عليها السلام قدِم من العراق مع إبراهيم عليه السلام بعد أن صدقه وطرده قومه { لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } أرسله الله تعالى إلى قومه الذين يأتون الفاحشة الذكور بالذكور في الأدبار { إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ } إذ نجاه الله تعالى هو وأهل بيته كلهم أجمعين من الخسف لقومه { إِلَّا عَجُوزًا } وقد خسف الله بقريتهم فجعل عاليها سافلها ونجا الله لوطاً عليه السلام وأهله إلا زوجته وكانت عجوزاً { فِي الْغَابِرِينَ } في الهالكين والمدمرين ومن سبق عليهم القول والعذاب { ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ } وكذلك دمر الله تعالى جميع قوم لوط وقريتهم التي جعل عاليها سافلها { وَإِنَّا لَنَكْمُرُ لَكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ } وإنكم لتمرون وتمشون بجانب بلدتهم وقبورهم المدمرة { مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ } أي صباحاً ومساءً ترون قريتهم المدمرة وقبورهم بالقرب من البحر الميت { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } أفلا تتعظون وتتعلقون وتفهمون ما حلّ بقريّة لوط الموجودة الآن بالأردن شرق أريحا بالقرب من البحر الميت.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ٣٦ ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ ٤٠ ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ٤١ ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ٤٢ ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ ٤٣ ﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ٤٤

﴿ فَتَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ٤٥ ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ ٤٦ ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ

مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ٤٧ ﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ٤٨ ﴿

{وَإِنَّ يُونُسَ} وإن يونس بن متى عليه السلام {لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} هو نبي الله ورسوله أرسله الله تعالى إلى قومه أهل نينوى بأرض الموصل بالعراق إذ دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وحده فأبوا وأنكروا وجحدوا رسالته {إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ} فهرب من قومه لعصيانهم له والتجأ إلى السفينة المملوءة والتي تحمل الناس والبضاعة وكانت ممتلئة فركب بها ولكنها لحمولتها الزائدة كادت أن تغرق {فَسَاهَمَ} فعندها طلب أهل السفينة أن يقرعوا القرعة على واحد من السفينة ومن تَخْرَجَ عليه القرعة يلقي نفسه في البحر لينجو الباقي من السفينة فاقترعوا فيما بينهم فخرج السهم على يونس عليه السلام ثلاث مرات {فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ} فكان من الخاسرين حيث وقعت القرعة عليه فألقى يونس عليه السلام نفسه في البحر {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ} فابتلعه الحوت {وَهُوَ مُلِيمٌ} وهو يلوم نفسه على تركه لقومه وبدون أن يأمره الله تعالى بذلك لأنه رسول مُسَيَّرٌ وليس مخيراً {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} فلولا تسبيح يونس عليه السلام بقوله: " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " لمكث في بطن الحوت ومات حتى يُبعث يوم القيامة {فَتَبَدَّنْهُ} فقذفه الحوت {بِالْعَرَاءِ}

بالساحل {وَهُوَ سَقِيمٌ} وهو معتل الجسم مريض وذلك من شدة خوفه بمصيره ومن ابتلاع الحوت له وما ترتب عليه في بطن الحوت من ضيق وخلافه. قال محمد ابن إسحاق بن يسار عن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخذش له لحماً ولا تكسر له عظماً فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه ما هذا؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت أن هذا تسبيح دواب البحر قال وسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تعالى: " وَهُوَ سَقِيمٌ ". [ورواه ابن جرير ورواه البزار في مسنده من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة فذكره بنحوه ثم قال لا يعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد - ابن كثير ج ٣ ص ١٩٢]. وروى ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب ثنا عمي حدثني أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه قال سمعت أنس بن مالك ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يونس النبي عليه السلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذلك؟ قالوا لا يا رب ومن هو؟ قال عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يُرْفَعُ له عمل متقبل ودعوة



مجابة قالوا يا رب أولاً ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه في العراء. [ابن كثير ج ٣ ص ١٩٢]. {وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً} بعد أن قذفه الحوت من جوفه إلى الساحل أنبت الله تعالى بجواره وهو مريض شجرة {مِّن يَّقْطِينٍ} وهو القرع الأصفر لتظله وليأكل من ثمارها وهي شجرة الدباء {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} وأرسل الله تعالى يونس عليه السلام بعد شفائه إلى قومه وهم مائة ألف أو زيادة {فَعَامَنُوا} فصدقوا برسالة يونس عليه السلام جميعهم {فَمَتَّعْنَاهُمْ} فمتعهم الله تعالى بالإيمان وبالحياة الراغدة الكريمة {إِلَى حِينٍ} إلى حين انتهاء آجالهم وموتهم.

﴿ فَاسْتَفْتِهِمَ الرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٦﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٤٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٤٨﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤٩﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٠﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥١﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٣﴾ فَآتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا ﴿١٥٥﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٦﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٥٨﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٥٩﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦١﴾ ﴾

{فَاسْتَفْتِهِمَ} فاستفتهم واسألهم يا محمد يا رسول الله ليفتوك ويخبروك {الرِّبِّكَ} الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ} هل لربك أن يلد بناتٍ وهم لهم الأولاد من الذكور كما قال تعالى: " أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى " ٢١ النجم. علماً أنه إذا جاءت أحدهم مولودة أنثى اسود وجهه لقوله تعالى: " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا

وَهُوَ كَظِيمٌ " ٥٨ النحل. وحاشا لله أن يكون له ولد كما قال تعالى: " لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ " ٣ الإخلاص. { أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ } أم خلق الله تعالى الملائكة بنات وهم حاضرون ولادتهم فالملائكة عباد الرحمن خلقهم من نور وهم عباد مكرمون وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم يسبحون ربهم ولا يفترون عن عبادته { أَلَا } هي حرف يفتح به الكلام للتنبيه { إِنَّهُمْ } الكفار والمشركون { مِّنْ إِفْكِهِمْ } من كذبهم واختلاقهم وتخريصهم { لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهِ } يقول الكفار ولد الله وجاءه ولد كما قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى عيسى ابن الله { وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } وإنهم لكاذبون في ادعائهم لأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه " لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ " { أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ } فهل الله تعالى لو أراد الولد يختار البنات من دون الأولاد الذكور وانتم الواحد منكم إذا بُشِّرَ بالأنثى يسود وجهه وهم كظيم { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } أي لو اختار الله تعالى بأن يكون له ولد هل يفضل الإناث على البنين وعلى الذكور فالله لم يلد ولم يولد ما أصابكم وما دهاكم كيف تحكمون بذلك { أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } أفلا تتعظون من خلق الله تعالى للسموات والأرض وجميع الكون من ملائكة وإنس وجن بقدرته وبدون شريك وأنه غني عن الولد وغني عن العالمين { أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ } أم هل عندكم بيان واضح وشيء أكيد وحجة بينة واضحة بأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه له ولد { فَآتُوا بِكِتَابِكُمْ } إن كنتم صادقين { فَآتُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِكِتَابِكُمُ السَّمَاوِي الْمُنزَلِ } من عند الله تعالى يثبت ادعاءكم بأن له ولداً إن كنتم صادقين في ادعاءكم وهذا تقريع وتكذيب وتوبيخ للكفار على كذبهم { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا } لأن قريشاً كانت تزعم

أن الملائكة بنات الله وأمهاتهم من الجن وهذا هو النسب في زعمهم {وَلَقَدْ عَلِمْتِ  
 الْجِنَّةَ} ولقد علمت الجن وتأكدت {إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} إن الجن لمحضرون يوم  
 القيامة عند الله تعالى للحساب مثل باقي الخلق فالمؤمن منهم يدخل الجنة والكافر  
 والمشرك وهو الشيطان يدخل النار {سُبْحَانَ اللَّهِ} تنزهه وتقدس وتعالى وترفع {عَمَّا  
 يَصِفُونَ} عما يقولون ويدعون ويختلقون ويتخرصون ويكذبون {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلِصِينَ} ما عدا عباد الله تعالى الصالحين والمنقيين والمخلصين أعمالهم وطاعتهم  
 وعبادتهم لله تعالى وحده لا شريك له فإنهم ينكرون الإشراك بالله تعالى وما ينسب  
 له من الصاحبة والولد {فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ} فإنكم أيها الكفار والمشركون وما  
 تعبدون من الأصنام {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ} فما أنتم على عبادتكم من الأصنام {بِفِتْنَيْنِ}  
 بمغرين ولا غاوين ولا مضلين أحداً غيركم {إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ} إلا من هو  
 مثلكم ممن يدخل جهنم وجحيمها وحرها وشدة عذابها.

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١١٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١١٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١١٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١١٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١١٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلِصِينَ ﴿١١٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ} وما من أحد من الملائكة إلا له موضع مخصوص في  
 السماوات أو في مقام العبادات. قال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد بسنده  
 إلى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال يوماً لجلسائه: (أطت السما وحق لها أن تنط ليس فيها  
 موضع قدم إلا عليه ملك راعع أو ساجد). ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: " وَمَا مِنَّا  
 إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ \* وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ \* وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ " وقال الضحاك

في تفسيره: " وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ " قال كان مسروق يروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم) فذلك قوله تعالى: " وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ " وقال الإمام الأعمش عن أبي إسحاق عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن في السماوات لسماء ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماء. ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه: " وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ " وكذا قال سعيد ابن جبير. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٣]. وهذا هو قول الملائكة رداً على المشركين. وقيل أنه في ليلة الإسراء والمعراج وقف جبريل عليه السلام عند الحجاب الأكبر عند سدرة المنتهى وقال يا محمد تقدم فقلت له بل أنت تقدم قال يا محمد لا ينبغي لأحد أن يتجاوز هذا المكان وفي رواية أنه قال " وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ " ولو تقدمتُ بخرم إبرة لاحتقرتُ بنور القدرة. {وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ} وأن الملائكة ليصطفون للصلاة صفوفاً صفوفاً لقوله تعالى: " وَالصَّافَّاتِ صَفًّا " . وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا تَصُفُّونَ كما تصف الملائكة عند ربهم؟) قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال صلى الله عليه وسلم: (يُتَمَّونَ الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف). [ابن كثير ج ٤ ص ٢]. {وَأِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} وكذلك تقول الملائكة ونحن نسبح الله تعالى كما قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ " ٢٠٦ الأعراف. وكما قال تعالى: " وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ " ٧٥ الزمر. {وَأِن كَانُوا} وإن كان كفار قريش {لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّا عِنْدَنَا} كانوا يقولون قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم لو أن عندنا {ذِكْرًا} كتاباً سماوياً {مِّنَ الْأَوَّلِينَ} من السابقين مثل التوراة والإنجيل {لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ} لكننا عباد الله الصالحين والمخلصين أعمالهم وطاعتهم وعبادتهم لله تعالى {فَكْفَرُوا بِهِ} ولما آتاهم الله تعالى القرآن الكريم جحدوا به وأنكروه وكذبوا به وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم للقرآن الكريم ولرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم بيوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا} ولقد تقدمت وحكمت وسبقت كلمة الله تعالى عدلاً وصدقاً وهي وعده {لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} لعباده رسل الله تعالى {إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ} إنهم لهم المنتصرون على أعدائهم مهما طال الوقت أو الزمن فالنهاية تؤكد نصرهم {وَإِنَّ جُنَدَنَا} وأن جند الله من المؤمنين {لَهُمُ الْغَالِبُونَ} فإن لهم الغلبة والنصر والتأييد من الله تعالى فقد نصرهم في معركة بدر الكبرى وغيرها ويوم فتح مكة {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} فأعرض عن الكفار {حَتَّىٰ حِينٍ} حتى وقت أن يهزمهم الله تعالى كما في معركة بدر وفتح مكة أو يهلكهم الله تعالى بالموت أو في الحرب تظفر بهم وتنتصر عليهم {وَأَبْصَرَهُمْ} وأبصرهم بنظرك يا محمد يا رسول الله وشاهدهم وما يحل بهم من الهزيمة والأسر {فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} فسوف يبصرون ذلك ويرونه

بأعينهم كما قد تم قتل سبعين وأسر سبعين رجلاً منهم في معركة بدر {أَفْبَعَدَآئِنَا  
يَسْتَعْجِلُونَ} فهل بعذاب الله تعالى يستعجلون ويطلبون أن يحل بهم العذاب  
سريعاً {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ} فإذا نزل العذاب بهم إما بالموت أو بالحرب {فَسَاءَ}  
فقبح {صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ} فقبح صباح ونهار الذين حُذروا من عذاب الله تعالى  
عندما يفاجئهم حرب المسلمين كيهود خيبر {وَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ} وأعرض عنهم {حَتَّى  
حِينَ} حتى ياتي وقت عذابهم بالحرب أو الموت أو الهلاك {وَأَبْصُرًا}  
وشاهد يا محمد يا رسول الله ببصرك ما يحل بهم {فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} فسوف  
يشاهدون الهزيمة والعذاب والهلاك بأعينهم. ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث  
إسماعيل ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضي الله عنه قال: صَبَّحَ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا  
الجيش رجعوا وهم يقولون محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه  
وسلم: (الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين).  
[ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد عن أنس رضي الله عنه - ابن كثير  
ج ٤ ص ٢٥].

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

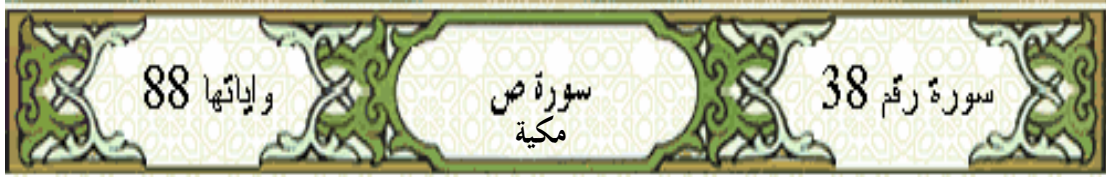
{سُبْحَانَ} تنزهه وتقدس وتعالى وترفع {رَبِّكَ} ربك وإلهك وخالقك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يا محمد يا رسول الله {رَبِّ الْعِزَّةِ} فهو إله العزة والقوة والمنعة والعلو والارتفاع والجاه والجلال {عَمَّا يَصِفُونَ} عما يصفه الكفار بأن له ولداً أو له شريكاً في الملك من الأصنام والأوثان والأنداد {وَسَلَامٌ} وسلام من الله تعالى وأمان وتحية {عَلَى الْمُرْسَلِينَ} على رسل الله تعالى جميعهم. قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين فأنا رسول من المرسلين). هكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه الله فقال: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو بكر الأعمش ومحمد ابن عبد الرحيم صاعقة قالوا حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس ابن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا شيبان عن يونس بن أبي إسحاق عن الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سره أن يكتال بالميال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم: "سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ". [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥]. {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ} والشكر والثناء لله تعالى {رَبِّ} رب وخالق

وإله {الْعَالَمِينَ} جميع العوالم والمخلوقات عالم الملائكة والجن والإنس والطيور والحيوانات والدواب والحشرات وعالم البحار.

روى الطبراني من طريق عبد الله بن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال دبر كل صلاة: "سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ثلاث مرات فقد اکتال بالجريب الأوفى من الأجر). والجريب هو مكيال. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥].

وقد وردت أحاديث في كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. [ابن كثير ج ٤ ص ٢٦].





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَعَلَّاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقَ الْأَمْلَاءُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آهَاتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَمَلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا آخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوْقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

{ص} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات آيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (انظر آية كذا) وهي مجمل واختصار آيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبية حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول

قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تكون القرآن من هذه الحروف العربية لذكرت في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاس لا يعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (ص) هو قوله تعالى: " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " ١٥٣ الأنعام. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {وَالْقُرْآنُ} وحق القرآن كتاب الله تعالى وهو {ذِي الذِّكْرِ} وهو ذو الموعدة كما قال تعالى: " فَذَكَّرُوا " ٩ الأعلى. {بَلِ} ولكن {الَّذِينَ كَفَرُوا} الذين جحدوا وأنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله

واليوم الآخر { فِي عِزِّقٍ } في عناد وغرور و صلف واستكبار واستعلاء { وَشِقَاقٍ } واختلاف وتباين وبعده وفرقة وتناحر وعناده { كَمَرٌ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ } كم دمّرنا وأهلكنا وأمتنا ممن قبلهم من القرون من الأمم السابقة ممن سبقهم لما كذبوا رسل الله تعالى { فَنَادَوْا } فنادى الكفار ودعا بعضهم بعضاً إلى الهرب والفرار من عذاب الله تعالى { وَوَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ } وكرروا النداء والفرار ولكنهم لم يفلحوا في النجاة فليس ساعة يحين هلاكهم وعذابهم نجاة كما قال تعالى: " يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ " ٣٣ غافر. { وَوَعَجِبُوا } ودهشوا { أَنْ جَاءَهُمْ } أن أتاهم { مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ } أي رسول منهم وليس من الملائكة بل من قومهم لينذرهم ويحذرهم يوم التلاق أي يوم القيامة من الحساب والعذاب في ذلك اليوم { وَقَالَ الْكٰفِرُونَ } وقال الكفار الجاحدون والمكذبون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { هٰذَا } أي محمد صلى الله عليه وسلم { سٰحِرٌ كٰذِبٌ } أي متعلم السحر كذاب ومفتر ومختلق { أَجْعَلُ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّاحِدًا } فهل جعل الآلهة من الأصنام كلها في إله واحد هو الله تعالى فقط وترك آلهتهم وأصنامهم كاللات والعزى وهبل وغيرها من الأصنام والأوثان وباقي معبوداتهم الأخرى { إِنَّ هٰذَا } إن عبادة إله واحد فقط وهو الله تعالى وترك باقي الآلهة من الأصنام { لَشَيْءٌ عٰجَبٌ } لشيء عجيب وكله عجب { وَأَنْطَلَقَ } وذهب وانتشر وتفرق { الْمَلَأَ } القوم والجماعة { مِنْهُمْ } من الكفار { أَنْ أَمْشُوا } أن اذهبوا واستمروا على ما أنتم عليه { وَأَصْبِرُوا } عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ } واصبروا على عبادة آلهتكم من الأصنام والأوثان { إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ } إن هذا الشيء وهو عبادة الله تعالى وحده وهذا القرءان لشيء يراد به

إضلالكم عن عبادة آلهتكم من الأصنام والأوثان { مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِمَلَةِ الْأَخِرَةِ }  
لم نسمع من آبائنا وأجدادنا أن الآلهة هي إله واحد وكما قال تعالى: " وَإِذَا قِيلَ  
لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا  
يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ " ١٧٠ البقرة. { إِنَّ هَذَا } إن هذا محمد وما جاء به من  
القرآن وما جاء به من الدين الإسلامي { إِلَّا آخْتَلِقُ } إلا كذب وافتراء ومختلق  
اختلقه محمد { أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ } فهل أنزل عليه القرآن { مِنْ بَيْنِنَا } أي هل  
اختاره الله من دوننا ونحن السادة { بَلَّ هُمْ فِي شَكِّ } بل الكفار في ظن وعدم تصديق  
وتأكد { مِنْ ذِكْرِي } من كتابي وهو القرآن الكريم { بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ } ولكن  
دعهم يا محمد حتى يقع عليهم عذاب الله تعالى ويذوقوه ويقع بهم أي حتى  
يذوقوا عذابي يوم القيامة على كفرهم وجحودهم وعنادهم { أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ  
رَبِّكَ } أم هم في غنى عن عبادة الله تعالى وطاعة رسوله لأن عندهم خزائن الله تعالى  
التي بها رحمة ربك أي رزقه التي يرزق منها عباده وقد استغنوا بها عن عبادة  
الله تعالى { الْعَزِيزِ } القوي في ملكه وسلطانه { الْوَهَّابِ } واهب النعم لعباده وجميع  
خلقه دون سواه { أَمْرٌ لَهُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا } أم هل لهم ملكية  
السموات والأرض وما بينهما وما فيهما وبذلك استغنوا عن الله ورسوله { فَلْيَرْتَقُوا  
فِي الْأَسْبَابِ } أي فليصعدوا في طرق السموات وليطلبوا رباً غيره { جُنْدٌ مَا  
هُنَالِكَ } أي جميع الجنود ما عدا الله تعالى وجنوده { مَهْزُومٌ } فهو مهزوم { مِنْ  
الْأَحْزَابِ } من جميع الأحزاب والطوائف وسيعذبهم الله تعالى هم وجنودهم

وأصنامهم يوم القيامة لكفرهم وجحودهم وإنكارهم وتكذيبهم بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلًّا إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبَرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكَرَ عَبَدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٨﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٩﴾ وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً ﴿٢٠﴾ كُلُّ لَّهُ رَاوِبٌ ﴿٢١﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُرُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾

{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ } أي لم تصدق قبل كفار مكة { قَوْمُ نُوحٍ } قوم نوح عليه السلام { وَعَادٌ } وهم قوم هود عليه السلام { وَفِرْعَوْنُ } وفرعون ملك مصر { ذُو الْأَوْتَادِ } أي باني الأهرامات { وَثَمُودُ } وهم قوم صالح عليه السلام { وَقَوْمُ لُوطٍ } وقوم لوط عليه السلام وهو ابن عم إبراهيم عليه السلام { وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ } وهم قوم شعيب عليه السلام والأليكة هي الشجر الملتف الكثيف { أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ } هؤلاء هم الأحزاب { إِنَّ كُلًّا إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ } أي كل منهم من الأحزاب والأقوام والأمم إلا كل منهم كذب رسوله الذي أرسل إليهم { فَحَقَّ عِقَابِ } فحق ووجب عليهم عذاب الله تعالى { وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ } وما ينتظر هؤلاء الكفار { إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً } وهي صيحة نفخة البوق من قبل إسرافيل عليه السلام الموكل به وهي النفخة الأولى وهي نفخة الفرع كما جاء في الحديث الذي فيه : (يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفرع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله

ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهي التي يقول الله تبارك وتعالى: " وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " (..). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣]. {مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} ما بعدها من نجاة ولا خلاص {وَقَالُوا} وقال الكفار ساخرين ومستهزئين برسول الله تعالى ومن عذاب الله تعالى لهم {رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا} ربنا عجل لنا عذابنا وانتقم منا {قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} أي قبل يوم القيامة وذلك استهزاءً بنزول العذاب عليهم أي لم يصدقوا بنزول العذاب عليهم {أَصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ} يقول الله تعالى لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يواسيه أن تَدْرَعْ بالصبر واحتمل واصبر على ما يقولون من تكذيبك {وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ} وتذكر عبدنا داوود عليه السلام وهو نبي الله ورسوله وهو والد سيدنا سليمان عليه السلام {ذَا الْأَيْدِي} صاحب الأيدي البيضاء في الطاعة والبر وأعمال الخير والتقوى {إِنَّهُ} أَوَّابٌ} إنه طائع ويرجع بالتوبة إلى الله تعالى في جميع أحيانه {إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ} إن الله تعالى أمر الجبال وسخرها تسبح لله تعالى مع سيدنا داوود عليه السلام {بِالْعَشِيِّ} مساءً {وَالْإِشْرَاقِ} صباحاً أي بعد طلوع الشمس أي وقت الضحى حتى الزوال {وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً} والطيور محجوزة ومسجونة وتقف في كبد السماء {كُلُّ لَّهُمْ أَوَّابٌ} كل يطيعه ويرجع يستمع صوته عندما يرتل كتابه الزبور {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ} أي وثبتناه وحصنناه وحفظناه وأيدناه وآزرناه ومكنا له في ملكه وقويناه له {وَوَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ} وآتاه الله تعالى الحكمة في الرأي وفي الحكم {وَفَصَّلَ الْخِطَابِ} والفصل في الحكم عن فهم وعلم ودراية وترواً وإصابة في الحق بإلهام من الله تعالى والفصل بالحق في القضاء بين الناس.

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَإِلَى نِعَاجِهِ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهٗ فَأَسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٣﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّأَبٍ ﴿٢٤﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾

{ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ } وهل علمت يا محمد بخبر الخصم وهما الاثنان المتخاصمان والمشتكيان وهل جاءتك قصتهما { إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ } عندما دخلوا إلى المحراب عن طريق تسلق سور مسجده { إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ } وقد دخلوا على داوود عليه السلام من السور وليس من الباب وهو في محرابه وكان إذا أراد داوود عليه السلام أن يتعبد يغلق مسجده عليه ليتفرغ إلى عبادة الله تعالى وحده فلما دخل الخصمان عليه { فَفَزِعَ مِنْهُمْ } أي خاف وخشي منهم لتسلقهم عليه سور المحراب واقتحام محرابه عليه وهذا هو سبب خوف داوود عليه السلام منهم { قَالُوا لَا تَخَفْ } فلما رأوا فزعه وخوفه طمأناه وقالوا له { خَصْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ } نحن رجلان تخاصمنا واختلفنا بيننا في حكم وقضية { فَأَحْكُم بَيْنَنَا

بِالْحَقِّ} فاحكم بيننا بالعدل {وَلَا تُشْطِطْ} ولا تجر في الحق ولا تظلم {وَأَهْدِنَا  
إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ} واهدنا إلى طريق الحق والصواب والصحيح أي بين لنا من هو  
الذي فينا على الحق والصواب وقصتنا هي قال أحدهم {إِنَّ هَذَا أَخِي} إن هذا  
صاحبي {لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ} إن صاحبي هذا يملك تسعاً  
وتسعين نعجة وأنا لي نعجة واحدة أي أنتى الغنم {فَقَالَ} فقال صاحبي لي  
الذي يملك تسعاً وتسعين نعجة {أَكْفَلْنِيهَا} النعجة الواحدة أعطها لي حتى أكمل  
المائة {وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ} أي راودني وأغراني بشتى الوسائل {قَالَ} فقال له  
داود عليه السلام وهو يبين الحكم والقضاء له {لَقَدْ ظَلَمَكَ} لقد جار عليك  
واعتدى عليك وظلمك {بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ} أي بطلبه أن يضم نعجتك  
الواحدة والوحيدة إلى نعاجه التسع والتسعين {وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ} وإن أغلب  
الشركاء والخلطاء من الأصدقاء وهم من يختلط بعضهم ببعض سواء بالشركات  
والمعاملات والصدقة أو الصحبة أو المجالسة وسواء المخالطة في العمل أو السوق أو  
البيوت {لِيَبْغَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ} ليطغى ويظلم ويعتدي بعضهم على بعض في  
الغالب {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا} إلا المؤمنين وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله  
واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وخافوا الله تعالى وعملوا الصالحات من الأعمال  
في مرضاة الله تعالى {وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ} وقليل من يعمل ذلك من حفظ مال وعرض من  
يخالطه. فطار الرجلان وكانا ملكين في صفة رجلين يريدان أن يُعلِّما داوود عليه  
السلام بذنبه الذي اقترفه عن غير قصد وقد مَوَّها على داوود عليه السلام أنهما  
رجلان وهما أصلاً ملائكة والثانية أن قصة النعاج هي أيضاً تمويه والمقصود منها



الإشارة إلى الزوجات حيث كان داوود عليه السلام متزوج من تسع وتسعين زوجة. والملائكة دائماً يتشبهون ويأتون في صورة رجال كما جاء الملائكة لإبراهيم عليه السلام وقدّم لهم عجلاً حنيذاً وكما جاءوا إلى لوط عليه السلام وظن أنهم رجال وقال هذا يوم عصيب وكما جاء جبريل عليه السلام في صفة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان وعن علامات الساعة في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهكذا جاء إلى داوود عليه السلام {وَوَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ} وتأكد واعتقد داوود عليه السلام بأنه قد ابتلي بفتنة قد وقع بها وهو يظن أنه لا ذنب عليه بفعلته {فَأَسْتَغْفِرَ رَبَّهُ} فاستغفر ربه من ابتلائه وفتنته وتاب وندم ورجع إلى ربه بالتوبة والاستغفار {وَوَخَّرَ رَاكِعًا} وسجد لله تعالى سجود توبة وندم {وَأَنَابَ} ورجع بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى غفار الذنوب وهذه صفة الأنبياء والرسل والصالحين كما قال آدم وحواء عليهما السلام عندما عصى آدم ربه وأكلا من الشجرة " قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٢٣ الأعراف. وكما قال تعالى: " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ فَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِمْ وَتَرْحَمْنَا عَلَيْهِمْ " ١٣٥ آل عمران.

والقصة أنه قال داود عليه السلام يا رب ما من يوم إلا ولك فيه من آل داود صائم وما من ليلة إلا ولك فيها من آل داود قائم فقال ذلك بقوتهم أو مني؟ فقال بل منك يا رب فقال وعزتي وجلالي لأكلنك إلى نفسك سنةً فقال لا بعزتك قال شهراً قال لا بعزتك قال أسبوعاً قال لا بعزتك قال يوماً قال لا بعزتك قال لحظةً فرضي وجمع حوله ثلاثين ألف مقاتل وجمع قراء الزبور فسقط عليه طير من ذهب فتبعه ليأخذه

فوقع نظره على امرأة جميلة فأعجبته فأرسل زوجها إلى الجهاد ثم أرسله من مكان إلى مكان ليُقتل فلما قُتل تزوجها وهي أم سليمان عليه السلام فأرسل الله إليه ملكين كالخصمين فلما رآهما قد دخلا عليه من غير باب داره خاف منهما فقالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وكان داود عليه السلام متزوجاً بتسع وتسعين امرأة فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه فأخبراه بفعله مع زوج المرأة وخرجا من عنده فعرف أنه قد امْتُحَنَ فمكث أربعين سنة يبكي حتى نبت العشب من دموعه فأوحى الله إليه اذهب إلى زوج المرأة وتحلل منه فناداه فقال من هذا الذي شغلني عن لذتي قال أنا داود عرضتك للقتل فقال يا داود عرضتني للجنة فأوحى الله إليه يا داود إنني حكم عدل أخبره بأنك تزوجت امرأته فناداه فقال من هذا الذي شغلني عن لذتي فقال أنا داود فقال ما تريد أليس قد جعلتك في حل؟ قال إنني قد تزوجت امرأتك فلم يرد عليه فناداه ثانياً فلم يجبه فحثا داود التراب على رأسه فقال ويل لداود إذا نُصبت الموازين فأوحى الله إليه قد غفرت لك قال وكيف تغفر لي ولم يغفر لي صاحبي قال أنا أرضيه وأستوهبك منه. [نزهة المجالس ص ٣٢٥].

وقال الطبري في تفسيره: حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك سمعه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن داود النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر إلى المرأة فأهم قطع على بني إسرائيل فأوصى صاحب البعث فقال إذا حضر العدو فقرب فلاناً بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يُستنصر به ومن قُدِّم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يُقتل أو يُهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة

ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده - فلم أحص من الرقاشي إلا هؤلاء الكلمات - رب زلّ داود أبعد ما بين المشرق والمغرب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلوف من بعده فجاءه جبرائيل صلى الله عليه وسلم من بعد الأربعين ليلة قال يا داود إن الله قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود علمتُ أن الرب قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممتُ به وقد عرفتُ أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود فقال جبرائيل صلى الله عليه وسلم ما سألتُ ربك عن ذلك ولئن شئتَ لأفعلن فقال نعم فخرج جبريل وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألتُ ربك عز وجل يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول فإن لك في الجنة ما شئتَ وما اشتهيت عوضاً). وفي تفسير الدر المنثور للسيوطي: أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي مسلم الخولاني رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لقمان كان عبداً كثيراً التفكر حسن الظن كثير الصمت أحب الله فأحبه الله تعالى فمنّ عليه بالحكمة نودي بالخلافة قبل داود عليه السلام فقبل له يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة تحكم بين الناس بالحق؟ قال لقمان إن أجبرني ربي عز وجل قبلت فإنني أعلم أنه إن فعل ذلك أعانني وعلمني وعصمني وإن خيرني ربي قبلت العافية ولم أسأل البلاء فقالت الملائكة يا لقمان لم؟! قال لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان فيؤخذل أو يُعان فإن أصاب فبالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكون في الدنيا ذليلاً خيراً من أن يكون شريفاً شائعاً ومن يختار الدنيا على الآخرة فاتته الدنيا ولا يصير إلى ملك الآخرة فعجبت

الملائكة من حسن منطقته فنام نومة فغط بالحكمة غطاً فانتهبه فتكلم بها ثم نودي داود عليه السلام بعده بالخلافة فقبلها ولم يشترط شرط لقمان فأهوى في الخطيئة فصبح عنه وتجاوز وكان لقمان يؤازره بعلمه وحكمته فقال داود عليه السلام: طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة فصرُفت عنك البلية وأوتي داود الخلافة فابْتُلي بالذنب والفتنة).

والآية تؤكد أن الخصمين حضرا عند داود عليه السلام وليس أحدهما وفي هذا رد على من زعم أن الخطأ الذي أخطأه داود عليه السلام هو أنه حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر والآية تبين خلاف ذلك وهو أن الخصمين كانا حاضرين ولم ينكر أحدهما كلام الآخر والأمر الثاني أن الله تعالى عادل ولا يمكن أن يظلم ويحاسب على قصة خيالية افتراضية حيث أن الخصمين في هذه القصة كانا من الملائكة وقصوا عليه قصة افتراضية مثلوها عليه (تعريضاً) وبالتالي حتى لو افترضنا أن داود عليه السلام قد أخطأ حكمها بينهما فلا يُعقل أن يكون قد أذنب بذلك حيث أنه ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر). [ابن كثير ج ٣ ص ١٨٦]. وهذا يدل على أنه ليس عليه ذنب في هذه الحالة على افتراض صحتها والأمر الثالث أنه أخطأ من قبلها في قصة الغنم في قوله تعالى: " وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ \* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا " ٧٨، ٧٩ الأنبياء. وأيضاً ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت هذه لصاحبتهما إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك

فتحاكمنا إلى داود عليه السلام ففضى به للكبرى فخرجنا إلى سليمان فأخبرناه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينكما نصفين فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها ففضى به للصغرى [سبل السلام ج ٤ ص ١١٩]. ولم يخر راکعاً ولم يكن عليه حساب علماً أن كلاً من هاتين القصتين قصة حقيقية وواقعية فكيف يحاسب هنا على قصة خيالية ليست واقعية؟! وهذا تأكيد الرد على من زعموا بأنه قد استمع لخصم واحد وأن هذه هي الزلة المقصودة والتي خر لها راکعاً وأتاب وإنما الصواب ما أوردناه في تفسيرها. وهذه الآية يوجد بها سجدة فقد قال النسائي عند تفسير هذه الآية: أخبرني إبراهيم بن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمرو بن زر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في (ص) وقال: (سجدها داود عليه السلام توبة ونسجدها شكراً). [تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات - ابن كثير ج ٤ ص ٣١]. وهذا الحديث وما سبقه يؤكد أن داود عليه السلام سجد سجدة توبة أي أنه أخطأ وهذا ليس عيباً أو نقصاً في رسل الله تعالى فالمعصية للرسول وللأنبياء ليست تصغيراً من شأنهم ولكنها أرادها الله تعالى حتى لا يؤله الرسل ويعبدون من دون الله تعالى كما ألهمت النصارى المسيح عيسى عليه السلام كما قال تعالى: " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ " ١٧ المائدة. لأنه قد عصى آدم عليه السلام من قبل وأكل من الشجرة لقوله تعالى: " فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتُ لَهُمَا سَوَاتِهِمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " ١٢١ طه. وكذلك موسى عليه السلام قتل الفرعوني كما قال تبارك وتعالى: " وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى غِفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ

قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ " ١٥ القصص. واعترف سيدنا موسى بذنبه كما قال تعالى: " وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ " ١٤ الشعراء. وكما قال له فرعون: " وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ {١٩} قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ {٢٠} " ١٩، ٢٠ الشعراء. فالهم هو التوبة السريعة والندم ومغفرة الله تعالى لهم كما تاب آدم وموسى ويونس عليهم الصلاة والسلام جميعاً وكما جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون). [أخرجه الترمذي وابن ماجه وسنده قوي - سبل السلام ج ٤ ص ١٨٠]. وقال الإمام أحمد: حدثنا شريح بن النعمان حدثنا أبو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدي حدثني حسن السدوسي قال دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لو لم تخطئوا لجاؤا لواء الله عز وجل يقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم). [تفرد به أحمد - ابن كثير ج ٤ ص ٥٩]. {فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ} فلما تاب داود عليه السلام واستغفر ربه وسجد سجود توبة كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث آنف الذكر أكد سبحانه وتعالى ذلك الذنب وبعد توبته غفر الله له ذلك والسبب هو {وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ} وإن له عند الله تعالى أعمالاً صالحةً سابقة من البر والخير والطاعات والتسبيح والعبادات {وَحُسْنَ مَّعَاجِرٍ} وحسن توبة وندم ومرجع إلى الله تعالى في كل شأنه. وعن كيفية العفو عن المظلمة للناس يوم القيامة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بأبي

أنت وأمي؟ قال: (رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلتي من أخي فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء؟ قال يا رب يحمل عني من أوزاري) قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال: (بأن ذلك اليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يُحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب: ارفع رأسك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصور من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا ولأي صديق هذا ولأي شهيد هذا؟ قال: لمن أعطاني الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وما هو قال: عفوك عن أخيك قال يا رب إنني قد عفوت عنه قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخله الجنة). [مكاشفة القلوب ص ١٣١]. {يَبْدَأُودُ} أوحى الله تعالى بواسطة الوحي جبريل عليه السلام لعبده ونبيه داوود عليه السلام وقال له جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {إِنَّا} الجمع هنا للتبجيل والتعظيم لله سبحانه وتعالى {جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} قد جعلناك واستخلفناك ملكاً في الأرض على بني إسرائيل وجعلنا خلافة ووراثة الملك في الأرض لك على بني إسرائيل {فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} فاحكم واقض بين الناس بالحق والعدل {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى} ولا تتبع هوى النفس وهو الباطل والجور والظلم {فِيضِلُّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} فيبعدك الهوى وعدم العدل عن طريق الله تعالى المستقيم الذي لا اعوجاج فيه وهو العدل والحق {إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} إن الذين يبتعدون عن طريق الله تعالى أي عن طريق الحق والعدل أي يتبعون الباطل والظلم

{لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} لهم عذاب قاس وأليم {بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} بسبب عدم

اكتراثهم بالحساب يوم القيامة وعدم خوفهم من عذاب الله تعالى لهم.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ

كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي

الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَرُوا ءَايَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعَمَ الْعَبْدِ ۗ إِنَّهُ ءَأَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ

عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي

حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۗ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ} وما خلق الله تعالى السماء وهي مفرد سماوات وهي سماء

الدنيا وما فيها من كواكب ونجوم وشهب ومجرات وأفلاك وشمس وقمر

{وَالْأَرْضِ} والأرض وما فيها من بحار وأنهار وأشجار وحيوانات وطيور وبراري

وجبال وقفار ومن إنس وجن {وَمَا بَيْنَهُمَا} وما بين السماء والأرض من الرياح

والشمس والقمر والنجوم والغيوم {بَطْلًا} لعباً وليس على أساس يوم القيامة بل

لعباً ولهواً {ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} ذلك اعتقاد الكفار الذين جحدوا وأنكروا

وكذبوا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا بالله وملائكته وكتبه ورسوله

واليوم الآخر وأنهم يعتقدون باطلاً بأن السماء والأرض وضعت صدفة أو من الطبيعة

هزلاً وعبثاً وليس من خلق الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه خالق الكون

{فَوَيْلٌ} فهلاك وعذاب {لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} للكفار من عذاب جهنم ونارها

وجحيمها وعذابها يوم القيامة {أَمْ نَجْعَلُ} أم هل نجعل ونساوي {الَّذِينَ ءَامَنُوا



وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهم المؤمنون وعملوا الطاعات وأحسنوا أعمالهم الصالحات في عبادة الله تعالى وطاعته وعدم الإشراك به سبحانه وتعالى {كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ} فهل نعامل المؤمنين يوم القيامة كالكفار الذين يهلكون الحرث والنسل والذين يمشون في الأرض خراباً وفساداً وضراراً وسلباً ونهباً وظلماً وبغياً وفساداً وكفراً {أَمْ جَعَلُ الْمُتَّقِينَ} أم هل يساوي الله تعالى في المعاملة بين الذين يتقونه ويخافونه ويبتعدون عن محارمه ومعاصيه {كَالْفُجَّارِ} يساويهم بالعصاة والمجرمين والطاغين والمذنبين والكافرين {كِتَابٌ} وهو القرآن الكريم {أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ} أنزله الله تعالى إليك يا محمد يا رسول الله {مُبْرَكٌ} فيه بركة وخير للناس من شفاء للأمراض وللأجسام والروح والمعتقد ولا يحل القرآن وتلاوته في مكان إلا كان بركةً على قارئه وحفظاً له من الأعداء وتنزل الرحمات والخير على قارئه وهو شفاء ونجاة في الدنيا والآخرة {لِيَذَّبُرُواْ آيَاتِهِ} ليتعلموا معانيها ومقصودها ويفهموها ويعملوا بها {وَلِيَتَذَكَّرَ} وليتعظ بها {أُولُواْ الْأَلْبَابِ} أصحاب الإدراك والعقول السليمة وأصحاب العلم والفهم والتروي والإدراك والنصح والإرشاد والاتعاظ {وَوَهَبْنَا} ورزقنا {لِدَاوُدَ} لسيدنا داوود ابن إيشا عليه السلام ولده سليمان عليه السلام {نِعَمَ الْعَبْدِ} خير عبد وحسن السمعة ونعم المخلوق ويطلق على المخلوق عبد بالطاعة والعبادة لله تعالى {إِنَّهُ أَوَّابٌ} إنه طائع وراجع إلى الله تعالى بالتوبة والعبادة الخالصة {إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ} إذ عرضت أمامه {بِالْعِشِيِّ} عصراً وفي لغة العرب هو جميع الوقت ما بعد الظهر فما فوق {الصَّفِينَتُ} الصافن من الخيل القائم على

ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر أي متأهبة للعدو والجري والسباق {الْحِيَادُ} وهي الخيل الأصيلة أي من سلالة أصيلة أباً وأماً أي حصاناً وفرساً وتطلق على الذكر والأنثى من الخيل {فَقَالَ} فقال سيدنا سليمان عليه السلام {إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْحَيْرِ} إني أحببت رؤية الخيل وهي تستعرض سباقها وقفزها {عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} عن صلاة العصر {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} أي حتى غربت الشمس واحتجبت عن الرؤية بغروبها خلف الأفق {زُدُّوَهَا عَلَيَّ} قال سيدنا سليمان عليه السلام آسفاً على غروب الشمس قبل صلاته للعصر أعيديوا الشمس لي ثانية حتى أصلي صلاة العصر ولكن هيهات أن ترجع بعد أن غربت وقالها سيدنا سليمان نادماً ومتأسفاً على نسيانه لصلاة العصر وقد أنسته فرحته وبهجته بخيله الأصيلة وبأعدادها الكبيرة وقيل أنها كانت ألف فرس وقيل زيادة بأنها عشرين ألف فرس والله تعالى أعلم {فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} أي فشرع يضرب أعناقها بعد أن قطع أرجلها وبعد أن عقرها وتصدق بلحمها لأنه ترك ذكر الله تعالى وصلاة العصر ناسياً بسببها ولأنه لا يتقابل حبان في قلب رجل مؤمن الدنيا أو الآخرة وما دون الله فهو باطل وقد فعلها قبله إبراهيم عليه السلام عندما أحب ولده إسماعيل عليه السلام وجاءه وهو كبير السن فأوحى الله تعالى إليه بذبحه حتى لا يبقى في قلب إبراهيم عليه السلام محبة غير الله تعالى وحده فامتثل إبراهيم عليه السلام وتله للجبين أي هم بذبحه ثم فداه الله تعالى بذبح عظيم وهكذا سيدنا سليمان عقرها وضرب أعناقها حتى لا يبقى في قلبه محبة لغير الله تعالى أما من قال أنه مسح بيده على سوقها وأعناقها فهذا يدل على أنه استمر في حبها عن ذكر ربه وصلاة العصر وهذا مخالف لتفسير حقيقة الآية حيث أن سيدنا سليمان عليه السلام أراد ذبح الهدهد لو كان متغيباً بلا عذر كما قال تعالى: " وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ

مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَائِيْنَ {٢٠} لِأَعْدَبْتَهُ عَدَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْبَحْتَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {٢١} " ٢٠، ٢١ النمل. وكما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فأثر ما يبقى على ما يفنى). وقال عيسى عليه السلام: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الدنيا والآخرة ضربتان وبقدر ما ترضي إحداهما تسخط الأخرى. وهذا هو المعنى بأن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام زهد في الخيل الجياد بعد أن أحبها وآثرها ناسياً على ذكر الله وعلى صلاة العصر والدليل على زهده فيها أنه عقرها وضرب أعناقها بالسيوف لأنها ألتهته عن ذكر الله وعن صلاة العصر وهذا هو منتهى الزهد مرضاة لله تعالى بأنه ترك ما سواه وهذا ما قاله الحسن البصري: قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ثم أمر بها فعقرت. وكذا قال قتادة وقال السدي: ضرب أعناقها وعراقبها بالسيوف. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٤]. وقال الحسن البصري رحمه الله: لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضباً لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٨].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٢٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٢٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٢٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٢٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٣٠﴾﴾

{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ} ولقد ابتلى الله تعالى سيدنا سليمان عليه السلام {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً} أي جلس على كرسي الحكم لسيدنا سليمان عليه السلام شيطان في صورة سيدنا سليمان بعد أن أخذ خاتم سليمان من زوجته وهو في صفة سيدنا سليمان ولبسه وبدأ يحكم بدلاً من سيدنا سليمان الذي سُلِبَ منه خاتمه الذي عليه اسم الله الأعظم الذي تطيعه به الإنس والجن والطيور {ثُمَّ أَنَابَ} ثم تاب وندم ورجع سليمان عليه السلام عن ذنبه وهو عبادة زوجته لصورة أبيها وبدون علمه والقصة كما حكاها القرطبي وغيره هي أن سليمان عليه السلام غزا ملكاً فقتله وتزوج ابنته وكانت جميلة فصارت تبكي ليلاً ونهاراً على أبيها فأمرته أن يأمر الشياطين بأن تمثل صورة أبيها ففعل فسجدت لأبيها أربعين يوماً وهو لا يعلم فتوضأ في بعض الأيام ونزع خاتمه ودفعه إلى بعض أزواجه فجاء الشيطان في صورة سليمان عليه السلام وطلب الخاتم فلما لبسه عكف عليه الطير وجلس للحكم فجاء سليمان وطلبه فقالت إن سليمان أخذه وجلس للحكم فخرج إلى البحر وأقام عند صياد أربعين يوماً وكان من حكم الجنى أنه أباح وطء الحائض فأنكر الناس ذلك وقالوا ليس هذا حكم سليمان لأنه كبيرة - وأما بعد انقطاعه وقبل غسلها أو تيممها فجوزه أبو حنيفة وحرمه الشافعي - فطار الشيطان وألقى الخاتم في البحر

فابتلغته سمكة فلما أخذها الصياد دفعها إلى سليمان فوجد الخاتم في جوفها فعكف الطير عليه وعاد إلى حاله الأول فأخبره جبريل عليه السلام بأن في بيته من يعبد غير الله منذ أربعين يوماً فعاقب المرأة وكسر الصورة. [نزهة المجالس ج ١ ص ١٤٣]. { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي } قال سيدنا سليمان عليه السلام ربي وإلهي وخالقي اغفر لي وتب علي وسامحني وتجاوز عني إن كنت قد أخطأت { وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي } ربي ارزقني وأعطني ملكاً وحكماً لا يملكه أحد غيري من بعدي من الملوك وغيرهم وممن يأتي من بعدي من الأمم { إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } إنك أنت يا الله الذي يهب ويعطي ذلك ولا أحد يستطيع غيرك. قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة - أو كلمة نحوها - ليقطع عليّ الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تُصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام: " رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي " قال روح: فرده خاسئاً. [وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به - ابن كثير ج ٤ ص ٣٧].

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فسمعناه يقول: (أعوذ بالله منك - ثم قال - ألعنك بلعنة الله ثلاثاً) وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال صلى الله عليه وسلم: (إن عدو

الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن آخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان أهل المدينة). [ابن كثير ج ٤ ص ٣٧]. ومُلك سيدنا سليمان عليه السلام أنه حكم الجن والإنس والطيور وكما قال تعالى: " وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ " ١٧ النمل. { فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ } وكذلك سخر الله تعالى الريح لسيدنا سليمان عليه السلام غدوها شهر ورواحها شهر مسخرة وتطيع سيدنا سليمان وتجري بأمره حيث يشاء { رُحَاءً } علية وطيبة مسخرة له لحمل بساطه الذي تحمله له الريح { حَيْثُ أَصَابَ } حيث أراد التوجه إلى أي جهة. قال وهب ابن منبه: مرّ سليمان عليه السلام على بساط الريح فرآه حرّاث فقال لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً فحملت الريح كلامه فألقته في أذن سليمان فنزل إليه وقال تسبيحة واحدة يتقبلها منك خير لك مما أوتي آل داود فقال أذهب الله همك كما أذهبت همي. [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٨]. وفي قصة أخرى لما مر سليمان بوادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وإنما قالت ذلك خوفاً على قلوبهم أن تميل إلى الدنيا فلما سلّم عليها سليمان قالت وعليك السلام أيها الفاني المشتغل بملكك الفاني أتظن يا سليمان أن لك أمراً ونهياً فأنا نملة ضعيفة لي أربعون ألف مقدم تحت كل مقدم أربعون صفاً من النمل كل صف من المشرق إلى المغرب فقال كيف تلبسون السواد؟ قالت لأن الدنيا دار مصيبة ولباس أهل المصائب السواد قال فما هذا الحز الذي في وسطك؟ قالت هذه منطقة الخدمة للعبودية قال فما بالكم تبعدون عن الخلق قالت لأنهم في غفلة فالبعد عنهم أولى قال فما بالكم عراة قالت هكذا وردنا إلى الدنيا وهكذا نخرج

منها قال فما تحمل النملة؟ قالت حبة أو حبتين قال ولم؟ قالت لأننا على سفر والمسافر كلما خف حمله خف ظهره قال اطلبي مني حاجة قالت أنت عاجز والطلب منك غير جائز قال لا بد من الطلب قالت زد في رزقي وفي عمري! قال اطلبي شيئاً يكون في يدي قالت إن الله يقضي حوائج المحتاجين قال ما اسمك؟ قالت اسمي منذرة أنذر أصحابي عن الدنيا الساحرة وأرغبهم في الآخرة وفي رواية أخرى اسمها طاحية وفي رواية أخرى حرمنة ثم قالت يا سليمان ما أفضل أو ما أفخر ما أوتيت في ملكك؟ قال الخاتم لأنه من الجنة قالت أتعلم معناه؟ قال لا! قالت معناه الذي أعطيناك من الدنيا في يدك بقدر فص هذا الخاتم ثم قالت هل غير هذا؟ قال نعم بساطي وهو من الجنة يمر على ظهر الريح قالت له أتعلم معناه؟ قال لا! قالت هذا تنبيه على أن جميع ما معك كمثل الريح اليوم معك وغداً يزول عنك قال لها فإن غدوها شهر ورواحها شهر قالت فيه إشارة إلى أن عمرك يطير وأنت مستعجل في السير فزاد عجب سليمان ثم قالت له يا سليمان هل غير هذا؟ قال نعم قد علمني ربي منطق الطير قالت له قد اشتغلت عن مناجاة الله بمناجاة الغير ثم قالت له هل غير هذا؟ قال نعم خدمني الأنس والجن قالت فيه إشارة إلى أن الخالق يقول لك إن الخلق قد اشتغلت بخدمتك فاشتغل أنت بخدمتي ثم قالت له هل غير هذا قال نعم إنني أستأنس بفص الخاتم لأن عليه اسم الله قالت له إذا أنت استأنست بالمسمى يغنيك عن الاسم فعندها تعجب سليمان من النملة ومن كلامها وقد تحقق أن ملكه في ملك الله لا يساوي خردلة فودعها وعادت إلى حال سبيلها وعاد هو متعجب. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٣]. {وَالشَّيَاطِينِ} والشياطين مفردا شيطان وهو ما شاط وابتعد عن الحق وهم العصاة والكفرة من أولاد إبليس {كُلِّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ} ومن الشياطين من يعمل لسليمان عليه السلام في البناء

كالمساجد وبعضهم غواص في البحر يجلب له اللؤلؤ والمرجان {وَأَخْرَيْنَ} وغيرهم من الشياطين العصاة المتمردين {مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} أي مصفدين ومقيدين ومكبلين ومربوطين ومسجونين بعضهم مع بعض {هَذَا عَطَاؤُنَا} وهذا هو عطاء الله تعالى لسيدنا سليمان من الملك والحكم وتسخير له الريح والإنس والجن والشياطين والطيور والنمل {فَأَمْنٌ} أعط من شئت من ملكك كما تشاء وتريد {أَوْ أَمْسِكْ} أو امنع كما تشاء فأنت مخير في العطاء {بِغَيْرِ حِسَابٍ} فلا عقاب ولا عذاب عليك هذا قول الله تعالى لسيدنا سليمان في ملكه {وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى} له عمل صالح سابق وخير مقدم وطاعة وبر قدمه لله تعالى سيدنا سليمان {وَحُسْنِ مَقَابٍ} وحسن منزلة وحسن مصير وحسن مرجع يوم القيامة في الجنة.

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرَبْ بِهِ ۖ وَلَا تَحْنُثْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

{وَأَذْكُرْ} وتذكر قصة {عَبْدَنَا أَيُّوبَ} أي نبينا ورسولنا ومعنى العبد هو الذي يخدم سيده ويطيعه وهو أيوب عليه السلام وهو ابن بنت لوط وهو أيوب بن موسى وكانت تحته ابنة يعقوب يقال لها ليا بنت يعقوب ويقال رحمة بنت يوسف عليه السلام {إِذْ نَادَى رَبَّهُ} أي دعا ربه {أُنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ} وهو إبليس لعنه الله ومعنى الشيطان أي شاط وابتعد عن الحق والشيطان يطلق على الكافر والمشرك من الجن وعلى العصاة {بِنُصْبٍ} أي بتعب وإرهاق في الجسد {وَعَذَابٍ} وهو الألم



من موت أبنائه وذهاب ماله ومرضه {أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ} أي اضرب برجلك الأرض فتفجرت منها عين ماء بارد {هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ} أي اغتسل فيه {وَشَرَابٌ} واشرب منه فشفاه الله تعالى وهذا يدل على أن الماء البارد شفاء للجسد شراباً أو غسلاً. وفي الصحيحين عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء). [زاد المعاد ج ٣ ص ٦٦]. وثبت في الصحيحين عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما الحمى أو شدة الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء). [زاد المعاد ج ٣ ص ٧١]. {وَوَهَبْنَا لَهُ إِهْلَاهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ} أي أحيا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه أبناء أيوب عليه السلام ورزقه مثلهم في العدد أي رزق الله له ذرية من الأولاد عدد من مات من أبنائه كيف لا وقد أحيا الله تعالى العزيز وحمارة وكذلك قوم موسى من بني إسرائيل عندما طلبوا من موسى رؤية الله جهرة كما قال تعالى: " وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ {٥٥} ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٥٦} " ٥٦، ٥٥ البقرة. وكذلك الذين خرجوا فراراً من ديارهم خوفاً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله ثم أحياهم كما قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ " ٢٤٣ البقرة. وكذلك الرجل الذي قتله بنو إسرائيل وأحياه الله تعالى عندما ضربوه بجسم البقرة الصفراء الفاقع لونها كما قال تعالى: " وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ {٧٢} فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {٧٣} " ٧٣، ٧٢ البقرة. {رَحْمَةً مِنَّا} وكان إحياء أبنائه له رحمة من الله وفضلاً حتى لا يحزن أيوب عليه السلام بموت أبنائه وذلك مكافأة له على

صبره {وَذَكَرَى} وعظة {لِأُولَى الْأَلْبَابِ} لأصحاب الإدراك والفهم والعقول السليمة وأصحاب التروي والنصح والإرشاد والاتعاظ {وَوَحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ خُذْ حِزْمَةً مَكُونَةُ مِنْ مِائَةِ مِنْ أَصُولِ السَّنْبِلِ {فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ} أي اضرب به زوجتك ولا يصيبك في ذلك ذنب حيث أنه أقسم أن يجلد زوجته مائة جلدة إن شفاه الله تعالى لأنه غضب على زوجته في مرضه فأفتى الله تعالى له هذه الفتوى حتى لا تعذب مكافأة لها بصبرها ووقوفها بجانب زوجها أيوب عليه السلام في مرضه {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا} أي امتحن الله تعالى أيوب عليه السلام في مرضه فوجده صابراً على المصيبة وعلى المرض وعلى الابتلاء الذي حلَّ به {نِعَمَ الْعَبْدُ} أي حَسُنَ سَمْعَةً وَأَخْلَاقًا عَبْدُنَا الطَّائِعِ لِسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ وَهُوَ أَيُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ {إِنَّهُ أَوَّابٌ} إنه طائع وراجع إلى الله تعالى بالعبادة الخالصة وبالتوبة والصبر على البلاء. والقصة كما في العقائق: أوحى الله إلى أيوب عليه السلام أن سبعين نبياً لما أخبرتهم بثواب الصبر على هذا البلاء فكل منهم سألتني أن يكون هو المبتلى فلم أعطهم ذلك وجعلته هدية لك حتى تسمع الثناء عليك في الدنيا والآخرة إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب وكان من أولاد العيص بن اسحق بن إبراهيم وكان كثير المال والعبادة فحسده إبليس لما سمع ثناء الملائكة عليه فقال لو كان فقيراً لما عبد الله ولو سلطني عليه لم يكن مطيعاً فسلطه الله على ماله فأحرقه فبلغ أيوب ذلك فقال الحمد لله الذي أعطاني وأخذ مني فقال إبليس يا رب سلطني على أولاده فسلطه عليهم فحرك القصر عليهم من أسفله فهلك الكل وكانوا في ضيافة كبيرهم فدخل إبليس في صورة معلمهم وأخبر أيوب بذلك فقال لو كان فيك خير لهلكت معهم وقيل أنه قال ليتني لم أُخْلَقْ

ففرح إبليس بذلك وصعد إلى السماء فوجد توبة أيوب قد سبقته كذلك العبد إذا وقع منه ذنب وتاب تسبق توبته الكتابة فقال يا رب سلطني على بدنه فسلطه عليه فتعلق به مثل الجدري ينبع منه القيح والدم فأخرجوه من بلده وأكله الدود غير قلبه ولسانه فتحير إبليس من صبره فتصور لزوجته (رحمة) في صورة حسنة وقال ما أصاب البلاء أيوب إلا أنه سجد لإله السماء ولم يسجد لإله الأرض فقالت ومن إله الأرض قال أنا فاسجدي لي سجدة أرد عليه ذلك فقالت حتى أستأذنه فلما استأذنته قال لأجلدك مائة جلدة حيث لم تقولي له إله السماء وإله الأرض واحد. فلما أراد الله كشف الضر عن أيوب عليه السلام أرسل جبريل برمانة وسفرجلة فلما أكلهما تناثر الدود ثم أمره أن يضرب برجله اليسرى الأرض فخرج منها ماء حار وماء بارد فشرب من البارد واغتسل من الماء الحار فرده الله إلى أحسن حال فأراد أن يجلد زوجته لأجل القسم فأفتاه الله تعالى شفقة عليها بأن يأخذ بيده ضغثاً أي مائة من أصول السنبل كذلك المؤمن تصيبه الحمى في الدنيا لأجل ما أقسم الله بقوله وإن منكم إلا واردها وفي رواية أنه كان في بلائه سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات وذكر الكلاباذي أنه لما عوفي أيوب وقع في قلبه أنه صبر فنودي بعشرة آلاف صوت من فوق عشرة آلاف غمامة يا أيوب أنت صبرت أم نحن صبرناك فقال يا رب أنت صبرتني وقال القرطبي في تفسيره أوحى الله إليه لولا أنني وضعت تحت كل شعرة صبراً لما صبرت فأرسل الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر داره فأمرت عليه ثلاثة أيام جراداً من ذهب فقال له جبريل عليه السلام هل شبعت قال ومن يشبع من فضل الله. [نزهة المجالس ج ١ ص ٥٧]. وقال الرازي في سورة الأنبياء قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أيوب بقي في بلائه ثمان عشرة سنة). ثم ذكر أن إبليس صاح من صبر أيوب فاجتمع

عليه الشياطين فقالوا مالك قال أعياني صبر أيوب فقالوا أين مكرك الذي أهلكته به من مضى فقال ذهب كله في أيوب فقالوا كيف أخرجت آدم من الجنة قال بسبب زوجته حواء فقالوا خذ أيوب من قبل زوجته فقال لها قولي لأيوّب يذبح السخلة ولا يسمي الله تعالى عليها يبرأ فجاءته بها فقالت يا أيوب اذبح هذه السخلة كما قال لها إبليس فقال كم مكثنا في الرخاء والنعمة قالت ثمانين سنة فقال ما أنصفت ربك حتى نصبر ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ولئن شفاني الله تعالى لأجلدك مائة جلدة. [نزهة المجالس ج ١ ص ٥٨، ٥٩]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فنادى ربّه يا أيوب ألم أكن أغنيتك كما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك). [صحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٤]. وقال ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً: حدثنا يونس ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثمانين سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك؟ قال منذ ثمانين سنة لم يرحمه الله تعالى فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق قال وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم

أبطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن " ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ " فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً قال فإني أنا هو قال وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير حتى فاض. [هذا لفظ ابن جرير رحمه الله - ابن كثير ج ٤ ص ٣٩]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثو في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال عليه الصلاة والسلام بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك). [انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به - ابن كثير ج ٤ ص ٤٠].

﴿وَأَذْكُرُّ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرُّ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ هُمُّ الْأَبْوَابِ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ أْتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

{وَأَذْكُرُّ} تذكر وتفكر {عِبْدَنَا} جمع عبد والعبد هو الذي يخدم سيده ويطيعه {إِبْرَاهِيمَ} هو إبراهيم عليه السلام ابن آزر بن تارخ بن ناخور وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول من استاك أي استعمل المسواك وأول من استنجدى بالماء وأول من قص شاربه وأول من رأى الشيب في رأسه وأول من اختتن وأول من اتخذ السراويل وأول من ثرد الثريد وأول من اتخذ الضيافة وكان لإبراهيم عليه الصلاة والسلام أربع بنين إسماعيل وإسحاق ومدين ومدان ويقال ستة بنين ويقال اثنا عشر ابناً. [تنبيه الغافلين ج ٢ ص ٦٧]. {وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} وولد لإبراهيم ولد من زوجته سارة ابنة عمه وهو إسحاق عليه السلام نبياً ورسولاً وكان له ابنان يعقوب عليه السلام وعيصو ولدا في بطن واحد أي توأم فخرج يعقوب عليه السلام من بطن أمه على أثر عيصو فسمي يعقوب لخروجه بعده من التوأم فأما يعقوب عليه السلام فهو أبو بني إسرائيل وكان يقال ليعقوب إسرائيل وهو في لغتهم (إسرا) معناها عبد (إيل) معناه الله أي عبد الله وأما عيصو فهو أبو الروم. [تنبيه الغافلين ج ٢ ص ٦٧]. {أُولَى الْأَيْدِي} أصحاب الأيدي البيضاء في أعمال الخير والبر والطاعة

والتقوى والعبادة الخالصة لله تعالى {وَالْأَبْصِرِ} البصيرة في الحق والعدل وفي عبادة الله تعالى وطاعته {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ} جعلناهم مخلصين في عبادة الله تعالى وفي طاعته {بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الْدَّارِ} أي الإخلاص والعبادة والعمل تقديماً ليوم الحساب يوم القيامة وهي الدار الآخرة {وَالِيَهُمْ} أي إبراهيم عليه السلام وولديه إسحاق ويعقوب بن إسحاق عليهما الصلاة والسلام {عِنْدَنَا لَمَنْ الْمُصْطَفَيْنِ} عند الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه لمن المختارين للرسالة والنبوة {الْأَخْيَارِ} الأفاضل والصالحين والمتقين {وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ} وتذكر إسماعيل عليه السلام وهو نبي الله ورسوله وهو ابن إبراهيم عليه السلام من هاجر وهو أبو العرب كلهم {وَالْيَسَعَ} هو تلميذ إلياس عليهما السلام وخليفته من بعده وهو نبي الله ورسوله {وَذَا الْكِفْلِ} وهو نبي الله ورسوله. حكى القرطبي عن كعب الأحمار أن رجلاً صالحاً مرّ على ملك كافر فقال والله لا أخرج من هذه القرية حتى آمر الملك بالإسلام فلما أمره بالإسلام قال إن أسلمت ما لي عند الله تعالى قال الجنة قال من يتكفل لي بذلك قال أنا فأسلم فلما مات خرجت يده من قبره وفيها رقعة خضراء مكتوب فيها بالنور أن الله قد غفر لي وأدخلني الجنة وفي كفالة فلان فأسرع الناس إليه فأسلموا فتكفل لهم بذلك فسمي ذا الكفل. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٩]. {وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ} وكل من الصالحين المتقين {هَذَا ذِكْرٌ} هذا عظة وتفكر لمن يتعظ {وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ} وإن العابدين والطائعين والخائفين من معصية الله تعالى وهم الذين يتقون أنفسهم ويمنعونها ويجنبونها ويحفظونها من عذاب الله تعالى وكما جاء في الحديث: (اتقوا النار ولو بشق تمرة). {لِحُسْنِ مَّآبٍ} لأفضل مرجع ومصير

ونهاية يوم القيامة بدخول الجنة {جَنَّتِ عَدْنٍ} وهي إحدى الجنان الثمانية. قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن المثني البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا يعيش بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها (طينها) المسك وحبابؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطقي قالت: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" فقال الله: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ". [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٨].

{مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ} تفتحها لهم الملائكة ليدخلوها بسلام آمنين {مُتَّكِئِينَ فِيهَا} مسندين عليها جنوبهم والاتكاء هو الاستناد على الوسائد للراحة في الجنة {يَدْعُونَ فِيهَا} يطلبون في الجنة {بِفَنَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ} بفاكهة من جميع الأصناف من الأعناب والرمان والتين والتمر وغيرها كثيرة الأصناف والأنواع وكثيرة الطعم واللذة في الأكل {وَشَرَابٍ} وشراب من عسل مصفى ومن ماء غير آسن ومن لبن وخمر ورقيق مختوم {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} وعندهم في ملكهم زوجات من الحور العين لا ينظرن إلى أحد إلا إلى أزواجهن وهن غاضات الطرف وقاصرات نظرن فقط على أزواجهن {أَتْرَابٌ} كثيرات العدد عدد التراب ومتساويات في السن والعمر {هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ} هذا ما ينتظركم وما توعدون به في يوم القيامة من المأكل والمشرب والزوجات {إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا} يقول أهل الجنة في الجنة عندما يرزقون الطعام والشراب والزوجات هذا الخير والنعيم الذي رزقنا الله تعالى به {مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} ما له من ذهاب ولا ضياع ولا انتهاء ولا انقطاع.



﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغِينِ لَشَرَّ مَقَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا فَبَيْسَ الْمِهَادِ ﴿٥٦﴾ هَذَا  
فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ  
لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا  
فَبَيْسَ الْقَرَارِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾  
وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخْتَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ  
عَنَّهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مَن  
إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾  
قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ  
سَخَّرْتُمُونِ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

{ هَذَا } هذا للعلم أي فليعلم الناس { وَإِنَّ لِلطَّغِينِ } وإن للعاصين وللظالمين  
وللمتجبرين والمفسدين والكافرين يوم القيامة { لَشَرَّ مَقَابٍ } لأسوأ مصير ومرجع  
ونهاية ومقام في يوم القيامة { جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا } نار جهنم يُحرقون فيها { فَبَيْسَ }  
فساء وقبح { الْمِهَادُ } الفراش والمقام والمستقر ومعنى مهَّد أي جهز وحضر { هَذَا }  
هذا العذاب والمصير { فَلْيَذُوقُوهُ } أي فليعذَّبوه { حَمِيمٌ } ماء يغلي { وَغَسَّاقٌ } صديد  
منتن ذو رائحة كريهة. قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة  
حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال: (لو أن دَلْوًا من غَسَّاق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا).  
[ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو  
ابن الحارث عن دراج به - ابن كثير ج ٤ ص ٤٢]. { وَءَاخِرُ } أي عذاب آخر غيره

{ مِنْ شَكْلِهِمْ } على هيئته وصفته ولونه { أَزْوَاجٌ } أعداد كثيرة ومتنوعة من العذاب من حر وزيادة ورائحة كريهة ومنتنة مثل الزقوم والحميم والسموم والزمهرير والصعود والهاوية وغيرها أزواج من الأصناف من العذاب كثيرة يعلمها الله تعالى { هَذَا فَوْجٌ } هذا فوج وفرقة وجماعة ومجموعة من العصاة { مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ } داخل معكم في المعاصي والكفر والذنوب وهو داخل معكم نار جهنم { لَا مَرْحَبًا بِهِمْ } لا تحية ولا ترحاب بهم يوم القيامة { إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ } إنهم سيدخلون النار ويحرقون فيها بعد أن يدخلوها { قَالُوا } قال الكفار وهم الجماعة والفوج والفرقة التي دخلت بعدهم رداً عليهم { بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ } بل أنتم لا تحية ولا احترام ولا ترحيب بكم { أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا } أنتم أغويتمونا بتحريضكم لنا وأوقعتمونا في هذا العذاب { فَبِئْسَ } فساء وقبح { الْقَرَارُ } المقر والمكان والمستقر والمصير والنهاية والمنزل { قَالُوا } قال هذا الفوج الذي دخل النار بعد { رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا } ربنا وإلهنا وخالقنا من ساعد في تقديم العذاب لنا بإغوائنا وإضلالنا وإفسادنا { فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ } أي ضاعف له العذاب في جهنم كما قال تعالى: " قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ " ٣٨ الأعراف. قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو إسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منها دماغه). [رواه البخاري - ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٠]. وقال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: (إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٠]. {وَقَالُوا} قال الكفار الذين يعذبون في نار جهنم يوم القيامة {مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ} لماذا لا نشاهد رجالاً كنا نظنهم ونعلمهم {مِّنَ الْأَشْرَارِ} من شرار الناس وأقبحهم لعبادتهم الله تعالى وحده ولم يعبدوا الأصنام مثلنا وكنا نعددهم من العصاة والمذنبين لمخالفتهم عبادة آلهتنا وأصنامنا {أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا} استهزأنا وسخرنا بهم في الدنيا {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ} أو هل لم ترهم وتشاهدهم العيون هنا في جهنم ولم تقع أبصارنا عليهم وهم يظنون أنهم مثلهم من أصحاب النار وهم في الحقيقة ينعمون في الجنة لعبادتهم وطاعتهم لله تعالى وحده ولم يكونوا من المشركين ولا من الكفار {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ} إن ذلك الحوار والسؤال والجدال والنقاش بين أهل النار يوم القيامة هو حق وفعلاً يحصل ذلك النقاش بينهم {قُلْ} قل للكفار يا محمد يا رسول الله وللناس جميعاً {إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ} إنما أنا رسول الله محذر الناس من عذاب الله تعالى يوم القيامة لأنه {وَمَا مِنِّ إِلَهٍ} وما من معبود من إله من الآلهة {إِلَّا} ما عدا ويستثنى {اللَّهُ} الْوَّاحِدُ} الله الأحد الفرد الذي ليس له ثان ولا شريك في الملك {الْقَهَّارُ} الذي يقهر ويذل الخلق بالمرض والموت وبالمصائب {رَبُّ} رب وإله وخالق {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} السموات السبع وما فيهن والأرض وما فيها {وَمَا بَيْنَهُمَا} وما بين السماء والأرض من شمس وقمر ونجوم وكواكب وملائكة وسحاب وهواء وغير ذلك من مخلوقات {الْعَزِيزُ} القوي في ملكه وسلطانه {الْغَفُورُ} الذي يغفر الذنوب

لعباده بعد توبتهم وندمهم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله للناس وأخبرهم {هُوَ} هو الله وحده والحساب يوم القيامة والعذاب في نار جهنم {نَبَأُ} هو خبر {عَظِيمٌ} كبير الأهمية والشأن والموقف {أَنْتُمْ} أنتم يا كفار قريش ويا أيها الناس عموماً {عَنَّهُ} عن الحساب يوم القيامة وعذابه {مُعْرِضُونَ} غافلون ومنصرفون ومبتعدون ولاهون {مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ} وقل لهم يا محمد يا رسول الله ليس لي علم ولا خبر {بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى} وهم الملائكة {إِذْ تَخْتَصِمُونَ} عندما يتجادلون ويختلفون ويعترضون وهو عندما قال الله تعالى: " إِنْ يَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنْ يَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ " ٣٠ البقرة. {إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ} إنما يوحى إليّ أنا محمد رسول الله {إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ} إلا أنه أنا فقط أنذر الناس وأحذرهم وأخوفهم من عذاب الله تعالى والحساب يوم القيامة {مُبِينٌ} واضح الحجة والبيينة والدلالة والمعجزة والبيان.

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِیْنٍ ﴿٧١﴾ فَاِذَا سَوَّیْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِیْهِ مِنْ رُّوْحِیْ فَقَعُوْا لَهٗۥ سَاجِدِیْنَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ اَلْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُوْنَ ﴿٧٣﴾ اِلَّا اِبْلِیْسَ اَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِیْنَ ﴿٧٤﴾ قَالَ یٰۤاِبْلِیْسُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِیَدِیْۙ اَسْتَكْبَرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰلِیْنَ ﴿٧٥﴾ قَالَ اَنَا خَیْرٌ مِّنْهُۥ خَلَقْتَنِیْ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِنْ طِیْنٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرِجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِیْمٌ ﴿٧٧﴾ وَاِنَّ عَلَیْكَ لَعْنَتِیْ اِلَیَّ یَوْمٍ اَلْدِیْنِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِیْ اِلَیَّ یَوْمٍ یُّبْعَثُوْنَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِیْنَ ﴿٨٠﴾ اِلَیَّ یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا اُغْوِیَنَّهُمْ اَجْمَعِیْنَ ﴿٨٢﴾ اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَّصِیْنَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ اَقُوْلُ ﴿٨٤﴾ لَا مَلٰٓئِنَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ اَجْمَعِیْنَ ﴿٨٥﴾ ﴾

{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ } إذ قال ربك وإلهك وخالقك يا محمد يا رسول الله { لِلْمَلٰٓئِكَةِ } وهم الملائكة المقربون { اِنِّیْ خَلَقْتُ } اني سأخلق إنساناً وهو آدم عليه السلام { بَشَرًا } أي له بشرة وخلقته ودم ولحم وعظام وعروق وشعر وجلد { مِنْ طِیْنٍ } سأخلقه من طين الأرض { فَاِذَا سَوَّیْتُهُۥ } أي عملت هيكله على صورته الحالية وهو آدم عليه السلام { وَنَفَخْتُ فِیْهِ مِنْ رُّوْحِیْ } ونفخت فيه الروح أي وضعت فيه الروح والحياة وهما من خلقي وبقدرتي وبأمري وحكمتي وأصبح بشراً سوياً أي كامل الخلقة والحياة البشرية { فَقَعُوْا لَهٗۥ سَاجِدِیْنَ } أي اسجدوا له على الجباه كما نسجد نحن في الصلاة والسجود هنا حقيقي لامثال أمر الله تعالى ولبدیع صنع الله تعالى في خلقه آدم من طين لقله تبارك وتعالى: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِیْ اَحْسَنِ تَقْوِیْمٍ " ٤ التین.

{ فَسَجَدَ اَلْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُوْنَ } فامتثلت الملائكة المقربون لأمر الله تعالى

وسجدوا كلهم أجمعون أي جميعهم وهم الذين توجه إليهم الأمر بالسجود فقط دون سائر الملائكة كحملة العرش وملائكة سائر السموات لأنهم غير مشمولين بذلك الأمر {إِلَّا} ومستثنى من ذلك {إِبْلِيسَ} ما عدا إبليس وهو أبو الجن والشياطين كما آدم أبو الإنس والبشر وسمي إبليس لأنه أبلس وطرده من رحمة الله تعالى {أَسْتَكْبَرُ} تكبر عن السجود وهذا يدل على أنه كان سجوداً حقيقياً على الجباه {وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} وكان بذلك التكبر من الكافرين بالله تعالى ولعدم إطاعة أمره بالسجود {قَالَ} قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَتَّابِلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ} قال الله تعالى مخاطباً إبليس عندما عصى أمره تعالى وموبخاً له ما هو سبب عدم سجودك لآدم الذي خلقته {بِيَدَيَّ} أي أتيت به من العدم وجعلته من لا شيء بشراً سوياً حياً به الروح ويتحرك بيدي أي بيد القدرة والمشية {أَسْتَكْبَرْتَ} هل تكبرت وتعاضمت {أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} أم كنت من المستعلين وفوق الأمر والحكم وأنت أعلى خلقه ومرتبة منه {قَالَ} قال إبليس {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ} أنا أفضل منه وأحسن {خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} قال إبليس معترفاً بتكبره وتعالیه : لأنه خلقتني من النار لأن أصل خلقته من مارح من نار أي من لهب النار ووجهها ومن لسان النار الذي يكون في طرفها وهذا يدل على أنه لم يكن من الملائكة طرفة عين لأن الملائكة خلقت من النور أما إبليس فخلق من النار وسيعود إليها ليُعذب فيها يوم القيامة هو وذريته الذين اتبعوه وتأکید أن إبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين قوله تعالى : " إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ " ٥٠ الكهف. وقال إبليس أن سبب تعاليه وكبره أن آدم خلق من طين فأخطأ بقياسه لأن إبليس ظن أن النار أفضل من الطين وقد خانه طبعه كما جاء في

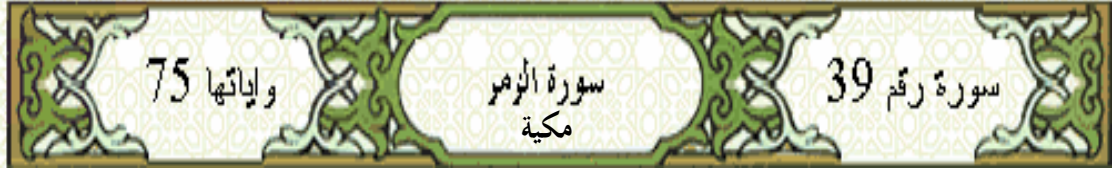
الحديث: (العرق دساس) ودَحَضُ حجة إبليس وظنّه أن النار أفضل من الطين هو أنه لا يعلم ولم يدْر أن النار إذا أُطفئت لم تكن شيئاً وتصبح بقاياها رماداً يذهب هباءً منثوراً تذروه الرياح أما الطين فيبقى ولا يزول وكلما نزل عليه الماء اهتز وربّاً فيحيا من جديد ويخرج منه النبات حياً وخضراً وأنبت من كل زوج بهيج بعكس النار لا يَنبت فيها شيء وكلما نزل عليها الماء أُطفئت ولم تكن شيئاً ولم تبق لها باقية بل تذهب هباءً منثوراً {قَالَ} قال الله تعالى {فَأَخْرَجَ مِنْهَا} فأخرج من هذه الغطرسة والخيلاء فقد لبست ثوباً أكبر من ثوبك {فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} فإنك ملعون ومطرود من رحمة الله تعالى ورجمت الحق بالباطل {وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي} وإن عليك سخطي وغضبي {إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} إلى يوم القيامة {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي} قال ربي أخّرني وأجلّني ولا تُمتني {إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} إلى يوم البعث في يوم القيامة عندما يحيى الخلق ويخرجون من قبورهم بعد موتهم أحياء {قَالَ} قال الله تعالى {فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ} قال لإبليس ملبياً طلبه إنك من المؤجلين فلا تموت {إِلَى يَوْمِ أَلْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} إلى يوم القيامة المعلوم والمعروف من الله تعالى وقته وأجله وموعده وقيامه {قَالَ} قال إبليس لعنه الله {فَبِعِزَّتِكَ} يقسم بجلال الله تعالى وعزته وقوته وسلطانه {لَأُغْوِيَنَّهُمْ} سأنتقم منهم أي من آدم وذريته ولأفتننهم ولأضلنهم {أَجْمَعِينَ} جميعاً وعموماً رجالاً ونساءً وأطفالاً {إِلَّا} باستثناء وعدا {عِبَادِكَ} أي خلقك الذين يطيعونك ومفرد العباد عبد وهو الطائع لسيدته ومولاه {مِنْهُمْ} من آدم وذريته {الْمُخْلِصِينَ} الخالصين العبادة والطاعة لله تعالى والصادقين الإيمان والحافظين لحدود الله تعالى {قَالَ} قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا

شأنه {فَالْحَقُّ} القول الصدق {وَالْحَقُّ} والعدل والصدق والصحيح {أَقُولُ} أقول قولاً لا رجعة فيه كما قال تعالى: "قَوْلُهُ الْحَقُّ" ٧٣ الأنعام. {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ} سأملأ جهنم منك يا إبليس أنت وذريتك من الشياطين {وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ} ممن اقتفى أثرك وأطاعك واتبعك في المعاصي والكفر والذنوب {أَجْمَعِينَ} جميعكم وكلكم يا من عصيتم وأشركتم وكفرتم بالله تعالى وبرسله.

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (٧٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾  
وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٧٨﴾

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله أي للناس جميعاً {مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} لم أطلب منكم أيها الناس جميعاً أجراً ولا مكافأة على الإسلام وعلى دين الله تعالى {وَمَا أَنَا} وما أنا محمد رسول الله {مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} من المبالغين ولا المتظاهرين بالحقيقة كذباً والتكلف هو كل عمل فيه صنعة وتكلف وخداع والتظاهر بالحقيقة كذباً {إِنَّ هُوَ} إن هو القرآن {إِلَّا ذِكْرٌ} إلا عظة وموعظة {لِلْعَالَمِينَ} لجميع العالم العالم الإسلامي والعالم اليهودي والعالم المسيحي أي لجميع الأمم في جميع العصور بعد النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى يوم القيامة وحتى إلى عالم الجن {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ} وستُخبرون بعلمه وخبره وأنه كتاب منزل من الله تعالى صدقاً وعدلاً {بَعْدَ حِينٍ} بعد فوات الأوان وبعد الموت وحين تقوم القيامة حيث تظهر الحقيقة ويوم لا ينفع الندم.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ  
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ  
سَخْتِلُوفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا  
لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ  
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ لِيَجْرِيَ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ ﴾

قال النسائي: حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان ابن ابي  
لبابة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم  
حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان صلى الله  
عليه وسلم يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر. [ابن كثير ج ٤ ص ٤٤].

{ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ } أنزل القرآن الكريم { مِنَ اللَّهِ } من عند الله تعالى جل جلاله وعظم  
قدره وعلا شأنه بواسطة الوحي جبريل عليه السلام من اللوح المحفوظ إلى بيت  
العزة وهو مسجد في السماء الدنيا ومن السماء الدنيا بواسطة الوحي جبريل عليه  
السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منجماً أي حسب الأحداث والوقائع  
حتى أكمل جميعه { الْعَزِيزِ } القوي والعزيز والمنيع في ملكه وسلطانه { الْحَكِيمِ }  
الحكيم في أوامره ونواهييه وأقواله وأفعاله وفي ملكه فلا يخطئ أبداً وهي مأخوذة من

الحكمة وهي عمل الشيء على خير وأحسن وأفضل وأتقن وجهه {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ} أنزل الله تعالى {إِلَيْكَ} إليك يا محمد يا رسول الله {الْكِتَابَ} القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة بالسماء الدنيا ثم أنزله منجماً حسب الوقائع والأحداث على النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بِالْحَقِّ} حقاً وصدقاً وعدلاً وليس لعباً ولا لهواً {فَاعْبُدِ اللَّهَ} فاعبد الله تعالى وحده لا شريك له {مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} وأن تعبد الله تعالى كأنك تراه وإن لم تكن تراه فهو يراك والإخلاص في العبادة هو أن لا تشرك به أحداً وأداء العبادة على أحسن وجه وأتقنه ولا يكون فيه رياء ولا سمعة ولا تهاون وأن تؤدي الدين الإسلامي حقه وهو أداء العبادات والفرائض والجهاد واتباع أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه {أَلَا} أداة للتنبيه والتقريب والتأكيد أي اعلموا أن {لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} أي يجب لله تعالى الإخلاص له في الدين الإسلامي وهو الذي أمر به من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} وهم الكفار والمشركون الذين عبدوا غير الله تعالى واتخذوا غيره من الأصنام والأوثان والأنداد يعبدونها {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ} ويقولون أي الكفار والمشركون ما نعبد الأصنام والأوثان إلا ليقربونا عند الله تعالى {زُلْفَى} أي درجة ومنزلة أي يتقربون بهم وبعبادتهم وبما يقدمون لهم من القرابين إلا ليرضى عنهم الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} يفصل بينهم يوم القيامة {فِي مَا هُمْ فِيهِ مَخْتَلِفُونَ} في ما هم يخالفون فيه رسلهم وكتبهم ويعبدون غير الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد وسيعلمون أنهم كانوا على خطأ وجهل كبير وغي وضلال {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ} إن الله لا يرشد للقوم

والهدى والرشاد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {مَنْ هُوَ كَذِبٌ} من هو كاذب في دعواه لأنه يعلم أن الأصنام التي يصنعها بيديه هي جمادات لا تنفع ولا تضر وهو كاذب في قوله وفعله {كَفَّارٌ} وهي صيغة المبالغة في الكفر والجحود والتكذيب {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا} لو شاء الله تعالى أن يجعل له مولوداً ذكراً {لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا خَلَقَ} لا يختار من خلقه {مَا يَشَاءُ} ما يريد ممن هو أشد وأقوى وأفضل وأحسن وأجمل شيء من مخلوقاته {سُبْحٰنَهُ} تنزهه وتقدس وتعالى وترفع عن الولد وعمما يقولون ويتخرصون ويدعون {هُوَ اللَّهُ} لأنه هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو الخالق والرازق والمحيي والمميت {الْوٰحِدُ} فهو الواحد في ملكه الوتر الفرد الذي ليس له ثان ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل {الْقَهَّارُ} الذي يقهر ويذل جميع خلقه وعباده بالموت حتى الملائكة وملك الموت وحملة العرش وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عزرائيل يموتون جميعاً يوم القيامة ثم ينادي الله عز وجل خلقه وقد ماتوا جميعاً ولم يبق أحد من الخلق فيقول الله عز وجل: أين الملوك وأين أبناء الملوك أين الجبابرة وأين أبناء الجبابرة وأين الذين كانوا يأكلون خيري ويعبدون غيري ثم يقول الله تعالى لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد فيجيب سبحانه وتعالى نفسه فيقول لله الواحد القهار. [وهو في حديث الصور الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مطولاً - ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣]. {خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَاللَّهُ تعالى هو الذي خلق السموات السبع وما فيها من الملائكة ومن الشمس والقمر والنجوم والكواكب {وَالْأَرْضِ} والأرض وما فيها من إنس وجن وبحار وأنهار وجبال وسهول وحيوانات وطيور ونبات وأشجار {بِالْحَقِّ} بالحق والصدق وليس

لعباً ولا لهواً {يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ} يعاقب ويتابع الليل بعد النهار ويديرها متتالية بعضها خلف بعض باستمرار متتابعة ومترابطة فالليل يتابع النهار {وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ} ويتابع النهار خلف الليل {وَسَخَّرَ} وسخر الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الشَّمْسِ} تضيء النهار {وَالْقَمَرَ} ينير الليل {كُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي} كلُّ يجري في فلك ومكان سيره وفي موقعه في كبد السماء يضيء {لَأَجَلٍ مُّسَمًّى} لأجل ووقت يوم القيامة أي يجري حتى يوم القيامة {أَلَّا} للتنبيه والتأكيد أي فاعلموا أنه {هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر {الْعَزِيزِ} العزيز والقوي والمنيع في ملكه وسلطانه {الْغَفُورِ} وهي صيغة المبالغة من كلمة غفور أي أنه سبحانه كثير المغفرة لعباده ولخلقه ويتجاوز عنهم كما قال تبارك وتعالى: " وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ " ٣٠ الشورى.

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً  
 أَزْوَاجًا تَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦١﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ  
 وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦٣﴾ ﴾

{خَلَقَكُمْ} خلقكم وأنشأكم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} من نفس آدم عليه السلام وهو أبو البشر خلقه الله تعالى من طين {ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} ثم خلق الله تعالى من آدم عليه السلام زوجته حواء عليها

السلام من ضلعه الأيسر {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ} وخلق الله تعالى لكم من ظهور الأنعام ما تلده لكم والأنعام هي {ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ} وعددها ثمانية وهي أربعة أنواع كل نوع اثنان ذكر وأنثى وهي من الإبل اثنان وهما جمل وناقة ومن البقر اثنان وهما ثور وبقرة ومن الضأن اثنان وهما خروف وحمل أو نعجة ومن الماعز اثنان وهما جدي وسخلة أو عنزة والأنعام حلال لنا وتؤكل لحومها وتشرب ألبانها {تَخْلُقْكُمْ} الله تعالى يخلقكم {فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ} وذلك من لقاء نطفة الرجل والمرأة {فِي ظُلْمَتٍ ثَلَاثٍ} والظلمات الثلاث هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة كما قال تعالى: " ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ {١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {١٤} " ١٣، ١٤ المؤمنون. وكما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا " ٥ الحج. وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وعمره وعمله وشقي أو سعيد). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٢]. {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ} ذلك الخالق هو الله تعالى ربكم وخالقكم والهكم هو الذي خلقكم من نفس واحدة {لَهُ الْمُلْكُ} لله تعالى وحده مُلْكُ السموات والأرض والكون جميعه وما فيه ويملك أنفسكم بالموت والحياة

{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله ولا معبود غير الله تعالى هو وحده لا شريك له {فَأَنِّي تُصَرَّفُونَ} فمتى تنصرفون عن الكفر والمعاصي والإشراك بالله تعالى إلى طاعته وعبادته وحده {إِنْ تَكْفُرُوا} إن تجحدوا وتكذبوا أيها الناس بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ولم تصدقوهم {فَارَبَّ اللَّهِ عَنِّي عَنكُمْ} فإن الله تعالى مستغن عنكم وعن عبادتكم فلا يحتاج إليكم أبداً {وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} ولا يقبل الله تعالى ولا يرضى لعباده ولخلقه الكفر والجحود والعصيان وأن يكذبوا به وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَإِنْ تَشْكُرُوا} وإن تحمدوا الله تعالى على فضله وعطائه وعبادته وحده {يَرْضَاهُ لَكُمْ} يرضى ذلك منكم ويحبه لكم حتى يدخلكم جنته يوم القيامة ولا يعذبكم في جهنم. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار). [رواه مسلم]. {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} أي لا يحمل إنسان ذنب الآخر كما قال تعالى: " مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ " ١٢٣ النساء. {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ} ثم بعد ذلك مصيركم ونهايتكم ورجوعكم إلى الله تعالى يوم القيامة في المحشر للحساب {فَيُنَبِّئُكُمْ} فيخبركم ويعلمكم {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} بما عملتم في الدنيا من خير أو شر وكما قال تبارك وتعالى: " وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف. {إِنَّهُ عَلِيمٌ} إن الله تعالى يعلم ويحيط علمه

{بِدَاتِ الصُّدُورِ} بما تخفي القلوب وما في النفوس من خير أو شر فهو علام الغيوب.

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۗ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ۗ إِنَّآءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَابِمًا تَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

{وَإِذَا مَسَّ} إذا أصاب {الْإِنْسَانَ} بني آدم وسمي الإنسان لأنه نسي عهد الله ووصيته بالأكل من الشجرة كما قال تعالى: " وَلَقَدْ عَاهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا " ١١٥ طه. وقيل لأنه أنس إلى حواء عندما خلقها الله تعالى من ضلعه الأيسر ووجدتها بجانبه {ضُرٌّ} أي بلاء ومصيبة وسوء وهمّ وغمّ وكل شر {دَعَا رَبَّهُ} تضرع إلى الله تعالى بالدعاء ليكشف عنه السوء {مُنِيبًا إِلَيْهِ} أي تائباً ونادماً وراجعاً إليه بالتوبة والدعاء {ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ} إذا منحه ووهبه {نِعْمَةً مِّنْهُ} فضلاً وخيراً وبرفع الضر والسوء والمصيبة والشر والههم والغم عنه وتفضل عليه بأي خير {نَسِيَ} لم يتذكر {مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ} ما سأل وما كان يطلب من رفع السوء عنه والشر ونسي ذلك الفضل عليه {مِنْ قَبْلُ} من قبل أن يرفع عنه البلاء والمصائب {وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا} وجعل لله تعالى شركاء من الأصنام والأزلام والشركاء كاليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصرى عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة

{لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} ليعبد غير الله تعالى ويضل نفسه ويضل غيره من الناس بذلك الشرك والبعث عن طريق عبادة الله تعالى وعن هداة {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله لهؤلاء الكفار ولهذا الكافر {تَمَتَّعَ بِكُفْرِكَ} تنعم بكفرِكَ هذا في الدنيا {قَلِيلًا} لأن متاع الحياة الدنيا قليل بالنسبة للآخرة وكذلك عمرك قليل في الدنيا بالنسبة للآخرة {إِنَّكَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ} إن بعملك هذا الكفر والشرك سيكون مصيرك في نار جهنم وتصبح من أهلها يوم القيامة. قال الإمام أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن أبي عون عن أبي إدريس قال سمعت معاوية يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً. [ورواه النسائي عن محمد بن مثنى عن صفوان بن عيسى به - ابن كثير ج ١ ص ٥٠٨]. {أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ} أو هل من هو طائع وعابد لله تعالى {ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ} أثناء الليل {سَاجِدًا وَقَائِمًا} وهو صلاة قيام الليل {تَحَذَرُ الْآخِرَةَ} يخاف الحساب يوم القيامة ويخشى عذاب الله تعالى {وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ} وبصلاته بقيام الليل يطلب رضا الله تعالى ورحمته ودخول الجنة يوم القيامة هل يستوي هذا مع غيره من الكفار والمشركين والعصاة والمذنبين {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَلْ يَسْتَوِي} هل يتساوى في الفضل {الَّذِينَ يَعْلَمُونَ} الذين يعلمون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويعلمون يوم القيامة وشرها والحساب والعذاب {وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} وهم الكفار والمشركون والذين اتخذوا مع الله إلهاً آخر فهم لا يعلمون ما ينتظرهم من الحساب والعذاب والعقاب يوم القيامة {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ} إنما يتفكر ذلك ويتعظ



{أُولُوا الْأَلْبَابِ} وهم أصحاب الإدراك والفهم والعقول السليمة وأصحاب العلم والتروي والنصح والإرشاد والاتعاظ {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله إن الله تعالى يقول لكم {يَعْبَادِ} يا خلقي {الَّذِينَ ءَامَنُوا} الذين صدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {اتَّقُوا رَبَّكُمْ} خافوا ربكم الله تعالى واحذروه واحشوا عذابه واعبدوه وأطيعوه {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا} للذين أحسنوا أعمالهم وعبادتهم في طاعة الله تعالى {فِي هَذِهِ الدُّنْيَا} في الحياة الدنيا {حَسَنَةً} حياة طيبة ورغد من العيش وزوجة سالحة وولد بار في الدنيا ويوم القيامة لهم الجنة {وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ} وأرض الله كبيرة وواسعة بالخيرات لتهاجروا فيها من بلدكم الضيق ذو المتاعب والمعاصي وتهاجروا في سبيل الله تعالى لطلب الرزق وعبادة الله تعالى وحده والفرار بدينكم من الكفر والمعاصي ومن الظلم {إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ} إنما يُعْطَى الصابرون في عبادة الله تعالى وفي طاعته والصبر على المصائب {أَجْرَهُمْ} ثوابهم {بِغَيْرِ حِسَابٍ} بغير محاسبة ولا معاتبة من الله تعالى يوم القيامة ويدخلون الجنة بغير عذاب ولا عقاب.

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ هُمْ مَنْ فَوْقَهُمْ ظُلُمٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُمْ ۗ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ۗ يَعْبَادِ فَاتَّقُوا ۗ وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۗ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَلْفَأَنْتَ تَنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٨﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ۝﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {إِنِّي أُمِرْتُ} أمرت من الله تعالى بواسطة الوحي جبريل عليه السلام في القرآن {أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} أن أعبد الله تعالى مخلصاً له وحده وأتبع دينه دين الإسلام وأن لا أشرك به أحداً {وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} وأمرت كذلك من الله تعالى لأكون أول من أسلم واعتنق دين الإسلام ويطيعه ويطبقه ويعمل به {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنِّي أَخَافُ} إني أخشى {إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي} إن لم أطع الله تعالى وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه وإن خالفته وعصيت أمره بعدم تبليغ الرسالة {عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} عقاب يوم القيامة وهو يوم عظيم الشأن ويوم عصيب وعسير {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للناس {اللَّهُ أَعْبُدُ} أعبد الله تعالى وحده لا شريك له وأؤدي له الطاعات

والفرائض من صلاة وصوم وزكاة وحج {مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} أي لا أشرك في عبادته أحداً والإخلاص هو الإتقان في العمل بحيث لا يكون فيه رياء ولا سمعة ولا تهاون {فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ} فاتخذوا أيها الكفار ما أردتم غير عبادة الله تعالى من الأصنام والأوثان فإن يوم الحساب قادم عليكم وهو يوم القيامة {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّ الْخَاسِرِينَ} من خسرت بضاعته وتجارته وأنقصت رأس المال وكذلك الخاسرين في يوم القيامة وهم {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} الذين أهلكوا أنفسهم {وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} والأهل هم الأب والأم والزوجة والأبناء والأخ والأخت إن كان يقوم برعايتهم والإنفاق عليهم ما لم يتزوجوا ويفارقوا إلى بيت آخر وخسران أهلهم هو أن يتبعوهم في المعصية والإشراك ويهلكون أنفسهم وأهلهم في نار جهنم لكفرهم وعصيانهم وإنكارهم وجحودهم وتكذيبهم بدين الإسلام وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتكذيب رسوله {أَلَا} وألا للتنبيه {ذَلِكَ} ذلك الكفر والشرك {هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} هو الخسارة الفادحة يوم القيامة لعذابهم في نار جهنم {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} لأن لهم عذاباً من فوقهم {ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ} طبقات كثيفة ومتراكمة بعضها فوق بعض من نار جهنم تشتعل وتتوهج {وَمِنْ تَحْتِهِمْ} ومن تحت أرجلهم كذلك {ظُلُلٌ} أي نار كثيفة شديدة محرقة {ذَلِكَ} ذلك البيان والوعظ هو {يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ} حتى يخوف الله الناس من خلقه بشدة العذاب يوم القيامة حتى يرجعوا عن معصية الله تعالى والإشراك به {يَعْبَادِ} يا خلقي ويا أيها الناس {فَاتَّقُونِ} فاتقوني واخشوا عذابي لأن عذابي شديد وأليم في يوم القيامة في نار جهنم {وَالَّذِينَ آجْتَنَبُوا} والذين تركوا وابتعدوا ودعوا عبادة

{الطَّغُوتِ} والطاغوت هو الشيطان والأصنام {أَنْ يَعْبُدُوهَا} أن يتخذوها آلهة من دون الله تعالى وقيل نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وهي بعد ذلك عامة لجميع الناس ممن يدخل في دين الإسلام {وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ} وتابوا ورجعوا إلى عبادة الله تعالى وطاعته {لَهُمُ الْبُشْرَى} لهم البشارة السارة والمفرحة وهي دخول الجنة يوم القيامة {فَبَشِّرْ عِبَادِ} فبشر يا محمد يا رسول الله عبادي الطائعين لله ولرسوله بالجنة يوم القيامة {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ} وهم الذين يتعظون بنصح وإرشاد الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به القرآن {فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} فيقتدون ويأخذون أحسن القول وأفضله في العبادة وكما قال تبارك تعالى: " وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ " ٢٦ المطففين. وأحسنه في القول هو عمل المقربين وهم سكان الفردوس الأعلى وهو أعلى الجنان يوم القيامة {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ} الذين يتبعون أحسن القول بالعمل هم الذين هداهم الله تعالى للإسلام ولعبادته وطاعته {وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} وأولئك هم أصحاب الإدراك والفهم والعقول السليمة وأصحاب العلم والتروي والنصح والإرشاد والاعتاظ وهم الناجون يوم القيامة {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ} أفمن وجب عليه واستحق {كَلِمَةُ الْعَذَابِ} وهي قوله تعالى ألقوه في عذاب السعير وفي عذاب الجحيم وفي نار جهنم {أَفَأنتَ} فهل أنت يا محمد يا رسول الله {تُنقِذُ} تنجي {مَنْ فِي النَّارِ} من هو واقع في النار يوم القيامة لكفره وشركه وعصيانه وتكذيبه لك ولرسالتك أي أنهم عصاة ومستمرون في التكذيب لك ولرسالتك {لَئِكَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ} ولكن بعكسهم وهم الذين عبدوا الله تعالى وأطاعوه وخافوا عذابه {هُمْ عُرِفُوا مِنْ فَوْقِهَا عُرْفًا}

مَبْنِيَّةٌ ﴿ لَهُمْ قُصُورٌ لَهَا طَوَابِقُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ أَيُّ بِنَايَاتٍ مِنَ الْغُرُفِ لَهَا أَدْوَارٌ كَثِيرَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَالتِّي عَمَلَتْ نَاطِحَاتُ السَّحَابِ وَالبِنَايَاتُ الضَّخْمَةُ عَلَى أَسَاسِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَمَا بِالكَ بِقُصُورِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أَي تَجْرِي تَحْتَ قُصُورِهَا كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا سَلِيمَانُ لِبَلْقَيْسٍ: " قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ " ٤٤ النمل. ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ ﴾ وَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ وَالْعَاصِينَ وَالْمُشْرِكِينَ لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَذَا وَعْدُهُ الَّذِي وَعَدَ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ﴿ لَا تُخَلِّفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴾ لَا يَغَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا يُلْغِي مَا وَعَدَ بِهِ لِأَنَّ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالْعَدْلُ.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَبُّهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوَلِّتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۗ مَن يَشَاءِ ۗ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿١٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تنظر بعينيك المجردة وتشاهد يا محمد يا رسول الله وأنت أيها المؤمن من بعده { أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه أنزل من السماء مطراً وهو بخار الماء تحمله الرياح من فوق البحار والمحيطات فتجمع ذراته مع بعضها عندما تمر بمنطقة باردة وتتكثف قطراته بين السماء والأرض وعندها يهبط المطر وينزل بإذن الله تعالى وقال سبحانه وتعالى " مِن السَّمَاءِ " لأنه ينزل من جهة السماء { فَسَلَكَهُ } فأجراه { يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ } وهو خروج الماء من باطن الأرض على شكل ينبوع وهو عين تجري في أماكن متفرقة داخل الأرض وخارجها { ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ } وهذه عيون الماء يسقي الله تعالى بها الزرع فيخرج الله تعالى الزرع والنبات من الأرض { زَرْعًا } والزرع هو كل ما يزرع

وينبت من الأرض من حبوب ونباتات وأشجار وفواكه وخضار {مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ} متنوعاً في ألوانه منها الأصفر والأحمر والأبيض والأسود والبنفسجي وغير ذلك أي مختلف الثمر ومتنوع الألوان {ثُمَّ يَهِيْجُ} ثم يزيد خضرة ونضرة وجمالاً وطولاً {فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا} أي يصبح لونه أصفر دليل النضوج وقرب من الانتهاء ليحصد ثمره {ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا} ثم بعد نضجه واستوائه يصبح الزرع كالقمح والشعير والعدس وغيرهم يصبح تبناً وقشاً وطعاماً للبهائم والحيوانات وكما قال تعالى في آية أخرى: " كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَامًا " ٢٠ الحديد. {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك الزرع من خضرة ثم اصفرار ثم حطاماً وتبناً {لَذِكْرِي} لعظة وموعظة {لِأُولِي الْأَلْبَابِ} لأصحاب الإدراك والفهم والعقول السليمة وأصحاب العلم والتروى والنصح والإرشاد والاعتاظ وهم الناجون يوم القيامة {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} فهل من جعله الله تعالى فرحاً مسروراً بدخوله في دين الإسلام ونور قلبه بنور المعرفة {فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ} فهو على بينة وهدى ورشد وعلى المعرفة والحق من الله تعالى باتباعه دين الإسلام {فَوَيْلٌ} يا ويلهم ويا عذابهم {لِلْقَسِيَةِ قُلُوبِهِمْ} للمتحجرة والمكذبة قلوبهم بالشرك والكفر والمعاصي {مِّن ذِكْرِ اللَّهِ} والبعد عن ذكر الله تعالى ولم يخافوه ولم يخشوه ولا يخافوا عذابه {أُولَئِكَ} هؤلاء الكفار {فِي ضَلَالٍ} في انحراف وغي وبعد عن الحق والهدى {مُبين} عظيم وكبير {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {نَزَلَ} أنزل {أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} أحسن الكلام وهو القرآن الكريم {كِتَابًا مُّتَشَابِهًا} والقرآن الكريم متشابه في آياته ونصها وتكرارها وفي أحكامه وفي ما حرمه وما أحله

وفيما أمر به رسله من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ومن ذكر الحساب يوم القيامة والبعث والنشور والجنة والنار وعذاب الله تعالى للكفار والمشركين وأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله أرسله لأمته كما أرسل الرسل السابقين {مَّثَانِي} أي تتكرر الآيات في الثناء على الله تعالى مثل الحمد لله رب العالمين وكذلك مثاني فيه ذكر الاثنين الجنة والنار وكذلك الثواب والعقاب وكذلك الدنيا والآخرة وزيادة على ذلك فإن عدد سور القرآن الكريم هي بالزوج وهي مائة وأربع عشرة سورة {تَقَشَّعِرُ مِنْهُ جُلُودٌ} تخاف وترجف وترتعش من عذاب الله تعالى ومن ذكر الموت والبعث والحساب والعذاب يوم القيامة جميع جلد الإنسان وهو ما يغطي ظاهر الجسم سواء من الأيدي أو باقي الجسم {الَّذِينَ تَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ} الذين يخافون عذاب وعقاب ربهم الله تعالى يوم القيامة وهم المؤمنون والصالحون {ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ} ثم تطيع وتخضع وتنقاد وتفرح وتسرع قلوبهم ويظهر ذلك الفرح من القلوب على جلد الإنسان وهو ما ظهر من الجسم بانبساط الوجه بالفرح والسرور والاطمئنان {إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ} إلى ذكر الله تعالى وطاعته وترديد اسم الله تعالى وذكره في جميع الأوقات والأحيان والأماكن والمواقف كما قال تبارك وتعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" ٢٨ الرعد. {ذَلِكَ} ذلك القرآن الذي هو أحسن الحديث {هُدَىٰ اللَّهِ} هو من توفيق الله تعالى وهدايته لعبده {يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ} يهدي به الله تعالى من يريد الهدى وعبادة الله وطاعته ويوفقه ويسهل له طريق العبادة والطاعة والذكر كما قال تعالى: " وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ " ١٧ محمد. {وَمَن يُضَلِّ اللَّهُ} ومن يضلله الله تعالى ويغويه ويبعده عن الهدى ويزيده ويسهل له ذلك الضلال لأنه



أحب العمى على الهدى {فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} فلن يستطع أحد هدايته لأنه جحد وأنكر وكذب وعصى وكما قال تبارك وتعالى: "فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ" ١٢٥ الأنعام. {أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ} فهل من يقي ويحفظ ويمنع وجهه {سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} شدة العذاب يوم القيامة بالعمل الصالح ويطيع الله تعالى في أوامره ويجتنب نواهيه ويحفظ نفسه من المعاصي والكفر والشرك هل يستوي هذا مع الظالمين الذين يعذبون في نار جهنم يوم القيامة {وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ} ويقال يوم القيامة للكفار والمشركين كما قال تعالى: "وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ" ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: "إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ١٣ لقمان. {ذُوقُوا} تذوقوا ألم العذاب {مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} بما كنتم تعملون وتكسبون من الأخطاء والذنوب والمعاصي والكفر {كَذَّبَ} أنكر ووجد {الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} ممن سبقهم من الأمم السابقة قبل الإسلام كذبوا رسلهم {فَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ} فسلط الله تعالى عليهم العذاب وأرسله عليهم {مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} من حيث لا يعلمون ولا يعرفون ولا يدرون أي جاءهم فجأة وبغتة {فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْحِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} عذبهم الله تعالى وأذاقهم ألم العذاب بالحزى والمذلة والقهر والهوان من قتل وأسر وهزيمة في الدنيا وهم أحياء {وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ} ولعذاب يوم القيامة {أَكْبَرُ} أعظم وأشد {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} لو كانوا يعلمون ويعرفون حقيقة ذلك يقيناً وتأكيذاً.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ قُرْءَانًا  
عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ  
وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّكَ  
مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٤١﴾

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ} ولقد بينا للناس جميعاً وقلنا {فِي هَذَا الْقُرْآنِ} في هذا  
القرآن الكريم الذي أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي  
جبريل عليه السلام {مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} من كل أمر لجميع الأشياء ولجميع المشاكل  
حتى يكون القياس مشابهاً لها عند الحكم في المنازعات والمشاكل والعبادات  
{لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} لعلهم يتعظون {قُرْءَانًا عَرَبِيًّا} أنزله الله تعالى بلغة عربية  
ولسان عربي والسبب في ذلك أن العرب يمتازون بالشجاعة والشهامة والوفاء والكرم  
والحق والعدل والإخلاص والبذل والتضحية وهم كذلك أهل الذكاء والفطنة والحفظ  
وقد حفظوا القرآن عن ظهر قلب في صدورهم قبل سطورهم {غَيْرِ ذِي عِوَجٍ} ليس  
فيه اعوجاج ولا انحراف ولا بعد عن الحق ولا يوجد فيه ضلال ولا كفر ولا هوى  
ولا ميل عن العدل والحق ولا شهوة فيه فهو يأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك  
له ويأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَعَلَّهُمْ  
يَتَّقُونَ} لعلهم يخشون الله تعالى ويبتعدون ويجتنبون نواهيهِ ويخافون عذابه  
ومعصيته {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا} قال الله تعالى وبيناً مثلاً يتعظ به الناس وهو {رَجُلًا  
فِيهِ شُرَكَاءُ} رجلاً من الرقيق فيه عدة شركاء يملكونه {مُتَشَكِّسُونَ} مختلفون  
ومتخاصمون في ذلك الرقيق {وَرَجُلًا} رجلاً رقيقاً {سَلَمًا لِرَجُلٍ} يملكه رجل

واحد {هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} هل يتساويان الرقيق الواحد ويملكه كثرة مختلفون فيما بينهم ورقيق آخر واحد يملكه شخص واحد لا يتساوان في طاعة الأمر {الْحَمْدُ لِلَّهِ} الحمد والشكر والثناء لله تعالى لأنه أهل للعبادة ويستحق العبادة وحده والشكر والعرفان {بَلْ} لكن {أَكْثَرُهُمْ} أكثر الناس وأغلبهم الكفار {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون ولا يدرون عاقبة ومصير كفرهم وشركهم لأن مصيرهم إلى النار يوم القيامة {إِنَّكَ مَيِّتٌ} إنك يا محمد يا رسول الله ستموت {وَأَيُّهُمْ مَيِّتُونَ} وإن الكفار وجميع الناس كذلك سيموتون مثلكم وستبعثون للحساب يوم القيامة {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ} ثم يوم القيامة يجمعكم الله تعالى في المحشر بعد أن يبعثكم أحياءً وفي الحساب {تَخْتَصِمُونَ} تتخاصمون وتتجادلون وكل يدلي بحجته ويقص مظلته ويطلب حقه من الآخر والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول بأنه بلغهم رسالة ربهم وجحدوا وأنكروا وكذبوا بها والكفار يجادلون عن أنفسهم والله تعالى يحكم بينهم فيما فيه يختلفون ويتخاصمون. وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال: (أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟) قلت لا قال صلى الله عليه وسلم: (لكن الله يدري وسيحكم بينهما). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢].

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٧﴾ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٨﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ ۗ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣١﴾ ﴾

{فَمَنْ أَظْلَمُ} من هو أظلم لنفسه بالشرك والكفر لله تعالى ولغيره بالتكذيب والعداء {مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ} بأن له شريكاً {وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ} وكذب بالقرآن الكريم وبالحق {إِذْ جَاءَهُ} إذ أتاه على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَلَيْسَ} ألا يوجد {فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى} في نار جهنم مكان ومقر يليق بهم {لِّلْكَافِرِينَ} الذين كفروا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ} وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أتى بالقرآن الكريم وبالرسالة من عند الله تعالى {وَصَدَّقَ بِهِ} وصدقته من المؤمنين حيث أنهم يعلمون أنه نزل من عند الله تعالى وبإذنه وبأمره وبعلمه وبحكمته {أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين يتقون الله ويخافونه ويخشونه ويبتعدون عن محارمه ومعاصيه ويجتنبون نواهيه ويعبدونه ويطيعونه فيما أمرهم به من طاعة وعبادة وبر وتقوى أي هم المتقون والعابدون والطائعون والخائفون من معصية الله تعالى وهم الذين يقون أنفسهم ويمنعونها ويجنبونها ويحفظونها من عذاب الله تعالى وكما جاء في الحديث: (اتقوا النار ولو بشق تمرّة) {هُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ} لهم في الجنة

ما يطلبون وما يسألون يوم القيامة من حور عين ولحم طير مما يشتهون وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وذلك من فضل الله تعالى عليهم {ذَلِكَ جَزَاءُ} ذلك الخير هو ثواب ومكافأة {الْمُحْسِنِينَ} المخلصين الذين أحسنوا عبادتهم وطاعتهم لله تعالى وحده لا شريك له {لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ} ليمحو الله عنهم {أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا} أقبح وشر وأكبر وأعظم وأشد ما عملوا سابقاً وهو الإشراف والكفر بالله تعالى بعد أن أسلموا {وَيَجْزِيَهُمْ} ويكافئهم ويعطيهم {أَجْرَهُمْ} ثوابهم {بِأَحْسَنِ} بأفضل {الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما كانوا يعملون من عبادة وطاعة في الدنيا لأن الحسنه بعشر أمثالها. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المعرور ابن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة ومن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعاً ومن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة). [ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية به - ابن كثير ج ٢ ص ١٩٦]. وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أيضاً: حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا الجعد أبو عثمان عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: إن ربكم عز وجل رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا إلى السبعمئة إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك). [ورواه البخاري ومسلم والنسائي من

حديث الجعد ابن عثمان به - ابن كثير ج ٢ ص ١٩٦]. {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} سؤال استفهام استنكاري للكفار وهو ألم يستطع الله تعالى أن يكفي عبده ويحفظه ويحميه وينصره ويؤيده من شر أعدائه وهو عبده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد حفظه وعصمه الله تعالى بعد نزول قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ " ٦٧ المائدة. {وَيُخَوِّفُونَكَ} ويخوفونك ويهددونك يا محمد يا رسول الله {بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} من الأصنام والأوثان بأنها ستغضب عليه وتصيبه بسوء كما قالوا " إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ " ٥٤ هود. {وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ} ومن يضل الله تعالى ويغويه ويبعده عن الهدى بكفره وعناده وإشراكه ويجعله يضل الطريق ولا يهتدي للهدى وللحق بغروره وصلفه وكبريائه وجحوده وإنكاره {فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} أي ليس له هداية لإصراره على الكفر والعناد والجحود والتكذيب {وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ} ومن يهده الله تعالى لعبادته وطاعته ولأعمال البر والخير والتقوى {فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ} لا أحد يستطيع إضلاله وإغواؤه وإغراءه على ارتكاب المعاصي والمحرمات لأنه عرف الحق والخير واتبعه عن عقيدة راسخة {أَلَيْسَ اللَّهُ} سؤال استفهام استنكاري للكفار أي ألم يكن الله {بِعَزِيزٍ} عزيز الجانب والمنعة والقوة فلا تصل إليه يد أو اعتداء {ذِي أَنْتِقَامٍ} فهو صاحب الانتقام الشديد والعذاب الأليم لمن عصاه أو أشرك به.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ۗ اللَّهُ ۗ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ  
 مُمَسِّكَتُ رَحْمَتِهِ ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا  
 عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ ۗ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُخْرِجِهِ وَمِحْلٌ  
 عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ  
 فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٣١﴾ اللَّهُ يَتَوَقَّى  
 الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۗ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ  
 وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

{وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ} وإن سألت الكفار يا محمد يا رسول الله {مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ} من هو خالق السموات السبع ورافعهن بدون عمد ومن هو خالق الأرض  
 {لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} سيقولون لك فوراً معترفين: الله تعالى هو الذي خلقهم {قُلْ} قل  
 لهم يا محمد يا رسول الله {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ} ماذا عملت أصنامكم هل  
 تشاهدون ما تعبدون وما تطلبون {مِنْ دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى من الأصنام والأوثان  
 والأنداد فلا تستطيع لكم نفعاً ولا ضراً {إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ} إن أرادني الله تعالى  
 بشر أو مرض أو بلاء {هَلْ هُنَّ} هل الأصنام والأوثان {كَاشِفَاتُ} رافعات  
 ومانعات {ضُرِّهِ} شره وبلائه ومصائبه وعذابه {أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ} أو أرادني الله  
 ووهبني ورزقني رحمةً وخيراً منه {هَلْ هِيَ} هل الأصنام التي تعبدونها من  
 دون الله تعالى {مُمَسِّكَتُ} مانعات وراذات {رَحْمَتِهِ} خيريه ونعمه {قُلْ} قل يا  
 محمد يا رسول الله {حَسْبِيَ اللَّهُ} يكفيني الله ويمنعني ويحفظني الله تعالى من كل

شر وسوء وبلاء { عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } عليه يعتمد المعتمدون وعليه من دون  
سواه { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { يَنْقُومِ } يا أمتي وعشيرتي { أَعْمَلُوا }  
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ } اعملوا على ما أنتم عليه من الإشراف واستمروا في عبادتكم  
للأصنام والأوثان { إِنِّي عَمِلْتُ } إني عامل بالإسلام وعبادة الله تعالى وحده وطاعته  
وحده { فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } فستعلمون يوم الحساب في يوم القيامة { مَنْ يَأْتِيهِ }  
عَذَابٌ } من هو الذي يسلب عليه عذاب يوم القيامة { يُخْزِيهِ } يذله ويفضحه  
ويقهره ويعذبه { وَحِجْلٌ عَلَيْهِ } ويقع عليه { عَذَابٌ مُّقِيمٌ } عذاب دائم ومخلد في نار  
جهنم يوم القيامة { إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ } إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا  
شأنه أنزل عليك يا محمد يا رسول الله بواسطة الوحي جبريل عليه السلام  
{ الْكِتَابِ } القرآن الكريم { لِلنَّاسِ } للناس كافة من أمتك { بِالْحَقِّ } بالصدق  
وبالعدل { فَمَنْ أَهْتَدَىٰ } فمن اهتدى وصدق وعمل به { فَلِنَفْسِهِ } يعود الخير  
عليه نفسه في الدنيا بالسعادة وفي الآخرة له الجنة { وَمَنْ ضَلَّ } ومن عصى وغوى  
وابتعد عن الحق بالكفر والإشراك والعصيان والجحود والتكذيب { فَإِنَّمَا يَضِلُّ }  
عَلَيْهَا } وإنما يرجع على نفسه الضلال بالشر والعذاب في الدنيا وفي الآخرة عذاب  
النار { وَمَا أَنْتَ } وليس أنت يا محمد يا رسول الله { عَلَيْهِمْ } على الكفار والمشركين  
{ بِوَكِيلٍ } بقيم ولا حافظ ولا مانع لهم على شركهم كما قال تعالى: " لَسْتَ  
عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " ٢٢ الغاشية. وكما قال تعالى: " فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا  
الْحِسَابُ " ٤٠ الرعد. { اللَّهُ } الله تعالى عز جلاله { يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ } يميتها { حِينَ  
مَوْتِهَا } حين يأتي أجلها المحتوم لأنه لكل أجل كتاب وإذا جاء أجلهم لا



يستأخرون ساعة ولا يستقدمون {وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} وكذلك يتوفى الله النفس التي لم يُقضى عليها بالموت الحقيقي وهو الموت الأكبر لأن النوم هو الموت الأصغر كما قيل كما قال تبارك وتعالى: " وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " ٦٠ الأنعام. وكما قال صلى الله عليه وسلم: (كما تنامون فكذلك تموتون وكما توقظون فكذلك تبعثون). {فِيْمَسْكُ} فيقبض ويحبس {الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ} التي حكم عليها بالموت وانتهى أجلها {وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ} أي يدعها ويتركها لتحيى وتستيقظ من النوم {إِلَىٰ أَجَلٍ} إلى وقت {مُّسَمًّى} أي معلوم ومحدد عند الله تعالى {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ} إن في ذلك الموت والنوم {لَآيَاتٍ} لدلائل وحجج وبيانات ومعجزات {لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} لقوم يتذكرون الموت وما بعده ويتعظون بذلك.

﴿ أَمْ آتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۚ ﴾  
 ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۗ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾  
 وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۗ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ  
 دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمْتَ الْغَيْبِ  
 وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ  
 ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ  
 بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

{أَمْ آتَّخِذُوا} أم هل اتخذ هؤلاء الكفار والمشركون {مِنْ دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى من  
 الأصنام والأوثان والأنداد {شُفَعَاءَ} وسطاء يشفعون لهم يوم القيامة عند ربهم  
 ويقربونهم زلفى عند الله {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار والمشركين {أَوْلَوْ  
 كَانُوا} أيفعلون ذلك حتى لو كانوا {لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا} لا يستطيعون لكم ضراً  
 ولا نفعاً لأنهم جمادات لا يتحركون لأنهم مصنوعين من الحجارة {وَلَا  
 يَعْقِلُونَ} ولا يفهمون ولا يدركون لأنهم جمادات مصنوعة من الحجارة فهي  
 تماثيل لا تنفع ولا تضر {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للمشركين {لِلَّهِ} لله تعالى  
 وحده {الشَّفَعَةُ جَمِيعًا} جميع الشفاعة لله تعالى كما قال تعالى: " مَنْ ذَا الَّذِي  
 يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ " ٢٥٥ البقرة. وكما قال تعالى: " يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ  
 صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا " ٣٨ النبأ. {لَهُ مُلْكُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} لله تعالى وحده ملك كل السموات والأرض وما فيهما وما

بينهما {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وبعد ذلك ترجعون إلى الله تعالى في أرزاقكم وجميع أحوالكم وشؤونكم في الدنيا وكذلك ترجعون إليه بعد الموت يوم البعث في يوم القيامة للحساب {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ} وإذا ذكر الله تعالى في الأذان أو الصلاة أو حلقات الذكر أو مجالس العلم أو أثناء الدرس أو الوعظ وحده {أَشْمَأَزَّتْ} قرفت وتضايقت وكرهت وهي مستعلية ومتكبرة {قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} قلوب الذين لا يصدقون بيوم القيامة أي أنهم قد لا يبدون ذلك ولكنه يظهر على وجوههم الضيق والكره ويتململون ويريدون الانصراف كرهاً عند ذكر الله تعالى وكثيراً ما يظهر ذلك بين الناس إذا حدثهم محدث عن الدين وتعاليمه أو سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والافتداء به {وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} وإذا ذكر في الحديث كل شيء خارج عن الإسلام من لهو الحديث سواء عن النساء أو المجون أو خلافه من الدنيا ومحرماتها أو لهوها {إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} يسعدون ويفرحون وتتهلل وجوههم بالفرح والسرور والسعادة وكل يعمل على شاكلته {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله وادع الله {اللَّهُمَّ فَاطِرُ} اللهم خالق {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} السموات السبع والأرض {عَلِمَ الْغَيْبِ} عالم ما في الغيب من الموت والبعث والحساب والعقاب والعذاب يوم القيامة {وَالشَّهَادَةِ} العالم المنظور والمعالم والمشاهد بالعين وعالم الدنيا وما فيها وما يعمل فيها {أَنْتَ} أنت يا الله يا مالك الملك ويا أحكم الحاكمين وأعدلهم {تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ} تحكم بين خلقك وتفصل وتقضي بينهم يوم القيامة {فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} في كل شيء فيه يختلفون ويتجادلون ويتخاصمون {وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا} ولو كان للذين ظلموا أنفسهم

بالكفر والشرك والمعاصي والذنوب وظلموا غيرهم بالظلم والجور والتجبر والبغي كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. { مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } ملك كل شيء في الأرض جميعاً { وَمِثْلَهُ مَعَهُ } وكذلك مثله في الكم والعدد { لَأَفْتَدُوا بِهِ } لقدموه فداءً { مِنْ سُوءٍ } من قبح وشدة { الْعَذَابِ } العقاب { يَوْمَ الْقِيَامَةِ } في الآخرة يوم القيامة { وَبَدَأَ لَهُمْ } وظهر لهم { مِنَ اللَّهِ } من عذاب الله تعالى وشدته وقساوته وألمه { مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } ما لم يكونوا يظنون ويفكرون. قال الإمام أحمد: حدثنا محمد ابن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو إسحق سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه). [رواه البخاري - ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٠]. { وَبَدَأَ } وظهر { لَهُمْ } للكفار والمشركين { سَيِّئَاتُ } عاقبة وسوء وقبح وشر ومصير { مَا كَسَبُوا } ما عملوا { وَحَاقَ بِهِمْ } وأحاط بهم ووقع وعاد عليهم { مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } ما كانوا منه يسخرون ويكذبون من رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما يأمرهم به من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وترك عبادة الأصنام والأوثان والأنداد.

﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُر عَلَىٰ عِلْمٍ  
 بَلَّ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ  
 مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَتُوْلَاءِ  
 سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٨﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ  
 لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

{فَإِذَا مَسَّ} إذا أصاب {الْإِنْسَانَ} الإنسان من بني آدم سواء كان رجلاً أو امرأة  
 {ضُرٌّ} شر أو بلاء أو مصيبة أو مرض أو هم أو غم {دَعَانَا} دعا الله تعالى وتضرع  
 إليه أن يكشف عنه السوء والضر والشر والبلاء والمصيبة {ثُمَّ} بعد ذلك {إِذَا  
 خَوَّلْنَاهُ} إذا أعطيناه ووهبناه {نِعْمَةً مِّنَّا} خيرَ ورحمةَ ونعمةَ الصحةَ والمالَ والولدَ  
 من الله تعالى {قَالَ} قال ذلك الرجل للناس {إِنَّمَا أُوتِيْتُهُر} إنما أعطيته {عَلَىٰ  
 عِلْمٍ} على علم ومعرفة مني كما قال قارون لموسى عليه السلام: " إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ  
 عِلْمٍ عِنْدِي " ٧٨ القصص. فلم يرجع الفضل لله تعالى لأن الصحة في الجسم وفي  
 العيون وفي المال والولد هي من عند الله تعالى وهبها له {بَلَّ هِيَ فِتْنَةٌ} بل هي  
 اختبار وامتحان حتى يرى الله تعالى ما هو عامل وفاعل في تلك النعمة هل  
 يستغلها في أعمال البر والخير أو في أعمال الشر والمعاصي {وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا  
 يَعْلَمُونَ} ولكن أغلب الناس وخاصة الكفار منهم لا يعلمون أن الله تعالى هو الرزاق  
 والواهب والمعطي والمنعم والمتفضل ولا يعلمون أن دوام النعمة بالشكر وذهابها  
 بالكفر والمعصية أو يؤخر لهم العقاب والعذاب يوم القيامة {قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ  
 قَبْلِهِمْ} قال ذلك من سبقهم من الأمم السابقة فقد قال قارون لموسى عليه السلام:

” إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ” ٧٨ القصص. {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} فما نفعهم ما اكتسبوا من أموال ولا أولاد ولا جاه ولا سلطان حيث أشركوا وكفروا وعصوا وظلموا وبغوا {فَأَصَابَهُمْ} فوقع عليهم ونزل بهم {سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا} سوء وشر وقبح ما عملوا من الذنوب والمعاصي {وَالَّذِينَ ظَلَمُوا} والذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك والبغي {مِنْ هَتُوْلَاءِ} من أمثالهم ممن يعمل السوء والشر والمعاصي {سَيِّئَاتِهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا} سيقع عليهم وينزل بهم شر ما عملوا كما وقع بالسابقين من الأمم والأقوام السابقة {وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ} وما هم بمانعين عذاب وعقاب الله تعالى عليهم والانتقام منهم {أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ} أفلا يعلموا ويعرفوا {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَبْسُطُ الرِّزْقَ} يزيده ويكثره والرزق يطلق على المال والولد والوظيفة وما يملك من قصور وعمارات وأراضي وبساتين وغيرها {لِمَن يَشَاءُ} لمن يريد {وَيَقْدِرُ} ويقلله ويضيقه ويجعله كفافاً {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ} إن في ذلك التوسيع أو التضيق في الرزق {لَآيَاتٍ} لحكمة ودلائل وبراهين وحجج ومعجزات وعظة {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} لقوم يصدقون بقدره الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته كما قال تعالى: ” وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ” ٢٢ الذاريات.

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ  
 الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ  
 أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن  
 رَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٩﴾ أَن تَقُولَ  
 نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٦٠﴾ أَوْ تَقُولَ  
 لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٦١﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ  
 أَنِّي لِي كَرَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٢﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا  
 وَأَسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٦٣﴾ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ  
 وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٤﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا  
 بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {يَعْبَادِيَ} لعبادي المؤمنين {الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ  
 أَنفُسِهِمْ} الذين عملوا المعاصي واجترحوا الذنوب والآثام {لَا تَقْنَطُوا} لا تيأسوا  
 {مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} من عفو الله وتوبته عليكم وإدخالكم الجنة بعد توبتكم {إِنَّ اللَّهَ}  
 إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَغْفِرُ} يعفو ويتجاوز عن  
 {الذُّنُوبِ} المعاصي والآثام {جَمِيعًا} كلها {إِنَّهُ} إنه الله تعالى عز وجل {هُوَ  
 الْغَفُورُ} هو الذي يغفر الذنوب ويتجاوز عنها ويمحوها عن عباده إذا ندموا وتابوا  
 {الرَّحِيمُ} هو الرحيم بعباده ويدخلهم الجنة يوم القيامة بعد توبتهم {وَأَنِيبُوا}  
 وارجعوا بالتوبة {إِلَىٰ رَبِّكُمْ} إلى الله تعالى خالفتكم وربكم وإلهكم {وَأَسْلِمُوا لَهُ}  
 وادخلوا في دين الإسلام وسلموا له في جميع أموركم وانقادوا لأوامره واجتنبوا

نواهيهِ {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ} من قبل أن يقع عليكم عقاب الله تعالى في الدنيا بالشر والمصائب والبلاء والقحط والحرب والأسر والقتل والأمراض وغيرها ويوم القيامة العذاب في نار جهنم {ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ} ثم لا تنقذون ولا يستطيع أحد نصركم وإنقاذكم من عذاب الله تعالى {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ} خذوا بأفضل ما أنزل عليكم في القرآن فمثلاً في القصاص العين بالعين والسن بالسن والأحسن هو العفو وهكذا وكذلك حكم القرآن هو الأحسن من القوانين الوضعية وجميع القرآن حسن وكذلك قد يكون القصاص أحسن في حالات الردع للغير من عدم القصاص كما قال تعالى: " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ " ١٧٩ البقرة. وكذلك في العبادة الأحسن أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فهو يراك {مِنْ رَبِّكُمْ} من الله تعالى خالقكم ورازقكم وإلهكم {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ} من قبل أن يقع عليكم العذاب من الله تعالى {بَغْتَةً} فجأة بالزلازل والصواعق والغرق والأمراض والحروب والمصائب أو الموت {وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} وأنتم لا تعلمون ولا تعرفون قبل وقوعه {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ} أن تقول نفس من البشر عند وقوع العذاب عليها {يَحْسُرَتُنِي} يا ندمي {عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ} على ما عملت من سوء {فِي جَنْبِ اللَّهِ} في حق الله وفي معصية الله {وَإِنْ كُنْتُ} في الماضي {لَمِنَ السَّخِرِينَ} لمن المستهزئين والمكذابين بالقرآن وبالرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَوْ تَقُولَ} أو تقول هذه النفس النادمة {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي} لو أن الله تعالى دلني على الهدى وعلى الإسلام {لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} من العابدين لله والطائعين والخائفين من عذابه والمبتعدين عن معصيته {أَوْ تَقُولَ} أو تقول تلك



النفس النادمة {حِينَ} وقت {تَرَى الْعَذَابَ} تشاهد العذاب وهو يقع عليها {لَوْ  
 أَنْ لِي كَرَّةً} لو أن لي عودة للدنيا وحياة ثانية في الدنيا بعد الموت {فَأَكُونُ  
 مِنَ الْمُحْسِنِينَ} لأكون من المخلصين والمحسنين عبادتهم وطاعتهم وأعمالهم في  
 مرضاة الله تعالى وحده لا شريك له {بَلَى} ولكن الحقيقة {قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي} قد  
 أتتك آياتي في القرآن الكريم وعلمتها {فَكَذَّبْتَ بِهَا} فجحدت وأنكرت ولم تصدق  
 بها {وَأَسْتَكْبَرْتَ} وتكبرت وتعاليت عن اتباعها {وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} وكنت  
 ممن كفر ووجد وكذب بها وهي آيات القرآن ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه  
 وسلم {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} وفي الآخرة في يوم القيامة {تَرَى} ترى يا محمد يا رسول  
 الله وتشاهد بعينيك المجردة {الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ} الكفار والمشركين  
 {وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ} عابسة داكنة عليها قطرة مظلمة وذلك من سوء ما قدمت من  
 عملها ومن شدة خوفها من عذاب الله تعالى {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ} ألا يوجد في نار  
 جهنم {مَثْوًى} مكان ومقر {لِلْمُتَكَبِّرِينَ} لمن تكبر وتعالى عن عبادة الله تعالى  
 وحده لا شريك له. وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم: (اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء  
 الناس وسقطهم وقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين فقال الله عز وجل للجنة  
 أنت رحمتي أرحم بك من أشياء وقال للنار أنت عذابي أنتقم بك ممن أشياء ولكل  
 واحدة منكما ملؤها فأما الجنة فلا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً يسكن  
 فضل الجنة وأما النار فلا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة قدمه  
 فتقول قط قط وعزتك). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٥]. ومعنى قدم الله قال الحسن  
 البصري: القدم هم الذين قدمهم الله من شرار خلقه وأثبتهم لجهنم. [نزهة

المجالس ج ١ ص ٧]. {وَيُنَجِّي اللَّهُ} وينقذ الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِينَ اتَّقَوْا} وهم المؤمنون وهم الذين وقوا أنفسهم من محارم الله تعالى وخافوه وابتعدوا عن محارمه ومعاصيه {بِمَفَازَتِهِمْ} بأعمالهم الصالحة التي فازوا بها ونجوا من عذاب الله تعالى {لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ} لا يصيبهم العذاب يوم القيامة {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ولا هم يحزنون ولا يُغْمُونَ أي لا يصيبهم هم ولا غم ولا حزن.

﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرِينَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٦﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

{اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {خَلِقُ} منشئ الأشياء من العدم {كُلِّ شَيْءٍ} كل شيء من الأشياء الله تعالى هو خالقه ومنشئه {وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ} وهو الله تعالى على كل شيء من الأشياء في السموات وفي الأرض وما بينهما وما بعدهما {وَكِيلٌ} قائم وحافظ ورازق ومحبي ومميت ويعتمد عليه خلقه في جميع أمورهم وشؤونهم وحياتهم ومماتهم {لَهُ مَقَالِيدُ} له ملك وحكم {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} كل ما في السموات والأرض أي ملك وحكم السموات السبع والأرض وما فيها وما بينهما {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} والذين جحدوا وأنكروا {بِآيَاتِ اللَّهِ} بآيات القرآن الكريم وبمعجزات الله ودلائله وبراهينه وحججه وأمثاله

{أَوْلَاتِكِ} هؤلاء {هُمُ الْخَاسِرُونَ} هم الخاسرون أنفسهم وأهليهم في نار جهنم يوم القيامة والخسارة تطلق عموماً على رأس المال ورأس المال للناس هو الصحة والعافية والجسم أي يخسرون أنفسهم بالعذاب في نار جهنم يوم القيامة {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار والمشركين {أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ} فهل غير الله تعالى تأمروني بالعبادة وهي عبادة الأصنام والأوثان {أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} أيها الجهلة بالله تعالى الخالق والرازق والمحيي والمميت أما الأصنام فهي عبارة عن جمادات وتمثيل تنحتونها بأيديكم وهي حجارة لا تنفع ولا تضر {وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ} ولقد أوحى الله تعالى إليك يا محمد يا رسول الله بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ} وإلى الرسل الذين سبقوك {لَئِن أَشْرَكْتَ} لئن جعلت لله تعالى شريكاً في ملكه من الأصنام والأوثان {لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} ليبطلن عملك ويهلكه ويذهبه ويجعله هباءً منثوراً وسراباً {وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ولتكونن يوم القيامة من الهالكين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم في العذاب في نار جهنم يوم القيامة {بَلِ} لكن {اللَّهُ فَاعْبُدْ} فاعبد الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ولا تعبد غيره ولا تشرك به أحداً {وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} وكن ممن يعبد الله تعالى ويشكره ويحمده على نعمة الإسلام والإيمان وعلى جميع نعم الله تعالى ورحمته وأفضاله وكرمه ومنه.

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ  
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ  
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۗ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ  
 يَنْظُرُونَ ﴿٢٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئْنَا بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ  
 وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا  
 يَفْعَلُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ } ولم يقدر الكفار والمشركون الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا  
 شأنه من توقير وتبجيل وتقديس وتعظيم وتنزيه { حَقَّ قَدْرِهِ } حق قدره كما  
 ينبغي لجلاله وعظمة سلطانه من عبادته وحده لا شريك له وترك ما سواه من  
 الباطل { وَالْأَرْضُ جَمِيعًا } والأرض وما فيها { قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } في ملكه  
 وحكمه في يوم القيامة كما يقال قابض عليهم بيد حديدية { وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ  
 بِيَمِينِهِ } والسماوات السبع في ملكه وحكمه مطويات بقدرته تعالى كما يقال عن  
 الرقيق ملك اليمين { سُبْحٰنَهُ } تنزهه وتقديسه { وَتَعَالَىٰ } علا وارتفع { عَمَّا  
 يُشْرِكُونَ } عما يجعلون له من شريك في ملكه من عبادة الأصنام والأوثان والأنداد  
 { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ } وينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام نفخة الصعق وهو الموت  
 لجميع الخلق والصور هو قرن من نور عظيم الدارة ودارته كعرض السماء والأرض  
 فأعطاه الله تعالى إلى إسرافيل عليه السلام فهو واضعه على فيه شاخصاً ببصره إلى  
 العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخ { فَصَعِقَ } أي هلك ومات في يوم القيامة { مَنْ فِي  
 السَّمَوَاتِ } من الملائكة والملا الأعلى { وَمَنْ فِي الْأَرْضِ } ومن يسكن في الأرض من

مخلوقات من إنس و جن و حيوانات و طيور و أشجار و نباتات {إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} و المستثنون من الموت هم ملك الموت و سيدنا جبريل و ميكائيل و إسرافيل و حملة العرش و قيل تجاوزاً الشهداء لأن الشهداء أرواحهم لم تمت بل ماتت أجسامهم و أرواحهم في حواصل طير خضر ترتع في الجنة و هذه النفخة هي النفخة الثانية و هي نفخة الصعق أما الأولى فهي نفخة الفزع {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى} و هي النفخة الثالثة و هي نفخة البعث {فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} فإذا هم أحياء و يقومون من قبورهم بالبعث إلى المحشر و ينظرون بأعينهم يوم القيامة و المحشر وما فيه من الحساب {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} أي أضاءت الأرض من جديد بعدل الله تعالى بالحساب للخلق يوم القيامة حتى أنه يقضي من الشاة القرناء للشاة الجماء (أي التي لا قرن لها) و قد نطحتها في المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال: (أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟) قلت لا قال صلى الله عليه وسلم: (لكن الله يدري و سيحكم بينهما).

[ابن كثير ج ٤ ص ٥٢]. {وَوُضِعَ الْكِتَابُ} أي كلُّ أخرج له كتاب أعماله كما قال تعالى: " وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف. {وَجَاءَءَ بِالنَّبِيِّنَّ} و أتى الله تعالى بالأنبياء ليشهدوا على أممهم بأنهم بلغوا رسالته {وَالشُّهَدَاءِ} و يأتي الله تعالى بالشهداء من الملائكة الحفظة وهم الملائكة الكرام الكاتبين و من الناس حتى يشهد بعضهم على بعض بما عملوا في الدنيا {وَقُضِيَ} و حكم و فصل {بَيْنَهُم بِالْحَقِّ} فيما بينهم بالعدل {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} و الله تعالى لا يظلم أحداً و لا يجور على أحد بل يحكم بينهم بالحق

والعدل {وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ} أي حاسب الله تعالى كل نفس على عملها  
فالمحسن له الجنة والمسيء له النار {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره  
وعلا شأنه {أَعْلَمُ} يعلم ويدري ويعرف ويحيط علماً {بِمَا يَفْعَلُونَ} بكل ما  
يعملون في الدنيا من خير أو شر أو خلافه.

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا} قيد وحشر وساق الملائكة الكفار كما تساق البهائم  
بخشونة وغلظة وشدة تحقيراً لهم وهم الذين جحدوا برسالة سيدنا محمد صلى  
الله عليه وسلم {إِلَىٰ جَهَنَّمَ} إلى نار جهنم يوم القيامة {زُمَرًا} جماعاتٍ وأفواجاً  
كما قال تعالى: " يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " ١٨ النبأ. وكما قال  
تعالى: " وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ " ٨٣  
النمل. {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا} أي حتى أتوا جهنم وحضروا إليها ووصلوها

{فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ بِوَسْطَةِ الْخِزْنَةِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمُعِينُونَ عَلَيْهَا {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا} قَالَ لَهُمْ حِرَاسُ جَهَنَّمَ وَالْقَائِمُونَ عَلَى الْعَذَابِ بِهَا {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ} أَفَلَمْ يَرْسِلْ لَكُمْ رُسُلًا وَيَأْتُوا إِلَيْكُمْ بِالرِّسَالَةِ {مِّنكُمْ} مِنْ أُمَّتِكُمْ {يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ} يَقْرَأُونَ عَلَيْكُمْ {ءَايَاتِ رَبِّكُمْ} آيَاتِ رَبِّكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ التَّوْرَةِ أَوْ الْإِنْجِيلِ أَوْ الزَّبُورِ {وَيُنذِرُونَكُمْ} وَيَحذِرُونَكُمْ {لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا} لِقَاءِ الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ هَذَا وَهُوَ يَوْمُ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ {قَالُوا} قَالَ الْكُفَّارُ {بَلَى} أَي نَعَمْ {وَلَكِنَّ حَقَّتْ} وَلَكِنْ وَجِبَتْ {كَلِمَةُ الْعَذَابِ} أَي الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِعَذَابِنَا {عَلَى الْكٰفِرِينَ} عَلَى الْكُفَّارِ أَي عَلَيْهِمْ لِكُفْرِهِمْ {قِيلَ} قِيلَ لَهُمْ مِنْ قَبْلِ الْخِزْنَةِ وَهُمْ مَلَائِكَةُ جَهَنَّمَ {أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ} أَي ادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ إِلَى الْعَذَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُكُمْ. وَأَبْوَابُ جَهَنَّمَ هِيَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَيَسْمَى الْبَابُ الْأَسْفَلُ (الْهَاطِيَّة) فِيهِ الْمُنَافِقُونَ وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَائِدَةِ وَآلِ فِرْعَوْنَ وَالْبَابِ الثَّانِي الَّذِي فَوْقَهُ بَابُ (الْجَحِيمِ) فِيهِ الْمُشْرِكُونَ وَالْبَابِ الثَّلَاثِ بَابُ (سَقْرٍ) فِيهِ الصَّابِثُونَ وَالْبَابِ الرَّابِعِ بَابُ (لِظَى) فِيهِ إِبْلِيسُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ الْمَجُوسِ وَالْبَابِ الْخَامِسِ بَابُ (الْحَطْمَةِ) فِيهِ الْيَهُودُ وَالْبَابِ السَّادِسِ بَابُ (السَّعِيرِ) فِيهِ النَّصَارَى وَمَعْنَى السَّعِيرِ هُوَ شِدَّةُ الْإِيقَادِ وَالْغَلِيَانِ وَالْوَهْجِ وَالْحَرَقِ وَالْبَابِ السَّابِعِ فِيهِ أَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ مَاتُوا وَلَمْ يَتُوبُوا. [تَنْبِيهِ الْغَافِلِينَ ص ٢٣]. {خَالِدِينَ فِيهَا} مُخَلَّدِينَ فِيهَا وَدَائِمِينَ فِيهَا فَلَا مَوْتَ بِهَا {فَبِئْسَ} فِسَاءٌ وَقَبِيحٌ {مَثْوًى} مَقَرٌ وَمَصِيرٌ وَنَهَايَةٌ {الْمُتَكَبِّرِينَ} الْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَعَالِينَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. رَوَى يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم في ساعة ما كان يأتيه فيها متغير اللون فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما لي أراك متغير اللون فقال يا محمد جئتك في الساعة التي أمر الله بمنافخ النار أن تنفخ فيها ولا ينبغي لمن يعلم أن جهنم حق وأن النار حق وأن عذاب القبر حق وأن عذاب الله أكبر أن تقر عينه حتى يأمنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لي جهنم قال نعم إن الله تعالى لما خلق جهنم أوقد عليها ألف سنة فاحمرت ثم أوقد عليها ألف سنة فابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة فاسودت فهي سوداء مظلمة لا ينطفئ لهبها ولا جمورها والذي بعثك بالحق لو أن مثل خرم إبرة فتح منها لاحترق أهل الدنيا عن آخرهم من حرها والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من أثواب أهل النار علق بين السماء والأرض لمات جميع أهل الأرض من نتنها وحرها عن آخرهم لما يجدون من حرها والذي بعثك بالحق نبياً لو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه وُضع على جبل لذاب حتى يبلغ الأرض السابعة والذي بعثك بالحق نبياً لو أن رجلاً بالمغرب يعذب لاحترق الذي بالمشرق من شدة عذابها. حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وشرابها الحميم والصدید وثيابها مقطعات النيران لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم من الرجال والنساء فقال صلى الله عليه وسلم أهي كأبوابنا هذه قال لا ولكنها مفتوحة بعضها أسفل من بعض من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرّاً من الذي يليه سبعين ضعفاً يساق أعداء الله إليها فإذا انتهوا إلى بابها استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل فتسلك السلسلة في فمه وتخرج من دبره وتغل يده اليسرى إلى عنقه وتدخل يده اليمنى في فؤاده وتنزع من بين كتفيه وتشد بالسلاسل ويقرن كل آدمي مع شيطان في سلسلة ويسحب على وجهه وتضربه الملائكة بمقامع من حديد " كَلَّمَا أَرَادُوا



أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ” فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سكان هذه الأبواب فقال أما الباب الأسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمها الهاوية والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه إبليس ومن تبعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ثم أمسك جبريل حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ألا تخبرني من سكان الباب السابع فقال فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا فخرّ النبي صلى الله عليه وسلم مغشياً عليه فوضع جبريل رأسه على حجره حتى أفاق فلما أفاق قال يا جبريل عظمت مصيبتى واشتد حزني أُويدخل أحد من أمتي النار قال نعم أهل الكبائر من أمتك ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله واحتجب عن الناس فكان لا يخرج إلا إلى الصلاة يصلي ويدخل ولا يكلم أحداً ويأخذ في الصلاة ويبكي ويتضرع إلى الله تعالى فلما كان اليوم الثالث أقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى وقف بالباب وقال السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة هل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبيل فلم يجبه أحد فتنحى باكياً فأقبل عمر رضي الله عنه فوقف بالباب وقال السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة هل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبيل فلم يجبه أحد فتنحى وهو يبكي فأقبل سلمان الفارسي حتى وقف بالباب وقال السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة هل إلى مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبيل فلم يجبه أحد فتنحى يبكي مرة ويقع مرة ويقوم أخرى حتى أتى بيت فاطمة ووقف بالباب ثم قال السلام عليك يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم وكان علي رضي الله عنه غائباً فقال يا ابنة رسول الله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد احتجب عن الناس فليس يخرج إلا إلى الصلاة فلا يكلم أحداً ولا يأذن لأحد في الدخول عليه فاشتملت فاطمة بعباءة قطوانية وأقبلت حتى وقفت على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سلمت وقالت يا رسول الله أنا فاطمة ورسول الله ساجد يبكي ورفع رأسه وقال ما بال قررة عيني فاطمة حجبت عني افتحوا لها الباب ففتح لها الباب فدخلت فلما نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت بكاءً شديداً لما رأت من حاله مصفراً متغيراً قد ذاب لحم وجهه من البكاء والحزن فقالت يا رسول الله ما الذي نزل عليك فقال يا فاطمة جاءني جبريل ووصف لي أبواب جهنم وأخبرني أن في أعلى بابها أهل الكبائر من أمتي فذلك الذي أبكاني وأحزنني قالت يا رسول الله كيف يدخلونها قال بلى تسوقهم الملائكة إلى النار ولا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يختم على أفواههم ولا يقرون مع الشياطين ولا يوضع عليهم السلاسل والأغلال قالت قلت يا رسول الله وكيف تقودهم الملائكة فقال أما الرجال فباللحي وأما النساء فبالذوائب والنواصي فكم من ذي شيبة من أمتي يقبض على لحيته ويقاد إلى النار وهو ينادي واشيبتاه واضعفاه وكم من شاب قد قبض على لحيته يساق إلى النار وهو ينادي واشباباه وأحسن صورته وكم من امرأة من أمتي قد قبض على ناصيتها تقاد إلى النار وهي تنادي وافضيحتاه واهتك ستراه حتى ينتهي بهم إلى مالك فإذا نظر إليهم مالك قال للملائكة من هؤلاء فما ورد علي من الأشقياء أعجب شأناً من هؤلاء لم تسود وجوههم ولم تزرق أعينهم ولم يختم على أفواههم ولم يقرون مع الشياطين ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم فتقول الملائكة هكذا أمرنا أن نأتيك بهم على هذه الحالة فيقول لهم مالك يا معشر

الأشقياء من أنتم ورؤي في خبر آخر أنهم لما قادتهم الملائكة ينادون وامحمداه فلما رأوا مالكا نسوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من هيبتة فيقول لهم من أنتم فيقولون نحن ممن أنزل علينا القرآن ونحن ممن يصوم رمضان فيقول مالك ما نزل القرآن إلا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإذا سمعوا اسم محمد صاحوا وقالوا نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لهم مالك أما كان لكم في القرآن زاجر عن معاصي الله تعالى فإذا وقف بهم شفيع جهنم ونظروا إلى النار وإلى الزبانية قالوا يا مالك ائذن لنا فنبكي على أنفسنا فيأذن لهم فيبكون الدموع حتى لم يبق لهم دموع فيبكون الدم فيقول مالك ما أحسن هذا البكاء لو كان في الدنيا فلو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله ما مستكم النار اليوم فيقول مالك للزبانية ألقوهم ألقوهم في النار فإذا ألقوا في النار نادوا بأجمعهم لا إله إلا الله فترجع النار عنهم فيقول مالك يا نار خذيهم فتقول كيف آخذهم وهم يقولون لا إله إلا الله فيقول مالك للنار خذيهم فتقول كيف آخذهم وهم يقولون لا إله إلا الله فيقول مالك نعم بذلك أمر رب العرش فتأخذهم فمنهم من تأخذه إلى قدميه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذه إلى حلقه فإذا أهوت النار إلى وجهه قال مالك لا تحرقي وجوههم فطالما سجدوا للرحمن في الدنيا ولا تحرقي قلوبهم فطالما عطشوا في شهر رمضان فيبكون ما شاء الله فيها ويقولون يا أرحم الراحمين يا حنان يا منان فإذا أنفذ الله تعالى حكمه قال يا جبريل ما فعل العاصون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم أنت أعلم بهم فيقول انطلق فانظر ما حالهم فينطلق جبريل عليه الصلاة والسلام إلى مالك وهو على منبر من نار في وسط جهنم فإذا نظر مالك إلى جبريل عليه الصلاة والسلام قام تعظيماً له فيقول يا جبريل ما أدخلك هذا الموضع فيقول ما

فعلت بالعصاة العاصية من أمة محمد فيقول مالك ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم قد أحرقت أجسامهم وأكلت لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها الإيمان فيقول جبريل ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إليهم قال فيأمر مالك الخزنة فيرفعون الطبق عنهم فإذا نظروا إلى جبريل وإلى حسن خلقه علموا أنه ليس من ملائكة العذاب فيقولون من هذا العبد الذي لم نر أحداً قط أحسن منه فيقول مالك هذا جبريل الكريم على ربه الذي كان يأتي محمداً صلى الله عليه وسلم بالوحي فإذا سمعوا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم صاحوا بأجمعهم وقالوا يا جبريل أقرئ محمداً صلى الله عليه وسلم منا السلام وأخبره أن معاصينا فرقت بيننا وبينك وأخبره بسوء حالنا فينطلق جبريل حتى يقوم بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى كيف رأيت أمة محمد فيقول يا رب ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم فيقول هل سألك شيئاً فيقول يا رب نعم سألوني أن أقرئ نبيهم منهم السلام وأخبره بسوء حالهم فيقول الله تعالى انطلق وأخبره فينطلق جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في خيمة من درة بيضاء لها أربعة آلاف باب لكل باب مصراعان من ذهب فيقول يا محمد قد جئتك من عند العصاة العاصاة الذين يعذبون من أمتك في النار وهم يقرءونك السلام ويقولون ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم إلى تحت العرش فيخر ساجداً ويثني على الله تعالى ثناءً لم يثن عليه أحد مثله فيقول الله تعالى ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول يا رب الأشقياء من أمتي قد أنفذت فيهم حكمك وانتقمت منهم فشفعني فيهم فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم فانت النار فأخرج منها من قال لا إله إلا الله فينطلق النبي صلى الله عليه وسلم فإذا نظر مالك النبي صلى الله عليه وسلم قام تعظيماً له فيقول يا مالك ما حال أمتي الأشقياء

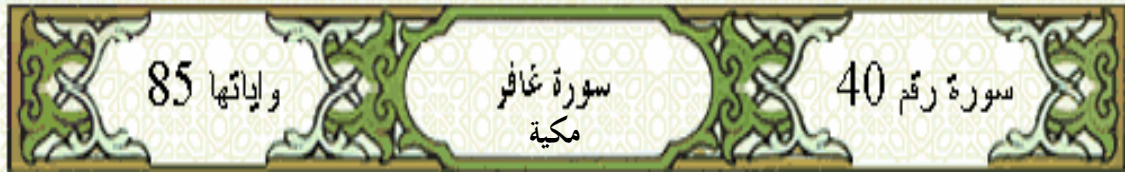
فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم فيقول محمد صلى الله عليه وسلم افتح الباب وارفع الطبق فإذا نظر أهل النار إلى محمد صلى الله عليه وسلم صاحوا بأجمعهم فيقولون يا محمد أحرقت النار جلودنا وأحرقت أكبادنا فيخرجهم جميعاً وقد صاروا فحماً قد أكلتهم النار فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنة يسمى نهر الحيوان فيغتسلون منه فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً مكحليين وكأن وجوههم مثل القمر مكتوب على جباههم الجهنميون عتقاء الرحمن من النار فيدخلون الجنة فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد أخرجوا منها قالوا يا ليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار وهو قوله تعالى: "رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ". [تنبيه الغافلين ص ٢٢-٢٥]. {وَسِيقَ} أي كما تساق العروسة إلى زوجها والعريس إلى زوجته أي أخذوا في موكب {الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ} وهم الذين يتقون الله ويخافونه ويخشونه ويبتعدون عن محارمه ويجتنبون معاصيه ونواهيه ويعبدونه ويطيعونه فيما أمرهم به من عبادة وطاعة وبر وتقوى والمنتقون هم العابدون والطائعون والخائفون عذاب الله تعالى {إِلَى الْجَنَّةِ} إلى دخول الجنة {زُمرًا} مواكب مواكب وجماعات جماعات وأفواجاً أفواجاً {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا} حتى إذا وصلها المنتقون {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} وقد فتحت أبوابها لهم بواسطة الملائكة وهي ثمانية أبواب. روى مسلم في صحيحه عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء). [ابن كثير ج ١ ص ٤٠٧]. ونلاحظ هنا أنه في حالة جهنم قال تعالى "فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا" أي أن أبوابها تفتح بدون إذن للكفار والعصاة وأما

في حالة الجنة قال تعالى " وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا " بزيادة الواو أي أن الجنة لا تفتح إلا بأمر وإذن ولا يدخلها إلا الصالحون وأهل الطاعة من المسلمين { وَقَالَ هُمْ خَزَنَتُهَا } وقالت خزنة الجنة وهم حراسها والقائمون عليها للمتقين { سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ } أي يحيوهم بالسلام وهي تحية الإسلام وتحية الملائكة وتحية أهل الجنة وتحية الله تعالى لعباده بقوله تعالى: " سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ " ٥٨ يس. وكما قال تعالى: " تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ " ٢٣ إبراهيم { طِبَّتُمْ } فزتم وطاب عملكم وممشاكم وطاب مسكنكم في الجنة وطاب قدومكم ووفدكم { فَأَدْخُلُوهَا } أي ادخلوا الجنة { خَالِدِينَ } دائمين حيث لا موت ولا هرم. وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أول شفيع في الجنة) وفي لفظ لمسلم: (وأنا أول من يقرع باب الجنة). [ابن كثير ج٤ ص٦٥]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون فيها ولا يتغوطن فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشيًا). [رواه البخاري عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر بإسناده نحوه - ابن كثير ج٤ ص٦٦]. { وَقَالُوا } وقال الذين دخلوا الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ } شكروا الله وحمدوه { الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ } الذي صدقنا وعده وأدخلنا الجنة بطاعته وعبادته

{ وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ نَتَبَوُّا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ } وجعلنا نرث الأرض بعد آبائنا وأجدادنا ونعمل صالحاً حتى ننزل في قصور الجنة حيث نريد ونأكل من ثمارها ومن الفواكه ومما تشتهي الأنفس مقابل عملنا الصالح في الدنيا فالدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء كما قال تعالى: "كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ" ٢٤ الحاقة. وكما قال تعالى: "تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" ٤٣ الأعراف. وقال تعالى: "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" ٧٤ الأعراف. وقال تعالى: "أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ" ١٠٠ الأعراف. وهذا هو الفرق بين المسلمين والكفار فالمسلمون عملوا في الدنيا للآخرة ولذلك دخلوا الجنة أما الكفار فلم يعملوا ودخلوا النار {فِعِمَّ} فحسن وطاب {أَجْرُ} ثواب {الْعَمَلِينَ} العاملين على عبادة الله تعالى وحده وعلى طاعته {وَتَرَى} وتشاهد يا محمد يا رسول الله وترى في الجنة {الْمَلَكَةَ حَافِينَ} محيطين {مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ} محيطين بالعرش وحوله {يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} يسبحون الله تعالى ويقدسونه ويمجدونه ويعظمونه وينزهونه بقولهم سبحان الله العظيم وبحمده {وَقُضِيَ} وحكم وفُصل في المنازعات {بَيْنَهُمْ} بين الناس والخلق جميعاً {بِالْحَقِّ} بالعدل وعدم الظلم {وَقِيلَ} وقيل من الناس {الْحَمْدُ لِلَّهِ} الحمد والشكر والثناء لله تعالى على دخولهم الجنة من قِبَلِ اللَّهِ تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {رَبِّ} رب وخالق وإله {الْعَالَمِينَ} جميع العالم عالم الإنس والجن والملائكة وعالم الحيوانات والطيور وجميع الخلق.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دُعي من أبواب الجنة وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان) فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ما على أحد من ضرورة دُعي من أيها دُعي فهل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: (نعم وأرجو أن تكون منهم). [رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه - ابن كثير ج ٤ ص ٦٧].





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٠﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ  
 الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴿٢١﴾ مَا تَجَدَّلُوا فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا  
 الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَدِ ﴿٢٢﴾

{حَم} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وباللغة التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ الْقُرْآنِ من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسم لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (حم) هو قوله تعالى: " وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا " ٤٥ الإسراء. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ.

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في بعض الغزوات: (إن بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون - وفي رواية - لا تنصرون). [ابن كثير ج ٤ ص ٦٩]. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أحمد بن الحكم بن ظبيان بن خلف المازني ومحمد بن الليث الهمداني قالا حدثنا موسى بن مسعود حدثنا عبد الرحمن ابن أبي بكر المليكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عَصِمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ). [ابن كثير ج ٤ ص ٦٩]. وسورة غافر تسمى سورة المؤمن وهي مكية.

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ} تنزيل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وهو مسجد أهل السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام منجماً حسب الأحداث والوقائع على الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِنْ اللَّهِ} بأمر الله تعالى وهو كلام الله تعالى {الْعَزِيزِ} القوي في ملكه والقوي في سلطانه {الْعَلِيمِ} فهو يعلم ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم وآخرتهم وما يحتاجون إليه في أمورهم وشؤونهم {غَافِرٍ} والله تعالى يعفو ويمحو {الذَّنْبِ} الإثم والمعصية إذا تاب منها من يقترفها {وَقَابِلِ التَّوْبِ} وهو سبحانه وتعالى يقبل التوبة من عباده والندم عليها. قال الإمام أحمد: حدثنا شريح بن النعمان حدثنا أبو عبيدة عبد المؤمن ابن عبيد الله السدي حدثني حسن السدوسي قال دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لو لم تخطئوا لجاؤا الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم). [تفرد به أحمد - ابن كثير ج ٤ ص ٥٩]. وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون). [أخرجه الترمذي وابن ماجه وسنده قوي - سبل السلام ج ٤ ص ١٨٠]. {شَدِيدِ الْعِقَابِ} قوي العذاب {ذِي الطَّلَوِ} صاحب الكرم والعطايا والإنعام والأفضال والرزق على مخلوقاته {لَا إِلَهَ} لا رب ولا معبود {إِلَّا هُوَ} إلا هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وحده لا شريك له {إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} إليه ترجع أمور الخلق في الدنيا لقضاء حوائجهم وفي الآخرة يرجعون إليه للحساب. أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حم المؤمن إلى "إِلَيْهِ الْمَصِيرُ" - سورة غافر - وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح). [أورده الشبلي في الآكام ص ٣٢٢ - أحكام الجان ص ١٢٦]. {مَا مُجَادِلُ} ما يعارض ولا يخاصم {فِي آيَاتِ اللَّهِ} في آيات القرآن وتكذيبها وأنها ليست من عند الله تعالى بل قول شاعر أو قول البشر {إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} فلا يعترض على آيات القرآن ونزولها وتكذيبها ومخالفة حكمها إلا الكفار وهم من أنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا بها {فَلَا يَغْرُوكَ} فلا يغرنك ولا يوهمك ولا تظن ولا يتبادر إلى ذهنك يا محمد يا رسول الله {تَقَلُّبُهُمْ} تمتع هؤلاء الكفار في النعم وفي كثرة الأموال {فِي الْبِلَادِ} في البلاد المختلفة وفي بلادهم وفي أسفارهم وحلهم وترحالهم وفي سياحتهم من بلد إلى بلد سواء للسياحة أو التجارة لأنه متاع قليل في الدنيا وكما قال تعالى: "لَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ {١٩٦} مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ {١٩٧}" ١٩٦، ١٩٧ آل عمران.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٦٠﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦١﴾ ﴾

{ كَذَّبَتْ } أنكرت وجحدت ولم تصدق { قَبْلَهُمْ } سبقتهم { قَوْمُ نُوحٍ } قوم نوح كذبت نوحاً عليه السلام حيث مكث فيهم هادياً ألف سنة إلا خمسين عاماً يهديهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولكنهم كذبوا وعبدوا الأصنام والأوثان { وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ } والأمم اللاحقة تحزبوا وتكاتفوا على رسلمهم وخالفوهم وكذبوهم { وَهَمَّتْ } وأرادت سوءاً وشرأً وحاولت { كُلُّ أُمَّةٍ } كل أمة من الأمم وكل قوم من الأقوام كقوم هود وصالح وقوم لوط وغيرهم { بِرَسُولِهِمْ } أي بالرسول الذي أرسله الله تعالى إلى قومه كلوط وصالح وهود وشعيب وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل { لِيَأْخُذُوهُ } ليقتلوه { وَجَدَلُوا } اعترضوا وناقشوا { بِالْبَاطِلِ } وهو عكس الحق وهو بالكذب والخداع وعكس الحقيقة { لِيُدْحِضُوا } ليغيروا ويخالفوا ويقلبوا الحقيقة كذباً ويخفوها { بِهِ الْحَقُّ } بجدالهم ونقاشهم بالباطل يغيروا الحق إلى باطل وكذب أي يكذبوا رسلمهم ويجعلوا لله شركاء من الأصنام والأوثان والأنداد { فَأَخَذْتَهُمْ } فعاقبتهم وأهلكتهم { فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } سؤال استفهام وفيه تفرير للكفار ومعناه كيف رأوا وشاهدوا عقابي وعذابي لهم أليس شديداً ومؤلماً وقاسياً هذا في الدنيا وفي الآخرة نار جهنم تنتظرهم وبئس المصير { وَكَذَلِكَ } وهكذا { حَقَّتْ } وجبت { كَلِمَتُ رَبِّكَ } وهي للكفار العذاب والهلاك { عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا } على الكفار وهم الذين جحدوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَنْهَمُ أَصْحَابُ النَّارِ} أنهم أهل النار وسكانها يوم القيامة.

﴿ الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

{الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ} وهم حملة العرش من الملائكة وهم اليوم أربعة ويوم القيامة يؤيدون بأربعة آخرين ليكون عددهم ثمانية كما قال تعالى: " وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ " ١٧ الحاقة. ففي تفسير القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة آخرين فكانوا ثمانية). ذكره الثعلبي وخرجه الماوردي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يحملة اليوم أربعة وهم يوم القيامة ثمانية). والعرش هو أعظم مخلوق خلقه الله تعالى. وروى ابن مسعود أن بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وبين الكرسي والعرش خمسمائة عام والعرش فوق ذلك كله لا يعلم منتهاه إلا الله عز وجل. [هامش نزهة المجالس ج ١ ص ٤١]. وروى أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (شأن الله أعظم من ذلك إن عرشه على سماواته هكذا وأشار بيده مثل القبة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣]. وفي حديث آخر: (ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك

الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣]. وقال ابن مسعود: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٩٠]. {وَمَنْ حَوْلَهُ} ومن حوله من الملائكة {يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} أي أن حملة العرش والملائكة الذين حول العرش كلهم يسبحون الله تعالى ويحمدونه ويهللونه ويكبرونه {وَيُؤْمِنُونَ بِهِ} أي يؤمنون ويصدقون بأن الله تعالى هو ربهم وخالقهم وحده لا شريك له {وَيَسْتَغْفِرُونَ} ويطلبون المغفرة {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} للمؤمنين الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً} والملائكة حملة العرش ومن حوله من الملائكة زيادة على تسبيحهم بحمد ربهم وتقديسهم وتمجيدهم وتنزيههم لله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يطلبون المغفرة لأهل الأرض ويقولون ربنا وإلهنا وخالقنا أحاطت رحمتك ووسعت كل شيء من مخلوقاتك وقد سبقت رحمتك غضبك وأن من تسبيح حملة العرش كما روي قولهم (سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك) ويقولون (سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك). (ربنا وسعت كل شيء رحمة) أي رحمتك أوسع من عذابك وعقوبتك {وَعِلْمًا} أي وسع علمك وأحاط بجميع خلقك {فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا} أي اعف وسامح من تاب منهم وندم ورجع عن ذنبه ومعصيته {وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ} واتبعوا طريق الإسلام واستقاموا على الهدى {وَقِهِمْ} واحفظهم واكلأهم وامنعهم وأبعدهم {عَذَابَ الْجَحِيمِ} من نار جهنم لأن شدة نارها وعذابها لا يطاق {رَبَّنَا} إلهنا وخالقنا {وَأَدْخِلْهُمْ} أدخل المؤمنين {جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ} وبعد توبتهم وندمهم أدخلهم جنات عدن التي وعدتهم بدخولها بعد توبتهم. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال: (خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك حشيشها زعفران حصباؤها اللؤلؤ ترابها العنبر ثم قال انطقي فقالت " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم " وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " . [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٨].

{وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ} وكذلك أدخل معهم يا الله الجنة من صلح عمله من آباءهم {وَأَزْوَاجِهِمْ} وزوجاتهم {وَوَدُرِيِّتِهِمْ} وكذلك أدخل معهم أبناءهم الجنة {إِنَّكَ أَنْتَ} إنك أنت الله جل جلالك وعظم قدرك وعلا شأنك {الْعَزِيزُ} القوي في ملكه وسلطانه والعزيز الجانب والمنعة والقوة فلا تصل إليك يد ولا اعتداء {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة في ملكه وفي أوامره ونواهيهِ ولا يخطئ أبداً {وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ} واحفظهم وأبعدهم عن الذنوب والمعاصي {وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ} ومن تحفظه وتمنعه من المعاصي {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {فَقَدْ رَحِمْتَهُ} أي ترحمه من عذاب جهنم يوم القيامة وتدخله الجنة {وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ} وذلك هو النجاح {الْعَظِيمُ} الكبير بدخوله الجنة.



﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ ﴿١﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿٣﴾

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} إن الكفار وهم الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {يُنَادُونَ} تناديهم الملائكة يوم القيامة {لَمَقْتُ اللَّهِ} لغضب الله عليكم {أَكْبَرُ} أعظم {مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} من بغضكم وغضبكم على رسلكم ومعاداتهم في الدنيا {إِذْ تُدْعَوْنَ} إذ تدعون وتوعظون من قبل رسلكم {إِلَى الْإِيمَانِ} أن تؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {فَتَكْفُرُونَ} فتجحدون وتنكرون وتكذبون {قَالُوا} قال الكفار لما رأوا العذاب يوم القيامة مستسلمين ومتلمسين عذراً {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا {أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ} وهي الموتة الأولى قبل الولادة في الأزل في علم الله تعالى والثانية بعد الولادة بالموت الطبيعي بعد انقضاء آجالهم المقررة في الدنيا {وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} وأحييتنا الحياة الأولى بالولادة من بطون أمهاتهم أحياءً والثانية يوم القيامة يوم البعث للحساب {فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا} فاعترفنا وأقرنا الآن بمخالفاتنا وتكذيبنا لرسلك وبكفرنا وشركنا وجحدنا {فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ} فهل من مخرج ونجاة ومغفرة لنا {مِنْ سَبِيلٍ} من طريق يخرجنا وينجيننا من العذاب ومن الخلاص من نار جهنم {ذَلِكَ} بأنه {رَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِبَطْلَانٍ دَعَوَاهُمْ} وذلك لأنه عندما كانوا في الدنيا وطلب منهم {إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ} بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له

{كَفَرْتُمْ} كفرتم وجحدتم وكذبتم ولم تمتثلوا لدعوة رسلكم {وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ} وإن يعبد غيره من الأصنام والأوثان {تُؤْمِنُونَ} تصدقوا وتعقدوا ذلك وتعبدوا الأصنام والأوثان {فَالْحُكْمُ لِلَّهِ} تقول لهم الملائكة فالיום هو الحكم لله تعالى وحده {الْعَلِيِّ} فهو العظيم الذي لا يعلو على حكمه ولا ينقضه أحد {الْكَبِيرِ} العظيم الذي ليس شيء أكبر منه.

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴿٤٦﴾ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٧﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴿٤٨﴾ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٩﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٍ ﴿٥٠﴾ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿٥١﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفَى الصُّدُورُ ﴿٥٢﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴿٥٣﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴿٥٤﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٥﴾

{هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي يُرِيكُم} الذي يجعلكم تشاهدون بأبصاركم المجردة {آيَاتِهِ} معجزاته من خلق السموات والأرض وما بينهما من شمس وقمر ونجوم وكواكب ومن المطر ومن معجزات الرسل التي يجريها الله تعالى على يد رسله {وَيُنزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا} ويُنزل لكم المطر من السماء لأنه بسببه يرزق الناس بإنبات الزرع والفواكه والخضروات للناس والنبات للبهائم والطيور والحيوانات {وَمَا يَتَذَكَّرُ} وما يتفكر ويتعظ

{إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} إلا من يرجع لله تعالى بالتوبة والطاعة والعبادة فينير الله تعالى قلبه بالعلم والفهم والعظة ويعلم أن للكون خالقاً ورازقاً ومحياً ومميتاً وحده لا شريك له له الملك وله الحكم وإليه ترجعون {فَادْعُوا اللَّهَ} اطلبوا واسألوا الله تعالى أيها الناس في جميع حوائجكم وأموركم وشؤونكم من الدنيا والآخرة {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} مخلصين له العبادة ومتقنيها ومتبعين دينه دين الإسلام الذي رضي له لكم ديناً وكما قال تعالى: " وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلَامَ دِيناً " ٣ المائدة. {وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} ولو أبغض وأغضب الكافرين ذلك منكم بعبادتكم لله تعالى وحده لا شريك له {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ} عالي المقامات والصفات والمنازل فهو الكبير ولا أحد أكبر منه وهو المتعال فلا أحد أعلى منه وهو العظيم فلا أحد أعظم منه وهو الجبار والعزيز فلا أحد أعز منه فهو الواحد الأحد الوتر الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ولا رب غيره ولا معبود سواه وهو رب الأرباب وملك الملوك والسميع البصير ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء فسبحان ربي الأعلى وسبحان ربي العظيم الذي ليس كمثله شيء جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وعز سلطانه فلو كان البحر مداداً والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر وما من شجرة أقلام ما عدت صفات الله تعالى ودرجاته ومنزلته فهو القاهر فوق عباده فهو عالي القدر عظيم الجاه والسلطان بديع السموات والأرض ونعترف بالعجز عن رفيع درجاته ومقاماته وصفاته بقوله تعالى: " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ " ٦٧ الزمر. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث قدسي فيه: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر). وزاد في الترمذي وغيره: (وذلك بأني جواد

واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئاً فإنما أقول له  
 كن فيكون). [سبل السلام ج ٤ ص ١٧٦]. {ذُو الْعَرْشِ} فهو صاحب العرش ورب  
 العرش العظيم وكما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: ثنا محمد بن الصباح  
 البزار ثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس  
 عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: كنت بالبطحاء في عصابة فيهم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: (ما تسمون  
 هذه؟) قالوا السحاب قال: (والمزن؟) قالوا والمزن قال: (والعنان؟) قالوا والعنان -  
 قال أبو داود: لم أتقن العنان جيداً قال: (هل تدرون بُعد ما بين السماء والأرض؟)  
 قالوا لا ندري قال: (بُعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة ثم  
 السماء فوقها كذلك حتى عدّ سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين  
 أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن  
 ورُكَبهن مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل  
 ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك). [ابن كثير ج ٤ ص ٧٢].  
 ومعنى أظلافهن أي حوافرهن والبحر الذي تحت العرش وفوق السماء السابعة هو  
 البحر المسجور وهو كما قال تعالى: " وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ " ٦ الطور. وقال ما يؤكد  
 ذلك الربيع بن أنس: " وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ " فلما خلق السموات والأرض قسم  
 ذلك الماء نصفين فجعل نصفاً تحت العرش وهو البحر المسجور. [ابن كثير ج ٢  
 ص ٤٣٧]. وهذا الحديث قال عنه الترمذي: حسن غريب أما تعارضه مع الحديث  
 أن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام كما جاء في حديث الإسراء والمعراج  
 فهو أنه قصد ذلك بسرعة الجواد المسرع [بالنسبة إلى الواحد أو الاثنتان أو الثلاث  
 والسبعين سنة] أما الخمسمائة سنة فهي بسرعة الطير المسرع أو بالعكس كما جاء

في أحاديث مختلفة ولا تعارض بينهما في المسافة أما معنى (والله فوق ذلك) ليس كما يتصوره البعض بأن استواءه على العرش بالجلوس والمماسة بل الله تعالى أعلى وأرفع بل هو فوق ذلك علواً وارتفاعاً وعظمةً وشأناً وليس جلوساً وهذا ما يؤكدته حديث لقيط بن عامر بن المنفق العقيلي المكنى بأبي رزين قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. {يُلْقَى الرُّوحُ} يرسل جبريل عليه السلام {مِنْ أَمْرِهِ} بأمره {عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} على من يريد ويختار من عباده بالرسالة كما قال تعالى: "وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ" ٧ الرعد. كما قال تعالى لموسى عليه السلام: "وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي" ٤١ طه. {لِيُنذِرَ} ليحذر الناس {يَوْمَ التَّلَاقِ} يوم القيامة يوم يلتقي العباد جميعهم بالله تعالى للحساب والجزاء والعقاب والثواب {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ} يوم هم واقفون في المحشر للحساب فينفذهم البصر ويسمعهم الداعي أي لا يحجبهم شيء عن الله تعالى {لَا تَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ} لن يغيب عن الله تعالى شيء من أعمالهم وأفعالهم ولن تغيب عنه لا شاردة ولا واردة ولا صغيرة ولا كبيرة إلا ويعلمها كما قال تعالى: "يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ" ١٨ الحاقة. {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ} في يوم القيامة عندما يموت جميع الخلق ولا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد يقول الله تعالى: (أين الملوك وأين أبناء الملوك أين الجبابرة وأبناء الجبابرة وأين الذين كانوا يأكلون خيري ويعبدون غيري) ثم يقول الله تعالى: "لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ" أي من يملك الكون غيري فلا يجيبه أحد فيجيب سبحانه وتعالى نفسه فيقول {لِلَّهِ} أي ملك الكون وحكمه في يوم القيامة يكون فقط لله تعالى عز جلاله {الْوَّاحِدِ} فهو الواحد

الذي لا شريك له {الْقَهَّارِ} فهو يقهر جميع عباده وخلقته بالموت والحساب في يوم القيامة ويقهر الكفار والمشركين والظلام وإبليس وجنوده ويدخلهم نار جهنم ويعذبهم فيها {الْيَوْمِ} أي يوم القيامة يوم الحساب {تُجْزَى} تحاسب وتعاقب أو تثاب {كُلُّ نَفْسٍ} كل واحد من خلقه من إنس وجان وحيوان {بِمَا كَسَبَتْ} بما عملت في الدنيا فمن أحسن فله الجنة ومن أساء فله النار {لَا ظُلْمَ الْيَوْمِ} لا ظلم يوم القيامة بين يدي الله تعالى بل الحكم بالعدل والحق. وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال: (أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟) قلت لا قال صلى الله عليه وسلم: (لكن الله يدري وسيحكم بينهما). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢]. {إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} الله تعالى سريع الجزاء والعقاب والعذاب والثواب يوم القيامة وسئل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: كيف يحاسب الله تعالى جميع الخلق في وقت واحد؟ قال: يحاسبهم كما يرزقهم. [أوضح التفاسير لابن الخطيب ص ٤٢٩]. وكما قال تبارك وتعالى: " مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً " ٢٨ لقمان. {وَأَنْذِرْهُمْ} وحذرهم يا محمد يا رسول الله وخوفهم وذكرهم {يَوْمَ الْأَزْفَةِ} يوم القيامة {إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ} أي قفزت قلوبهم ووصلت حناجرهم وهذا تشبيه لشدة الخوف والاضطراب والفرع من عذاب الله تعالى يوم القيامة {كَظِيمٍ} وهم كاتمين خوفهم وصوتهم كما قال تعالى: " وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا " ١٠٨ طه. {مَا لِلظَّالِمِينَ} ليس للظالمين أنفسهم بالشرك والكفر والمعاصي والذنوب كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {مِنْ حَمِيمٍ} من صديق عزيز عليهم ينقذهم وينجيهم من عذاب

الله تعالى {وَلَا شَفِيعَ} ولا من يشفع لهم عند الله تعالى {يُطَاعُ} يطاع أمره وشفاعته ووساطته عند الله تعالى يوم القيامة وكما قال تبارك وتعالى: "لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا" ٣٨ النبأ. {يَعْلَمُ} يعلم الله تعالى ويعرف ويدري وهو علام الغيوب {خَائِبَتَ الْأَعْيُنِ} العيون الخائنة من نظراتها سواء من يتلصص بها وينوي السرقة أو نية العيون على الزنا أو ارتكاب المحرمات فيعلم الله تعالى خيانتها {وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} وما تُسِرُّ القلوب وتكتمه في طياتها من الكفر والمعاصي والذنوب {وَاللَّهُ يَقْضِي} والله يحكم بين عباده في يوم القيامة {بِالْحَقِّ} بالحق والعدل {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ} والذين يعبدون ويطلبون ويسألون من غيره من الأصنام والأوثان {لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ} لا ينفذون شيئاً من رغبات من سألهم أو طلب منهم ممن عبدتهم لأنهم أصنام وجمادات لا تنفع ولا تضر {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ السَّمِيعُ} هو السميع لخلقه يسمع دعاءهم ويجيبهم كما قال تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ" ١٨٦ البقرة. {الْبَصِيرُ} فهو يبصر ويطلع على أعمالهم خيراً أو شراً.

﴿ أُولَٰمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ رَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦١﴾ ﴾

{أُولَٰمَ يَسِيرُوا} أفلم يسير ويتجول هؤلاء الكفار والمشركون {فِي الْأَرْضِ} في أرضهم ومدنهم وقراهم {فَيَنْظُرُوا} فيشاهدوا بأعينهم نظرة اعتبار واتعاظ {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} كيف كان مصير ونهاية {الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ} الذين سبقوهم من قبلهم من الأمم السابقة كقوم هود وصالح ولوط وقوم نوح وفرعون {كَانُوا هُمْ} كانوا من هم من الأمم السابقة {أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} أكبر منهم قوة جسدية {وَأَثَارًا} وإعماراً {فِي الْأَرْضِ} أي عمروا الأرض وحرثوها وبنوها كالأهرامات للفراعنة {فَأَخَذَهُمُ} فأهلكهم {اللَّهُ} الله تعالى عز جلاله {بِذُنُوبِهِمْ} بمعاصيهم وما ارتكبوا من ذنوب {وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ} ولم يكن لهم حافظ ولا مانع من عذاب الله تعالى لهم {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ} وذلك لأنه كانت تُرسل إليهم رسلهم وأنبيأؤهم {بِالْبَيِّنَاتِ} بالدلائل والحجج والبراهين والكتب والمعجزات {فَكَفَرُوا} فكذبوا وعصوا وجحدوا وأنكروا ولم يصدقوا رسلهم {فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ} فأهلكهم الله وعذبهم لكفرهم وعصيانهم {إِنَّهُ} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {قَوِيٌّ} قوي في حكمه وأمره وإرادته وتصرفه كما قال تعالى: " وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ " ١٦٥ البقرة. {شَدِيدُ الْعِقَابِ} قاسي العذاب لمن أشرك وكفر به وعبد غيره وعصاه.



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِغَايَتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمٰنَ  
 وَقُرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِن عِنْدِنَا قَالُوا أَقْتُلُوا  
 أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ  
 ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُوْنِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۗ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ  
 أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ  
 مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ  
 إِيمٰنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ  
 كٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۗ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِْبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي  
 مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذٰبٌ ﴿٢٨﴾ يَنْقَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظٰهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا  
 مِن بَاسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ  
 الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ} يقول الله تعالى لقد أرسلنا وبعثنا موسى بن عمران عليه  
 السلام رسولاً ونبياً {بِغَايَتِنَا} بمعجزاتنا وهي تسع آيات وهي: العصا تنقلب حية  
 - وفلق البحر بعصاه - ويضم يده إلى جنبه فتخرج بيضاء من غير سوء - والطوفان  
 - والجراد - والقمل - والضفادع - والدم - وأخذهم بالقحط والسنين {وَسُلْطٰنٍ  
 مُّبِينٍ} وحجة واضحة قوية جلييلة بينة الدلالة والبرهان {إِلَىٰ فِرْعَوْنَ} أرسله  
 الله تعالى إلى فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب ملك مصر {وَهَمٰنَ} وهامان هو  
 وزير فرعون {وَقُرُونَ} وقارون هو زوج أخت موسى وكانت كنوزه وأمواله لتنوء  
 عن حمل مفاتيحها العصابة أولى القوة {فَقَالُوا} فقالوا جميعهم وهم فرعون وهامان

وقارون عن موسى عليه السلام {سَاحِرٌ كَذَّابٌ} بأنه ساحر يعمل السحر وكذاب وغير صادق وليس برسول ولا نبي {فَلَمَّا جَاءَهُمْ} فلما أتاهم موسى عليه السلام بالمعجزات {بِالْحَقِّ} بالصدق والصواب {مِنْ عِنْدِنَا} من عند الله تعالى وبقدرته {قَالُوا} قال فرعون وقومه وهم هامان وقارون {أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ} اقتلوا يا معشر جند فرعون وقومه أولاد كل من آمن وصدق مع موسى عليه السلام {وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ} واغتصبوا نساءهم {وَمَا كَيْدٌ} وما عذاب ومكر وانتقام {الْكٰفِرِينَ} الكفار وهم من جحدوا برسالة موسى عليه السلام وكفروا بها وكذبوها {إِلَّا فِي ضَلٰلٍ} إلا في خسران {وَقَالَ فِرْعَوْنُ} وقال فرعون ملك مصر لحاشيته {ذُرُونِي} دعوني {أَقْتُلْ مُوسَى} أقتل موسى بن عمران وأميته {وَلْيَدْعُ رَبَّهُ} وليدع إلهه أن ينقذه من الموت والهلاك إن كان صادقاً أي يتحدى عظمة الله تعالى وقوته وقدرته {إِنِّي} إني أنا فرعون ملك مصر {أَخَافُ} أخشى {أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ} أن يغير دينكم يا أهل مصر وتعبدوا إلهاً غيري {أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} أو يُفسد في الأرض بسحره ويغير عبادتكم وعدم طاعته لنا {وَقَالَ مُوسَى} قال موسى عليه السلام داعياً ربه {إِنِّي عُذْتُ} إني استجرت من شركم {بِرَبِّي} وَرَبِّكُمْ} بخالقي وخالقكم وإلهي وإلهكم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ} من كل طاغية وجبار وحاكم متسلط {لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} لا يصدق بيوم البعث وهو يوم القيامة والذي يحاسب الله تعالى فيه الناس على أعمالهم إن كان خيراً فله الجنة وإن كان عملاً شراً فيدخله نار جهنم {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ} وقال رجل مصدق برسالة موسى عليه السلام قيل اسمه

حزقيل {مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ} من قوم فرعون {يَكْتُمُ إِيمَانَهُ} أي يخفي إيمانه ويسر به {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} هل تقتلون رجلاً وهو موسى عليه السلام لأنه يقول ربي هو الله تعالى فاعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً {وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} وقد جاءكم بالدلائل والبراهين والمعجزات {مِنْ رَبِّكُمْ} من الله تعالى ربكم وخالفكم وإلهم بمعجزة العصا وتخرج يده بيضاء من جنبه بغير سوء {وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ} وإن كان كاذباً يقع عليه تحمل ذنب الكذب وهو يتحمل عاقبته من الله تعالى {وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ} وإن كان صادقاً في رسالته ولا يكذب عندها يقع عليكم ما وعدكم به من عذاب الله تعالى في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة عذاب جهنم {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ} إن الله تعالى لا يرشد إلى طريق الخير والصلاح والرشاد والسادات {مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ} من هو متعد {كَذَابٌ} غير صادق في دعواه {يَنْقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ} يقول حزقيل لفرعون وقومه يا قوم ويا عشيرتي اليوم الملك والحكم لكم {ظَهَرِينَ فِي الْأَرْضِ} عالين ومشهورين في أرض مصر وحاكمين فيها {فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ} فمن ينقذنا من عذاب الله تعالى {إِنْ جَاءَنَا} إن أتانا {قَالَ فِرْعَوْنُ} قال فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب ملك مصر في عصر موسى عليه السلام {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى} لا أشير عليكم إلا ما أراه صواباً {وَمَا أَهْدِيكُمْ} ولا أدلكم {إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} إلا على طريق الخير والهدى والسادات.

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٢٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ  
نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٢١﴾ وَيَنْقَوْمِ إِنِّي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَنْ  
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ  
فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ  
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ تَجَدِّدُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ  
سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبُورًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ  
كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

{ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ } وقال حزقييل وهو الذي آمن بموسى عليه السلام من قوم  
فرعون { يَنْقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ } يا قوم إني أخشى عليكم { مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ }  
مثل ما حصل للأحزاب من الأمم السابقة مع رسلهم { مِثْلَ دَابِ } مثل عادة  
واستمرار عبادة الأصنام من قِبَلِ { قَوْمِ نُوحٍ } قوم نوح عليه السلام { وَعَادٍ } وهم  
قوم هود عليه السلام { وَثَمُودَ } وهم قوم صالح عليه السلام { وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ }  
وكذلك الذين جاءوا بعدهم كذبوا رسلهم فأهلكهم الله تعالى بذنوبهم { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ  
ظُلْمًا لِلْعِبَادِ } ولا يريد الله تعالى بعذابه ذلك أن يظلم العباد ولكنه أرسل لهم رسلاً  
وأنبياء يندرونهم ويحذرونهم عذاب الله تعالى { وَيَنْقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ } وقال  
مؤمن آل فرعون حزقييل إني أخشى عليكم { يَوْمَ التَّنَادِ } يوم القيامة يوم ينادي  
الناس بعضهم بعضاً كما جاء في الحديث الذي فيه : (ويولي الناس مدبرين ينادي  
بعضهم بعضاً وهي التي يقول الله تعالى : " يَوْمَ التَّنَادِ \* يَوْمَ تُؤَلُّونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ

مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (...). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣].

{يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ} يوم تدبرون فارين من عذاب الله تعالى وتريدون الهرب يوم القيامة {مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ} ليس لكم من الله من حافظ ولا مانع يمنعكم من عذابه لكم وليس لكم منه واق {وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ} فمن يضلله الله بارتكاب المعاصي واتباع الشهوات والملذات والذنوب {فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} فما له من مرشد يهديه للصواب لأنه استحب العمى على الهدى ولأن الله تعالى هداه النجدين للخير والشر لكنه اتبع طريق الشر والكفر والعصيان ولذلك لا يستطيع أحد أن يمنعه ويصده عن ضلاله وغيه لأنه أمعن في الكفر والعصيان {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ} ولقد أتاكم {يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ} أتاكم يوسف عليه السلام من قبل موسى عليه السلام لأنه ابن يعقوب عليه السلام ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام جميعاً أي جاء قبل موسى عليه السلام {بِالْبَيِّنَاتِ} بالنبوة والرسالة وبالدلائل وبالحجج والبراهين {فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ} فلا زلتم على كفركم وعنادكم وظنكم مستميرين في شككم وتكذيبكم بما جاءكم به يوسف عليه السلام وهذا يدل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام أرسل إلى أهل مصر قبل رسالة موسى عليه الصلاة والسلام {حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ} حتى إذا مات يوسف عليه السلام {قُلْتُمْ} قلتم يا قوم فرعون {لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا} قلتم لن يرسل الله تعالى من بعد يوسف عليه السلام لا رسولاً ولا نبياً لأنه قد انتهت الرسالات {كَذَلِكَ} أي هكذا {يُضِلُّ اللَّهُ} الله يغيوي ويبعد عن الهدى والحق والرشاد {مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ} من هو متعد وباغ على شرع الله تعالى وعلى رسله {مُرْتَابٌ} ظان وشاك في رسل

الله تعالى {الَّذِينَ تَجِدُونَ} الذين يعارضون ويخاصمون ويعادون {فِي آيَاتِ  
 اللَّهِ} في أوامر الله تعالى وآياته ومعجزاته ودلائله وبراهينه وحججه الواضحات  
 {بِغَيْرِ سُلْطَانٍ} بغير علم ولا بيان ولا حجة {أَتْلَهُمْ} أتتهم من عند الله تعالى  
 {كَبْرَ مَقْتًا} أي عظم غضباً وسخطاً {عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} عند الله  
 تعالى لأنهم يجادلون في كلام الله تعالى الذي أنزله مع رسله بغير بينة ولا علم  
 عندهم وكذلك هي عظمت سخطاً وغضباً عند المؤمنين على أولئك المجادلين  
 {كَذَلِكَ} وهكذا {يَطْبَعُ اللَّهُ} يختم ويقفل {عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ} على كل  
 قلب مستكبر عن عبادة الله تعالى وعن طاعة رسله {جَبَّارٍ} أي ظالم باغي وقاسي  
 على عباد الله تعالى لا يرحم شيخاً ولا طفلاً.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُ ابْنَ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ  
 فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لِأُظْهِرُ كَذِبًا ۚ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ  
 وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ  
 يَنْقُومِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ  
 وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ۗ وَمَنْ عَمِلَ  
 صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ ۖ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ۗ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا  
 بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

﴿ وَيَنْقُومِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ} وقال فرعون ملك مصر وهو الوليد بن مصعب {يَنْهَمْنُ} لوزيره  
 هامان {ابْنِ لِي} شيد وأقم لي {صِرْحًا} والصرح هو البناء العالي وهو البرج أو

المنارة العالية وليس الصرح كما قيل هو القصر فالقصر يكون للاتساع أما البرج والمنارة فهي للارتفاع والطول {لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ} عسى أن أصل الأبواب {أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ} أبواب السموات وهي السبب في الوصول والدخول إلى داخل السموات {فَأَطَّلَعَ} فأرى وأشاهد {إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ} فأرى إلهه ورب موسى ابن عمران وهذا قاله تهكماً على موسى عليه السلام {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ} قال فرعون وإنني لأعتقد أن موسى {كَذِبًا} غير صادق في دعواه {وَكَذَلِكَ} وهكذا {زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ} زُخْرَفٍ وَزَيْنَ لِفِرْعَوْنَ واستحلى {سُوءَ عَمَلِهِ} قبح عمله وهو جحود وتكذيب رسالة موسى عليه السلام {وَوَصَّدَّ عَنِ السَّبِيلِ} ومنع وابتعد عن طريق الهدى والرشاد واتباع طريق ورسالة موسى عليه السلام {وَمَا كَيْدُ} وما مكر ومؤامرة وعداوة وتكذيب {فِرْعَوْنَ} فرعون ملك مصر {إِلَّا فِي تَبَابٍ} إلا في خسران {وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} وقال مؤمن آل فرعون وهو حزقيل وهو الذي آمن بموسى عليه السلام {يَنْقُومِ} يا قومي يا آل فرعون {أَتَتَّبِعُونَ} اقتدوا بي {أَهْدِيكُمْ} أدلكم على {سَبِيلَ الرَّشَادِ} على طريق الخير والهدى والصالح {يَنْقُومِ} يا قومي يا آل فرعون وأهل مصر {إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا} إنما هذه الدنيا {مَتَّعٌ} متاع زائل وشهوات وملذات زائلة {وَإِنَّ الْآخِرَةَ} وإن يوم القيامة وما بعدها {هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} هي دار الدوام والاستقرار والمصير {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً} من عمل معصية {فَلَا يُجْزَىٰ} فلا يعاقب {إِلَّا بِمِثْلِهَا} إلا بمثلها {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا} ومن عمل عملاً صالحاً من طاعة وبر وخير {مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ} رجل أو امرأة {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} وهو مصدق ومؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

الآخر { فَأُوْتِيكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ } فهؤلاء يدخلهم الله تعالى الجنة يوم القيامة { يُرْزَقُونَ فِيهَا } يأكلون فيها { بِغَيْرِ حِسَابٍ } بلا ثمن ولا مساءلة وبدون تحديد للكمية المطلوبة ولا نقص مما يطلب أو يشتهي يأكل ما شاء وما أراد بدون تقشف أو تقنين للكمية المطلوبة والتي يريدونها { وَيَنْقَوْمُونَ } ويقول مؤمن آل فرعون لقومه آل فرعون { مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ } لماذا أرشدكم وأنصحكم وأهديكم إلى النجاة من عذاب الله تعالى يوم القيامة { وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ } وأنتم تدعونني وتدلونني إلى دخول نار جهنم وذلك بالكفر والشرك والعصيان.

﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفْرِ ﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

{ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ } تدعونني وتأمروني يا قومي يا آل فرعون بالكفر بالله تعالى والإشراك به من عبادة الأصنام والأوثان والأنداد { مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ } ولا أعلم أن له شريكاً فالله وحده لا شريك له { وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى } وأنا أهديكم وأدلكم وأنصحكم وأرشدكم إلى عبادة الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الْعَزِيزِ } القوي في ملكه وسلطانه وهو عزيز الجانب والمنعة والقوة فلا تصل إليه يد أو اعتداء { الْغَفْرِ } فهي مبالغة من الغفور وهو الذي يغفر الذنوب جميعاً



ويقبل التوبة عن عباده ويغفر لهم ويدخلهم الجنة يوم القيامة {لَا جَرَمَ} لا شك  
{أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} الذي تدعونني إليه وتطلبون مني وتأمروني أن أفعله وهو  
الكفر والشرك بالله تعالى {لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ} ليس له أصل ولا فائدة لا من قريب ولا  
من بعيد {فِي الدُّنْيَا} في الحياة الدنيا {وَلَا فِي الآخِرَةِ} ولا ينفع يوم القيامة {وَأَنَّ  
مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ} وأن رجوعنا والمآل ومصيرنا إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب  
{وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ} وأن المذنبين والعاصين والمجرمين والمشركين {هُم أَصْحَابُ  
النَّارِ} هم أهل النار وسيعذبون فيها يوم القيامة فهي مقرهم ومصيرهم  
{فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ} ستتفكرون ما أقوله الآن لكم وذلك يوم القيامة يوم  
الحساب والعذاب {وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ} أي أكل أمري وأتوكل وأعتمد على  
الله {إِنَّ اللَّهَ بِصِيرِ الْعِبَادِ} إن الله تعالى مطلع ويرى ما يفعل عباده من خير أو  
شر فيحاسبهم عليه {فَوَقَدَهُ اللَّهُ} فحفظه الله ومنعه ووقاه {سَيِّئَاتِ} شر وعاقبة  
وغدر {مَا مَكْرُوهًا} ما كادوا وما بيتوا النية على الانتقام منه وهو مؤمن آل فرعون  
{وَحَاقَ} ووقع وأحاط {بِقَالِ فِرْعَوْنَ} بقوم فرعون {سُوءَ الْعَذَابِ} أسوأ العذاب  
وشره وهو غرقهم في ماء البحر {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا} النار يعذبون فيها  
وتعرض عليهم {غُدُوًّا} صباحاً {وَعَشِيًّا} ومساءً {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} ويوم تقوم  
القيامة {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ} يقول الله تعالى لملائكته أدخلوا فرعون وقومه  
{أَشَدَّ الْعَذَابِ} أي أقسى العذاب وفي الدرك الأسفل من النار مع المنافقين ومن  
كفر من أصحاب المائدة. وهذه الآية تدل على الحياة البرزخية وعذاب القبر.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَتُو لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوْلَمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾

{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ} وفي يوم القيامة يتخاصمون ويتعاتبون ويتجادلون أهل النار فيما بينهم {فَيَقُولُ الضُّعْفَتُو} فيقول المستضعفون من الرقيق والخدم والجند والعبيد {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} للسادة والعظماء والرؤساء {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا} أي كنا تحت أمركم وتحت سلطانكم وكنا مواليكم وخدمكم وتابعين لكم ونأتمر بأمركم ونطيعكم في أمركم {فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا} فهل أنتم مانعون عنا وتتحملون {نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ} جزءاً من عذاب جهنم ومن نارها بدلاً عنا {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} قال السادة والعظماء والأمراء {إِنَّا كُلٌّ فِيهَا} إنا جميعاً في النار وكلنا في الهم والعذاب سواء {إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ} إن الله قد قضى وفصل ونفذ حكمه بين الناس يوم القيامة بالحساب {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ} وقال أهل النار وهم من دخلها من العصاة والكفار والمشركين {لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ} للملائكة الموكلين على جهنم وحراسها {أَدْعُوا رَبَّكُمْ} اطلبوا من ربكم واسألوه {يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ} يقلل عنا عذاب جهنم ولو ليوم واحد من شدة ما يلاقون من عذابها. قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني أبو إسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: (إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه). [رواه البخاري - ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٠]. {قَالُوا} قالت خزنة جهنم وهم الملائكة الموكلون عليها بالعذاب {أَوْلَمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ} أفلم يبعث الله تعالى لكم رسلاً وجاءتكم رسلكم {بِالْبَيِّنَاتِ} بالمواعظ والنصح والإرشاد والبيان والتوضيح عن هذا العذاب لمن كفر وأشرك وعصى {قَالُوا بَلَى} قال أهل النار نعم جاءنا ووعظونا ولم نرتدع وعصينا وخالفنا {قَالُوا} عندها قالت لهم الملائكة خزنة النار {فَادْعُوا<sup>ط</sup> وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ} قالت لهم الملائكة اطلبوا لأنفسكم التخفيف وليس دعاء الكافرين {إِلَّا فِي ضَلَالٍ} إلا يذهب هباءً ولا فائدة منه ويضيع سدى فلا يُسمع.

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ<sup>ط</sup> وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ<sup>٧</sup> إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ<sup>٨</sup> مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ<sup>٩</sup> فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ<sup>١٠</sup> إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴿

{إِنَّا} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يقول إنا للتبجيل والتعظيم لجلاله وقدرته {لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} إن الله تعالى وعد بنصرة رسله وأنبيائه وعباده الصالحين وهم الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وذلك في الدنيا والنصر يأتي غالباً في الختام وتتويجاً

للرسالة كما نصر نوحاً عليه السلام وأغرق قومه ونصر لوطاً عليه السلام وخسف بقومه الأرض وجعل عاليها سافلها ونصر هوداً وأرسل على قومه الريح العقيم فأهلكهم وهم قوم عاد وكذلك نصر صالحاً عليه السلام على قومه وهم ثمود حيث أرسل الله لهم الناقة فكذبوه وعقروها فأهلكهم الله تعالى بالصاعقة والزلزلة وموسى عليه السلام نصره الله تعالى على فرعون وقومه أهل مصر فأغرقهم الله تعالى وخسف بقارون وبداره الأرض لأنه كذب موسى عليه السلام ولم يدفع زكاة أمواله ونصر الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم على قريش وفتح مكة وقتل أبا جهل وصناديد قريش في معركة بدر { وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } أي يوم القيامة حيث يشهد فيه الأنبياء والرسل على قومهم ويشهد فيه الناس بعضهم على بعض كما قال تعالى: " وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ " ٧٨ الحج. { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ } وفي يوم القيامة لا ينفع الندم للظالمين ولا توبتهم لأن وقتها انتهى { وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ } ولهم غضب ومذلة وعذاب { وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } ولهم شر وعذاب يوم القيامة وشدة العذاب { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى } ولقد أعطى الله تعالى موسى بن عمران عليه السلام { الْهُدَى } أي التوراة فيها هدى لبني إسرائيل وهداية إلى عبادة الله تعالى وحده والهدى إلى فعل الخيرات { وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ } وأورث الله تعالى بني إسرائيل وهم قوم موسى عليه السلام { الْكِتَابَ } وهو التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام { هُدًى } فهي تهدي بني إسرائيل لطاعة الله تعالى وعبادته { وَذِكْرَى } وعظة { لِأُولَى الْأَلْبَابِ } لأصحاب الإدراك والفهم والعقول السليمة وأصحاب العلم والتروي والنصح والإرشاد والاتعاظ وهم الناجون يوم القيامة { فَأَصْبِرْ } فتحمل وجالد يا

محمد يا رسول الله على أذى الكفار والمشركين {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} إن ما وعدك الله به من النصر والفوز والعاقبة لك فهو حق وصدق {وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ} أي تب إلى الله تعالى حال ذنبك أو تقصيرك أو غضبك {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} نزه الله تعالى عن كل سوء واحمده في السراء والضراء لأن كل شيء يأتي بحمد الله تعالى وبفضله وبتوفيقه وهي معنى سبحان الله وبحمده {بِالْعَشِيِّ} بالمساء {وَالْإِبْكَرِ} وهو الصبح وهو التبكير في الاستيقاظ. قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه. [رواه البخاري ج ١ ص ١٦٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حُطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٤]. {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ} إن الذين يعارضون ويخاصمون ويعادون {فِي آيَاتِ اللَّهِ} في نص وحكم آيات القرآن وهو الذي نزل من عند الله ويعارضون في معجزات الله تعالى {بِغَيْرِ سُلْطَانٍ} بغير علم وبينة ودليل واضح {أَتَنْهَمُ} جاءهم من عند الله تعالى {إِنْ فِي صُدُورِهِمْ} إن في نفوسهم {إِلَّا كِبْرٌ} إلا تكبر وعلو وغرور {مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ} لا يمكن أن يصلوا إلى قدر ودرجة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مهما تكبروا ومهما بلغ بهم الغرور {فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ} يا محمد يا رسول الله استجر بالله من غرورهم وكبرهم ومكرهم وأعمالهم وكفرهم {إِنَّهُ} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ السَّمِيعُ} هو الله تعالى الذي

يسمع قول الكفار وعنادهم وغرورهم {الْبَصِيرُ} المطلع الذي يرى ويشاهد أعمالهم وأفعالهم وعنادهم وكفرهم ومجادلتهم ولا يخفى عليه شيء.

﴿ لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾  
 ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ

قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ

وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ

يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِعَايَتِ اللَّهِ يَمْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ

رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

{لَخَلْقِ} أي لخلق وإبداع {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي السموات السبع والأرضين

السبع وما فيها {أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} فالسموات والأرض أكبر في الخلقة وأعظم

من خلق الناس فأين الواحد من الناس بالنسبة إلى سعة السموات وسعة الأرض وما

فيها من صحارى وجبال وسهول ووديان وبحار وأنهار والسموات وما فيها من

شمس وقمر ونجوم وكواكب فلا يكون الإنسان إلا ذرة بل هباء لا يُذكر بالنسبة

للكون والسموات والأرض {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} ولكن أغلب الناس وهم الكفار

{ لَا يَعْلَمُونَ } لا يدرون ولا يعرفون حقيقة خلقهم وتكبرهم عن عبادة الله تعالى وحده الخالق ولا يعلمون أن مصيرهم إلى النار بسبب كفرهم وعصيانهم وجحودهم { وَمَا يَسْتَوِي } لا يتساوى ولا يتكافأ { الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } فالأعمى الذي فقد بصره لا يرى شيئاً ويحتاج إلى بصير يقوده وبهديه الطريق ويقرأ له كتاباً أو يخبره بما حوله من الأشياء والبصير هو أفضل لأنه يرى ويشاهد كل ما يدور حوله فهو بعكس الضيرير { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا } والمؤمنون وهم الذين صدقوا وآمنوا بالله رباً وبالملائكة وبالكتب السماوية والرسل واليوم الآخر { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } وعملوا الأعمال الصالحات من الطاعات وأعمال البر والخير في مرضاة الله تعالى وعبادته { وَلَا الْمُسِيءَ } ولا الذي يعمل المعاصي والشر والكفر والعصيان فلا يتساوى مع المؤمن { قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ } يسيراً ما تتفكرون وتتعضون وتصدقون وتؤمنون { إِنَّ السَّاعَةَ } إن القيامة { لَأْتِيَةٌ } لقادمة وستجيء { لَا رَيْبَ فِيهَا } لا شك ولا كذب في قيامها { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ } ولكن أغلب الناس وهم الكفار { لَا يُؤْمِنُونَ } لا يصدقون بها ولا بالبعث ولا بالحساب { وَقَالَ رَبُّكُمْ } وقال الله تعالى في القرآن الكريم لكم أيها الناس جميعاً { ادْعُونِي } اطلبوا مني واسألوني في دعائكم { أَسْتَجِبْ لَكُمْ } ألبى طلبكم. والترمذي من حديث أنس مرفوعاً: (الدعاء مخ العبادة). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٨]. ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً: (من لا يسأل الله يغضب عليه). [سبل السلام ج ٤ ص ١٧٦]. { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ } إن الذين يتكبرون ويتعالون { عَنْ عِبَادَتِي } عن عبادة الله تعالى وحده وهم الكفار والمشركون { سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ } سيدخلون نار جهنم { دَاخِرِينَ } صاغرين ذليلين

حقيرين يوم القيامة {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو رب العباد وهو اسم الذات {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ} الذي جعل لكم الليل بظلامه {لِتَسْكُنُوا فِيهِ} لتناموا فيه لأن فيه سكون وراحة للبدن من عناء وتعب النهار {وَالنَّهَارَ} وهو من طلوع الشمس وحتى الغروب {مُبْصِرًا} جعله مضيئاً وهو كناية عن الرؤية الواضحة في النهار بسبب ضوء الشمس {إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ} إن الله تعالى صاحب الفضل والكرم بالنعمة التي لا تحصى {عَلَى النَّاسِ} على جميع الناس من بني آدم {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} وللأسف أكثر الناس من الكفرة والفجار والمشركين والمنافقين والعاصين {لَا يَشْكُرُونَ} لا يحمدون الله على فضله وكرمه {ذَٰلِكُمْ اللَّهُ} ذلك هو الله تعالى {رَبُّكُمْ} ربكم وخالقكم وإلهكم {خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} مخرج كل شيء من العدم وبادئ كل شيء فهو خلق وأوجد كل شيء من الأشياء من العدم {لَا إِلَهَ} لا يوجد إله ولا معبود {إِلَّا هُوَ} إلا هو الله تعالى وحده فهو رب السموات والأرض وما بينهما {فَأَنِّي تُؤَفِّكُونَ} فمتى تُصرفون وتبعدون عن شرككم وكفركم {كَذَٰلِكَ يُؤَفِّكُ} كذلك يُصرف عن عبادة الله وينصرف {الَّذِينَ} كانوا بِعَايَةِ اللَّهِ} وهم الذين بآيات القرآن {سَجَّحَدُونَ} ينكرون ويكذبون {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا} الذي خلق لكم الأرض وجعلها لكم مقراً مستوياً ومستقراً ومكاناً للإقامة في الدنيا قال تعالى: " مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى " ه ه طه. {وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} والسماء الدنيا هي التي نراها مبنية فوقنا وهي كما قال تعالى: " وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا " ٣٢ الأنبياء. وكما قال تعالى:



" وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ " ٦٥ الحج. والبناء محكم الصنع فلا يقع ولا يسقط إلى يوم القيامة {وَصَوَّرَكُمُ} وخلقكم {فَأَحْسَنَ صُورَكُمُ} أحسن خلقتكم كما قال تعالى: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " ٤ التين. {وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} ووهبكم وأعطاكم طيبات الطعام ولذيذه من الفواكه والخضروات واللحوم من الأسماك والحيوانات والطيور {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ} ذلك هو الله ربكم وإلهكم وخالقكم {فَتَبَارَكَ} فتعالى وعلا شأنه وسما وعظم قدره وحسنت وازدادت واتسعت بركته حتى شملت جميع ملكه {اللَّهُ} الله تعالى عز وجل {رَبُّ} رب وإله وخالق {الْعَالَمِينَ} جميع العوالم وجميع المخلوقات من ملائكة وإنس وجان وحيوانات وطيور ووحوش وهوام وزواحف والميكروبات والبكتيريا {هُوَ الْحَيُّ} هو الله وحده لا شريك له الحي الذي لا يموت ودائم الحياة {لَا إِلَهَ} لا إله ولا معبود {إِلَّا هُوَ} إلا هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَادْعُوهُ} فاعبدوه واسألوه واطلبوا منه {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} صادقين العبادة والطاعة والدعاء له {الْحَمْدُ لِلَّهِ} الشكر والحمد والثناء لله تعالى وحده لا شريك له على أنعمه وعلى نعمته الإسلام {رَبِّ الْعَالَمِينَ} رب وإله وخالق العالم كله عالم الملائكة وعالم الإنس والجن والحيوانات والطيور وجميع الكائنات.

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي تَحِيَّءُ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَجَدَّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار {إِنِّي} إني أنا محمد رسول الله {نُهَيْتُ} مُنعت بأمر الله تعالى {أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ} أن أعبد ما تعبدون من الأصنام {مِنْ دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى {لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ} وذلك عندما جاءت لي الرسالة والقرآن الكريم {مِنْ رَبِّي} من ربي وخالقي وإلهي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ} وأمرت أن أومن وأنقاد لأمر {لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} لرب العالم كله وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو رب العالمين عالم الملائكة والجن والإنس والطير والحيوانات والزواحف والحشرات والحياتان والأسماك ورب الكائنات كلها وكل ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما

{هُوَ} أي الله تعالى {الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} الذي أوجدكم من العدم من تراب الأرض وطينها وهو أصل خلقة أبيكم آدم عليه السلام كما قال تعالى: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى" ٥٥ طه. {ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} وبعد خلق آدم عليه السلام من التراب خلق الله تعالى ذريته من نطفة الرجل ومنيه ومني المرأة كما قال تعالى: " أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيِّ يُمْنَى " ٣٧ القيامة. ومني الرجل وهو الماء الدافق الذي يخرج عند الجماع من صلب الرجل وهو ظهره وماء المرأة يخرج من الترائب وهو صدر المرأة وذلك عند الجماع. وعن أنس مرفوعاً: (ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا أو سبق يكون منه الشبه). [رواه مسلم]. وماء الرجل أبيض غليظ رائحته كطلع النخل وهو طاهر ويغسل أخضراً ويفرك يابساً وهو على الملابس لأنه طاهر أما ماء المرأة فهو أصفر رقيق له رائحة كريهة منتن وهو نجس ويغسل وقال ابن عباس: (العصب والعظم والقوة من ماء الرجل والدم واللحم والشعر من ماء المرأة. وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسين ابن الحسن حدثنا أبو الدينة عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال: مرَّ يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فقالت قريش يا يهودي إنَّ هذا يزعم أنه نبي فقال لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي قال فجاءه حتى جلس فقال يا محمد مم يُخلق الإنسان؟ فقال: (يا يهودي من كلِّ يُخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم) فقال هكذا كان يقول من قبلك. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٤١]. {ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ} ثم بعد ذلك تصبح النطفة علقة وهي حمراء وهي دم جامد {ثُمَّ سُخِّرْجُكُمْ طِفْلاً} ثم بعد أن تكمل الخلقة في بطن أمه يولد طفلاً صغيراً لا يعرف الكلام ولا يميز {ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ} ثم

تصبحوا شباباً ذوي قوة {ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا} ثم بعد الشباب تأتي الشيخوخة أي  
الكبر في السن والضعف في الجسم وفي القوة {وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ} ومنكم أيها  
الناس من يموت قبل أن يصبح شيخاً فيموت وهو شاب أو طفل أو سقط من بطن  
أمه {وَلَتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى} وحتى يبلغ الإنسان ويأتي أجله وينتهي عمره  
المحدد وكما قال تعالى: " لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ " ٣٨ الرعد. وفي الصحيحين عن ابن  
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن خلق أحدكم يجمع في بطن  
أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله  
إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وعمره وعمله وشقي أو سعيد). [ابن كثير  
ج ٢ ص ٥٠٢]. {وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} عسى أن تعقلوا وتفهموا أن الله تعالى وحده  
هو الخالق والبارئ والمحيي والمميت {هُوَ الَّذِي} هو الله تعالى جل جلاله وعظم  
قدره وعلا شأنه الذي {تُحْيِيهِ} يخلق من العدم {وَيُمِيتُهُ} ويميت من كان حياً  
{فَإِذَا قَضَىٰ} فإذا حكم وأراد {أَمْرًا} أمراً من الأمور أو شيئاً من الأشياء {فَإِنَّمَا  
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} فإنما يقول للشيء قولاً كن فيكون بإذن الله أي أن أمره بين  
الكاف والنون. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله  
عليه وسلم حديث قدسي فيه: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم  
قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي  
إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر). وزاد في الترمذي وغيره: (وذلك بأني  
جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئاً فإنما  
أقول له كن فيكون). [سبل السلام ج ٤ ص ١٧٦]. {أَلَمْ تَرَ} ألم تنظر وتشاهد يا  
محمد يا رسول الله {إِلَى الَّذِينَ تَجَدَّدُونَ} إلى الذين يعارضون

ويخاصمون ويعادون في آيات القرآن نصها وحكمها وبيانها ويكذبون بها {أَنِّي  
يُصْرَفُونَ} متى يبعدون ويتركون ذلك العناد والكفر {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ}  
الذين كذبوا ولم يصدقوا بالقرآن الكريم {وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا} وبما بعثنا من  
الكتب السماوية السابقة مع رسلنا وكذبوا بها وبهم {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} فسوف  
يعلمون يوم القيامة أنهم كانوا خاطئين وسيعلمون أن عذاب الله ينتظرهم ومصيرهم  
إلى نار جهنم {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ} والأغلال هي الأصفاذ والقيود  
تربط في أعناقهم وبها السلاسل وهي بدل من الحبال {يُسْحَبُونَ} يُشدون ويُقادون  
{فِي الْحَمِيمِ} في الماء المغلي {ثُمَّ فِي النَّارِ} ثم يُقادون في نار جهنم {يُسْجَرُونَ}  
يحرقون ويعذبون ويسجنون {ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ} ثم تقول لهم ملائكة العذاب في نار  
جهنم {أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ} أين ذهب عنكم ما أشركتم بهم مع عبادة الله  
تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد {مِن دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى {قَالُوا} قال  
الكفار والمشركون {ضَلُّوا عَنَّا} تاهوا وذهبوا عنا ولم نرهم ولم ينقدونا ولم يأتونا  
لنجدتنا {بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْعًا} لا لم نعبد إطلاقاً أحداً منهم أي  
أنكروا ووجدوا عبادتهم وشركهم مع الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد  
{كَذَلِكَ} وهكذا {يُضِلُّ اللَّهُ} يغيوي الله ويعمي عن الحق {الْكَافِرِينَ} الكفار  
الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا برسالة رسلهم وبكتبهم {ذَلِكَ} ذلك العذاب لكم  
أيها الكفار في نار جهنم يوم القيامة {بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ} بم كنتم تسرون  
بشرككم وكفركم وعنادكم وتكذيبكم لرسلكم {فِي الْأَرْضِ} في الدنيا في قراكم ومدنكم  
{بِغَيْرِ الْحَقِّ} بالباطل والبغي والعناد {وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} وبما كنتم تلهون

وتلعبون وتسخرون برسلكم {أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ} ادخلوا من أبواب جهنم للعذاب كل من الباب الذي يستحقه من العذاب على قدر ذنبه ومعصيته وكفره وشركه ومعاداته لرسوله {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمين في نار جهنم {فَبِئْسَ} ساء وقبح {مَثْوًى} مقر ومصير ومآل وعاقبة {الْمُتَكَبِّرِينَ} الذين يتكبرون عن طاعة الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له.

﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِينَا بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ ٧٧ ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْضُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ ٧٨ ﴿

{فَأَصْبِرْ} فاصبر يا محمد يا رسول الله وتحمل وجالد على عناد الكفار وتكذيبهم لك {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ} إن وعد الله بالنصر لك على الكفار وعذابهم يوم القيامة في نار جهنم {حَقٌّ} هو صدق وحقيقي وسيقع {فَأِمَّا نُرِينَا} فإما نجعلك تشاهد يا محمد يا رسول الله {بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ} بعض الذي نعددهم ونريك إياه في الدنيا كنصرك في بدر وفي فتح مكة وفي هلاكهم كأبي جهل قتل في بدر هو وصناديد قريش {أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ} أو نميتك بالوفاة الطبيعية قبل هلاكهم جميعاً {فَالِإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} فمصيرهم يرجعون إلى الله تعالى للحساب والعذاب يوم القيامة {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} ولقد بعثنا {رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ} رسلاً وأنبياء سبقوك بالرسالة {مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ} من هؤلاء الرسل من قصصنا عليك أخبارهم كآدم عليه السلام وشيث بن آدم ونوح وإدريس وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

ويوسف بن يعقوب ولوط وأيوب وشعيب وموسى بن عمران وأخيه هارون ويونس ابن متى وداود وسليمان وزكريا ويحيى وإلياس واليسع وذي الكفل وعيسى ابن مريم عليهم جميعاً الصلاة والسلام { وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ } ولم يذكر الله تعالى قصة بعضهم وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً كما جاء في الحديث الذي رواه أبو زر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه يوم بدر: (أنتم على عدد المرسلين وعلى عدد أصحاب طالوت حين جاوزوا النهر). يعني ثلاثمائة وثلاثة عشر. [تنبيه الغافلين للسمرقندي ج ٢ ص ٦٦]. وروي في الأخبار أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً ثلاثمائة وثلاث عشر منهم مرسل. [تنبيه الغافلين للسمرقندي ج ٢ ص ٦٦]. { وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ } ولا يحق ولا يجوز لرسول من الرسل أن يأتي بآية من الآيات من تلقاء نفسه ومن عنده وكذلك لا يستطيع أي رسول أن يأتي بمعجزة من المعجزات من عند نفسه وبناءً على رغبته { إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } إلا بأمر الله وإرادته يؤيده بذلك { فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ } فإذا حضر حكم الله تعالى وتنفيذ أمره بأمر من الأمور { قُضِيَ بِالْحَقِّ } نفذ أمره وحكمه حقاً وعدلاً صدقاً فلا كذب ولا تأخير فيه ولا ظلم وكما قال تعالى: " وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " ١١٨ النحل. { وَخَسِرَ } وهلك { هُنَالِكَ } أي عندما يأتي أمر الله بالموت أو يوم القيامة { الْمُبْطِلُونَ } المكذبون والجاحدون والمنكرون وهم الذين أبطلوا شرع الله وحكمه بتكذيبهم وجحودهم وإنكارهم.

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

{الله} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ} هو الذي خلق وجعل للناس الأنعام وهي الإبل والخيل والأبقار والأغنام والماعز وما شابه ذلك {لِتَرْكَبُوا مِنْهَا} أي لتركبوا بعضاً منها مثل الإبل والخيل والبغال والحمير {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} ومن الأنعام تأكلون من الإبل والبقر والغنم والماعز {وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ} ومن المنافع أكل لحومها وشرب ألبانها ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها تتخذون أثاثاً ومتاعاً {وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ} وبركوبها تقضون حوائجكم في أسفاركم وترحالكم ويوم ظعنكم فهي أداة للسفر ونقل الأمتعة ووسيلة من المواصلات والتنقل في الرحلات والزيارات وغير ذلك {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ} وعلى الأنعام من الإبل والخيل والبغال والحمير وعلى السفن {تُحْمَلُونَ} تُنقلون في سفركم من دياركم وبلادكم إلى ديار وبلاد أخرى قريبة أو بعيدة {وَيُرِيكُمْ} ويطلعكم الله تعالى ويجعلكم تشاهدون بأبصاركم وبأعينكم المجردة {آيَاتِهِ} معجزاته وبياناته من مخلوقاته التي تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى سواء الأنعام أو الفلك وفوائدهما وخلق السموات والأرض وما فيهن وما بينهما كلها تدل على عظمة الخالق بديع السموات والأرض وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ} فأَي شيء من مخلوقات الله تعالى {تُنْكِرُونَ} تكذبون ولا تصدقون والجواب طبعاً لا شيء ننكر من خلق الله تعالى في



كونه كما قال تعالى: "ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ" ٤ الملك.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا} أفلم يمشوا سياحةً ويتجولوا {فِي الْأَرْضِ} في القرى وفي المدن {فَيَنْظُرُوا} فيشاهدوا ويعتبروا {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} كيف كان نهاية ومصير ومآل {الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} ممن سبقوهم من الأمم السابقة {كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ} كانوا أكثر منهم عدداً وعدة {وَأَشَدَّ قُوَّةً} وأقوى في بنية أجسادهم وأجسامهم {وَأِثَارًا فِي الْأَرْضِ} وإعماراً كبناء الأهرامات في مصر من قبل الفراعنة ومن حرث وزراعة الأرض واستخراج زراعتها ومعادنها كقارون وكنوزه التي تنوء بحمل مفاتيحها العسبة أولو القوة {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ} لم ينفعهم {مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ما كانوا يملكون ويجلبون من الأموال والغنى ويجمعون.

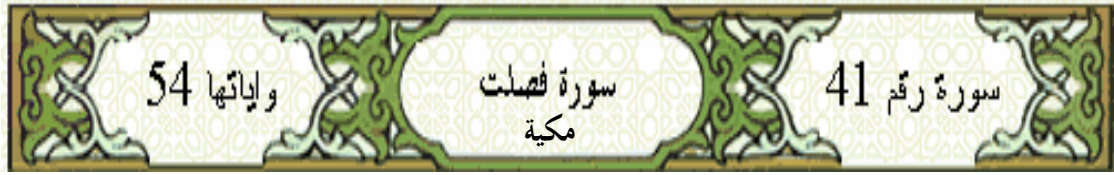
﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ} فعندما أتتهم {رُسُلُهُم} أنبيأؤهم ورسلمهم الذين أرسلوا إليهم من قِبَلِ الله تعالى بالرسالة {بِالْبَيِّنَاتِ} بالكتب السماوية وهي التي تبين لهم الحق من الباطل والعدل من الظلم والإيمان من الكفر {فَرِحُوا} فرحوا وسروا {بِمَا عِنْدَهُمْ} بما لديهم {مِنَ الْعِلْمِ} من علم آبائهم الذي ورثوه منهم وبما لديهم من كتب سماوية سابقة فاليهود على سبيل المثال لما جاءهم عيسى عليه السلام بالإنجيل

كذبوه وقالوا التوراة هي العلم الصحيح وكذلك النصارى فرحت بالإنجيل لما جاءهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم وبالإسلام فكذبوه وقالوا عندنا علم الإنجيل {وَحَاقَ بِهِمْ} ووقع وأحاط بهم عقاب وعذاب {مَا كَانُوا بِهِءِ يَسْتَهْزِئُونَ} ما كانوا به يسخرون ويضحكون ويكذبون بما جاءهم رسولهم الجديد لأن كل رسول يجيء بأمر وسنة تلغي بعض الأغلال التي كانت عليهم وكله بأمر الله تعالى فهو الأمر ولكنهم كإبليس لما أمر بالسجود لآدم من قبل الله تعالى أبى واستكبر وظن أنه على حق ولا يدري أنه عصى ربه فمثلاً كان الزواج قبل نوح عليه السلام لأبناء آدم عليه السلام يتزوج الأخ من أخته من البطن الثاني لقلة الذرية ولما أرسل نوح عليه السلام ألغى ذلك فكذبوه وكذلك كانت شحوم الأنعام محرمة على بني إسرائيل ولما جاء عيسى عليه السلام بالرسالة أحلت لهم شحوم الأنعام ولما جاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو آخر الرسل وخاتم الأنبياء ألغيت الشرائع والأديان السابقة اليهودية والنصرانية بقوله تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

{فَلَمَّا} عندما {رَأَوْا} شاهد الكفار بأم أعينهم يوم القيامة {بَأْسَنَا} عذاب الله تعالى ونار جهنم تنتظرهم ورأوا بأعينهم {قَالُوا} قال الكفار والمشركون عندها {ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ} صدقنا الآن أن الله وحده لا شريك له {وَكَفَرْنَا} وجحدنا وكذبنا {بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ} بما أشركنا معه من الأصنام والأوثان والأنداد الذين عبدناهم في الدنيا مع الله تعالى {فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ} فعند ذلك لا ينفع الكفار والمشركين ندمهم ولا قولهم ولا توبتهم لأن وقت الندم فات وانتهى في الدنيا وذلك كما فعل فرعون عندما أدركه الغرق وعصى موسى عليه السلام وقال: "آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ" فرد الله تعالى عليه بقوله تعالى: "الآن وَقَدْ عَصَيْتَ" وفي الحديث: (إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغ). [ابن كثير ج ٤ ص ٩٠]. {لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} لما شاهدوا بأعينهم ما ينتظرهم من عذاب الله تعالى لهم في جهنم ندموا على شركهم وكفرهم وهيئات ينفعهم ذلك الندم لأنه فات وسبق أوانه ووقته {سُنَّتَ اللَّهِ} شريعة الله وحكمه وقانونه السماوي وعدله {الَّتِي قَدْ خَلَتْ} التي مرت وسبقت ومضت {فِي عِبَادِهِ} في خلقه في الأمم والأقوام السابقة عندما عصوا رسلهم وكذبوهم {وَوَخَسِرَ} وهلك {هُنَالِكَ} عندها وفي يوم القيامة عند الحساب {الْكَافِرُونَ} الجاحدون والمنكرون والمكذبون من الكفار بكتبهم ورسولهم ولم يصدقوهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمَّ ﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ  
يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي  
أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا  
عَمَلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ  
وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ  
كَافِرُونَ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾

{ حَمَّ } وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى

يُعلم أنّ القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ القرآن من هذه الحروف العربية لَدُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك تلامس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢،١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢،١ لقمان. وعليه فإن معنى (حم) هو قوله تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " ٢ الأعراف. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {تَنْزِيلٌ} أي تنزيل القرآن الكريم بأمر الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة وهو مسجد لأهل سماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام من السماء الدنيا للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منجماً حسب الأحداث والوقائع وليس مرتباً كما هو في المصحف الذي بين أيدينا {مِنَ الرَّحْمَنِ} من الله تعالى رحمن الدنيا لجميع الخلق فهو يرزق الكافر والمسلم {الرَّحِيمِ} رحيم في الآخرة على المسلمين ويدخلهم الجنة {كِتَابٌ} وهو

القرآن الكريم {فُصِّلَتْ} بَيَّنَّتْ وَوُضِّحَتْ {ءَايَاتُهُ} آيات القرآن الكريم في المعاني والأحكام والأوامر والنواهي {قُرْءَانًا} القرآن الكريم قرآنًا يقرأ على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم {عَرَبِيًّا} أي بلغة العرب وهذا من فضل الله تعالى على الأمة العربية لأن الله تعالى لم يجعله باللغة الإنجليزية ولا الأمريكية ولا اليونانية ولا الفارسية ولا العبرية بل بلسان عربي مبين والله أعلم حيث يضع رسالته {لِقَوْمٍ} لقوم الأمة العربية {يَعْلَمُونَ} أن القرآن حق وصدق من عند الله تعالى نزل وبأمره وأن الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حق وأن يوم القيامة حق ويعلمون أحكامه ونواهيته وأوامره ويعلمون أن العاقبة للمتقين {بَشِيرًا} يبشر من آمن به وآمن بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وعبد الله تعالى وأطاعه واجتنب النواهي والفواحش والمعاصي وأدى الفرائض والسنن يبشره بدخول الجنة يوم القيامة وبسعادة الدنيا والآخرة {وَنَذِيرًا} ينذر ويحذر ويعظ ويخوف العاصين والمشركين والمنافقين بدخولهم نار جهنم يوم القيامة لكفرهم ولشركهم وعنادهم ومعصيتهم وتكذيبهم لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم للقرآن الكريم ولأحكامه وأوامره ونواهيته {فَأَعْرَضَ} فانصرف وتكبر وكذب وتولى عن أحكامه وأوامره ونواهيته {أَكْثَرُهُمْ} أغلبهم وهم الكفار والمشركون {فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} فهم لا يسمعون نصحاء ولا هدياء ولا إرشاداً ولا يعيرونه سمعاً ولا تبصراً ولا فهماً ولا تعقلاً ولا يطيعون أوامره ولا يجتنبون نواهيته {وَقَالُوا} وقال الكفار {قُلُوبُنَا} والقلب هو مكان الإيمان أو النفاق كما جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وأهوى النعمان بأصبعيه إلى أذنيه: (إن الحلال بين والحرام بين

وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب. [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١٧١]. {فِي أَكِنَّةٍ} في أغطية وحجب {مِمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ} فيما تدعونآ إليه وتطلبون منا التصديق به وهو القرآن الكريم {وَفِي آذَانِنآ} وفي آذاننا التي نسمع بها {وَقُرْآنٍ} طرش وصمم فلا نسمع دعواكم بالإيمان بالله تعالى وحده {وَمِنْ بَيْنِنآ وَبَيْنَكَ حِجَابٌ} ويوجد بيننا وبينك حاجز ومانع ومسافة بعيدة في الرأي وفي التصديق بك وبرسالتك وبالقرآن الذي جئت به {فَاعْمَلْ} فأنت يا محمد اعمل بالإسلام والإيمان واعبد الله تعالى وحده لوحدهك {إِننآ عَمَلُونَ} إننا نحن الكفار عاملون بالمعاصي والكفر والفواحش والمنكرات {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنمآ أَنآ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} إنما أنا بشر وإنسان من أولاد آدم عليه السلام مثلكم وليس ملك من الملائكة. وبشر أي له بشرة وجلد ودم ولحم ويرى بعكس الملائكة لا ترى لأنها خلقت من النور {يُوحَىٰ إِلَيْ} أي يُبلغ إليّ بالرسالة وبالقرآن الكريم من قبل الله تعالى بواسطة الملك جبريل عليه السلام {أَنمآ إِلَهُكُمْ} إنما إلهكم ومعبودكم وربكم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {إِلَهُ وَآحِدٌ} فهو إله واحد في ملكه وفي ألوهيته ولا شريك له {فَآسْتَقِيمُونَآ إِلَيْهِ} فاعبدوه وأطيعوه ولا تخالفوا أمره واستمروا على نهجه وأوامره ونواهيته {وَآسْتَغْفِرُونَ} اطلبوا المغفرة منه وتوبوا إليه من المعاصي والذنوب عند ارتكابها حتى يغفر لكم

ويرحمكم {وَوَيْلٌ} وهلاك وعذاب {لِلْمُشْرِكِينَ} وهم من جعلوا لله تعالى أنداداً وشركاء من الأصنام والأوثان والأنداد {الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} وهم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم لكفرهم وجحودهم وإنكارهم وتكذيبهم بذلك {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ} والكفار بيوم القيامة {هُمْ كَافِرُونَ} جاحدون ومنكرون ومكذبون ولا يصدقون بيوم القيامة ولا بالحساب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

﴿ قُلْ أَتَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَٰنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّابِلِينَ ﴾ ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ﴿ فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ﴿ فَإِنِ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ﴿ إِذْ جَاءَهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ﴿

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن المؤمنين وهم المصدقون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحات وأعمال البر والخير في مرضاة الله تعالى {لَهُمْ أَجْرٌ} لهم ثواب من الله تعالى يوم القيامة {غَيْرُ مَمْنُونٍ} غير محدود وغير محصور وغير قليل {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار {أَتَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ} إنكم لتجحدون وتنكرون وتكذبون ولا تصدقون



{بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ} بالله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي خلق الأرض وأوجدها من العدم {فِي يَوْمَيْنِ} في يومين كل يوم منها بألف سنة مما تعدون كما قال تعالى: " وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " ٤٧ الحج. {وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا} وتشركون به وتجعلون له شركاء كالأصنام والأوثان والأنداد وكما قالت اليهود العزيز ابن الله وكما قالت النصارى عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة أو هو الله {ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ذلك الخالق هو رب العالمين والعالم كله وعالم أهل السماء وهم الملائكة وعالم أهل الأرض من الجن والإنس والحيوانات والطيور والأشجار والنباتات والأسماك والحيتان وجميع الخلق فهو رب الأرباب {وَجَعَلَ فِيهَا} أي جعل الله تعالى وخلق في الأرض أي جعل الله تعالى وخلق في الأرض {رَوَاسِيَ} أي جبال تثبت الأرض أن تميد وتتحرك وهي كما للسفن مراسي تثبتها وتمنعها عن الحركة في البحر {مِنْ فَوْقِهَا} أي فوق سطح الأرض تُرى مرتفعة وشامخة وعالية {وَوَبَّرَكَ فِيهَا} أي بارك الله في الأرض بالنماء حيث تنتج الزرع والحبوب والنباتات والفواكه والخضار والثمار عند زراعتها ومباركة بما فيها من المعادن والبتروول والذهب والفحم الحجري وغير ذلك مما يحتاجه الإنسان في الدنيا {وَوَقَدَّرَ فِيهَا} وجعل الله تعالى لكل شيء قدراً وكمية تكفي الناس والخلق على مر الدهور والأزمان إلى يوم القيامة {أَقْوَاتَهَا} أقواتها من الطعام وأقوات السيارات من البترول وأقوات المصانع من المعادن وأقوات النار من الفحم والأشجار وأقواتها من الفواكه والحبوب والثمار والماء والهواء {فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ} في أربعة أيام وكما ذكرنا آنفاً كل يوم عند الله تعالى يعادل ألف سنة مما تعدون مع ملاحظة أن تلك الأربعة أيام هي مجموع خلق الأرض وهو في يومين واليومان الآخران خلق

فيهما الأقوات والطعام والشراب والكأ والجبال خلقهم في يومين فيصبح {سَوَاءً} أي كاملاً وجواباً شافياً {لِلسَّالِبِينَ} للسائلين عن أيام خلق الله تعالى للأرض وما عليها فهو جواب تام لجميع السائلين وأيضاً (سواء للسائلين) حسب احتياج ومتطلبات جميع خلقه ممن يسأل القوت أو الطعام أو الشراب وكل ما يحتاجونه في هذه الدنيا كل على قدر احتياجه ومتطلباته {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ} ثم عالج خلق السماء {وَهِيَ دُخَانٌ} وهي دخان أي بخار الماء المتصاعد فجمد فصار سماء أي كانت الأرض والسماء قطعة واحدة من الماء ثم تبخر منه جزء بإرادة الله تعالى وهو البخار أي صار كهيئة الدخان فأمر الله تعالى الدخان أن يجمد وخلق منه السماء كما قال تبارك وتعالى: " أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ " ٣٠ الأنبياء. {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ} فقال الله تعالى للسماء والأرض قول القادر الذي يقول للشيء كن فيكون {أَتْتِيَا} تعاليا أيها السماء والأرض واخرجا للخلقة من العدم {طَوَّعًا أَوْ كَرْهًا} بالخاطر أو الغصب سأخلقكما إن رضيتما أو أبيتما {قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} قالتا السماء والأرض أتينا من العدم إلى الحقيقة سهلين في الخلقة والإنشاء والتكوين بدون صعوبة وبدون تعب ومشقة كما قال تبارك وتعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ " ٣٨ ق. {فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} فخلقهن وجعلهن سبع سماوات {فِي يَوْمَيْنِ} في يومين خلق الله تعالى السموات وهما إضافة إلى الأربعة التي خلق فيهن الأرض وأقواتها والجبال وبذلك يكون خلق السموات والأرض في ستة أيام كل يوم منها عند الله تعالى يساوي ألف سنة مما تعدون كما جاء في الآيات السابقة آنفاً {وَأَوْحَىٰ} وخلق وجعل

{ فِي كُلِّ سَمَاءٍ } في كل سماء من السموات السبع { أَمْرَهَا } ما يكون من شأنها وشأن سكانها من تسبيح وذكر وعمل وخلقة كما قال تعالى: " الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ١ فاطر. { وَزَيْنًا } زينا وجمالنا وزخرفنا { السَّمَاءِ الدُّنْيَا } وهي التي فوقنا ونراها بالعين المجردة { بِمَصْبِيحٍ } بنجوم وكواكب وكأنها مصابيح تقيد وتضيء السماء الدنيا في الليل زيادة على أنها زينة وجمال ورونق تسر الناظرين { وَحِفْظًا } وتحفظ السماء من الشياطين ومن الجن المسترقين السمع كما كان في الماضي قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: " إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ {٦} وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ {٧} لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ {٨} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ {٩} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ {١٠} " ٥-١٠ الصافات. { ذَٰلِكَ تَقْدِيرٌ } ذلك الأمر هو بقدرته ومشئته الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الْعَزِيزِ } القوي في ملكه وسلطانه فلا أحد يستطيع أن يُذله أو يقهره فهو عزيز وقوي في ملكه وسلطانه وفي أخذه للأعداء { الْعَلِيمِ } الذي يعلم كل شيء في كونه ولا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء كما قال تعالى: " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " ١٤ الملك. { فَإِنِ أَعْرَضُوا } فإن أبى وتولى الكفار عن الطاعة وعن دخول الإسلام { فَقُلْ } فقل يا محمد يا رسول الله للكفار { أَنْذَرْتُكُمْ } حذرتكم ونصحتكم { صَاعِقَةً } من صاعقة تصعقكم وتهلككم { مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } مثل صاعقة عاد وهم قوم هود وثمود وهم قوم صالح أخذهم الله تعالى بالصاعقة لما كذبوا رسلهم. قال الإمام العالم عبد بن حميد في مسنده:

حدثني ابن أبي شيبه حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الزيال بن حرمله الأسيدي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال اجتمعت قريش يوماً فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي قد فرّق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحداً غير عتبة ابن ربيعة فقالوا أنت يا أبا الوليد فاتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك وأنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً وأن في قريش كاهناً والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً وأخذاً وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فرغت؟) قال: نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - حتى بلغ - فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ". فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا). فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك؟ قال ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته قالوا فهل أجابك؟ قال نعم لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قالوا وبيك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة. [وهكذا رواه

الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده مثله سواء - ابن كثير ج ٤ ص ٩٠]. وحرصاً للفائدة نذكر حديث خلق السموات والأرض وهو ما أورده النسائي فقال: حدثنا إبراهيم بن يعقوب حدثني محمد بن الصباح حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا الأخضر بن عجلان عن أبي جريح المكي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدي فقال: (إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع فخلق التربة يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الإثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر وخلق من أديم الأرض أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها من أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطيب والخبيث). [هكذا أورد هذا الحديث إسناداً ومتمناً وقد أخرج مسلم والنسائي أيضاً من حديث حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا السياق - ابن كثير ج ٣ ص ٤٥٧]. {إِذْ جَاءَهُمْ} إذ أتتهم {الرُّسُلُ} رسل الله تعالى وأنبيأؤه {مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} من الحاضرين إليهم في زمانهم كما قال تعالى: " وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ {١٣} إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ {١٤} " ١٣، ١٤ يس. {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} وممن سبقهم في الماضي من رسل الله تعالى السابقين {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} لا تعبدوا أحداً غير الله تعالى {قَالُوا} قال الكفار رداً على رسلهم {لَوْ شَاءَ رَبُّنَا} لو أراد الله تعالى {لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً} لأرسل وأنزل علينا من الملائكة رسلاً غيركم وأفضل منكم حتى

نصدقهم {فإننا} فإننا نحن الكفار {بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ} بما بُعثتم به لنا {كُفِرُوا} جاحدون ومنكرون ومكذبون وغير مصدقين برسالتكم.

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا تَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَقَهُمْ عَذَابَ الْحَزَنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْأَخِرَةِ أَحْزَىٰ لَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ آهُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَخَيَّنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

{فَأَمَّا عَادٌ} فأما عاد وهم قوم هود عليه السلام {فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ} تكبروا في قراهم ومدنهم {بِغَيْرِ الْحَقِّ} بدون حق بالبغي والظلم والمعاصي والذنوب {وَقَالُوا} وقال قوم عاد لرسولهم هود عليه السلام {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} أي تباهاوا بقوتهم وعظمتهم ومنعتهم وقالوا لا يوجد على وجه الأرض من هو أعز منا تكبراً وغروراً وأعرضوا عن رسولهم هود عليه السلام {أَوَلَمْ يَرَوْا} أولم يعلموا {أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي خلقهم من العدم ثم من التراب ثم من نطفة ومني يمى {هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} هو الله تعالى أعظم وأقوى وأكبر منهم قوة حيث هو الذي خلقهم فلا يتكبروا عن عبادته وطاعته وطاعة رسله {وَكَانُوا بِآيَاتِنَا} ولكنهم كانوا بمعجزات الله تعالى وبيناته وحججه وبراهينه {تَجْحَدُونَ} ينكرون ويكذبون ولا يصدقون {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ} فبعثنا عليهم {رِيحًا} أي رياحاً وعواصف {صَرْصَرًا} شديدة البرودة والصقيع تصرصر البدن أي

تهزه وترعده رجفًا من شدة الألم والبرودة { فِي أَيَّامٍ مَّحْسَاتٍ } في أيام شر وعذاب وهي كما قال تعالى: " سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِينَهُ أَيَّامٍ حُسُومًا " ٧ الحاقة. وقيل أن هذه الأيام يمنع فيها الجماع حيث إذا تكون الجنين في تلك الأيام الحسوم قد يأتي مجنوناً أو معتوهاً أو مشوه الخلقة ويدعى حسومي نسبة إلى تلك الأيام وهي أول أسبوع من الشهر الثاني وهو فبراير من كل عام { لِنُذِقَهُمُ } لعذبهم { عَذَابَ الْخِزْيِ } عذاب المذلة والمهانة { فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } في الدنيا قبل الآخرة { وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ } ولعذاب يوم القيامة { أَخْزَى } أذل وأقسى { وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ } فلا أحد ينصرهم أو ينقذهم من العذاب { وَأَمَّا ثَمُودُ } وأما ثمود قوم صالح { فَهَدَيْنَاهُمْ } فأرسلنا إليهم صالحاً عليه السلام فنصحهم ووعظهم وهداهم لعبادة الله تعالى وطاعته { فَاسْتَحَبُّوا } فلم يقبلوا الهدى ولا النصيحة ورفضوا وأصروا وصموا آذانهم وأغلقوا عيونهم واستحبوا { الْعَمَى } وهو الكفر والضلال والإشراك والمعاصي { عَلَىٰ أَهْدَىٰ } عن طاعة الله تعالى وعبادته والهدى إلى طريقه المستقيم { فَأَخَذْتَهُمْ } فأتتهم وأهلكتهم { صَاعِقَةُ الْعَذَابِ آهُونَ } صاعقة العذاب المذلة والمهينة التي أخزتهم وأهلكتهم { بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } بما كانوا يعملون ويجمعون من الحرام { وَنَجَّيْنَا } وأنقذ الله تعالى برحمته { الَّذِينَ ءَامَنُوا } المؤمنين الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { وَكَانُوا يُتَّقُونَ } وكانوا يخافون ويخشون ويحذرون معاصي الله تعالى وبيتعدون عن نواهيهِ ومحارمه ويطيعونه فيما أمر ويعبدونه وحده لا شريك له.

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ وَقَالُوا لَوْلَا جُودِهُم لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۗ قَالَُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٦﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًىٰ لَهُمْ ۗ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

{ وَيَوْمَ } أي يوم القيامة { يُحْشَرُ } يساق { أَعْدَاءُ اللَّهِ } من الكفار والمشركين والمنافقين والعاصين والمذنبين لأنهم أجزموا وعادوا الله تعالى وخالفوا أمره وانتهكوا محارمه وتعدوا حدوده التي شرعها لهم { إِلَى النَّارِ } إلى نار جهنم ليعذبوا فيها { فَهُمْ يُوزَعُونَ } فهم الكفار يُفَرَّقُونَ ويوزعون على أبواب جهنم السبعة كل على حسب ذنبه كما قال تعالى: " لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ " ٤٤ الحجر. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملاً الأول والثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها { حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا } وعندما حضروا إلى جهنم وعذابها { شَهِدَ عَلَيْهِمْ } اعترف عليهم { سَمْعُهُمْ } آذانهم بما سمعت من أقوالهم وأفعالهم { وَأَبْصَرُهُمْ } وكذلك تشهد عليهم أعينهم بما شاهدوا من عبادة الأصنام والذنوب والمعاصي التي ارتكبوها في الدنيا { وَجُلُودُهُمْ } وجلود جميع جوارحهم وأعضائهم بما فيها الفرج والذكر كما قال تعالى: " الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ٦٥ يس.



{بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} بما كانوا يصنعون فالفرج يتكلم عن الزنا والأيدي عن المعانقة والاحتضان والشفاه عن القبلات والأيدي أيضاً عن السرقة والقتل والسلب والنهب والأرجل عن المشي إلى المعاصي وارتكاب المحرمات وهكذا {وَقَالُوا} وقال العصاة والمذنبون والكفار والمنافقون {لِجُلُودِهِمْ} لجلد أيديهم وأرجلهم وفروجهم {لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا} لما اعترفتم علينا بعمل المعاصي والذنوب {قَالُوا} قالت الأعضاء والجلود التي على أجسادهم {أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} أمرنا الله تعالى وجعلنا نقر ونعترف وأنطقنا بالحق وبالحقيقة فهو لا يخفى عليه شيء وهو جعل كل شيء ينطق ويتكلم بأمره كاللسان والرعد والحديد كالراديو وهو جهاز الحاكي والتلفزيون وهو الجهاز الرائي وآلات الموسيقى وكل شيء من مخلوقاته كما تكلمت النملة والهدهد لسيدنا سليمان عليه السلام وكما قال تعالى: " الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ٦٥ يس. {وَهُوَ} أي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {خَلَقَكُمْ} أنشأكم من العدم {أَوَّلَ مَرَّةٍ} الحياة الأولى حياة الطفولة وما بعدها {وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ} وإلى الله تعالى ترجعون بالموت ويوم القيامة تحشرون إليه في المحشر للحساب {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ} أي كنتم تستترون وتتخفون من الناس ولكنكم في نفس الوقت لم تكونوا تستخفون من {أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ} أن يعترف عليكم يوم القيامة {سَمِعْتُمْ} آذانكم التي تسمع ما تقولون {وَلَا أَبْصَرْتُمْ} ولا تظنون أنه ستشهد عليكم أعينكم وأنتم ترتكبون الفاحشة أو السرقة أو المعاصي {وَلَا جُلُودُكُمْ} ولا تشهد عليكم أعضاؤكم وجلودكم التي عليها من فروجكم وأيديكم وأرجلكم التي هي في الحقيقة كالتسجيل السري بالصوت والصورة لأجهزة الشرطة فهذه ستكون من ضمن الأجهزة السرية

الربانية التي ستشهد عليكم يوم القيامة إضافة إلى الملائكة الكتبة الحفظة وكذلك الأرض كما قال تعالى: " يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا " ؛ الزلزلة. {وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ} ولكن افترتم {أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ} إن الله تعالى لا يعلم غالب ذنوبكم وآثامكم ومعاصيكم {وَذَالِكُمْ} وذلك هو {ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ} وذلك علمكم الذي علمتم وافترتم {بِرَبِّكُمْ} بخالقكم وربكم وإلهكم أنه لا يعلم شيئاً وهذا هو الذي {أَرَدْنَاكُمْ} الذي أوقعكم في شر أعمالكم {فَأَصْبَحْتُمْ} فأصبحتم يوم القيامة عند الحساب {مِنَ الْخَاسِرِينَ} من المفلسين والهالكين والمعذبين وخسرتم آخرتكم {فَإِنْ يَصْبِرُوا} فإن يصبر الكفار على العذاب يوم القيامة {فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} فالنار مقر ومسكن لهم {وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا} وإن يستجيروا ويندموا {فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ} فما هم من المجارين ولا ينفعهم الندم ولا العتاب كما قال تعالى: " قَالَ اخْسُؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ " ١٠٨ المؤمنون.

﴿ وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴿٢٨﴾ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا تَجْحَدُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

{ وَقَيِّضْنَا } وجعلنا { لَهُمْ } للكفار { قُرَنَاءَ } رفقاء وأصحاب ملازمين لهم وهم قرناء السوء وأصحاب السوء فلا يأمرونهم بمعروف ولا خير ولا يحضونهم عليه { فَزَيَّنُوا } هُم { فجمّلوا وزخرفوا لقرنائهم { مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } وهو الحاضر والدنيا { وَمَا خَلْفَهُمْ } يوم القيامة وما ينتظرهم من الحساب وأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إذا ارتكبوا المعاصي والمحرمات ومستقبلهم زاهر وجميل وسعادة نادرة فلا حساب ولا عقاب عليهم وذلك مما زينوا لهم ذلك { وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ } ووجب عليهم العذاب { فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ } مع أمم قد سبقتهم بالمعاصي { مِنْ قَبْلِهِمْ } مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ { فالإنس كقوم لوط وقوم هود وقوم ثمود وقوم نوح وغيرهم وكذلك ما سبقهم من كفرة الجن ومن الشياطين الذين زينوا للناس المحرمات { إِنَّهُمْ } إن الكفار والعصاة { كَانُوا خَسِرِينَ } إنهم بأعمالهم خسروا أنفسهم يوم القيامة بالعذاب في نار جهنم { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } وقال الكفار لبعضهم البعض { لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ } لا تستمعوا لقراءة القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم

{وَالْغَوَا فِيهِ} وتحدثوا عند قراءته وشوشوا عليه واصخبوا فيه {لَعَلَّكُمْ} عسى  
 {تَغْلِبُونَ} تنتصرون على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى دينه وأتباعه  
 {فَلَنْذِيقَنَّ} فلنعذبن {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار الذين جحدوا وكذبوا برسالة سيدنا  
 محمد صلى الله عليه وسلم {عَذَابًا شَدِيدًا} عذاباً قاسياً وأليماً {وَلَنْجْزِيَنَّهُمْ}  
 ولنحاسبنهم {أَسْوَأَ} أشد {الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما كانوا يعملون حيث عذاب  
 الآخرة أشد نكالاً في نار جهنم يوم القيامة {ذَلِكَ} وذلك {جَزَاءٌ} عقاب {أَعْدَاءِ  
 اللَّهِ} ممن بارزوا الله تعالى بالعداوة والكفر والمعصية والذنوب وانتهاك الحرمات  
 {النَّارُ هُمْ} فعقاب نار جهنم لهم يوم القيامة {فِيهَا} في نار جهنم {دَارُ الْخُلْدِ}  
 دار الإقامة والدوام والتخليد في نار جهنم لا يموتون فيها ولا يحيون {جَزَاءٌ} عذاباً  
 وعقاباً {بِمَا كَانُوا بِغَايَتِنَا} بما كانوا بآيات الله تعالى وقرآنه {تَجْحَدُونَ} ينكرون  
 ويكذبون {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} وقال الكفار يوم القيامة وهم من جحدوا وأنكروا  
 رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا {أَرِنَا} اجعلنا  
 نرى ونشاهد {الَّذِينَ أَضَلَّانَا} الذين أغويانا {مِنَ الْجِنَّ} من الجن ممن وسوسوا لنا  
 وزخرفوا وزينوا لنا الشهوات {وَالْإِنْسِ} ومن الإنسان ممن أغوانا وأضلنا وأفسدنا  
 {نَجْعَلُهُمَّا تَحْتَ أَقْدَامِنَا} ندوسهم بأقدامنا {لِيَكُونَا مِنَ الْآسْفَلِينَ} ليكونا من  
 الحقييرين والأذلين.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ لَخُنُ أَوْلِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ } إن الذين اعترفوا بوحداية الله تعالى وشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وقالوا ربنا وخالقنا وإلهنا هو الله تعالى وحده { ثُمَّ اسْتَقَمُوا } ثم استداموا وساروا على الطريق المستقيم ولم ينحرفوا واستمروا على طريق الهدى والحق والرشاد واستمروا على عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ولم يعصوا الله تعالى ولم يتعدوا حدوده واستمروا على طاعة الله تعالى وأداء الفرائض واجتنبوا النواهي وعملوا النوافل زيادة على الصلاة والصوم والزكاة والحج وعلى ذكر الله تعالى { تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ } أي تنزل عليهم الملائكة بالرحمة وتحفهم بأجنحتها وتبشرهم كما قال تعالى: " فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى " ٣٩ آل عمران. { أَلَّا تَخَافُوا } ألا تخافوا يوم القيامة أن يعذبكم الله تعالى أو يجور عليكم لطاعتكم له { وَلَا تَحْزَنُوا } ولا تحزنوا على دنياكم فإن متاعها قليل { وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ } وتبشرهم الملائكة بدخول الجنة يوم القيامة { الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } التي وعدتم بها في الدنيا على أعمالكم الصالحة

واستجابة لدعائكم كما قال تعالى: " رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ " ١٩٤ آل عمران. {نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ} نحن حماةكم ونتولى أمركم وحفظكم {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وأنتم أحياء كما قال تعالى: " لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ " ١١ الرعد. {وَفِي الْآخِرَةِ} وكذلك نتولى أمركم يوم القيامة وندخلكم الجنة كما قال تعالى: " يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ {٢٣} سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ {٢٤} " ٢٤، ٢٣ الرعد. {وَلَكُمْ فِيهَا} ولكم في الجنة {مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ} ما تطلب وما ترغب من طعام أو شراب {وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} ولكم في الجنة ما تطلبون وما تسألون من الحور العين والطعام والشراب {نُزُلًا} هذا منزل لكم أنزلكم إياه الله تعالى {مِّنْ غُفُورٍ} من إله يغفر لكم ذنوبكم ويتوب عليكم {رَحِيمٍ} وهو رحيم بكم ويدخلكم جنته يوم القيامة {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا} ومن هو أفضل كلاماً وحديثاً {مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} ممن دعا وأمر ونصح إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وإلى طاعته سواء بالقول الطيب أو الوعظ أو الأذان للصلاة. وقد ثبت في صحيح مسلم: (المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة). [ابن كثير ج ٤ ص ١٠٠]. وفي السنن مرفوعاً: (الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين). [ابن كثير ج ٤ ص ١٠٠]. {وَعَمَلٍ صَالِحًا} وعمل الأعمال الصالحة من البر والخير والعبادة والطاعة في مرضاة الله تعالى {وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ودخل الإسلام وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وكان من المسلمين المخلصين {وَلَا تَسْتَوِي} ولا تتساوى {الْحَسَنَةُ} عمل البر والخير وعبادة الله تعالى وطاعته {وَلَا السَّيِّئَةُ} لا تتساوى مع المعصية وأعمال الشر والذنوب والمحرمات في الثواب والعقاب أي لا يتساوى عمل

الخير مع عمل الشر كما لا تتساوى الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور  
 {أَدْفَعْ} جاهد وقاوم {بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} بما هو أفضل من العداوة وأعمال الشر  
 أي قابل الشر والخصومة بالحلم والمعروف وأعمال الخير والبر كما قال هارون  
 لموسى عليه السلام عندما أخذ يعنفه: " قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي  
 إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي " ٩٤ طه. وكذلك  
 كما قال صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لأهلها: (ما تظنون أني فاعل بكم)  
 قالوا أخ كريم وابن أخ كريم قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) {فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ  
 عَدَاوَةٌ} فإذا الذي بينك وبينه خصام وعداوة وبغضاء {كَأَنَّهُ} أصبح وكأنه {وَلِيٌّ}  
 صديق وصاحب وحبیب {حَمِيمٌ} عزيز وغالي {وَمَا يُلْقِنَهَا} ولا ينال هذه  
 الدرجة والمنزلة والمكانة {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا} إلا الذين تحملوا وصبروا على الأذى  
 والخصام وهم الكاظمون الغيظ والحلماء {وَمَا يُلْقِنَهَا} وما ينالها هذه المنزلة {إِلَّا ذُو  
 حَظٍّ عَظِيمٍ} إلا ذو حظ سعيد ووافر وكبير وهم أهل الصلاح والحلم وأهل التقوى  
 وأهل الخير.

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٧٩﴾ وَمِنْ  
 آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ  
 الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٨٠﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ  
 يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٨١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ  
 خَدِشَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى  
 فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ  
 ﴿٨٣﴾

{وَأِمَّا} وإذا {يَنْزَغَنَّكَ} يصيبنك {مِنَ الشَّيْطَانِ} وهو مارد الجن وكافر وعاصي  
 الجن وهو من شاط وابتعد عن الحق والهدى وعبادة الله تعالى وطاعته {نَزْعٌ}  
 إصابة وهي عدة أنواع منها الوسوسة وكذلك الوسوسة أنواع منها السهو والخيال  
 وحلم اليقظة والشك في نفسه أو أصدقائه أو أهل بيته أو في وضوئه وعبادته والحلم  
 في المنام وأن يرى أحلاماً مفزعة من الشيطان أو النزغ بإصابة أو مس البدن مباشرة  
 بالجنون والمس والصرع أو الأفكار الرديئة والسرحان وترك العنان للخيال أو  
 الهواجس أو غير ذلك {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} فعندها التجئ واستجر بالله تعالى من  
 الشيطان وشره ووسوسته {إِنَّهُ هُوَ} إنه هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا  
 شأنه {السَّمِيعُ} الذي يسمع استعاذة المستجير من الشيطان الرجيم {الْعَلِيمُ}  
 الذي يعلم ما ينفع الإنسان ويحفظه من شر الشيطان ومسه ووسوسته. عن أبي  
 سعيد مرفوعاً قال: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه  
 [الجنون] ونفخه [الكبر] ونفثه [الشعر]). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٤ ، سبل السلام



ج ١ ص ١٦٦]. {وَمِنْ آيَاتِهِ} ومن معجزات الله تعالى ودلائله على قدرته {الَّيْلُ وَالنَّهَارُ} خلق الله تعالى وجعل الليل والنهار وتعاقبهما باستمرار وانتظام فالليل يسكن وينام فيه أغلب الناس وأغلب المخلوقات من أهل الأرض والنهار وفيه نور الصباح وضياء الشمس ففيه طلب الرزق للناس والطيور والوحوش والحيتان في البحار {وَالشَّمْسُ} خلقها الله تعالى لتضيء النهار {وَالْقَمَرُ} يضيء الليل وبه تعرف الأهلة لصوم شهر رمضان مثلاً وللحج وللحساب ومعرفة هلول الشهر بدايته ونهايته {لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ} لا تعبدوا ولا تصلوا لا للشمس ولا للقمر لأنهما مخلوقان من خلق الله تعالى فهو الذي خلقهما وسيرهما بأمره وإرادته وقدرته ورفعهما في السماء حتى لا تصل إليهما يد عابث بهما لإيقافهما أو منعهما من المسير وكذلك حتى لا تحرق الشمس الأرض ومن عليهما ولما حاول النمرود ملك العراق مجادلة إبراهيم الخليل عليه السلام بأن الله يحيي ويميت وادعى بأنه قادر أن يحيي ويميت مثل الله تعالى قال له إبراهيم عليه السلام " فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ " ٢٥٨ البقرة. لأن الشمس مُسَخَّرَةٌ بإذن الله تعالى وبأمره وليس لأحد عليها من سلطان {وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ} ولكن اسجدوا أيها الناس في صلاتكم وعبادتكم لله تعالى وحده لا شريك له {الَّذِي خَلَقَهُنَّ} فهو وحده الذي خلق الشمس والقمر والليل والنهار وما فيهما {إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} إن كنتم تعترفون له بالوحدانية وبخلق الكون بما فيه من شمس وقمر وليل ونهار إن أردتم بعد علمكم ذلك بأنه يستحق العبادة وحده {فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا} فإن تكبروا وعصوا وأبوا وتعالوا {فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ} وهم الملائكة {يُسَبِّحُونَ لَهُ} ينزهون الله تعالى ويقدمونه ويسبحونه {بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}

ليلاً ونهاراً {وَهُمْ لَا يَسْعَمُونَ} فهم لا يملون ولا يتعبون ولا يتضايقون ولا يستريحون أي دائمون التسبيح والتقديس والتنزيه بدون تعب ولا ملل {وَمِنْ آيَاتِهِ} ومن دلائل قدرته ومعجزاته وبيئاته {أَنَّكَ} أنك يا محمد يا رسول الله {تَرَى} تشاهد بعينك المجردة {الْأَرْضَ} الأرض التي نحن عليها {حَسْبَعَةً} ناشفة وقاحلة ومجدبة وجافة {فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ} فعندما يُنزل الله تعالى على الأرض ماء المطر من السماء عليها {أَهْتَرَّتْ} تحركت {وَزَبَّتْ} نفشت بالبذور عندما تنبت بالنبات والزرع {إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا} إن الذي جعلها حية تنبت بالزرع والنبات والثمار والفواكه بعد أن كانت قاحلة وجافة ومجدبة {لَمْحْيِ الْمَوْتَى} فالذي أحيا الأرض بالزرع والنبات وهو الله تعالى هو كذلك يحيي الموتى من جديد يوم القيامة كما أحيا تلك الأرض {إِنَّهُ} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فهو قادر على عمل كل شيء فأمره بين الكاف والنون وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ} إن الذين ينكرون ويكفرون ويجحدون ويكذبون ويحيكون المكائد والعداوة {فِي آيَاتِنَا} لآيات الله تعالى من قرآنه وكلامه {لَا تَخْفَوْنَ عَلَيْنَا} لا يخفى علينا من أمرهم شيء ولا تخفى علينا من أعمالهم خافية ولا تغيب عنا أعمالهم ومكائدهم {أَفَمَنْ} فهل من {يُلْقَى فِي النَّارِ} فهل من يُلقى في النار {خَيْرٌ} أفضل وهو يعذب في نار جهنم {أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا} أم من يجيء آمناً مطمئناً لا يخاف العذاب {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} في يوم القيامة يوم الحساب في المحشر {أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} افعلوا ما شئتم وأردتم أيها الناس {إِنَّهُ} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما

تفعلون أيها الناس من الخير أو الشر فإن الله تعالى {بصيرٌ} به بصير ومطلع ومشاهد وعالم ويرى جميع أعمالكم وأفعالكم من خير أو شر.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۚ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ وَعَلَيْهِمْ عَمَىٰ طُورٌ مُّبِينٌ ۚ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَلَا يَنْصُرُهُمْ رَبُّهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ السَّافِهُونَ ﴿٤٤﴾ مَكَانٌ بَعِيدٌ ﴿٤٥﴾ ۝﴾

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} يقول الله تعالى إن الكفار وهم من كفر وجحد وأنكر {بِالذِّكْرِ} بالقرآن الكريم {لَمَّا جَاءَهُمْ} لما أتاهم من عند الله تعالى بواسطة الوحي جبريل عليه السلام على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. والخبر محذوف وتقديره أنهم لما جاءهم الذكر وهو القرآن كفروا به {وَإِنَّهُ} وإنه القرآن الكريم {لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} لكتاب قيم وغالي وثمانين عند المؤمنين وعند أهل العلم كما قال تعالى: "رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً {٢} فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ {٣} " ٣، ٢ البينة. {لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ} لا يصل إليه الباطل والجور والظلم {مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ} من بين نصوصه وأحكامه وشرعه {وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} ولا ممن سبقه من الكتب السماوية السابقة. وكذلك القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أي لا تكذبه الكتب المنزلة السابقة من قبله ولا تأتي كتب بعده تكذبه وكذلك لا توجد به آيات باطل وكذب ودجل لا في أوله ولا في آخره فهو كتاب حق وليس بالهزل ولا بالخرافات

والباطل والكذب كما قال تبارك وتعالى: "إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ {١٣} وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ {١٤}"  
 ١٣، ١٤ الطارق. {تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ} منزل من الله تعالى الحكيم في شرعه وأوامره  
 ونواهيهِ ولا يخطئ أبداً {حَمِيدٍ} حميد الصفات والأفعال أي محمودها {مَا يُقَالُ  
 لَكَ} كل ما يقوله لك الكفار {إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ} لم يزد ولم ينقص  
 عما قاله الناس للرسول السابقين من قبلك وهو التكذيب والإنكار والجحود {إِنَّ  
 رَبَّكَ} إن ربك وخالقك وإلهك يا محمد يا رسول الله {لَذُو مَغْفِرٍ} صاحب مغفرة  
 ويغفر لمن ندم وتاب عن الشرك والمعاصي والذنوب {وَذُو عِقَابٍ} وذو عذاب  
 {أَلِيمٍ} شديد وقاس وموجع {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا} ولو نزله الله تعالى على  
 رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باللغة الأعجمية {لَقَالُوا} لاحتج الناس  
 وقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم {لَوْلَا} أفلا {فُصِّلَتِ آيَاتُهُ} وُضِّحَتْ  
 وتُرجمت آيات القرآن باللغة العربية {ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} نص القرآن بلغة العجم  
 والرسول محمد عربي ويتكلم باللغة العربية كيف يكون ذلك نص أعجمي ولفظ  
 عربي فلا يصح ذلك وكما قال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ  
 لَهُمْ " ٤ إبراهيم. {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله لهؤلاء المعترضين  
 والمجادلين {هُوَ} أي القرآن الكريم {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} للمؤمنين الذين آمنوا  
 وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {هُدًى} يهديهم من الكفر إلى  
 الإيمان ومن ضلال الشرك إلى الإسلام {وَشِفَاءٌ} ويشفي صدور قوم مؤمنين من  
 الكفر والشرك والضلال زيادة على شفاء الأجساد من الأمراض كالجنون والسحر  
 والحسد كما قال تعالى: " وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ

الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا " ٨٢ الإسراء. {وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} والذين لا يصدقون بالقرآن الكريم {فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ} في سمعهم صمم وطرش {وَهُوَ} القرآن الكريم {عَلَيْهِمْ} على الكفار {عَمَى} أي عند نزوله على الناس فهو شديد عليهم فهو كأنه عمى نزل عليهم ويخشونه كما يخشون العمى في أعينهم وأبصارهم فهو كأنه مصيبة نزلت بهم فقد عموا عن الحق والهدى والرشاد {أُولَئِكَ} هؤلاء الكفار {يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ} تنادي عليهم الملائكة يوم القيامة بأبشع أسمائهم وألقابهم من مكان بعيد حتى يفتضح أمرهم على رأس الخلائق والأشهاد وحتى يسمع جميع أهل المحشر بأنهم من أهل النار وذلك لفضحهم وإذلالهم وعقابهم على كفرهم وتكذيبهم للقرآن الكريم وللرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمَلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

{وَلَقَدْ آتَيْنَا} ولقد أنزلنا وأعطينا {مُوسَى} موسى عليه السلام ابن عمران {الْكِتَابَ} التوراة {فَأَخْتَلَفَ فِيهِ} اختلف بنو إسرائيل في كتابهم التوراة وكذبوه ولم يصدقوه {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ} ولولا كلمة سبقت من الأزل بتأخير العذاب والعقاب إلى يوم القيامة {مِنْ رَبِّكَ} من ربك وخالقك يا محمد يا رسول الله {لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ} لحكم بينهم وانتهى الأمر وعذبهم الله تعالى وأهلكهم بذنوبهم وتكذيبهم لموسى عليه السلام ولكتابه التوراة كما قال تعالى: " وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا " ٥٨ الكهف. وقال تعالى: " وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا

مِن دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ " ٦١ النحل. {وَأِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ} وإن بني إسرائيل لفي شك وظن {مِنَهُ} من كتاب التوراة {مُرِيْبٍ} شك عظيم وظن كبير {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا} من عمل عملاً صالحاً في مرضاة الله تعالى {فَلِنَفْسِهِ} أي ثوابه وفائدته ترجع على نفس فاعل الخير والعبادات والطاعات {وَمَنْ أَسَاءَ} ومن عمل شيئاً شراً وعصى وكفر {فَعَلَيْهَا} فيقع العقاب على نفسه وحده وذاته فهو الذي يعذب في نار جهنم يوم القيامة {وَمَا رُبُّكَ} وليس يا محمد يا رسول الله ربك وخالقك وإلهك {بِظُلْمٍ} ليس يظلم أحداً من الناس فهو عادل فلا يحكم ولا يقضي بين الناس إلا بالعدل والحق {لِلْعَبِيدِ} لجميع خلقه فهم عبيد له لأنه خلقهم وهو ربهم.

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآئِي قَالُوا ءَاذَنَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظُنُّوا مَا هُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعُوْسُ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَدْقَنَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾

{إِلَيْهِ} إلى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُرَدُّ} يعود ويرجع {عِلْمُ السَّاعَةِ} علم قيام القيامة وحدثها {وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ} وما تثمر من ثمرات

الفواكه وما تطرحه وتثمره الأشجار {مِنْ أَكْمَامِهَا} من غصونها وبراعمها ومن أزهارها وشبهها الله تعالى كأنها أكمام الثوب تغطي الثمار قبل إخراجها ونضوجها {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى} وما تحمل كل أنثى بطفلها ووليدها في بطنها وعادة يكون الحمل بعد تلقيح الذكر للأنثى فالمرأة حملها هو حبلها والحيوانات حملها عشارها والطيور والأسماك حملها خصابها {وَلَا تَضَعُ} ولا تلد الأنثى {إِلَّا بِعِلْمِهِ} إلا ويعلمها الله تعالى ووضعها وميلادها بإرادة الله تعالى وقدرته {وَيَوْمَ} ويوم القيامة ويوم الحساب {يُنَادِيهِمْ} ينادي الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الكفار والمشركين {أَيْنَ شُرَكَاءِي} يقول الله تعالى للكفار أين الذين أشركتم معي في العبادة من الأصنام والأوثان والأنداد وهو سؤال استنكاري وتقريع للكفار {قَالُوا} قال الكفار {ءَاذْنُكَ} حاشاك ونأسف ونعتذر وعفوا {مَا مِنَّا} لا أحد منا {مِنْ شَهِيدٍ} من يشهد ويعترف بالشركاء ولا يشهد بأن لك شريكاً في ملكك وفي العبادة كما قال تعالى: " ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنْتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ " ٢٣ الأنعام. وهو دفاع كاذب وهذا اعتراف منهم قسري ومن شدة الخوف من العذاب الذي ينتظرهم في ذلك اليوم {وَضَلَّ عَنْهُمْ} وغاب وذهب عنهم {مَا كَانُوا يَدَّعُونَ} ما كانوا يتخرصون ويعبدون {مِنْ قَبْلُ} من قبل يوم القيامة أي في الدنيا أثناء حياتهم {وَوَظَّنُوا} واعتقد وتيقن الكفار {مَا هُمْ مِنْ مَّحِيصٍ} ليس لهم من سلامة ولا منجا ولا ملجأ ولا مفر من عذاب الله تعالى {لَا يَسْمَعُ} لا يتعب ولا يمل {الْإِنْسَانُ} الواحد من بني آدم {مِنْ دُعَائِهِ} من طلب وسؤال {الْخَيْرِ} كل خير يتمناه ويطلبه من الله تعالى {وَإِنْ مَسَّهُ} وإن أصابه {الشَّرُّ} الفقر والضيقة والنكد

والعذاب {فَيْئُوسٌ} يائس وفاقد الأمل {قَنُوطٌ} جحود فاقد الأمل نهائياً في الخلاص والنجاة من الشر الذي أصابه أو حلّ به {وَلَيْنٌ} وإذا {أَذَقْنَاهُ} وهبناه وأعطيناه وأكرمناه {رَحْمَةً مِنَّا} خيراً من الله تعالى يكرمه ويرحمه به {مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ} من بعد فقر وضيق وشر وأذى {مَسَّتْهُ} أصابته {لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} سيقول هذا ميراث لي وهذا حقي وتعبي ومن عملي وأستحقه وليس لأحد فضل عليّ فيه ولم يقل هذا من فضل الله تعالى وبتوفيقه كما قال من قبله قارون لموسى عليه السلام: " قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي " ٧٨ القصص. {وَمَا أَظُنُّ} ولا أعتقد {السَّاعَةَ قَائِمَةً} قيام القيامة ووقوعها وحدثها أي يكذب بيوم القيامة والبعث والحساب {وَلَيْنٌ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي} وإذا حصل حياة بعد الموت ورجعت ورددت إلى ربي الله تعالى يوم القيامة {إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ} إنه سيكون لي عند الله تعالى منزلة ودرجة أفضل وأحسن من التي في الدنيا وهذه كلها أمني وغرور وكما قال تعالى: " لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ " ١٢٣ النساء. {فَلَنَنْبِئَنَّ} فسيُخبر الله تعالى ويُعلم {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار وهم من جحدوا وكذبوا برسولهم وأنبيائهم {بِمَا عَمِلُوا} بكل ما عملوا في الدنيا من الشرك والكفر والمعاصي والذنوب {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ} ولنعذبهم {مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} من عذاب شديد وقاس وأليم وفيه غلظة من الملائكة كما قال تبارك وتعالى: " عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " ٦ التحريم. {وَإِذَا أَنْعَمْنَا} وإذا تفضلنا {عَلَى الْإِنْسَانِ} على ابن آدم وسمي إنسان لأنه ينسى عهده وميثاقه مع الله تعالى حين أخرجهم من ظهور آبائهم وقال لهم: " أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ " وكذلك

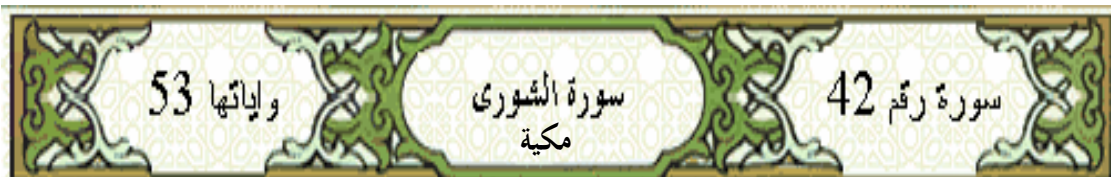


ينسى الخير والمعروف ونعمة الله عليه {أَعْرَضَ} تولى وجحد وأنكر {وَتَنَّا} بِجَانِبِهِ} أعطى جنب وابتعد وهي كناية عن ابتعاده عن عبادة الله تعالى وطاعته {وَإِذَا مَسَّهُ} وإذا أصابه {الشَّرُّ} العذاب والأذى والمصائب والهموم والأحزان والفقر والمرض وغير ذلك {فَذُوْدُعَاءٍ} فذو طلب وسؤال إلى الله تعالى بالخلاص {عَرِيضٍ} أي كبير وواسع لا ينقطع ودائم وباستمرار وكبير لا يتوقف عن الدعاء إلى الله تعالى بالخلاص أي أنه عندها يعترف بأن له رباً وخالقاً وفي الحديث: (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) كما ذكره ابن أبي حاتم من حديث قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك جفت الصحف ورفعت الأقلام واعمل لله بالشكر في اليقين واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٤].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ  
بَعِيدٍ ﴿٥٦﴾ سُنُرِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ  
رَبِّيكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ  
شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٨﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {أَرَأَيْتُمْ} أعلمتم {إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} إن كان هذا القرآن الكريم نزل من عند الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ} ثم جحدتم وأنكرتم وكذبتم بالقرآن الكريم فكيف يكون عقابكم {مَنْ أَضَلُّ} من يكون واقع في الضلال {مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ} ممن هو واقع في خصومة وخلاف مع الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومع القرآن الكريم من تكذيب {بَعِيدٍ} أي كبير وبعيد عن الحق والهدى والرشاد {سُنُرِهِمْ} سنجعلهم يطلعون ويشاهدون {ءَايَاتِنَا} معجزاتنا ودلائل قدرتنا الكونية {فِي الْأَفَاقِ} في فضاء الكون وفي العالم كله وذلك قد تحقق الآن في الطائرات والمركبات الفضائية والتلفزيون أو الشاشة الصغيرة أو الرائي والحاكي وأجهزة الاتصالات والإنترنت وأسلحة الدمار الشامل وغيرها {وَفِي أَنْفُسِهِمْ} وفي أجسامهم من علم التشريح وعلم التصوير وعلم الأجنة ونقل الأعضاء وأطفال الأنابيب وزراعة الأعضاء والخلايا وقدرة الله تعالى في نعمة السمع والبصر والذكاء وبما في ذلك منحهم القدرة على استكشاف الغيبيات التي يُعلمها الله تعالى للناس سواء في الرؤيا في المنام أو اليقظة فتصبح أنفسهم أجهزة ربانية كالجهاز الآلي الذي يتواصل مع الأجهزة الأخرى في البلاد الأخرى كجهاز الحاسوب الآلي مع فارق قدرة الله تعالى في الخِلقَة كما حدث في قصة الخضر مع موسى عليه السلام وكما حدث مع عمر ابن

الخطاب رضي الله تعالى عنه عندما نادى على سارية في نهاوند بفارس وهو على المنبر في المدينة المنورة وقال يا سارية الجبل يا سارية الجبل {حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمَّ} حتى يتضح للناس بهذه القدرة الربانية في الكون {أَنَّهُ} أنه هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الخالق وهو الرازق وهو المحيي وهو المميت والقادر وأنه هو {الْحَقُّ} أن الله تعالى هو الحق والصدق الخالق والمالك للكون كله وهو مدبر شؤونه من الرزق والموت والحياة {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ} ألم يكفي بأن ربك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ} أنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه أنه على كل شيء من خلقه وكونه {شَهِيدٌ} شاهد له ويراه ويبصره ويعلمه وكذلك يعلم مستقره ومستودعه وعمله وفعله وبدايته ونهايته {الْآ} وهي للتنبيه ليُعلم ما بعدها {إِنَّهُمْ} أي الكفار {فِي مَرِيَّةٍ} في شك وظن {مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ} من رجوعهم للقاء ربهم يوم القيامة للحساب بعد البعث والحياة من جديد بعد الموت {الْآ} وهي للتنبيه لما بعدها من جديد {إِنَّهُ} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِكُلِّ شَيْءٍ} بكل شيء من خلقه ومن كونه {مُّحِيطٌ} علِيم ومطلع ولا يخفى عليه منهم خافية ويعلم كل ذرة في السموات أو في الأرض.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمَّ (١) عَسَقَ (٢) ﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾  
 لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ  
 يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

{ حَمَّ (١) عَسَقَ (٢) } وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (انظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسمة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله

تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبية أو إشارة إلى تَكُونِ القرآن من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسماً لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢٠١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢٠١ لقمان.

وعليه فإن معنى (حَمَّ (١) عَسَقَ (٢)) هو قوله تعالى: " قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا {٥٠} أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا {٥١} " ٥١، ٥٠ الإسراء. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {كَذَلِكَ} هكذا {يُوحَى} يرسل الله تعالى وينزل عليك القرآن بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {إِلَيْكَ} إليك أنت يا محمد يا رسول الله {وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ} وإلى الرسل والأنبياء من جاءوا قبلك من آدم عليه السلام إلى عيسى بن مريم عليهم السلام جميعاً وعدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر نبياً رسولاً خمسة وعشرون منهم ذكروا في القرآن الكريم فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه يوم بدر: (أنتم على عدد المرسلين

وعلى عدد أصحاب طالوت حين جاوزوا النهر). يعني ثلاثمائة وثلاثة عشر. [تنبيه الغافلين للسمرقندي ج ٢ ص ٦٦]. {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَزِيزُ} القوي في ملكه وفي سلطانه والعزیز الجانب والمنعة والقوة فلا تصل إليه يد أو اعتداء {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة في أوامره وآياته ونواهيته وفي ملكه ولا يخطئ أبداً {لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ} لله تعالى ملك السماوات السبع وما فيها من الملائكة والأعلى ومن الملائكة والشمس والقمر والنجوم والكواكب {وَمَا فِي الْأَرْضِ} والله تعالى ملك الأرض وما فيها من إنس وجن وحيوانات ونباتات وطيور وجبال وسهول وبحار وأنهار وحياتان وكل شيء فيها وعليها {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَلِيُّ} العالی فوق كل شيء وفوق خلقه ومخلوقاته فلا شيء أعلى ولا أكبر منه سبحانه وتعالى {الْعَظِيمُ} الذي ليس شيء أعظم ولا أكبر منه سبحانه وتعالى فهو عظيم الجاه والسلطان {تَكَادُ} على وشك أن يحصل لها شيء {السَّمَوَاتُ} السماوات السبع {يَتَفَطَّرْنَ} يتقطعن ويتشققن {مِنْ فَوْقِهِنَّ} من فوق رؤوس الناس لأن السماء مرتفعة فوق الأرض والناس وذلك من خشية الله تعالى ومن عظمتها {وَالْمَلَائِكَةُ} وجميع الملائكة على درجاتهم {يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} يسبحون الله تعالى وينزهونه ويقدمونه ويحمدونه ويقولون سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لأن كل شيء يتم بحمد الله تعالى وبفضله أي يحمدون الله تعالى على نعمه التي لا تحصى {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} ويطلبون من الله تعالى المغفرة لأهل الأرض لارتكابهم المعاصي والذنوب {الْأَيُّ} وهي للتنبيه لما بعدها {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه

{هُوَ الْغَفُورُ} هو الذي يغفر ذنوب عباده ويتجاوز عنها لمن تاب منهم {الرَّحِيمُ} يرحم كل من تاب وندم ورجع عن المخالفة والمعاصي ولا يعذبه ويدخله الجنة يوم القيامة.

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾  
 وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا} وهم المشركون الذين عبدوا {مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} غير الله تعالى آلهة يعبدونهم من الأصنام والأوثان وجعلوهم يتولون أمرهم {اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ} والله تعالى يحفظ ويحصي عليهم جميع أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم وما يقتربون من الشرك والكفر والذنوب والمعاصي {وَمَا أَنْتَ} وليس أنت يا محمد يا رسول الله {عَلَيْهِمْ} على الكفار {بِوَكِيلٍ} متوكل بمنعهم بعدم الوقوع في الكفر والشرك والمعاصي والذنوب بالقوة كما قال تعالى: " لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " ٢٢ الغاشية.  
 {وَكَذَلِكَ} وهكذا {أَوْحَيْنَا} أنزلنا عليك بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {إِلَيْكَ} إليك يا محمد يا رسول الله {قُرْآنًا} القرآن الكريم كله بجميع آياته وأحكامه {عَرَبِيًّا} بلغة عربية فصحي {لِتُنذِرَ} لتحذر وتعظ {أُمَّ الْقُرَى} وهي

مكة لأنها وسط القرى كالأمة تحنوا عليهم وتجمعهم حولها لأن فيها الكعبة المشرفة يطوفون بها ويصلون إليها من جميع الأماكن {وَمَنْ حَوَّهَا} وكذلك تنذر وتحذر وتعظ جميع المدن والقرى حولها {وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ} وتحذر وتخوف الناس وتبلغهم عن يوم القيامة عندما يجمع الناس في المحشر كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وأنثاهم أبيضهم وأسودهم {لَا رَيْبَ فِيهِ} لا شك لأنه قادم لا محالة {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ} فيكون يوم القيامة فريق يدخل الجنة لعبادتهم وطاعتهم ودخولهم الإسلام وهم المسلمون {وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} وفريق في نار جهنم وهم الكفار تسعر وتحمى عليهم وتوقد وتزداد اشتعالاً نار جهنم عليهم لكفرهم وشركهم {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} ولو أراد الله {لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} لجعلهم أمة واحدة يعبدون الله تعالى كالملائكة لا يعصون الله طرفة عين {وَلَيْكِن يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ} ولكن من أراد عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأطاعه يدخله الله تعالى ويعينه على الطاعة والعبادة حتى يدخله يوم القيامة في الجنة بمشيئته {وَالظَّالِمُونَ} والكفار والمشركون كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {مَا هُمْ مِنْ وَلِيٍّ} ليس لهم من ولي يتولى أمرهم يوم القيامة وينصرهم وينقذهم من النار ومن عذاب الله تعالى {وَلَا نَصِيرٍ} ولا من ينصرهم ويدفع عنهم العذاب يوم القيامة {أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ} أو هل اتخذ الكفار والمشركون غير الله تعالى {أَوْلِيَاءَ} أولياء وأنصار من الأصنام والأوثان {فَاللَّهُ} فالله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ الْوَلِيُّ} هو الذي يتولى أمر المؤمنين يوم القيامة ويدخلهم الجنة لعبادتهم وطاعتهم له {وَهُوَ} وهو الله تعالى



{تُنْجِي الْمَوْتَى} يحيي الموتى يوم القيامة ويبعثهم من قبورهم أحياء {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} وهو الله تعالى قادر على فعل كل شيء فإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ} أي في أي شيء اختلفتم في حكمه من الشرع {فَحُكْمُهُ} فحكمه وقضاؤه {إِلَى اللَّهِ} إلى كتاب الله تعالى وحكمه وقضائه فيه وذلك في الدنيا وفي الآخرة حكمه وقضاؤه إلى الله تعالى يفصل فيه {ذَلِكَ اللَّهُ} ذلك الذي أمركم هو الله تعالى فأطيعوه {رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} فهو ربي عليه اعتمدت {وَالَيْهِ أُنِيبُ} وإليه أرجع بالعبادة والطاعة.

﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

{فَاطِرُ} خالق ومكون من العدم {السَّمَوَاتِ} السماوات السبع الطباق {وَالْأَرْضِ} وكذلك خلق الأرض التي نحن عليها {جَعَلَ} خلق {لَكُمْ} لكم أيها الناس جميعاً {مِنْ أَنْفُسِكُمْ} من أجناسكم أمثالكم {أَزْوَاجًا} جعل للذكر زوجة أنثى وللأنثى زوجاً ذكراً {وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا} وكذلك من الأنعام والحيوانات ذكراً زوجاً وأنثى زوجةً له {يَذُرُّكُمْ فِيهِ} يجعلكم فيه تتوارثون ذرية بعد ذرية أي تستمروا في النسل والذرية كل نوع من نوعه إلى يوم القيامة {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ليس له مثل لا في ذاته ولا في صفاته فهو الخالق والرازق والمحيي والمميت والأحد والصدد والذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد {وَهُوَ السَّمِيعُ} وهو الذي يسمع كل شيء في كونه في لحظة واحدة

ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء {الْبَصِيرُ} المطلع على جميع خلقه ويبصر ما في كونه من حركات وسبحات وسكنات وكل ما يقع فيه ويبصر ظاهر الأمور وباطنها ومن قبل وقوعها من الأزل وإلى يوم القيامة ومن يوم القيامة إلى ما شاء الله {لَهُرُ} لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مَقَالِيدُ} ملك وحكم وأمر والتصرف في {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} السماوات والأرض وما فيهما {يَبْسُطُ} يَهَبُ وَيُوسِعُ {الرِّزْقَ} الطعام والشراب والمال والمسكن والولد والوظيفة {لِمَنْ يَشَاءُ} لمن يريد {وَيَقْدِرُ} ويمنع ويقلل لمن يشاء ويضيق عليه {إِنَّهُرُ} إنه الله تعالى {بِكُلِّ شَيْءٍ} بكل شيء من خلقه {عَلِيمٌ} يعلمه ويعلم ما يحتاج إليه وما يناسبه وما لا يناسبه فهو يعلم كل شيء في كونه وخلقه ولا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿٣١﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٌ ﴿٣٢﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلِكُمْ لَّا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣٣﴾ ﴾

{شَرَعَ} شرع الله تعالى وفرض وحكم وأنزل {لَكُمْ} لكم أيها الناس عامة والمسلمون خاصة {مِنَ الدِّينِ} من الدين الذي تتبعونه وهو دين الإسلام {مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا} ما أمر به نوحاً عليه السلام نبي الله ورسوله ووصاه الله تعالى وأمره باتباعه في عصره {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} والذي أمرك الله تعالى به من اتباع شرعه من الدين الذي أنزل إليك بواسطة الوحي جبريل عليه السلام في القرآن الكريم {وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ} وما أمرنا به من الدين {إِبْرَاهِيمَ} وهو إبراهيم الخليل عليه السلام نبي الله ورسوله {وَمُوسَى} وما وصينا وأمرنا به موسى عليه السلام من اتباع التوراة في عصره {وَعِيسَى} وكذلك ما وصينا وأمرنا به عيسى عليه السلام من اتباع ما شرعه الله له من الدين في الإنجيل في عصره حيث أنه لكل رسول ونبي شرع خاص به وبقومه وقد أنهى الله تعالى تلك الشرائع والكتب السماوية بعد نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم الرسالات والكتب وألغى كل

ما يتعارض مع الدين الإسلامي لجميع الديانات الأخرى بقوله تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران. {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ} أن نفذوا ما شرع لكم من الدين الإسلامي وخذوا به وبأوامره ونواهيهِ {وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} ولا تختلفوا فيه ولا ترفضوا ما جاء به ولا تأخذوا غيره من الأديان الأخرى فالدين الإسلامي هو الخاتم والذي أمرنا أن نتبعه ونترك ما سواه كمثل دستور وقانون الدولة الجديد يلغي كل ما سبقه من أحكام وكل ما يتعارض معه والله المثل الأعلى {كَبُرَ} عظم {عَلَى الْمُشْرِكِينَ} على الذين أشركوا مع الله إلهاً آخر من الأصنام والأوثان والأنداد بما فيهم اليهود الذين قالوا العزيز ابن الله والنصارى الذين قالوا عيسى ابن الله أو هو الله أو ثالث ثلاثة (أي أن الله إله وعيسى إله ومريم إلهة) {مَا تَدَّعَوْهُمْ} أي عظم على المشركين ما تدعوهم وتنصحهم {إِلَيْهِ} إلى اتباع الدين الإسلامي وترك ما عداه من الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية وهم كمن يتمسك بدستور وقانون قد ألغي وجاء آخر يحل محله وقد عفا عليه الزمن وكان النقود القديمة التي لا تستعمل وألغيت في زمان بعد زمان لأهلها وملوكها وحكامها {اللَّهُ سَجَّتِي} الله يختار من الرسل والأنبياء {إِلَيْهِ} إلى اتباع شرعه ودينه {مَنْ يَشَاءُ} من يريد كما قال تعالى: " وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ " ٧ الرعد. {وَيَهْدِي إِلَيْهِ} ويهدي الله تعالى لدينه وعبادته وطاعته {مَنْ يُنِيبُ} من يرجع لله تعالى بالطاعة والعبادة والتوبة الخالصة والصادقة {وَمَا تَفَرَّقُوا} وما تفرق بنو إسرائيل {إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ} إلا من بعد ما جاءهم علم التوراة {بَغِيًّا بَيْنَهُمْ} عدواناً وظلماً وحسداً وعناداً منهم في عدم تصديق رسلهم وكتبهم وهذا هو حكم وشهادة رب العالمين عليهم {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ} ولولا

كلمة ربك يا محمد يا رسول الله سبقت من الأزل بتأخير العذاب عنهم {إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} إلى يوم القيامة {لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} أي لتم الحكم عليهم في الدنيا فوراً بالعذاب كما قال تعالى: " وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا {٥٨} وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا {٥٩} " ٥٨، ٥٩ الكهف. {وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ} وإن النصارى وهم قوم عيسى عليه السلام الذين أوتوا وأورثوا الإنجيل من بعد اليهود الذين أوتوا التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام {لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ} لفى ظن وشك من القرآن الكريم {مُرِيبٍ} شك كبير وظن وعدم تحقق كبير {فَلِذَلِكَ فَادَّعُ} فلذلك الشك والريبة فبيّن وعظ إلى ما شرع لكم من الدين الحق والعدل والصواب وهو دين الإسلام وأن القرآن الذي أنزل لا ريب ولا شك فيه فهو نزل من عند الله تعالى حيث أنه يهدي للحق وإلى الطريق المستقيم وأن آياته وسور القرآن الكريم لا يستطيع أن يأتيها بشر في صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة حيث لا يستطيعه أكبر العلماء وأهل اللغة والنحو ولا الشعراء ولا الكهان ولا الجن ولا الإنس {وَأَسْتَقِمَّ} واستمر وداوم على الدين الإسلامي من صلاة وزكاة وصوم وحج وفرائض وسنن {كَمَا أُمِرْتُ} كما أمرك الله تعالى في القرآن الكريم {وَلَا تَتَّبِعْ} ولا تطع {أَهْوَاءَهُمْ} رغباتهم وشهواتهم ولا تجاريهم {وَقُلْ} وقل يا محمد يا رسول الله لأهل الكتاب {ءَأَمِنْتُ} صدقت {بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ} آمنت وصدقت بما أنزل الله من الكتب السماوية كلها وبالقرآن الكريم وبما جاء فيه من نسخ جميع الشرائع والأديان والكتب السابقة كما أسلفنا بأن الدستور الجديد والنقود الجديدة تلغي ما

سبقها كما هو متداول في الكون كله {وَأَمَرْتُ لَأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} وأمرني الله تعالى بالعدل في الحكم فيما شجر بينكم وتخاصمتم فيه إليّ لأحكم بينكم {اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ} الله تعالى هو ربنا وخالقنا وخالقكم وربكم فهو لنا ولكم إله وخالق ورب {لَنَا أَعْمَلُنَا} لنا ثواب وعقاب ما نعمل من أعمالنا {وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ} ولكم عقاب وثواب أعمالكم يوم القيامة {لَا حُجَّةَ} لا جدال {بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ} بيننا نحن المسلمين وبينكم أيها المشركون ويا أهل الكتاب من اليهود والنصارى {اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة في المحشر {وَالِيهِ الْمَصِيرُ} وإليه نهاية الأمر والحكم والفصل فيما بيننا وبينكم بالحساب يوم القيامة.

﴿ وَالَّذِينَ تَحَاوَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴿١٨﴾ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾

{وَالَّذِينَ} وهم الكفار {تَحَاوَرُوا} يخاصمون ويجادلون ويأتون بالحجج والبراهين {فِي اللَّهِ} بأن الله تعالى له شركاء من الأصنام والأوثان والأنداد ومنهم اليهود يقولون عزيز ابن الله والنصارى يقولون عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة أو هو الله وذلك قولهم بأفواههم {مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ} من بعد ما استجاب المسلمون إلى دعوته صلى الله عليه وسلم وصدقوه وآمنوا بالله تعالى وحده لا شريك له

ونصروه واتبعه الناس {مُجْتَبِئِهِمْ} برهان الكفار وجدالهم ومناقشتهم {دَاحِضَةً} باطلة وتافهة وفاسدة وعقيمة ولا فائدة منها {عِنْدَ رَبِّهِمْ} يوم القيامة عند ربهم عند الحساب {وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ} وعليهم سخط من الله تعالى {وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} ولهم عذاب كبير وقوي وشديد وأليم {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو رب العالمين ورب الخلق جميعهم وإله من في السماء والأرض ولا رب غيره ولا سواه {الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ} هو الذي أنزل القرآن الكريم على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بِالْحَقِّ} بالصدق والعدل {وَالْمِيزَانَ} وأنزل الميزان ليكون فيه العدل والوزن بالقسطاس المستقيم في تجارتهم وبيعتهم وشرايئهم وأسواقهم بين الناس ومعاملاتهم فيما بينهم لا زيادة ولا نقصان وأداء الحقوق كاملة للآخرين {وَمَا يُدْرِيكَ} وما يعلمك يا محمد يا رسول الله {لَعَلَّ السَّاعَةَ} لعل قيام الساعة وهو يوم القيامة {قَرِيبٌ} قريب أجله وموعده وكما قال تعالى: " أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ " ١ النحل. {يَسْتَعْجِلُ بِهَا} يطلب سرعة قيام القيامة {الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا} الذين لا يصدقون بها والمنكرون بها {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} والمؤمنون وهم الذين صدقوا بها وبقيامها {مُشْفِقُونَ مِنْهَا} خائفون من قيامها ومن الحساب والعذاب يوم القيامة {وَيَعْلَمُونَ} ويعلمون علم اليقين {أَنَّهَا الْحَقُّ} أنها الصدق والحق ولا ريب ولا كذب فيها {الْأَلَا} وهي للتنبيه لما بعدها {إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ} إن الذين يكذبون ويحسدون وينكرون ويجادلون ويكابرون {فِي السَّاعَةِ} في يوم القيامة ولا يصدقون بوقوعها وحدوثها وقيامها {لَفِي ضَلَالٍ} لفي

جهل وانحراف وغي وضلال {بَعِيدٍ} كبير وبعيد عن الحق والصواب والهدى والرشاد.

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾

{اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه رب العالمين ورب الخلق والكون جميعهم {لَطِيفٌ} شفيق ورفيق ويخفف عنهم المصائب والهموم والأحزان ويقلله لطفاً ورحمة بهم {بِعِبَادِهِ} بخلقه {يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ} يهب ويسهل الرزق لمن يريد {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْقَوِيُّ} هو القوي وذو القدرة على كل شيء فلا أحد أقوى منه {الْعَزِيزُ} القوي في ملكه وسلطانه وهو عزيز الجانب والمنعة والقوة فلا تصل إليه يد ولا اعتداء.

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا

نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾

{مَنْ كَانَ} من كان من الناس {يُرِيدُ} يطلب ويتمنى {حَرْثَ الْآخِرَةِ} ثواب يوم القيامة والحرث هو للزرع أي من أراد زراعة الآخرة بالثواب والعمل الصالح والطاعات وأعمال الخير والبر والمعروف {نَزِدْ لَهُ} نضاعف له {فِي حَرْثِهِ} في ثوابه وما قدمه وزرعه من ثواب ليوم القيامة فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة {وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ} ومن كان يطلب فقط {حَرْثَ الدُّنْيَا} متاع الدنيا وزينتها ويترك الآخرة خلفه وذلك باقترافه الذنوب والمعاصي والآثام والكفر {نُؤْتِهِ مِنْهَا} أي من أراد أن يعصي الله تعالى في الدنيا من شرب الخمر والزنا والسرقة نسهل له ذلك ونعطيه ما أراد ويرتكبها بسهولة ويسر



{ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ } وليس له يوم القيامة { مِنْ نَصِيبٍ } من نصيب من الأجر والثواب والحسنات حيث ضيّع نفسه في ملذات الدنيا ومعاصيها وذنوبها وكفرها وشركها فليس له نصيب ولا حظ في الجنة ودخولها.

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٣﴾ ﴾

{ أَمْ لَهُمْ } أم للكفار وللمشركين { شُرَكَاءُ } أي أشركوهم مع الله تعالى في الألوهية والربوبية من الأوثان والأصنام والأنداد والشركاء { شَرَعُوا } سنوا لهم قوانين وعملوا لهم شرائع وديانات أخرى { لَهُمْ } للكفار { مِنَ الدِّينِ } من الديانات والقوانين والشرائع { مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ } ما لم يأذن الله به ولم يقله ولم يشرعه ولم يأمر به ولم يسمع به الله تعالى إطلاقاً ولم يصدر عنه لا في كتبه ولا بواسطة رسله عليهم الصلاة والسلام { وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ } ولولا كلمة الفصل وهي تأخير الحساب والعقاب إلى يوم القيامة { لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ } أي لعاقبهم وحاسبهم فوراً ولكن الله تعالى أخرهم إلى أجل مسمى لا ريب فيه { وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } وإنه للظالمين أنفسهم بالشرك والكفر والمعاصي لهم يوم القيامة عذاب أليم وشديد وموجع وقاس { تَرَى الظَّالِمِينَ } تشاهد الظالمين يا محمد يوم القيامة وهم الكفار

والمشركون {مُشْفِقِينَ} شديدي الخوف {مِمَّا كَسَبُوا} مما عملوا من المعاصي والآثام والذنوب والكفر والشرك {وَهُوَ} العذاب والعقاب والحساب {وَأَقْعُ بِهِمْ} أي نازل بهم وواقع عليهم ولا مفر منه وهو حتماً مقضي {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} والمؤمنون بالله وبالقرآن وصدقوا بهما وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبالملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحة من الطاعات وأعمال البر والخير وعملوا الطيبات في مرضاة الله تعالى يكونون يوم القيامة {فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ} أي حدائق الجنان وفي مروجها {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ} لهم ما يطلبون ويتمنون من الحور العين ومن الفواكه والطعام والشراب ومن لحم طير مما يشتهون {عِنْدَ رَبِّهِمْ} أي في الجنة التي هي عند ربهم أعدّها وحضرها لهم {ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ} هذا النعيم في الجنة الدائم هو الفضل والنعمة من الله تعالى وهو {الْكَبِيرُ} العظيم حيث نجوا من عذاب النار وأهوالها {ذَلِكَ} النعيم في الجنة من حور وفواكه وطعام وشراب وملذات وتخليد في الجنة {الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ} الذي يخبر الله به عباده ويبشرهم به في الدنيا بواسطة القرآن الكريم ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأن من أطاع الله له الجنة ونعيمها {عِبَادَهُ} من خلقه {الَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم الذين آمنوا بالله وملأئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وآمنوا بالقرآن الكريم وصدقوه وبمحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أي طبقوا الإيمان وأيدوه بالعمل من الأعمال الصالحة بالطاعات والعبادات من صوم وصلاة وزكاة وحج وصدقات ونوافل وأعمال البر والخير {قُلْ} قل يا محمد للناس عامة وللمؤمنين خاصة {لَا أَسْأَلُكُمْ} لا أطلب منكم

{عَلَيْهِ} على الإيمان والإسلام والهدى {أَجْرًا} مكافأة مقابل ونظير رسالتي {إِلَّا} فقط {الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} أي تحبوا وتوادوا القربى وهم أهل بيته صلى الله عليه وسلم وهم آلهم صلى الله عليه وسلم وعلى آل محمد. وآله صلى الله عليه وسلم هم فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب والحسن والحسين (والقربى) هم أقاربه عموماً سواء عمه العباس وعمه أسد الله حمزة بن عبد المطلب وزوجاته وأبناؤه عموماً بما فيهم فاطمة وزوجها وأولادها الحسن والحسين. قال في الفصول المهمة لما مات علي ابن أبي طالب رضي الله عنه خطب الحسن ابنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على جده محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال: لقد قبض الله تعالى في هذه الليلة رجلاً لم يسبقه الأولون ولم يدركه الآخرون كان يجاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فيقيه بنفسه وماله وكان يوجهه برايته فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ثم بكى وبكى الناس ثم قال أنا ابن البشير النذير أنا ابن السراج المنير أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه أنا ابن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أنا من أهل بيت أوجب الله محبتهم ومودتهم في كتابه فقال عز من قائل: " قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ". فقام ابن عباس رضي الله عنه فقال: هذا ابن نبيكم فبايعوه فبايعه الناس. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٧]. {وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً} أي ومن يعمل حسنة من الأعمال الصالحة من الطاعات والعبادة وأعمال البر والخير ومن النوافل والصدقات {تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا} أي نضاعفها له الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة وزيادة وهذا فضل من الله تعالى ورحمة ومِنَّة مِنْهُ على عباده ليزدادوا من عمل الصالحات والطاعات ومن الحسنات {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} إن الله تعالى رب العالمين ورب الخلق جميعاً غفوراً يغفر ويسامح من تاب وأناب وعمل

صالحاً ثم اهتدى {شكوراً} يشكر الطائع بزيادة الحسنات له ومضاعفتها الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف للمجاهد وزيادة.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۖ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾

{أَمْ يَقُولُونَ} أم يقول الكفار والمشركون {أفترى} اختلق وادعى {على الله} على الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كذباً} أي كذب على الله تعالى برسالته تلك وادعى أنها من عند الله تعالى {فإن يشأ الله} فإن يرد الله تعالى {تختتم على قلبك} أي يغلقه فلا تعلم شيئاً من القرآن لو كان القرآن من كذبك يا محمد ولا تفقه بعدها شيئاً كقوله سبحانه وتعالى: " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ " ٤٤-٤٧ الحاقة. {ويمح} ويذهب ويهلك ويمحق {الله} الله تعالى رب الأرباب ورب العالمين والخلق أجمعين {الباطل} وهو غير الحق وهو الكفر {ويحقيق} ويثبت ويؤيد بنصره {الحق} الصدق والعدل وهو الإسلام وهو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما جاء به القرآن الكريم وكما قال تبارك وتعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" ٩ الحجر. {بكلماته} بالقرآن الكريم حيث هو الجد ليس بالهزل {إنه} الله تعالى {عليم} خبير ومطلع {بذات الصدور} بما خفي في الصدور وبالسر وما يخفى وما يكتم في صدور الناس من خير أو شر.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾  
 وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ  
 عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦٦﴾

{ وَهُوَ } الله تعالى { الَّذِي يَقْبَلُ } الذي وحده يتقبل { التَّوْبَةَ } الندم على ما فرط في جنب الله تعالى { عَنْ عِبَادِهِ } عن خلقه من الناس { وَيَعْفُو } ويصفح ويسامح ويتجاوز { عَنِ السَّيِّئَاتِ } عن المعاصي والذنوب والآثام وما ساء فعله أو اقترافه { وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } يحيط علماً بكل ما تعملون. وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون). [أخرجه الترمذي وابن ماجه وسنده قوي - سبل السلام ج ٤ ص ١٧٩]. وقال همام بن الحارث: سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الرجل يفجر بالمرأة [يزني بها] ثم يتزوجها؟ قال: لا بأس به وقرأ: " وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ " الآية. [رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريح القاضي عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي عن همام فذكره - ابن كثير ج ٤ ص ١١٥]. { وَيَسْتَجِيبُ } ويلبي التوبة والطاعة لله تعالى { الَّذِينَ ءَامَنُوا } وهم المؤمنون وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } وعملوا أعمالاً صالحات من صلاة وزكاة وصوم وحج وصدقات ونوافل وأعمال الخير { وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ } ويزيدهم من فضله وكرمه ورحمته هدى على هداهم ويزيدهم بفضله ثواباً على أعمالهم ويضاعف لهم الحسنات الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة { وَالْكَافِرُونَ } المنكرون والجاحدون والمكذبون

بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر {هُمَّ} يوم القيامة {عَذَابٌ شَدِيدٌ} عذاب أليم وقاس وموجع وعظيم.

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾

{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ} ولو كثّر الله تعالى ومدّ الرزق ووسع لهم فيه أي لو أغناهم الله تعالى بكثرة ووسع لهم في رزقهم {لِعِبَادِهِ} لخلقهم من الناس مؤمنهم وكافرهم {لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ} أي لظغوا وأفسدوا في الأرض كما قال تعالى: " كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى {٦} أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى {٧} " ٧، ٦ العلق. {وَلَكِنْ يُنَزِّلُ} ولكن الله ينزل الرزق على عباده ويرزقهم {بِقَدَرٍ} على قدر ما يصلحه فمنهم من يصلحه الغنى ومنهم من يفسده وفي الحديث: (إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه). [ابن كثير ج ٤ ص ١١٥]. {مَّا يَشَاءُ} ما يريد من الأرزاق ومن المطر لأن المطر أيضاً رزق للعباد والبهائم والطيور {إِنَّهُ} الله تعالى {بِعِبَادِهِ} بخلقهم من الناس {خَبِيرٌ} عليم وعنده خبرة فيما يصلحهم وفيما يفسدهم وما ينفعهم وما يضرهم كما قال تعالى: " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " ١٤ الملك. {بَصِيرٌ} مطلع على الناس وبصير بجميع شؤونهم وما يلزمهم وما ينفعهم وما يضرهم.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۗ وَهُوَ الْوَلِيُّ ۙ ﴾

الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

﴿ وَهُوَ ﴾ الله تعالى ﴿ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ ينزل المطر من السماء ينزله من السحاب وسُمِّي المطر بالغيث لأنه فيه يغاث الناس من القحط والمحل والجذب والفقر بعد أن يكاد يموت الناس والبهائم والأنعام من شدة العطش ومن القحط الذي يصيب الأرض فلا تنبت الزرع ولا العشب ولا الثمار ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ من بعد ما يئسوا من نزول المطر ويئسوا من النجاة من القحط والجذب وقلة الماء ليشربوا منها ويسقوا مواشيهم وأنعامهم ﴿ وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۗ ﴾ الله تعالى ينشر ويعم خيره على الناس بنزول المطر فترتوي الناس وتسقى البهائم وينبت الزرع والكلأ والعشب فتكثر المراعي ويكثر الضرع أي اللبن فيعم الخير. والمطر هو من رحمة الله تعالى على عباده وإلا لماتوا جوعاً وعطشاً ﴿ وَهُوَ ﴾ الله تعالى ﴿ الْوَلِيُّ ﴾ الذي يتولى رزق العباد ورزق العباد بيده ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ المحمود في أقواله وأفعاله.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ۖ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ ۙ ﴾

إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ۖ ﴾ ومن بين آياته ودلائل معجزاته وبراهينه وقدرته الدالة عليه سبحانه وتعالى أنه ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ خلق من العدم وأنشأ السموات السبع وأولاهما السماء الدنيا لدنوها وقربها من الأرض ﴿ وَالْأَرْضَ ﴾ هي التي نحن عليها ونراها ونعلمها ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ وما وضع وخلق ﴿ فِيهِمَا ﴾ في السماوات والأرض ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ من دواب الأرض من إنس وجن وحيوان وطير وهوام وهو ما يدب أي ما

يتحرك على سطح الأرض وما يدب ويتحرك في السموات من الملائكة وهم  
 الملائكة {وَهُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وعز سلطانه {عَلَى  
 جَمْعِهِمْ} على إحصارهم يوم القيامة وحشرهم مع بعضهم البعض في صعيد واحد في  
 المحشر {إِذَا يَشَاءُ} إذا أراد {قَدِيرٌ} قادر على ذلك العمل بكل سهولة ويسر.  
 ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿١١٦﴾ وَمَا أَنْتُمْ  
 بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٧﴾ ﴾  
 {وَمَا أَصَابَكُمْ} وما أحاط بكم ووقع بكم وحل عليكم {مِّنْ مُّصِيبَةٍ} من كارثة  
 سواء في النفس أو في المال أو الولد أو الأهل أو المتاع {فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} بما  
 عملت أيديكم وما اقترفت أنفسكم من المعاصي والذنوب والآثام وهذه يعجلها الله  
 لكم في الدنيا ليخفف عنكم من ذنوبكم وفي الحديث الصحيح: (والذي نفسي بيده  
 ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من  
 خطاياها حتى الشوكة يشاكها). [ابن كثير ج ٤ ص ١١٦]. أي لا مصيبة ولا كارثة  
 إلا بذنب قد عمله أو اقترفه بيده {وَيَعْفُوا} ويتجاوز الله تعالى ويصفح ويسامح  
 {عَنْ كَثِيرٍ} عن كثير من الذنوب من الصغائر وذلك من كرمه ورحمته وعفوه ومنه  
 سبحانه وتعالى وإلا لهلك الناس بذنوبهم {وَمَا أَنْتُمْ} ولا أنتم أيها الناس  
 {بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} بمانعين قدرته على حسابكم ومعاقتكم ولا حاجزين ولا  
 أنتم بمانعيه في الأرض من معاقتكم {وَمَا لَكُمْ} وليس لكم أيها الناس {مِّنْ  
 دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى {مِنْ وَلِيٍّ} من يتولى أمركم ويرعاكم ويحفظكم ويحميكم  
 {وَلَا نَصِيرٍ} ينصركم على الله تعالى وينجيكم من عقابه وعذابه.



﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَجْوَارٍ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾

{ وَمِنْ } ومن بين { آيَاتِهِ } دلائله وبراهينه ومعجزاته وقدرته { أَجْوَارٍ } السفن والفلك والبواخر والمراكب وكل ما يجري على سطح البحر مما ينقل الناس وأمتعتهم { فِي الْبَحْرِ } أي على سطح البحر { كَالْأَعْلَمِ } أي مثل الأعلام ترفرف وتظهر من بعيد وكانت تسمى قديماً بالرايات يحملها قائد الجند في الحرب وما دامت الراية مرتفعة ومرفوعة وترفرف فالجيش يكون غير مهزوم وهذا يدل على أن المسميات الحديثة أغلبها مأخوذ من القرآن كالسفن كانت أيام سيدنا نوح عليه السلام وهي الفلك والذرة سميت في القرآن قبل أن يكتشفها الناس كما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ " ٨،٧ الزلزلة. وهكذا أي تظهر السفن في البحار من بعيد وهي مبحرة ومنتشرة هنا وهناك كأنها الأعلام من بعيد يرفرف شراعها وتُرى من بعيد ترفرف وهي كذلك تُرى متحركة وسائرة فوق سطح البحر { إِنْ يَشَأْ } إن يرد الله تعالى { يُسْكِنِ الرِّيحَ } يهدئه أي يجعله ساكناً وهادئاً غير عاصف. والريح هو الهواء الذي نحسه ولا نراه ونتنفسه { فَيَظْلَلْنَ } فتبقى وتمكث السفن { رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ } هادئة مطمئنة مستريحة على ظهر البحر لا تجد متاعب بعكس لو هبت الرياح والعواصف فتقلب السفن والمراكب وتكسرهما وتغرق بأهلها وما عليها ولكن لو شاء الله تعالى وأسكن الريح وجعله هادئاً رخاءً لجعل السفن تجري هادئة مطمئنة في البحر وبدون متاعب { إِنْ فِي ذَلِكَ } إن في ذلك الهدوء للبحر { لَآيَاتٍ } لدلائل شكر لله

تعالى على فضله ومثله وكرمه ورحمته بالسفن والناس ومتاعهم الذي فيها أو عليها والآيات هي دلائل وبراهين شكر لله تعالى ومعجزات على فضله ومثله وكرمه ورحمته بالناس وبالسفن {لِكُلِّ} لكل واحد من الناس {صَبَّارٍ} من يصبر على متاعب البحر وأسفاره وهمومه {شَكُورٍ} يشكر الله تعالى على فضله وكرمه ورحمته بأن جعل البحر طوع أمرهم وجعل سفنهم تجري فيه مواخر وتحمل أثقالهم وأمتعتهم في سفرهم إلى بلاد بعيدة ولولا ذلك لصعب على الناس تنقلهم هم وأمتعتهم {أَوْ يُوبِقَهُنَّ} أو يهلك ويغرق السفن ومن عليها من الناس والتجارة والأمتعة {بِمَا كَسَبُوا} بما عمل الناس وبما كسبوا من معاصي وذنوب {وَيَعْفُ} والله تعالى يعفو ويصفح ويسامح ويغفر {عَنْ كَثِيرٍ} عن كثير من الذنوب والمعاصي والآثام ويتجاوز عنها.

﴿ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ تُجَدِّلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ ﴾

{وَيَعْلَمُ} يعلم ويعرف {الَّذِينَ} وهم الكفار والمنافقون {تُجَدِّلُونَ} يحاورون ويناقشون بالباطل ليغيروا الحقيقة ليظهروا الحق باطلاً والباطل حقاً {فِي آيَاتِنَا} أي في آيات القرآن الكريم فهم يكذبون القرآن في دلائل الله تعالى ومعجزاته وقدرته وينكرونها {مَا لَهُمْ} ليس لهم من الله تعالى {مِنْ مَّحِصٍ} من نجاة ولا مفر ولا مهرب ولا منقذ لهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة.

﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ تَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

{فَمَا أُوتِيتُمْ} ما آتاكم الله وأعطاكم وتفضل به عليكم {مِنْ شَيْءٍ} من النعمة والغنى والمتاع والأولاد والزوجة الجميلة والصالحة والوظيفة والدور والأموال والممتلكات جميعها {فَمَتَّعُ} أي من ممتلكات وزينة وبهجة {الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} دنياكم وسميت الدنيا لدناءتها وحقارتها بالنسبة للآخرة وسميت الدنيا لدونها وقربها منكم وهي الحياة الأولى {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ} وما عند الله من الثواب والنعيم يوم القيامة في الجنة ونعيمها وحوورها وطعامها وشرابها وهو كله عند الله يوم القيامة معد ومحضر لكم {خَيْرٌ} أفضل بدرجات {وَأَبْقَى} في الآخرة لأنه نعيم مقيم وتخلدون في الجنة {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} للمؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعملوا الصالحات {وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} يعتمدون في جميع أمورهم على الله تعالى وحده وهو الرازق والمحيي والمميت {وَالَّذِينَ تَجْتَنِبُونَ} والذين يبتعدون ويتركون بعيداً {كَبِيرَ الْإِثْمِ} كبائر الذنوب كالإشراك بالله والقتل وعقوق الوالدين وشهادة الزور {وَالْفَوَاحِشَ} الزنا واللواط وما فحش أمره أي وما عظم أمره {وَإِذَا مَا غَضِبُوا} وإذا ما زعلوا من أحد وغضبوا منه لعمل قام به أو لذنوب ارتكبه في حقهم {هُمْ يَغْفِرُونَ} أي يصفحون ويعفون عنه وكما قال تبارك وتعالى: " وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ " ١٣٤ آل عمران. {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ} أي آمنوا به وأطاعوه في أوامره

واجتنبوا نواهيه واتبعوا دين الإسلام وهدى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم في عبادة الله تعالى وحده وعدم الإشراك به {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} وأدوا الصلوات الخمس المكتوبة في وقتها {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} أي في جميع أمورهم يتشاورون فيما بينهم وفي الحديث: (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار). {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} أي ومما رزقناهم منه من مال أو زرع {يُنْفِقُونَ} أي يخرجون الزكاة ويتصدقون من أموالهم على الفقراء والمحتاجين كما قال تبارك وتعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ " ٢٦٧ البقرة.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٤٦﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ۗ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ۗ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٨﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ۗ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٥٠﴾ ﴾

{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ} والذين أي الناس الذين وقع عليهم البغي والظلم والاعتداء والجور {هُمْ} الذين وقع عليهم البغي {يَنْتَصِرُونَ} أي يثأرون لحقهم ولعرضهم ولأرضهم وممتلكاتهم {وَجَزَاءُ} أي وعقاب {سَيِّئَةٍ} اعتداء {سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} أي اعتداء مثله كما قال تعالى: " النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ " ٤٥ المائدة. {فَمَنْ عَفَا} فمن سامح وغفر وصفح {وَأَصْلَحَ} الشقاق والخلاف وطيب النفوس {فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} ثوابه على الله يكافئه به يوم القيامة في الجنة {إِنَّهُ} الله تعالى {لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} لا يحب

الله تعالى الظالمين المعتدين والباغين ممن يظلمون الناس في أموالهم وأعراضهم وممتلكاتهم وأرضهم {وَلَمَنِ أَنْتَصَرَ} ومن أخذ حقه أو ثار لحقه وعرضه وماله وحرماته {بَعْدَ ظُلْمِهِ} بعد وقوع الظلم والاعتداء عليه وعلى نفسه وماله وأرضه وعرضه وأهله {فَأُولَئِكَ} فهؤلاء أي من ثار لحقه وأخذه من الذي اعتدى عليه {مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} ما عليهم ذنب ولا عليهم حساب ولا عقاب {إِنَّمَا السَّبِيلُ} إنما العقاب {عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ} على الظالمين والمعتدين والباغين {النَّاسِ} وهم من وقع عليهم الظلم والاعتداء {وَيَبْغُونَ} ويظلمون ويعتدون على الناس {فِي الْأَرْضِ} في الدنيا هذه وفي أماكن الأرض المختلفة {بِغَيْرِ الْحَقِّ} بغير حق وبدون قانون ولا شرع وبالباطل وبدون وجه حق {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} هؤلاء لهم عذاب أليم وموجع وقاس وشديد في نار جهنم يوم القيامة {وَلَمَن صَبَرَ} ومن صبر واحتمل على الظلم {وَوَغْفَرَ} وسامح وصفح وعفا عن ذلك {إِنَّ ذَلِكَ} هذا العفو عند المقدرة {لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ} لمن قوة التحمل والصبر على الأذى والجلد في المصائب والشدائد.

﴿ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَليٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ ۖ ﴾ وَتَرَلَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ۖ ﴿٤١﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٢﴾ ﴿

{وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ} ومن يبتعد عن الحق والهدى والرشاد والصلاح ويطلق لنفسه العنان في الكفر والعصيان والفساد والشر والمنكرات فإن الله تعالى يستدرجه ويتركه ليزداد في المعاصي والكفر حتى يحاسبه يوم القيامة فيما قصر في جنب الله تعالى لأن الله تعالى لا يضل أحداً ولا يأمر بمنكر بل هداه النجدين وخيره ليسلك أي طريق شاء وسهل له الطريقين ليحاسبه على عمله يوم القيامة والإضلال هنا بمعنى التخيير وتركه فيما يختار وليس بالإجبار حاشا لله وكما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ٩٠ النحل. فالإضلال هنا بمعنى التخيير والتسهيل لاستدراجه كما قال تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا " ٧٥ مريم. كاللص تُفتح له الأبواب لقنصه والإمساك به بسهولة ويسر {فَمَا لَهُ مِنْ وَليٍّ مِنْ بَعْدِهِ} والذي يرتكب المعاصي والذنوب والآثام والمنكرات ليس له أحد بعد الله تعالى ولا غيره يحميه من عذاب الله تعالى أو ينصره أو ينقذه من العذاب {وَتَرَى} وتشاهد يا محمد يوم القيامة {الظَّالِمِينَ} وهم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. وكذلك ظلموا غيرهم بالبغي والفساد والجور والظلم

والاعتداء والقهر لغيرهم ومن دونهم في الرتبة أو الوظيفة وأكل الحقوق بغير حق والاعتداء على الحرمات والأعراض والممتلكات والأموال {لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ} لما شاهدوا عذاب جهنم وشدته وغلظته {يَقُولُونَ} يقولون متمنين أي يقولون قول تمني لا يسمن ولا يغني من جوع أي لا فائدة منه {هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ} هل إلى عود للدنيا ثانياً ونعمل من جديد وهذا القول مجرد أماني {مِّن سَبِيلٍ} هل إلى ذلك من طريق ومن فرصة أخرى وهذا مثل الطالب بعد انقضاء العام الدراسي وفشله في الدراسة يقول لو أنهم يعيدون لنا الامتحان مرة ثانية حتى ندرس وننجح لكن هيهات قد مضى العام الدراسي ونجح من فشل وفشل من فشل وهكذا من يضيع آخرته ولا يعمل لها ويعمل بالمعاصي والذنوب والآثام والكفر ويتمنى لو عادت الدنيا مرة ثانية حتى يتوب ويعمل الطاعات ولا يشرك بالله تعالى وهيهات عندها لا ينفع الندم {وَتَرْتَهُمْ} وتشاهدكم يا محمد وهم الكفار {يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا} يوقفون للعرض على جهنم {خٰسِعِينَ} خاضعين حقيرين ومقهورين {مِّنَ الذُّلِّ} من الهوان والحقارة والصغار {يَنْظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ} يتطلعون بأبصارهم وهم ناكسو رؤوسهم خلسة وسرقة وكما يقولون "من تحت لتحت" أي ينظرون بطرف أعينهم خوفاً وخجلاً ورعباً مما علموا في الدنيا من السيئات والمعاصي والإشراك والكفر {وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} وقال المؤمنون وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {إِنَّ الْخٰسِرِينَ} المضيعين أنفسهم والخسارة عكس المربح وهي خسارة فعلاً لأنهم ضيعوا أنفسهم وأهلكوا أنفسهم {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ} الذين ضيعوا أنفسهم وأهلكوها بارتكابهم المحرمات والمنكرات والأعمال الشريرة وأعمال الشر والفساد وبالكفر والشرك {وَأَهْلِيهِمْ} أي ضيعوا أهلهم معهم وأفسدوهم

مثلهم بالمعاصي والخمور والكفر والشرك {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} وذلك يوم القيامة يوم المحشر والمنشر ويوم الحساب عند الله تعالى {الآ} أداة تنبيه لما بعدها {إِنَّ الظَّالِمِينَ} وهم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. وكذلك الذين ظلموا غيرهم بالبغي والفساد والجور والظلم والاعتداء والقهر لغيرهم ومن هم دونهم في الرتبة أو الوظيفة وأكل الحقوق بغير حق والاعتداء على المحرمات والأعراض والممتلكات والأموال {فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ} في العذاب والإهانة والتعذيب يوم القيامة خالدين مخلدين في النار لا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف ويكون باستمرار ودائماً {وَمَا كَانَ لَهُمْ} أي ولا يوجد للكفار {مِّنْ أَوْلِيَاءٍ} من يتولى أمرهم وينقذهم من العذاب ومن نار جهنم وينجيهم أو ينصرهم {يَنْصُرُونَهُمْ} يدافعون عنهم وينقذونهم من عذاب جهنم {مِّنْ دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى وبدلاً منه {وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ} ومن يغويه بعمله ويسهله له حتى يتمادى في الطغيان والفساد والكفر والشرك ليحاسبه عليه لأنه هداه النجدين وجعل له حرية الاختيار في الجوهرية التي وضعها له وهي العقل ليميز الخبيث من الطيب ولكنه أحب واختار المعاصي والكفر فيسرّه الله تعالى له وسهّله عليه استدراجاً له كما قال تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا " ٧٥ مريم. {فَمَا لَهُ} فليس له {مِّنْ سَبِيلٍ} من طريق للنجاة لأنه استحب العمى على الهدى.



﴿ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ  
يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِن أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِن عَلَيْكَ  
إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ  
أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾

{أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ} أجيئوا وأطيعوا ولبوا أمر ربكم أيها الناس جميعاً فاتبعوا  
أوامره واجتنبوا نواهيه وأدوا فرائضه وابتعدوا عن محارمه {مِّن قَبْلِ} قبل {أَنْ  
يَأْتِيَ} أن يجيء {يَوْمٌ} يوم القيامة {لَا مَرَدَّ لَهُ} أي لا مانع يمنع وقوعه كما قال  
تعالى: " وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا " ٧ الحج. أي لا شك في يوم القيامة وهو  
يوم البعث ويوم الحساب والعقاب والجزاء {مِّنَ اللَّهِ} أي الأمر نافذ من الله  
تعالى وبأمره وبإرادته وقدرته {مَا لَكُمْ} ليس لكم {مِّن مَّلْجَأٍ} من التجاء إلى غيره  
ولا مكان يؤويكم ولا أحد يحميكم من عذاب الله تعالى في جهنم فلا أرض تقلكم ولا  
سما تظلكم {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة يوم الحساب والجزاء والعقاب {وَمَا لَكُمْ} وليس  
لكم {مِّن نَّكِيرٍ} ينكر ويجحد ويكذب بهذا اليوم وهو يوم الدين يوم القيامة  
{فَإِن أَعْرَضُوا} فإن لم يصدقوا وكذبوا وأعرضوا وابتعدوا عنك وعن التصديق بما  
جئتكم به وذهبوا إلى عبادة الأوثان والأصنام وارتكاب الملذات والشهوات  
والمحرمات وكذبوا {فَمَا أَرْسَلْنَاكَ} فما بعثناك إليهم بالرسالة {عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}  
لتكون متحفظاً عليهم وعلى أعمالهم وتحفظهم وتمنعهم من الوقوع في المعاصي  
بالقوة والغضب {إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} فقط عليك التبليغ بالرسالة والنصح والإرشاد  
لأن من خالف فالعذاب ينتظره يوم القيامة في نار جهنم وكما قال تعالى: " لَسْتَ

عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " ٢٢ الغاشية. {وَأِنَّا} يقول الله تعالى إنا الله تعالى جل جلاله وعظم سلطانه وعلا شأنه والجمع للتعظيم لذاته تعالى {إِذَا أذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا} إذا أعطينا الإنسان والذوق هنا للتشبيه وكأنه يذوق الطعام والإنسان هنا الذكر أو الأنثى من بني آدم وهم المخاطبون {رَحْمَةً} نعمةً وفضلاً من الله تعالى أو فرحاً وسروراً أي من الخير {فَرِحَ بِهَا} وهنا ليس الفرح ممنوعاً ولكنه لم يشكر الله تعالى على النعمة التي أرسلها له كما قال تعالى: " لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " ٧ إبراهيم. {وَأِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ} وإن تأتتهم مصيبة من شر وتحل عليهم {بِمَا قَدَّمْت} بما عملت {أَيْدِيهِمْ} أنفسهم {فَإِنَّ الْإِنْسَانَ} من بني آدم سواء ذكر أو أنثى وسمي إنسان لأنه ينسى سواء ينسى ما جدّ في الماضي في عقله وكذلك ينسى المعروف وينسى رد الجميل وينسى أنه كان فقيراً فأغناه الله تعالى فلم يتصدق ولم يعطف على الفقراء كما كان مثلهم في الماضي ويتكبر على الله وعلى خلقه وينسى أنه خرج من منى يُمنى {كُفُورٌ} يكفر بالنعم التي أنعمها الله عليه ويجحد وينكر ويكفر بالله ويعصي ويعمل بالمعاصي انتقاماً لأن الله تعالى أوقع تلك المصيبة عليه وهذا كثيراً ما يُشاهد عند الحروب عندما يهزم طرف يقول والله لن أصلي ولن أصوم ما دام الله هزمننا... الخ. ولم يصبر ويعلم بأن الله تعالى أجرى ذلك لسبب لا يعلمه هو بل يعلمه الله تعالى ويمكن أن يكون على سبيل الامتحان والاختبار أو لذنوب ارتكبه فيعاقبه الله تعالى عليه ليتعلم بعدم الوقوع في الذنب وفي معركة أحد عندما خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا أماكنهم وكان قد أوصاهم بعدم ترك أماكنهم إلا بإذنه عاقبهم الله تعالى بالهزيمة بعد أن كان قد نصرهم في أول المعركة وكان خالد بن الوليد قائد المشركين قبل أن يسلم فانتهز هذه الفرصة والتف

حول المسلمين من على الجبل الذي تركه الرماة لأخذ الغنائم فهزمهم كفار قريش حتى يتعلموا ويطيعوا أمر رسولهم صلى الله عليه وسلم وفي الحديث كما جاء في الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يقضي الله لمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٨].

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۖ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا ۖ وَجَعَلَ مِنْ يَشَاءٍ عَقِيمًا ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝﴾

{لِلَّهِ} لله تعالى رب العالمين وخالق الكون ورب الأرباب وإله الكون له {مُلْكُ} امتلاك وحكم وتدبير شؤون {السَّمَوَاتِ} السموات السبع {وَالْأَرْضِ} وهي الأرض التي نحن عليها ونراها ونعلمها {تَخْلُقُ} أي يُخرج من العدم {مَا يَشَاءُ} ما يريد. وخلقُه هو كلام يقول للشيء كن فيكون. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث قدسي فيه: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر). وزاد في الترمذي وغيره: (وذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام وإذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون). [سبل السلام ج ٤ ص ١٧٦]. {يَهَبُ} يمنح ويعطي {لِمَنْ يَشَاءُ} لمن يريد من خلقه {إِنثًا} جمع أنثى أي بناتٍ {وَيَهَبُ} ويمنح ويعطي {لِمَنْ يَشَاءُ} لمن يريد {الذُّكُورَ} جمع ذكر وهم الأولاد {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ} يجعلهم زوجاً أي اثنين {ذُكْرَانًا} أي أولاداً ذكوراً {وإِنثًا} جمع أنثى أي بنات. وحتى لا يغضب من تأتية البنات فقد أعطى الله تعالى شعيباً عليه

السلام وهو نبي ورسول أعطاه البنات وأعطى لوطاً عليه السلام وهو نبي ورسول البنات ولم يعطهما الأولاد الذكور وأعطى إبراهيم عليه السلام فقط الذكور ولم يعطه إنثاءً وكذلك يعقوب عليه السلام أعطاه الأولاد وهم يوسف عليه السلام وإخوته الأحد عشر وآدم عليه السلام أعطاه أولاداً وبناتٍ حتى يتزوجوا بعضهم كل بطن يتزوج من البطن الآخر وذلك للتكاثر ولحفظ النوع. ونذكر هنا حديث كيف يذكر ويؤنث المولود فقد قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال: قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي قال: (سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام) قالوا فذلك لك قالوا: أخبرنا على أربع خلال أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والأنثى وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه فقال: (أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر الله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها) فقالوا اللهم نعم فقال: (اللهم اشهد عليهم) وقال أنشدكم الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله) قالوا نعم قال: (اللهم اشهد عليهم) قال: (وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه)

قالوا اللهم نعم قال: (اللهم اشهد عليهم) قال: (وإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه) قالوا فعند ذلك نفارقك ولو كان وليك غيره لتابعناك فعند ذلك قال الله تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " الآية. [ابن كثير ج ١ ص ٣٨١].

{وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا} ويجعل الله تعالى من يريد عقيماً أي لا تحمل ولا تحبل ولا تلد أبداً ولا تنجب طيلة عمرها أي يجعلها لا تنجب إطلاقاً {إِنَّهُ عَزِيزٌ} خبير ويعلم ويعرف سبب المنع وحكمته فقد يكون ضرراً عليها بأن تلد ولداً عاقاً كما قال تعالى: "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا" ٨٠ الكهف. وهو الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام ولم يبلغ الحلم بعد. أو حتى يتصدق الأبوان إذا لم ينجبا ولو أنجبا لم يتصدقا بشيء وكثير من كان ممن لا ينجب يوصي بأرض أو مال لبناء مسجد أو مدرسة أو مصحات ومستشفيات وهذا للنفع العام ورحمة بالناس ولو أنجبت ما نال المسلمون من هذه شيئاً وهذا راجع إلى علم الله تعالى ومعرفته بالناس وكما قال تعالى: " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " ١٤ الملك. {قَدِيرٌ} أي قادر على كل شيء ويفعل ما يريد ولا راد لقضائه ولا لحكمه.

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾

فِيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴿٤٢﴾

{ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ } لا يحق ولم يسمح لبشر من الناس { أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ } يخاطبه مباشرة قُبلاً ويراه بعينه { إِلَّا وَحْيًا } إما بالرؤية الصادقة كما قال إبراهيم عليه السلام: " إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ " ١٠٢ الصافات. وإما بالإلهام كما أوحى إلى النحل كما قال تعالى: " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ " ٦٨ النحل. وكما ألهم إبراهيم عليه السلام الحجة على النمرود ملك العراق في ذلك الوقت في قوله تعالى: " فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ " ٢٥٨ البقرة. أو وحياً أي مخاطبة كما كلم الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج تحت العرش فكان قاب قوسين أو أدنى وحياً لقوله تعالى: " فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ " ١٠ النجم. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: (نور أنى أراه). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٠]. { أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ } أي من وراء حجاب مخاطبة بدون رؤيا كما ناجى موسى عليه السلام ربه على جبل الطور في سيناء كما قال تعالى: " وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ " ١٤٣ الأعراف. وقال أنس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: (هل ترى ربك قال بيني وبينه سبعون حجاباً من نور). [نزهة المجالس ج ٢ ص ١١٦]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (احتجب الله عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض واحتجب عن العقول كما احتجب عن

الأبصار وإنه تعالى ما حل في شيء ولا غاب عن شيء وأن الملائكة الأعلى يطلبون الله تعالى كما تطلبونه أنتم). [نزهة المجالس ص ٤٠١]. {أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا} وهو جبريل عليه السلام يرسله ويبعثه الله تعالى لتبليغ الرسالة إلى الرسل {فِيُوحِي} جبريل عليه السلام أمر الله تعالى إلى الرسول ويخبره وينزل بذلك الوحي كما نزل بالقرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم والتوراة لموسى عليه السلام والإنجيل لعيسى عليه السلام والزيور لداود عليه السلام وصحف شيث بن آدم عليه السلام وكذلك كما أوحى إلى أم موسى كما قال تعالى: " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ " ٧ القصص. {بِإِذْنِهِ} أي بأمره تكون الرسالة والتبليغ أي بأمر الله تعالى {مَا يَشَاءُ} ما يريد من الأوامر والنواهي والأحكام {إِنَّهُ} الله تعالى {عَلِيٌّ} عالي القدر عظيم الجاه شديد الأركان {حَكِيمٌ} ذو حكمة فيما يفعل.

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ  
 وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ  
 مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ  
 الْأُمُورُ ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ وهكذا ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ أرسلنا لك يا محمد بواسطة الوحي ﴿ رُوحًا مِّنْ  
 أَمْرِنَا ﴾ أي جبريل عليه السلام وكما قال تعالى في آية أخرى: " نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ  
 الْأَمِينُ " ١٩٣ الشعراء. وكما قال تعالى: " تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ  
 مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " ٤ المعارج. وكما قال تعالى: " تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ  
 فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ " ٤ القدر. ﴿ مَا كُنْتَ ﴾ ما كنت يا محمد يا رسول الله ﴿ تَدْرِي ﴾  
 تعرف ﴿ مَا أَلَكْتُبُ ﴾ ما القرآن الكريم الذي أنزلناه إليك ولذلك كان ينزل منجماً  
 حسب الوقائع ويخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بالحكم كأصحاب الإفك لم يعلم  
 شيئاً الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حتى نزلت براءة عائشة رضي الله عنها  
 وهكذا ﴿ وَلَا الْإِيمَنُ ﴾ ولا كنت تعرف يا محمد ما هو الإيمان كاملاً حتى نزل لك  
 القرآن يخبرك به ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ ﴾ أي في نزوله ﴿ نُورًا ﴾ ينير الطريق والحق  
 والهدى إلى الناس ليهدتوا ويعملوا به ﴿ نَّهْدِي بِهِ ﴾ نُنير الطريق ونهدي بالقرآن  
 ﴿ مَن نَّشَاءُ ﴾ من نريد له الهداية إذا عمل الصالحات واستقام واهتدى واتبع سبيل  
 الرشاد وترك طريق الغي والفساد ﴿ مِّنْ عِبَادِنَا ﴾ من الناس وجميعهم عباد الله تعالى  
 ومخلوقات من مخلوقاته ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ لَتَهْدَىٰ ﴾ لتدل الناس ﴿ إِلَىٰ صِرَاطٍ  
 مُّسْتَقِيمٍ ﴾ إلى طريق مستقيمة لا اعوجاج فيها ولا ظلم ولا فساد ولا اعتداء على



الحرمات ولا على الأعراض ولا هي طريق الكفر والشرك بل طريق الحق والعدل والصواب {صِرَاطِ اللَّهِ} طريق الله تعالى رب العالمين ورب الأرباب {الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} الذي يملك كل شيء في السموات السبع وما فيهن والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن {الْآ} أداة تنبيه لما بعدها {إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} إلى الله تعالى ترجع الأمور والأشياء كلها لتصرف الله تعالى وحده فهو الخالق والرازق والمحيي والمميت والحساب يوم القيامة للناس.

## فهرس أجزء الثالث

### الصفحة

### الموضوع

١	تفسير سورة الأنبياء (٢١)
٤٩	تفسير سورة الحج (٢٢)
٩٨	تفسير سورة المؤمنون (٢٣)
١٣٧	تفسير سورة النور (٢٤)
١٨٩	تفسير سورة الفرقان (٢٥)
٢٢٢	تفسير سورة الشعراء (٢٦)
٢٦٤	تفسير سورة النمل (٢٧)
٣٠٧	تفسير سورة القصص (٢٨)
٣٥٢	تفسير سورة العنكبوت (٢٩)
٣٨٩	تفسير سورة الروم (٣٠)
٤١٧	تفسير سورة لقمان (٣١)
٤٣٩	تفسير سورة السجدة (٣٢)
٤٥٥	تفسير سورة الأحزاب (٣٣)
٥٢٢	تفسير سورة سبأ (٣٤)
٥٥٢	تفسير سورة فاطر (٣٥)

## تابع فهرس أجزاء الثالث

الموضوع	الصفحة
تفسير سورة يسَ (٣٦) .....	٥٧٥
تفسير سورة الصَّافَّاتِ (٣٧) .....	٦٠٣
تفسير سورة صَّ (٣٨) .....	٦٣٩
تفسير سورة الزُّمَرِ (٣٩) .....	٦٧٩
تفسير سورة غَافِرِ (٤٠) .....	٧٢٧
تفسير سورة فُصِّلَتِ (٤١) .....	٧٧٠
تفسير سورة الشُّورَى (٤٢) .....	٨٠٢